

الرسالة القشيرية

للإمام/ زين الدين أبي القاسم القشيري
عليها تعليقات لشيخ الإسلام
القاضي زكريا بن محمد الأنصاري
رضي الله تعالى عنهما

الناشر
دار جوامع الكلم
١٧ ش الشيخ صالح الجعفري
القاهرة - الدراسة - ت: ٢٥٨٩٨٠٢٩

الرسالة القشيرية

للإمام زين الدين أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن

ابن عبد الملك بن طلحة القشيري

المولود ٣٧٦ هـ ٩٨٦ م

المتوفي ٤٦٥ هـ ١٠٧٢ م

وعليها تعليقات شيخ الإسلام

القاضي زكريا بن محمد الأنصاري

المتوفى سنة ٩١٠ هـ

قرأها وكتب مقدمتها

الشيخ طه عبد الرؤوف سعد

من علماء الأزهر الشريف

الناشر: دار جوامع الكلم

١٧ شارع الشيخ صالح الجعفرى - الدراسة - القاهرة

تليفون: ٢٥٨٩٨٠٢٩٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الناشر

الحمد لله الواحد الأحد ، قيوم السموات والأرض الفرد الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ..

نحمدك على ما أوليت ونشكرك على ما أعطيت فأفضلت - سبحانه اللهم يا واجب الوجود يا رب يا معبود .. يامن جعلت العبادة مفتاح السعادة وأضأت العقول بضوء وجودك ..

نحمدك أن خصصت العارفين بما لا يعرفه إلا أنت وسلبت عقولهم بنور وجهك فتحيروا في سبحاته وتاهوا ، ثم أفنيتهم عن بقاياهم ففاهو في صعقتهم بما فاهوا ، ثم أحبيتهم بك وأنستهم فنطقوا بالحق إذ شاهدوا محياه ..

نشكرك يا من سطر سرائر العارفين جوامع الكلم من غمائم الحكم والآح لهم لوائح القدم في صحائف القدم ..

ونصلي ونسلم على المبعوث رحمة للعالمين من الإنس والجن أجمعين ، بنور وجهه أضاء الكون ولأجله خلق الله الخلق وأنشأهم من العدم ..

صلى الله وسلم وبارك على هذا البدر المنير والسراج الوهاج من أضواء به عقول العارفين وجذب قلوبهم إلى الحق المبين وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن سار على دربه وسلك سبيله من أوليائك الصالحين ..

وبعد ..

فقد دأبت مكتبتنا دار جوامع الكلم جعلها الله منارا لخدمة العلم والمسلمين على أن تطوف بساتين العلم فتقدم أنضر زهورها وأشهى ثمارها وأن تغوص في بحار الثقافة فتقدم دررها ومراجينها للقارئ المسلم في مشارق الأرض ومغاربها ويتوفيق من الله أن أسعدنا بتقديم هذه التحفة الجليلة والجمهرة الثمينة

الرسالة القشيرية

ولن نزيد أو نعيد في أهمية هذا الكتاب فحسبنا أنه صار بين يديك تنهل منه علما وفضلا .. علم السادة الصوفية والأدب الذي أدبهم به خير البرية ومن جاء بعده سائرا على طريقه متبعا منهجه ..

اللهم يا سامع النداء يا مجيب الدعاء انفع بكتابنا هذا كل من قرأه واجعل ثوابه في ميزان حسناته ونحن معه يا كريم ..

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد خير خلقك وعلى إخوانه من أنبيائك ورسلك وعلى آل بيته وأصحابه الطيبين الطاهرين ..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

دار جوامع الكلم

جعلها الله منارا لخدمة العلم والدين

غرة شهر رجب المبارك عام ١٤٢٨ هم هجرة

بدرالتمام صلى الله عليه وآله وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

بما أن كتابنا هذا يندرج تحت فهرسة علوم التصوف فلا بد لنا من كلمة عن هذا العلم علم التصوف وكتبه ..

بقلم المحقق ..

التصوف : علم يعرف به كيفية ترقى أهل الكمال من النوع الإنسانى فى مدارج سعاداتهم والأمور العارضة لهم فى درجاتهم بقدر الطاقة البشرية ..

وأما التعبير عن هذه الدرجات والمقامات كما هو حقه فغير ممكن لأن العبادات إنما وضعت للمعانى التى وصل إليها فهم أهل اللغات ، وأما المعانى التى لا يصل إليها إلا غائب عن ذاته فضلا عن قوى بدنه فليس بممكن أن توضع لها الألفاظ فضلا عن أن يعبر عنها بالألفاظ ..

فكما أن المعقولات لا تدرك بالأوهام ، والموهومات لا تدرك بالخياليات ، والتهيئات لا تدرك بالحواس فالأمر كذلك ، أما من شأنه أن يعاين بعين اليقين لا يمكن أن يدرك بعلم اليقين .

فالأوجب على من يريد ذلك أن يجتهد فى الوصول إليه بالعيان دون أن يطلبه بالبيان فإنه طور وراء طور العقل .

علم التصوف علم ليس يعرفه
إلا أخوفطنة بالحق معروف
وليس يعرفه من ليس بشهده
وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف

هذا ما ذكره ابن صدر الدين ..

وأما أبو الخير فإنه جعل الطرف الثانى من كتابه فى العلوم المتعلقة بالتصفية التى هى ثمرة العمل بالعلم .

ولهذا العلم أيضاً ثمرة تسمى علوم المكاشفة لا تكشف عنها العبارة ولا يكشف عنها غير الإشارة ..

قال القشيري : اعلّموا أن المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يتسم أفاضلهم فى عصرهم بتسمية علم سوى صاحب الرسول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ لا أفضلية فوقها فقل لهم الصحابة ، ولما أدركهم أهل العصر الثانى سُمى من صاحب الصحابة بالتابعين ، ثم اختلف الناس وتباينت المراتب فقل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين : الزُّهاد والعُباد ، ثم ظهرت البدعة وحصل التداعى بين الفرق فكل فريق ادعوا أن فيهم زهادا فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفسهم مع الله سبحانه وتعالى الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف .. واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة .

وأول من سُمى بالصوفى أبو هاشم الصوفى المتوفى سنة خمس ومائة ..

وقد عرّف الجرجاني التصوف بأنه مذهب كله جدّ فلا يخلطونه بشيء من الهزل ، وقيل تصفية القلب عن موافقة البرية ، ومفارقة الأخلاق الطبيعية ، وإخماد صفات البشرية ، ومجانبة الدعاوى النفسانية ، ومنازلة الصفات الروحانية ، والتعلق بعلوم الحقيقة ، واستعمال ما هو أولى على السرمدية ، والنصح لجميع الأمة ، والوفاء لله تعالى على الحقيقة ، واتباع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الشريعة .

وقيل : ترك الاختيار ، وقيل : بذل المجهود والأنس بالمعبود ، وقيل : حفظ حواسك من مراعاة أنفاسك ، وقيل : الإعراض عن الاعتراض ، وقيل : هو صفاء المعاملة مع الله تعالى ، وأصله التفرغ عن الدنيا ، وقيل : الصبر تحت الأمر والنهى ، وقيل : خدمة التشرف وترك التكلف واستعمال النظرف ، وقيل : الأخذ بالحقائق

والكلام بالدقائق ، والإياس مما في أيدي الخلائق .

وقد عرّف الإمام السيوطي التصوف بأنه « تجريد القلب لله تعالى ، واحتقار ما سواه » .

ثم بيّن السيوطي أنه عرّف التصوف ، ولم يعرف علم التصوف ، لأن صاحبه أحوج إلى حده منه إلى حد علمه لعدم اعتناؤه بذلك ، الذي هو شأن المدققين في الظواهر ، بينما التصوف يتعلق بالداخل والباطن .

وعرّف حاجي خليفة علم التصوف بأنه « علم يعرف به كيفية ترقى أهل الكمال من النوع الإنساني في مدارج سعادتهم ، والأمور العارضة لهم في درجاتهم ، بقدر الطاقة البشرية » ، كما ذكرنا سابقاً .

وقال بعض العلماء : إن الصوفية مشتق من الصفا ، أو من الصفة ، أو من أهل الصفة ، أو من الصوف لأنهم كانوا من مبدأ أمرهم يلبسون الصوف ، ويختصون به لمخالفة سائر الناس في لبس فاخر الثياب ، وإقبال المتصوفة إلى الزهد والانفراد عن الخلق .

والظاهر أن هذا الاشتقاق بعيد ، لذلك قال القشيري : « ولا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس » .

وعن لفظ « الصوفى » ، يأتي الإمام أبو العباس المرسى بهذا التخريج اللطيف .
صوفى مركبة من حروف أربعة : ص ، و ، ف ، ي .

الصاد : صبره وصدقه وصفاؤه .

الواو : وجدده ووده ووفائه .

والفاء : فقده وفقره وفناؤه .

والياء : ياء النسبة فإذا تكمل فيه ذلك فقد أضيف إلى حضرة مولاه .

وأورد قول الشاعر :

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا قديماً وظنوه مشتقاً من الصوف
ولست أنحل هذا الاسم غير فسى صافى فصوفى حتى سُمى الصوفى

ويحدد الإمام النووي أصول التصوف فيقول: أصول طريق التصوف خمسة:

- (١) تقوى الله في السر والعلانية .
 - (٢) واتباع السنة في الأقوال والأفعال والأحوال .
 - (٣) والإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار .
 - (٤) والرضا من الله تعالى في القليل والكثير .
 - (٥) والرجوع إلى الله تعالى في السراء والضراء .
- فتحقيق التقوى : بالورع والاستقامة .
وتحقيق اتباع السنة : بالتحفظ وحسن الخلق .
وتحقيق الإعراض ع الخلق : بالصبر والتوكل
وتحقيق الرضا عن الله : بالقناعة والتفويض .
وتحقيق الرجوع إلى الله : بالشكر له في السراء والالتجاء إليه في السراء
والضراء .. وأصول ذلك كله خمسة :

- (١) علو الهمة . (٢) وحفظ الحرمة . (٣) وحسن الخدمة .
 - (٤) ونفوذ العزيمة . (٥) وتعظيم النعمة .
- ١- فمن علت همته : ارتفعت رتبته
 - ٢- ومن حفظ حرمة الله : حفظ الله حرمة .
 - ٣- ومن حسنت خدمته : وجبت كرامته .
 - ٤- ومن نفذت عزمته : دامت هدايته .

٥- ومن عظم النعمة : شكرها .

ومن شكرها : استوجب المزيد ، كما قال الله تعالى ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ .

وأصول المعاملات خمسة :

- ١- طلب العلم للقيام بالأمر .
- ٢- وصحبة المشايخ والإخوان للتبصر .
- ٣- وترك الرخص والتأويلات للتحفظ .
- ٤- وضبط الأوقات بالأوراد للحضور (الأوراد : الأذكار)
- ٥- وأتھام النفس فى كل شىء للخروج من الهوى والسلامة من العطب .

آفة المعاملات :

- ١- فطلب العلم : آفتهُ صحبة الأحداث سنا وعقلا ودينا مما لا يرجع إلى أصل ولا قاعدة .

- ٢- وآفة الصحبة : الاغترار والفضول بكثرة الكلام .
 - ٣- وآفة ترك الرخص والتأويلات : الشفقة على النفس .
 - ٤- وآفة اتھام النفس : الأنس بحسن أحوالها واستقامتها .
- وقد قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعَدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا ﴾

دواء النفس :

وأصول ما تُداوى به علل النفوس خمسة :

- ١- تخفيف المعدة بقلّة الطعام والشراب .

٢- والالتجاء إلى الله تعالى مما يعرض عند عروضه .

٣- والفرار من مواقف ما يخشى الوقوع فيه .

٤- ودوام الاستغفار مع الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم آناء الليل وأطراف النهار باجتماع خاطر .

٥- وصحبة من يدلك على الله .

ويتناول فضيلة الشيخ محمد أحمد أبو زهرة نشأة التصوف فيقول رحمه الله :

نشأ التصوف روحياً ، وإن كان عند بعض الناس أخذ مسلوكاً شكلياً ، ولقد نشأ من ينبوعين صافيين :

اولهما : هو انصراف بعض العباد المسلمين إلى الزهد في الدنيا والانقطاع للعبادة ، وقد ابتدأ ذلك في عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكان من الصحابة من اعتزم أن يقوم الليل متهجداً ولا ينام ، ومنهم من يصوم ولا يفطر ، ومنهم من انقطع عن النساء ، فلما بلغ أمرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :

« مَبَالُ اقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذَاً وَكَذَا لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَنَامُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنِ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي » ولقد نهى عن الرهبنة ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم « رَهْبَانِيَّةٌ أُتِيَ الْجِهَادُ »

وبذلك : بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم معنى الزهد : وهو طلب الحلال ، وألا يُحرّم ما أحل الله ، كما تلونا من قبل .

ولكن بعد أن انتقل النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى ، ومضى عصر الصحابة والتابعين ، دخل في الإسلام من كان في نفوسهم أثر من المذاهب القديمة ، الذين كانوا يحسبون تعذيب الجسم ، لتقوية الروح نوعاً من العبادة .

ولكن مع شيوع هذه الأفكار ، لفظتها المبادئ الإسلامية ، وبقي معنى الزهد

الذى قرره الإمام أحمد : « الزهد : الاقتصار على الحلال » .

وبالجمع بين هدى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وما جاء من منازع تحارب الحلال كان التصوف الإسلامى الذى لا يقطع عن الحياة ، ويربى الروح والقلب ، ويوجهما إلى الله تعالى ، وكان المزج الكامل بين متعة الحلال ، وفطم النفس عن الشهوات .

هذا الينبوع إسلامى خالص ، وما خالطه من منازع أخرى ، قد رخصها الإسلام فكان فى دائرته المعقولة .

ولنتكلم عن الفكرة الفلسفية الأولى ، فهى نبعت بين الإشرقيين من الفلاسفة ، وهم يرون أن المعرفة تقذف فى النفس بالإشراق الروحى ، ومنه : تكون الرياضة الروحية والتهديب النفسى .

وإن هذا بلا ريب : ينبوع صاف ، يتجه بالنفس إلى التهديب الروحى ، والاتصال بالله .

ومهما يكن فإن هذه الأفكار تبلورت ، ولفظ بعضها بعضاً ، فكان التصوف الذى ظهر قويا فى القرنين الرابع والخامس ، ومن بعدهما السادس الهجرى .

والجوهر كان قائما مع الأشكال ، فى القرون الأولى ، وبه كانت الدعوات الدينية المخلصة واستمر الجوهر قائما إلى اليوم .

ولذا نرى أن صوفية الإسلام يلتقى فيها أمران :

أحدهما : الإشراق ، والثانى : الشوق إلى الله تعالى ومحبته ، والمحبة قدر مشترك بين الصوفية المسلمين أجمعين ، كالإشراق ، وقد راض بعضهم نفسه على المحبة ، واتخذ منها سبيلا للاتصال بالله تعالى هو إشراق النفس بنور الإيمان ، وامتلأها بمحبة الله ورياضة النفس على محبة الله ، حتى يكون سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به وحتى يكون كل شىء فى نفسه ، فلا يتحرك حركة عن

حركة إلا فى سبيل رضا ومحبة وحتى يحب الشيء لا يحبه إلا بحبه الله .

وفى تناوله لموضوع التصوف والصوفية نبهنا فضيلته إلى أمرين :

أولاهما : أن الشيوخ الذين كانوا يروضون الناس على المحبة والشوق إلى الله تعالى بدا من عباراتهم : أن المحبة إن تحققت ، فإن العاصى والمطيع يكونان على سواء مع أنه إذا تحققت المحبة لا يكون هناك عاص من المحبين ، إذ كيف يحبه ويعصى ، إنه إن لم يطع تكليفا ، أطاع محبة وتقربا وطلباً للرضوان .

يقول ابن عطاء الله السكندرى فى بعض أدعيته :

(إلهى إن ظهرت المحاسن منى فبفضلك ، ولك المنة على ، وإن ظهرت المساوى ، فبعذلك ، ولك الحجة على) .

هذه نظرات متصوفة صادقين ، قد وصل بهم القرب من ربهم ، ومحبه فى قلوبهم إلى أن الله تعالى الجميع أمامه سواء ، ويغالى بعضهم ، فيقول : إنه إذا كانت الشريعة قد فرقت بين المطيع والعاصى ، فالحقيقة قد قررت أنه أمام الله تعالى لا فرق ، ولكن من يصل إلى الحقيقة ؟ ولذلك : كانت الشريعة أولاً لأن الوصول طريقه واضح المعالم ، بين المسالك ، ولأن الله تعالى جعل الطاعة لشريعته ، ولسوله ، طريق محبته ، فقد قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ .

بل نستطيع أن نقول : إنا لا نصل إلى الحقيقة إلا عن طريق الشريعة .

وإنهم ليقررون : أن المعصية ثم الاستغفار منها ، تقرب ، ولا تبعد ، وأن تقرب الاستغفار أكبر من تبعيد العصيان ، ويقولون : إنه ورد عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « لو لم تذنّبوا فتستغفروا ، لخلق الله قوماً يذنبون فيستغفرون ، ويقول ابن عطاء الله السكندرى : « ربّ معصية أورثت ذلاً وانكساراً خير من طاعة أورثت عزا وافتخارا » .

ثانيهما : أن منهاج العامة من الصوفية ليس على هذا النحو ، الذى سلكه الخاصة ، ذلك : أن أتباعهم لم يبلغوا المبلغ ، ولم يدركوا من الحقائق ما أدركوا ، فهم فهموا أن لا معصية ولا طاعة ، وأن يكتفى بالمحبة ، ويدعونها لأنفسهم ، ومنهم من خلع الريقة .

ووجد من ادعى أنه الشيخ المتبوع فى الصوفية ، ولم يمنعه ذلك من أن يتناول الممنوع ، ثم اجترع اللذات ، ونال من الموبقات ، من غير حريجة دينية تمنعه ولا نفس لوامة تدفعه ، بل اتخذ التصوف ستارا ، يستتر به مآثمه ، ومنهم من كان يدعى مع ذلك الولاية .

وهؤلاء هم من أساءوا إلى الصوفية الحقبة .

ومن العامة : من لا يعرف من التصوف إلا مظاهره ، ومن حقائقه إلا أشكالها ، ومنهم من كان يشيع أن يكفى اتباع شيخ من الشيوخ ، أو ولى من الأولياء ، حتى تكون الخوارق .

هذه هى الصوفية ابتداء وانتهاء ، ونحن إذا قلنا : إن التصوف حمل الدعوة الإسلامية أو كان منهم من حملوها ، لا نقصد العامة ، ولا الذين اتخذوها شكلا إنما نقصد الصفوة المختارة منهم ، التى صفت نفوسها ، وربت مرديهم وتلاميذهم على الخير والعمل : كالشيخ عبد القادر الجيلانى ، وأبى الحسن الشاذلى ، والمرسى أبى العباس وابن عطاء الله السكندرى والشيخ أحمد التجانى ، وابن على السنوسى ، والسادة المشايخ الموجودون الآن فأولئك كان لهم مقام فى الدعوة الى الإسلام .

وإننا إذا تكلمنا فيمن يدعون إلى الإسلام من الصوفية : لا نقصد الذين قاموا بالشعبذة كما لا نتصور أن منهم الذين يقولون بتساوى الحسنة والسيئة ، ولا الذين يقولون : إن المطلوب الحقيقة لا الشريعة .

بل هم : الذين دعوا إلى الإسلام ، وانتشر الإسلام فى نواح من نواحى

البلاد الإسلامية ببعضهم .

ثم يحدثنا فضيلته عن الدعاية الصوفية والدعوة إلى الإسلام فيقول :

الدعاية الصوفية كانت تقوم على أمرين :

أحدهما : من القدوة والاختلاط ، والأخلاق الإسلامية والتسامح والرفق في المعاملة ، والمثل الطيبة الواضحة في المعاملة الحسنة .

وذلك : أن أئمة الصوفية كالقطب عبد القادر الجيلاني ، وأبي الحسن الشاذلي ، والمرسي أبي العباس ، وابن عطاء الله السكندري ، كانوا على أخلاق إسلامية طيبة ، وكانوا على سماحة تدنى البعيد ، وتثبت القريب .

وبهذه الأخلاق التي سرت إلى بعض مريديهم وأتباعهم ، كانوا يجذبون إلى الإسلام طوائف من غير المسلمين الذين يختلطون بهم ، فإن المعاملة الحسنة ، والاختلاط الذي يكون بعشرة طيبة يجذب النفوس ، وتسرى بها العقائد الفاضلة ، فتسرى العقيدة العالية إلى ما دونها ، كما يسرى الماء العذب من المكان المرتفع إلى المكان المنحدر.

وقد كان هؤلاء الآحاد من المتصوفة الذين لا يشعبذون ، بل يتعبدون ، يختلطون بأهل أفريقيا الوثنيين والمجوس والوثنيين في آسيا فيؤثرون بمعاملتهم ، وبسعة صدورهم ، وعقولهم ، بأكثر مما يؤثر القول ، وقد كانت تقترن بهذه الأخلاق دعوات آحادية أحياناً .

الثاني : من الأمور التي كانت تقوم بها الدعاية الصوفية : مجالس الوعظ ، التي كان يعقدها الأئمة من الأقطاب ، فقد كانت مجالس عامة يحضرها المسلمون ويحضر فيها غير المسلمين فيتبعون الشيخ في مواعظه ثم يعلو الأتباع حتى يتبعوه في عقيدة الوحدانية ، وكان من هؤلاء من له ثقافة إسلامية ، وعلم بالإسلام ، أصوله وفروعه ، كعبد القادر الجيلاني الذي عاش في القرن الخامس والسادس الهجري من

٤٧٠ إلى ٥٦١ فقد كان عالماً بالأصول والفروع ، والحديث رواية ودراية ، قد جلس للوعظ أربعين سنة ، فقد ابتدأ واعظاً ، من سنة ٥٢١ ومفتياً من سنة ٥٣٦ الى أن قبضه الله تعالى وكان منصب الإفتاء كان في نظره أعلى من منصب الوعظ لأنه ما تصدى للإفتاء إلا بعد الستين .

وكانت تعقد مجالس وعظه ، وتكون موعظته عامة ، لا يمنع منها أحد ، ولا يمنع فيها من الحضور أحد ، فكان يدخل اليهودى والنصرانى ، والمجوسى ، والوثنى ، وقيل : إن مجلسه كان يحضره نحو أربعة آلاف ، وما كان المجلس بنفض إلا على إسلام كثيرين ، ومنهم من كان يحضر إليه طالباً الهداية فيسلم على يديه .

لقد جاء فى كتاب : « قلائد الجواهر فى مناقب عبد القادر » : أنه أتاه فى مرة ثلاثة عشر رجلاً من النصارى ، وأسلموا على يديه فى مجلس وعظه ، وقالوا : نحن من نصارى العرب ، وأردنا الإسلام ، وترددنا فىمن نقصده ، لنسلم على يديه ، فهتف بنا هاتف ، نسمع كلامه ولا نرى شخصه : أيها الركب ذو الفلاح ، انتوا بغداد ، وأسلموا على يد الشيخ عبد القادر ، فإنه يوضع فى قلوبكم ببركته ما لم يوضع فيها عند غيره من سائر الناس .

ومع ما كان يفد إليه الناس بحكم ما نال من سمعة بركته وإخلاصه كانت مجالسه التى كان يحضرها احياناً عدة تبلغ أربعة آلاف ، يحضرها بعض المجوس والمسيحيين ، وغيرهم من غير المسلمين ، وهو يتجه فى دروسه إلى ثلاثة اتجاهات : أولها وأغزرها : يتعلق بالقلب وتطهيره من الأرجاس ، وتربية المحبة فيه ، وبعضها : يتجه إلى بيان العقيدة الإسلامية بياناً واضحاً بيناً لا اعوجاج ولا تعقد ، يعتمد على القرآن والحديث فى بيان العقائد ، ولا يتعرض لعلم الكلام إلا عند الاضطرار الى الأدلة المنطقية ، وفى كثير منها يتجه إلى بيان الأحكام الفقهية ، مبيناً أسرار هذه الأحكام ، والحكمة فى شرعيتها ، متجهاً فى بيانها إلى تربية الأخلاق الربانية ، لأنه كان ربانياً .

فبهذا البيان الحكيم ، وما حف به من بركات كان ريانيا فى اخلاقه وبيانه وسلوكه ، فكان النصارى والمجوس الذين يحضرون درسه ، ينجذبون إلى الحقائق الإسلامية انجذابا وبفضل إخلاصه ، واستقامة نفسه وعقله وحسن أدائه وما يحف به من بركاته يسلم الناس من غير دعوة الى الإسلام بل إنه بهذا الأسلوب النورانى يفتح القلوب .

فكان القطب عبد القادر الجيلانى مربيا لنفوس مريديه ، وداعيا إلى الحق ، وإلى الهداية ، ومن هذه الناحية ، دخل فى الإسلام على يديه الكثيرون ، لطهارته وإخلاصه ، وحسن دعوته الى النور من غير تكلف .

وعن نشأة التصوف وتطوره يقول الدكتور محمد الزحيلي :

كان الزهد هو البذرة الأولى للتصوف ، ظهر الزهد منذ مطلع القرن الثانى الهجرى ، وصنف فيه كبار العلماء ، وعد المتصوفة هذه الكتب أصولا ومنطلقات لهم ، ويعتبر الحسن البصرى (١١٠هـ) أهم رواد المتصوفة كما تعتبر كتبه من أوائل المصنفات التى تتضمن عبارات كثيرة وصيغا متعددة تحت على الزهد ، وكثيرا ما يجمع بين الكلمتين ، فيقال : الزهد والتصوف ، وقد يطلق الزهد ويراد به التصوف ، والعكس بالعكس ..

كما كانت مبادئ التصوف ترد أيضا تحت عنوان المواعظ والخطب والقصص والوصايا والمسائل .

ثم جاءت كتب الزهد التى وصلت إلينا مثل كتاب الزهد لعبد الله بن المبارك (١٨١هـ) وكتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) ثم جمعت أكثر الأقوال فى الزهد فى كتاب « حلية الأولياء ، لابی نعيم الأصفهاني (٤٣٠هـ) .

وظهر فى هذه الفترة كبار الزهاد ، واشتهر منهم محمد بن سيرين (١١٠هـ) وأبو حازم سلمة بن دينار المخزومي (١٤٠هـ) والحسن البصرى (١١٠هـ) وسابق

ابن عبد الله البريرى (توفى فى الربع الأول من القرن الثانى الهجرى) وعبد الله بن المبارك (١٨١ هـ) والمعافى بن عمران (١٨٥ هـ) والفضيل بن عياض (١٨٧ هـ) ومعروف الكرخى (٢٠٠ هـ) وبشر بن الحارث الحافى (٢٢٧ هـ) والحارث بن أسد المحاسبى (٢٤٣ هـ) وهو من أشهر أعلام التصوف ، وله كتب كثيرة فى هذا الخصوص ، ومنهم أبو يزيد البسطامى (٢٦١ هـ) وأبو بكر الوراق (٢٨٠ هـ) وسهل بن عبد الله التسترى (٣٨٣ هـ) وأبو القاسم الجنيد بن محمد (٢٩٨ هـ) وغيرهم رضى الله تعالى عنهم .

وكتب كثير منهم مصنفات وكتباً ورسائل فى الزهد ، ولهم عبارات مأثورة ، وكانوا يمارسون التربية الروحية ويوجهون الناس إلى الورع والتقوى ، وتصدر عنهم المواعظ والحكم التى تنبع من الإسلام وتتفق ومقاصده وتوجيهاته .

وفى القرن الثالث الهجرى والقرن الرابع تزاجت العلوم الإسلامية والثقافات الأجنبية وترجمت أكثر الكتب اليونانية والفارسية والهندية ، وتأثر بعض الناس بالفلسفات المتعددة والأفكار الدينية الأخرى ، وخاصة تعاليم الإشراقيين من الحكماء الإلهيين والزهد الهندى ، ودخلت كثير من اصطلاحات كتب حكمة الإشراق إلى الزهاد ، ودخلت كتب الزهد والتصوف ..

وفى البيان التالى من الأزهر الشريف : إن التصرف والطرق الصوفية أمر قديم ، وقد كثر الكلام حوله تارة بالتأييد وتارة بالتجريح ، لكن المقياس الصحيح الذى يجب أن تقاس به الأفكار والسلوك وتوزن به هذه الطرق وكل التشكيلات المنسوبة إلى الدين هو قوله تعالى ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ..

وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » أى مردود عليه ، ..

فإن كانت الطرق الصوفية ملتزمة للدين عقيدة وشريعة فهي محمودة وينبغي تشجيعها وإن انحرفت فهي مذمومة ويجب تقييدها والتقويم يكون على المنهج الذى رسمه الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم بقوله تعالى : « ادع إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ » .. وذلك لنحول هذه الطاقات الهائلة إلى الإنتاج المثمر فى كل مجال ، إن الطرق الصوفية أشبه بالمدارس التربوية التى تضم إلى العلم والثقافة ممارسة عملية تطبيقية فهي تنطلق فى نشاطها على ضوء الفكر والوجدان ، لأن علاقة المريدين « التلاميذ والطلاب » بشيخهم علاقة حب واحترام لا نجده فى كثير من المؤسسات التربوية الأخرى ، وبهذا الرباط الروحى يمكن توجيههم ببسر وسهولة وكانت لهم وقفات صامدة على مدى التاريخ فى مقاومة الاستعمار وفى إقامة المنشآت الدينية... إلى آخر ما ذكر البيان ..

الرسالة القشيرية

تلك التحفة الصوفية العلمية - كتبها إمامنا الأستاذ القشيري في عام ٤٣٧ سبع وثلاثين وأربعمائة إلى (جماعة الصوفية ببلدان الإسلام) وذلك تصحيحاً لأوضاع ادعاها من انحرف عن طريق الصدق ، وبيان لما ينبغى أن يكون عليه مريد التصوف ..

لقد دب الفساد في بعض الجهات التي يزعم أهلها أنهم من أهل التصوف وسلكوا طرقاً لا تمت إلى الدين الإسلامي ولا إلى التصوف ذى النبع الصافى بأية صلة - كما كان هذا الشأن في كل الدعوات المباركة أن يأتى من تلبسه الشيطان فيخرج بها عن منهجها العذب إلى طرق لا تحمد عقباها فجاء إمامنا وكتب تلك الرسالة المباركة معتمداً فيها جانبين :

(١) السيرة العطرة لبعض رجال التصوف وبعض من أقوالهم كنماذج يسير مريد طريق التصوف على هديهم ويتبع إشاراتهم .

(٢) ذكر مبادئ السلوك ومناهجه كما شرح ذلك في مقدمة الكتاب .

هذه هي رسالة الإمام القشيري كانت وما زالت ولا تزال شمساً مضيئة لطريق الحق وقمراً منيراً يسير على هديه مريد الصدق - فخذة إليك أيها القارئ الشاذى إلى سبيل القوم ينفعك الله في دنياك ويجازك الله خيراً في أخراك .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ...

شرح الرسالة القشيرية

ممن شرح الرسالة القاضى شيخ الإسلام زكريا بن محمد الأنصارى المتوفى سنة ٩١٠ فى مجلد من المتن سماه إحكام الدلالة على تحرير الرسالة أولها الحمد لله الذى يسر سبيل السالكين ... إلخ ..

وفى شرح فى رابع عشرى جمادى الأولى سنة ٨٩٣ .. ونحن نذكر أهمها فى ذيل كتابنا هذا

ومن شروحها : الدلالة على فوائد الرسالة للشيخ الفقيه سديد الدين أبى محمد عبد المعطى بن محمود بن عبد العالى اللخمي ..

فرغ من إملائه سنة ٦٣٨ هـ

وشرحها أيضا المولى على القارى.

طباعات الكتاب

لقد طبع الكتاب مئات المرات بمعرفة عشرات من دور النشر فى العالم ..

أما طباعته القديمة فقد طبع فى المطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٢٨٤ هـ ،

أيضا ١٢٨٧ هـ ، مطبعة عبد الرازق سنة ١٣٠٤ هـ ، المطبعة الميمنية سنة ١٣٣٠ هـ ،

مطبعة مصر سنة ١٣٥٨ هـ ..

ترجمات الكتاب ودراسات عن المؤلف

رأيت ترجمة بالفرنسية طبعت فى رومية سنة ١٩١١

دراسات عن القشيري

دراسة المستشرق آربرى نشرها سنة ١٩٥٣ .

دراسة الدكتور إبراهيم بسيونى طبعت سنة ١٩٧٢

دراسة الدكتور قاسم السمراكى عام ١٩٦٩

دراسة الدكتور علم الدين الجندى سنة ١٩٧٣

وغيرها الكثير ..

مخطوطات الرسالة القشيرية

وأما المخطوطات فلا تكاد توجد مكتبة فى العالم إلا وبها نسخة أو أكثر من هذه الرسالة ولنذكر بعضها :

(١) ذكرها فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية به عدد من النسخ المخطوطة

(٢) فهرس المخطوطات العربية فى مكتبة تشسترى

(٣) فهرس المخطوطات المصورة - المكتب الهندى

(٤) فهرس المخطوطات التركية العثمانية

(٥) فهرس مخطوطات مكتبة المسجد الأقصى

ويذكر بروكلمان أكثر من خمسين نسخة مخطوطة للكتاب.

التعريف بالمؤلف الإمام القشيري

المولود في ربيع الأول ٢٧٦ هـ يوليو ٩٨٦ م

المتوفي يوم ١٦ من شهر ربيع الآخر ٤٦٥ هـ ١٠٧٢ م

هذه لمحة مبسطة عن شيخنا المؤلف :

هو : الإمام عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد القشيري ، زين الدين أبو القاسم .

من بنى قشير بن كعب أبا ، أما أمه فهي من بنى سليم ، فهو عربى أصيل من جهتي أبيه وأمه .

نشأ القشيري وتربى وتعلم وتوفى فى نيسابور ، ومن صغره وهو منقطع إلى العلم ، لا يعرف غيره من أمور الدنيا لهوا ولعبا .

وقد تتلمذ أولا على الإمام الإسفرايينى الذى كان معجبا بتلميذه القشيري فأفاده من علمه وفضله ، ولم يبخل عليه بكل ما جمع من ثقافة .

ثم ساقته الأقدار ونعم ما ساقته إلى رجل من أولياء الله كان قد جمع بين الشريعة والحقيقة هو الشيخ العارف بالله أبو على الدقاق شيخ الصوفية فى عصره ، وقد التزمه الإمام القشيري وأخذ عنه فانتفع به علما وعملا .

ومن حبه لشيخه وحب شيخه له أن تزوج ابنة شيخه فازداد ارتباطهما بهذا النسب المبارك .

إلا أن هذا لم يجعل القشيري يرفع التكليف بينه وبين أستاذه بل زاده ذلك احتراما لشيخه وحبا له واتباعه فى عبادته ومعرفته بالله تعالى ..

يقول القشيري.. رحمه الله تعالى :

لم أَدْخُلْ على أستاذي أبي على إلا صائما ، وكنت أغتسل قبل ذلك ، وكنت أحضر باب مدرسته غير مرة فأرجع من الباب احتشاما من أن ادخل عليه ، فإذا تجاسرت مرة ودخلت كنت إذا بلغت وسط المدرسة يصحبني شبه خدر ، حتى لو غرزت في إبرة لعلى كنت لا احس بها ، ثم إذا قعدت لواقعة وقعت لى لم أحتج أن أسأله بلسانى عن المسألة فكنت كلما جلست كان يبتدئ بشرح واقعتى .

هكذا كان التلميذ مع أستاذه ، فهل نتعلم منه ؟ وهل نعلم هذا أبناءنا وأحفادنا ؟

وعندما بلغ القشيري مرتبة الاجتهاد - علما وفقها - ووصل إلى مستوى أعالى الرجال صدقا ومعرفة أذن له شيخه بالتدريس وعقد له مجلسا للعلم فى مسجد المطرز ، وقد بلغ من العمر ثلاثين عاما .

ولم يشغله التدريس عن التأليف فكان يقسم وقته بينهما مما أنتج أحلى وأجل الكتب العلمية التى استفاد منها الناس ، ولا يزالون يستفيدون .

هذا هو القشيري الرجل الفاضل والمرىب الكريم ..

وعلى الرغم من ذلك لم يسلم من الأذى وهكذا عظماء الرجال الذين يسبقون عصرهم - نقول : لم يسلم من الأذى ، فقد قبض عليه ونفى وأهين ومنع من التدريس . وبعد أن أفرج عنه ساح فى البلاد معلما إلى أن وصل إلى الخليفة العباسى القائم بأمر الله والذى قربه منه وعقد له مجالس ، كان يحضرها .

سافر الإمام القشيري إلى الحج واجتمع بالإمام الجوينى بمكة والذى دعاه إلى الخطابة فى بيت الله الحرام ، فأعجب الخلق به وانفجعوا .

بعد ذلك عاد إلى بلاده خراسان ، والذى أعجب به أميرها ألب أرسلان ،

الذى كان يقربه ويقدمه .

هكذا كان إمامنا القشيري أحد الذين أسسوا علم التصوف على قواعد راسخة وأساس متين .

أما كتبه فنذكر أهمها ، وإن كانت قد بلغت أكثر من عشرين كتاباً :

- (١) التيسير فى علم التفسير ، يقال له : التفسير الكبير
 - (٢) لطائف الإشارات
 - (٣) القصيدة الصوفية
 - (٤) اللمع
 - (٥) الفصول
 - (٦) الفتوى التى أوردها الإمام السبكي فى الطبقات
 - (٧) المعراج
 - (٨) المقامات الثلاثة .
 - (٩) الرسالة القشيرية ، وهى أهم كتبه وهو الكتاب الذى نقدم له .
 - (١٠) التحبير فى التذكير .
 - (١١) شرح أسماء الله الحسنى .
 - (١٢) حياة الأرواح والدليل على طريق الصلاح والفلاح مخطوط بمكتبة الاسكوريال .
 - (١٣) كتاب : شكايه أهل السنة .
 - (١٤) التوحيد النبوى .
 - (١٥) ترتيب السلوك .
 - (١٦) التمييز فى علم التذكير .
 - (١٧) كتاب الأربعين حديثاً .
- والله من وراء القصد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل “

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى تفرد بجلال ملكوته^(١) . وتوحد بجمال جبروته^(٢) . وتعزز بعلو أحديته . وتقدس بسمو صمديته وتكبر فى ذاته عن مضارعة كل نظير وتنزه فى صفاته عن كل تناهٍ وقصور، له الصفات المختصة بحقه والآيات الناطقة بأنه غير مشبه بخلقه فسبحانه من عزيز لا حد يناله ولا عد يحتاله ولا أمد يحصره ولا أحد ينصره ولا ولد يشفعه ولا عدد يجمعه ولا مكان يمسكه ولا زمان يدركه ولا فهم يقدره ولا وهم يصوره ، تعالى عن أن يقال كيف هو أو أين هو أو اكتسب بصنعه الزين أو دفع بفعله النقص والشين إذ ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ولا يغلبه حى وهو الخبير القدير. أحمده على ما يولى ويصنع . وأشكره على ما يزوى ويدفع وأتوكل عليه وأقتنع وأرضى بما يعطى ويمنع . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة موقن بتوحيده مستجير بحسن تأييده وأشهد أن محمداً عبده المصطفى وأمينه المجتبى ورسوله المبعوث إلى كافة الورى صلى الله عليه وآله مصابيح الدجى وأصحابه مفاتيح الهدى وسلم تسليماً كثيراً (هذه رسالة) كتبها الفقير إلى الله تعالى عبد الكريم ابن هوازن القشيرى إلى جماعة الصوفية ببلدان الإسلام فى سنة سبع وثلاثين

(١) (ملكوت) أى ملكه العظيم كما أفادته المبالغة المبنى عنها زيادة اللفظ إذا زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى .

(٢) (جبروته) أى قهره لغيره على وفق إرادته فالجبار من تنفذ مشيئته على سبيل الإجبار فى كل شىء ولا تنفذ فيه مشيئة غيره ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وقد يكون الجبار بمعنى جابر كل كسير وأشار بهذا مع ما قبله إلى أنه تعالى متصف بالصفات السلبية مثل أنه ليس بجسم ولا عرض ولا فى مكان ولا زمان وبالصفات الثبوتية كالحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام والبقاء لأن صفات الجلال صفات قهر والقهر يستفاد من السلب وصفات الجمال صفات لطف واللفظ يستفاد من الإيجاد وجمع بينهما ليكون العبد بين الخوف والرجاء، وانظر للمؤلف كتابه شرح أسماء الله الحسنى .

وأربعمائة (أما بعد) جماعة الصوفية : رضى الله عنكم فقد جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه وفضلهم على الكافة من عباده بعد رسله وأنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم وجعل قلوبهم معادن أسرارهم واختصهم من بين الأمة بطوالع أنواره فهم الغياث للخلق والدائرون فى عموم أحوالهم مع الحق بالحق صفاهم من كدورات البشرية ورقاهم إلى محال المشاهدات بما تجلى لهم من حقائق الأحدية ووقفهم للقيام بآداب العبودية وأشهدهم مجارى أحكام الربوبية فقاموا بأداء ما عليهم من واجبات التكليف وتحققوا بما منه سبحانه لهم من التقلب والتصريف ثم رجعوا إلى الله سبحانه وتعالى بصدق الافتقار ونعت الانكسار ولم يتكلموا على ما حصل منهم من الأعمال أو صفا لهم من الأحوال علما منهم بأنه جل وعلا يفعل ما يريد ويختار من يشاء من العبيد لا يحكم عليه خلق ولا يتوجه عليه لمخلوق حق ثوابه ابتداء فضل وعذابه حكم بعدل وأمره قضاء فصل (١) . (ثم اعلّموا رحمكم الله) أن المحققين من هذه الطائفة انقرض أكثرهم ولم يبق فى زماننا هذا من هذه الطائفة إلا أثرهم كما قيل :

أما الخيام فإنها كخيامهم وأرى نساء الحى غير نسائها

حصلت الفترة فى هذه الطريقة لا بل اندرست الطريقة بالحقيقة وقد مضى الشيوخ الذين كان بهم اهتداء وقلّ الشباب الذين كان لهم بسيرتهم

(١) (قضاء فصل) أى لا تردد فيه وهؤلاء الموصوفون بما ذكرهم المربون المتصفون بالإحسان فى الخبر الصحيح ما الإحسان ؟ قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك والأمة درجاتهم متفاوتة متباينة وينقسمون إلى أصحاب اليمين وإلى المقربين كما دل عليه الكتاب العزيز فمن صح إيمانه وعمل بما أمر به شرعا فهو من أصحاب اليمين ومن قلت غفلاته وتوالت منه نوافله وطاعاته وتوالت على قلبه ذكره ودعواته فهو المقرب والمحسن ويعبر عنه بالصوفى الذى صفا عن الأخلاق المذمومة وتخلق بالأخلاق الحمودة حتى أحبه الله وحفظه فى جميع حركاته وسكناته كما جاء فى الخبر ما تقرب المتقربون إلىى بمثل أداء ما افترضت عليهم ولا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به .. الحديث أى بى يسمع وبى يبصر .. إلخ أى أحفظه فى تصرفاته فلا يخطئ منها وفى آخره فإن دعانى أحبته وإن سألنى أعطيته وكيف لا وهو الذى اختاره الله تعالى من خلقه .

وسنتهم اقتداء وزال الورع وطوى بساطه واشتد الطمع وقوى رباطه وارتحل
 عن القلوب حرمة الشريعة فعدّوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة ورفضوا التمييز
 بين الحلال والحرام ودانوا بترك الاحترام وطرح الاحتشام واستخفوا بأداء
 العبادات واستهانوا بالصوم والصلاة وركضوا في ميدان الغفلات وركنوا إلى
 اتباع الشهوات وقلة المبالاة بتعاطي المحظورات والارتفاق (الانتفاع) بما
 يأخذونه من السوق والنسوان وأصحاب السلطان ثم لم يرضوا بما تعاطوه من
 سوء هذه الأفعال حتى أشاروا إلى أعلى الحقائق والأحوال وادعوا أنهم تحرروا من
 رق الأغلال وتحققوا بحقائق الوصال وأنهم قائمون بالحق تجرى عليهم أحكامه
 وهم محو وليس لله عليهم فيما يؤثرونه أو يذرونه عتب ولا لوم وأنهم كوشفوا
 بأسرار الأحدية واختطفوا عنهم بالكلية وزالت عنهم أحكام البشرية ويقوا بعد
 فنائهم عنهم بأنوار الصمدية والقائل عنهم غيرهم إذا نطقوا والنائب عنهم سواهم
 فيما تصرفوا بل صرفوا .

سبب تأليف الرسالة :

ولما طال الابتلاء فيما نحن فيه من الزمان بما لوحث ببعضه من هذه
 القصة وكنت لأبسط إلى هذه الغاية لسان الإنكار غيرة على هذه الطريقة أن
 يذكر أهلها بسوء أو يجد مخالف لقلبهم مساعا إذ البلوى في هذه الديار بالمخالفين
 لهذه الطريقة والمنكرين عليها شديدة ولما كنت أؤمل من مادة هذه الفترة أن
 تنحسم ولعل الله سبحانه وجود بلطفه في التنبيه لمن حاد عن السنة المثلى في
 تضییع آداب هذه الطريقة ولما أبى الوقت إلا استصعابا وأكثر أهل العصر بهذه
 الديار إلا تماديا فيما اعتادوه واغترارا بما ارتادوه أشفقت على القلوب أن
 تحسب أن هذا الأمر على هذه الجملة بنى قواعده وعلى هذا النحو سار سلفه
 فعلقت هذه الرسالة إليكم أكرمكم الله وذكرت فيها بعض سير شيوخ هذه الطريقة
 في آدابهم وأخلاقهم ومعاملاتهم وعقائدهم بقلوبهم وما أشاروا إليه من مواجيدهم

وكيفية ترفيقهم من بدايتهم إلى نهايتهم لتكون لمريدى هذه الطريقة قوة ومنكم
 لى بتصحيحها شهادة ولى فى نشر هذه الشكوى سلوة ومن الله الكريم فضلا
 ومثوبة وأستعين بالله سبحانه فيما أذكره وأستكفيه وأستعصمه من الخطأ فيه
 وأستغفره وأستعينه وهو بالفضل جدير وعلى ما يشاء قدير .

فصل

فى بيان اعتقاد هذه الطائفة فى مسائل الأصول التوحيد وأصوله عند السادة الصوفية

اعلموا رحمكم الله أن شيوخ هذه الطائفة بنوا قواعد أمرهم على أصول صحيحة فى التوحيد صانوا بها عقائدهم عن البدع (ما استحدث من أمور الدين) ودانوا بما وجدوا عليه السلف وأهل السنة من توحيد ليس فيه تمثيل ولا تعطيل وعرفوا ما هو حق القدم ^(١) . وتحققوا بما هو نعت الموجود عن العدم ولذلك قال سيد هذه الطريقة الجنيد رحمه الله : التوحيد أفراد للقدم من الحدث ^(٢) . وأحكموا أصول العقائد بواضح الدلائل ولائح الشواهد كما قال أبو محمد الجريرى - رحمه الله : من لم يقف على علم التوحيد بشاهد من شواهد زلت به قدم الغرور فى مهواة من التلف ، يريد بذلك أن من ركن إلى التقليد ولم يتأمل دلائل التوحيد سقط عن سنن النجاة ووقع فى أسر الهلاك ومن تأمل ألفاظهم وتصفح كلامهم وجد فى مجموع أقاويلهم ومتفرقاتها ما يثق بتأمله بأن القوم لم يقصروا فى التحقيق عن شأو ولم يعرجوا فى الطلب على تقصير .

ونحن نذكر فى هذا الفصل جملا من متفرقات كلامهم فيما يتعلق بمسائل الأصول ، ثم نحرر على الترتيب بعدها ما يشتمل على ما يحتاج إليه فى الاعتقاد على

(١) (بالقدم) يقال للقدم الذاتى وهو ما لا يحتاج وجوده إلى غيره وللقدم الزمانى وهو ما لا يكون وجوده مسبوقا بالعدم وللقدم الإضافى وهو ما يكون وجوده أكثر من وجود آخر فيما مضى كوجود الأب مع وجود ابنه إذ هو شىء طبيعى .

(٢) (الحدث) بمعنى الحدث والحدث يقال للحدث الذاتى وهو كون الشىء مسبوقا بغيره والزمانى وهو كونه مسبوقا بالعدم والإضافى وهو ما يكون وجوده أقل من وجود آخر فيما مضى وهو تعالى منزّه عنه بالمعانى الثلاثة المذكورة، وهى من الاعتبارات العقلية التى لا وجود لها فى خارج العقل .

وجه الإيجاز والاختصار إن شاء الله تعالى . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمى رحمه الله يقول : سمعت عبد الله بن موسى السلمى يقول سمعت أبا بكر الشبلى يقول الواحد المعروف قبل الحدود وقبل الحروف وهذا صريح من الشبلى أن القديم سبحانه لا حد لذاته ولا حروف لكلامه . سمعت أبا حاتم الصوفى يقول سمعت أبا نصر الطوسى يقول سئل رُويم عن أول فرض افترضه الله عز وجل على خلقه ما هو فقال المعرفة لقوله جل ذكره ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ قال ابن عباس إلا ليعرفون ، وقال الجنيد إن أول ما يحتاج إليه العبد من عقد الحكمة معرفة المصنوع صانعه والمحدث كيف كان إحداثه فيعرف صفة الخالق من المخلوق وصفة القديم من المحدث ويذل لدعوته ويعترف بوجوب طاعته فإن لم يعرف مالكة لم يعترف بالملك لمن استوجبه . أخبرنى محمد بن الحسين قال سمعت محمد بن عبد الله الرازى يقول سمعت أبا الطيب المراعى يقول للعقل دلالة وللحكمة إشارة والمعرفة شهادة فالفعل يدل والحكمة تشير والمعرفة تشهد أن صفاء العبادات لا ينال إلا بصفاء التوحيد وسئل الجنيد عن التوحيد فقال أفراد الموحّد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته أنه الواحد الذى لم يلد ولم يولد بنفى الأضداد والأنداد والأشباه بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصوير ولا تمثيل ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ . أخبرنا محمد ابن أحمد بن محمد بن يحيى الصوفى قال أخبرنا عبد الله بن على التميمى الصوفى يحكى عن الحسين بن على الدامغانى قال سئل أبو بكر الزاهراباذى عن المعرفة فقال المعرفة اسم ومعناه وجود تعظيم فى القلب يمنعك التعطيل والتشبيه . وقال أبو الحسن البوشنجى رحمه الله التوحيد أن تعلم أنه غير مشبه للذوات ولا منفى الصفات . أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى رحمه الله تعالى قال سمعت محمد بن محمد ابن غالب قال سمعت أبا نصر أحمد بن سعيد الأسفنجانى يقول قال الحسين بن منصور أُلزم لكل الحدث لأن القدم له فالذى بالجسم ظهوره فالعرض يلزمه والذى بالأداة اجتماعه فقواها تمسكه والذى يؤلفه وقت يفرقه وقت والذى يقيمه غيره فالضرورة تمسه والذى الوهم يظفر به فالتصوير يرتقى إليه ومن آواه محل

أدركه أين ومن كان له جنس طالبيه^(١). مكيف^(٢). أنه سبحانه لا يظله فوق ولا يقفه تحت ولا يقابله حد ولا يزاحمه عند ولا يأخذه خلف ولا يحده أمام ولم يظهره قبل ولم ينفد بعد ولم يجمعه كل ولم يوحدته كان ولم يفقده ليس وصفه لا صفة له وفعله لا علة له وكونه لا أمد له تنزه عن أحوال خلقه ليس له من خلقه مزاج ولا فى فعله علاج باينهم بقدمه كما باينوه بحدوثهم إن قلت متى ، سبق الوقت كونه وإن قلت هو فالهاء والواو خلقه وإن قلت أين فقد تقدم المكان وجوده فالحروف آياته ووجوه إثباته ومعرفته توحيدته وتوحيده تمييزه من خلقه ما تصور فى الأوهام فهو بخلافه كيف يحل بهما منه بدا أو يعود إليه ما هو أنشأه لا تماقله العيون ولا تقابله الظنون قربه كرامته وبعده إهانتة علوه من غير توقل ومجيئه من غير تنقل هو الأول والآخر والظاهر والباطن القريب البعيد الذى ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ، سمعت أبا حاتم السجستاني يقول سمعت أبا نصر الطوسى السراج يحكى عن يوسف بن الحسين قال قام رجل بين يدي ذى النون المصرى فقال أخبرنى عن التوحيد ما هو فقال هو أن تعلم أن قدرة الله تعالى فى الأشياء بلا مزاج وصنعه للأشياء بلا علاج وعلة كل شىء صنعه ولا علة لصنعه وليس فى السموات العلا ولا فى الأرضين السفلى مدبر غير الله وكل ما تصور فى وهمك فالله بخلاف ذلك . وقال الجنيد التوحيد علمك وإقرارك بأن الله فرد فى أزليته لا ثانى معه ولا شىء يفعل فعله . وقال أبو عبد الله بن خفيف الإيمان تصديق القلوب بما علمه الحق من الغيوب وقال أبو العباس السيارى عطاؤه على نوعين كرامة واستدراج فما أبقاها عليك فهو كرامة وما أزاله عنك فهو استدراج فقل أنا مؤمن إن شاء الله تعالى وأبو العباس السيارى كان شيخ وقته ، وسمعت الأستاذ

(١) (طالبيه) أى تطلبه .

(٢) (مكيف) أى له لأن الجنس تحته أنواع تتميز عنه بفصول وهذه كلها من صفات المخلوق والخالق ميزه عنها وأما نحو قوله صلى الله عليه وآله وسلم للجارية أين الله وقولها له فى السماء مع تقريره لها عليه فمؤول فهو استدراج أى لك فالأفعال كلها خيرها وشرها من الله خلافا للمعتزلة وإذا أخبرك عن نفسك بالإيمان فقل أنا مؤمن إن شاء الله . كما روى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه نظرا إلى العقابة المجهولة لا إلى الحالة الراهنة أو إلى كمال الإيمان لا إلى أصله أو رعاية للأدب بذكر الله تعالى فى أموره أو هضمنا لنفسك وترك تركيتها لا شكا فى إيمانك فإن الشك كفر .

أبا على الدقاق رحمه الله يقول غمز رجل رجل أبي العباس السيارى فقال تغمز رجلا ما نقلتها قط فى معصية الله عز وجل . وقال أبو بكر الواسطى من قال أنا مؤمن بالله حقاً قيل له الحقيقة تشير إلى إشراف وإطلاع وإحاطة فمن فقدّه بطل دعواه فيها يريد بذلك ما قاله أهل السنة بأن المؤمن الحقيقى من كان محكوماً له بالجنة فمن لم يعلم ذلك من سر حكمة الله تعالى فدعواه بأنه مؤمن حقاً غير صحيحة ، سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا الحسن العنبرى يقول سمعت سهل بن عبد الله التسترى يقول ينظر إليه تعالى المؤمنون بالأبصار من غير إحاطة ولا إدراك نهاية . وقال أبو الحسن النورى شاهد الحق القلوب فلم ير قلباً أشوق إليه من قلب محمد صلى الله عليه وآله وسلم فأكرمه بالمعراج تعجيلاً للرؤية والمكالمة . سمعت الإمام أبا بكر محمد بن الحسن بن فورك رحمه الله تعالى يقول سمعت محمد بن المحبوب خادم أبى عثمان المغربى يقول قال لى أبو عثمان المغربى يوماً يا محمد لو قال لك أحد أين معبودك إيش تقول ؟ قال قلت أقول حيث لم يزل . قال فإن قال أين كان فى الأزل إيش تقول ؟ قال قلت أقول حيث هو الآن يعنى أنه كما كان ولا مكان فهو الآن كما كان^(١) . قال فارتضى منى ذلك ونزع قميصه وأعطانيه . وسمعت الإمام أبا بكر بن فورك رحمه الله تعالى يقول سمعت أبا عثمان المغربى يقول كنت أعتقد شيئاً من حديث الجهة فلما قدمت بغداد زال ذلك عن قلبى فكتبت إلى أصحابنا بمكة أنى أسلمت الآن إسلاماً جديداً . سمعت محمد بن الحسين السلمى رحمه الله يقول سمعت أبا عثمان المغربى يقول وقد سئل عن الخلق فقال قوالب وأشباح تجرى عليهم أحكام القدرة^(٢) . وقال الواسطى لما كانت الأرواح والأجساد قامت بالله وظهرت به لا بذواتها كذلك قامت الخطرات والحركات بالله لا بذواتها إذ الحركات والخطرات فروع الأجساد والأرواح صرح بهذا الكلام

(١) (فهو الآن كما كان) أى فلا حيث أى مكان له كما لا زمان لأنه الخالق لكل مكان وزمان فكيف يكون ذلك وهو خالقهما .

(٢) (القدرة) أى القديمة وهى صفة تؤثر فى الشئ عند تعلقها به فهم وأفعالهم كلها مخلوقة لله تعالى خلافاً للقدرة ولا حاجة لقوله فقال .

أن^(١) . أكساب العباد مخلوقة لله تعالى وكما أنه لا خالق للجواهر إلا الله تعالى فكذلك لا خالق للأعراض إلا الله تعالى . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت أبا جعفر الصيدلانى يقول سمعت أبا سعيد الخراز يقول من ظن أنه يبذل الجهد^(٢) . يصل إلى مطلوبه فمتن ومن ظن أنه بغير الجهد يصل فمتن وقال الواسطى المقامات أقسام قسمت^(٣) . ونعوت أجريت كيف تستجلب بحركات أو تنال بسعائيات . وسئل الواسطى عن الكفر بالله أو الله فقال الكفر والإيمان والدنيا والآخرة من الله وإلى الله وبالله والله من الله ابتداء وإنشاء وإلى الله مرجعا وانتهاء وبالله بقاء وفناء والله ملكا وخلقاً . وقال الجنيد سئل بعض العلماء عن التوحيد فقال هو اليقين فقال السائل بين لى ما هو؟ فقال هو معرفتك أن حركات الخلق وسكونهم فعل الله عز وجل وحده لا شريك له فإذا فعلت ذلك فقد وحدته . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت عبد الواحد بن على يقول سمعت القاسم بن القاسم يقول سمعت محمد بن موسى الواسطى يقول سمعت محمد بن الحسين الجوهري يقول سمعت ذا النون المصرى يقول وقد جاءه رجل فقال ادع الله لى فقال إن كنت قد أيدت فى علم الغيب بصدق التوحيد فكم من دعوة مجابة قد سبقت لك وإلا فإن النداء لا ينقذ الغرقى . وقال الواسطى ادعى فرعون الربوبية على الكشف وادعت المعتزلة على الستر تقول ما شئت فعلت . وقال أبو الحسين النورى التوحيد كل خاطر يشير إلى الله تعالى بعد أن لا تزاحمه خواطر التشبيه . وأخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى رحمه الله تعالى سمعت عبد الواحد بن بكر يقول سمعت هلال بن أحمد يقول سئل أبو على الروذبارى عن التوحيد فقال التوحيد استقامة القلب بإثبات مفارقة التعطيل وإنكار التشبيه والتوحيد فى كلمة واحدة كل ما صوره الأوهام

(١) (صرح بهذا الكلام أن) أى ليفيد إن الخ لا خالق للأعراض إلا الله فجميع الجواهر والأعراض حادثة لأنها أقسام العالم إذ هو إما قائم بنفسه أو بغيره والثانى العرض والأول ويسمى بالعين وهو محل الثانى المقوم له إما مركب وهو الجسم أو غير مركب وهو الجوهر الفرد .

(٢) (الجهد) بفتح الجيم وضمها أيضا .

(٣) (أقسام قسمت) أى المقامات المطلوبة أقسام إلخ .

والأفكار فالله سبحانه بخلافه لقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ وقال أبو القاسم النصارى بآذى الجنة باقية بإبقائه وذكره لك ورحمته ومحبتة لك باقية ببقائه فشتان بين ما هو باقى ببقائه وبين ما هو باقى بإبقائه وهذا الذى قاله الشيخ أبو القاسم النصارى هو غاية التحقيق فإن أهل الحق قالوا صفات ذات القديم سبحانه باقيات ببقائه تعالى فنبه على هذه المسألة وبين أن الباقي باقى ببقائه بخلاف ما قاله مخالفو أهل الحق فخالفوا الحق أخبرنا محمد بن الحسين قال سمعت النصارى بآذى يقول أنت متردد بين صفات الفعل وصفات الذات وكلاهما صفته تعالى على الحقيقة فإذا هيمك فى مقام التفرقة قرنك بصفات فعله وإذا بلغك إلى مقام الجمع قرنك بصفات ذاته^(١) . وأبو القاسم النصارى كان شيخ وقته . سمعت الأستاذ الإمام أبا إسحاق الإسفرائى رحمه الله يقول لم قدمت من بغداد كنت أدرس فى جامع نيسابور مسألة الروح وأشرح القول فى أنها مخلوقة وكان أبو القاسم النصارى قاعدا متباعدة عنا يصغى إلى كلامى فاجتاز بنا بعد ذلك يوما بأيام^(٢) . فقال لمحمد الفراء أشهد أنى أسلمت جديدا على يد هذا الرجل وأشار إلى سمعت محمد بن الحسين السلمى يقول سمعت أبا حسين الفارسى يقول سمعت إبراهيم بن فاتك يقول سمعت الجنيد يقول متى يتصل من لا شبيه له ولا نظير له بمن له شبيه ونظير؟ هيهات بعد هذا ظن عجيب إلا بما لطف اللطيف من حيث لا درك ولا وهم ولا إحاطة إلا إشارة

(١) (قرنك بصفات ذاته) فإذا ذكرت الله تعالى بصفات ذاته فقد قرنك بها أى جمع قلبك عليها وإذا ذكرته بصفات فعله فقد قرنك بها وهى متسعة فبعد قلبك بالفكرة فيها عن الفكرة فى الذات وصفاتها ﴿ وفى أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ وكل من القسمين فضل من الله تعالى عليك لكن فرق بين جمع القلب مع الحق وتفرق البال فى تفاصيل الخلق وتحرير ذلك أن صفات الذات كالعلم والقدرة قديمة عند أهل الحق وصفات الفعل كالخلق والتزريق وإضافات واعتبارات عقلية عند المحققين مثل كونه تعالى قبل كل شىء ومعهم ومعبودا لنا ومميتا ومحيا لكن مبدؤها من القدرة والإرادة قديم فهى قديمة بهذا الاعتبار ومن قال انها حادثة مطلقا يلزمه قيام الحوادث بذات الله وهو ممنوع تعالى الله عن قولهم .

(٢) (يوما بأيام) أى متباعدة عن ذلك بأيام .

اليقين وتحقيق الإيمان . وأخبرنا محمد بن الحسين رحمه الله تعالى قال (١) . سمعت عبد الواحد بن بكر يقول حدثني أحمد بن محمد بن علي البردعي قال حدثنا طاهر بن إسماعيل الرازي قال قيل ليحيى بن معاذ أخبرني عن الله عز وجل فقال إله واحد فقيل له كيف هو فقال ملك قادر فقيل أين هو فقال هو بالمرصاد فقال السائل لم أسألك عن هذا فقال ما كان غير هذا كان صفة المخلوق فأما صفته فما أخبرتك عنه . وأخبرنا محمد بن الحسين قال سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت أبا علي الروذباري يقول كل ماتوهمه متوهم بالجهل أنه كذلك فالعقل يدل على أنه بخلافه . وسأل ابن شاهين الجنيد عن معنى (مع) فقال (مع) على معنيين مع الأنبياء بالنصرة والكلاءة قال الله تعالى : ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ ومع العامة بالعلم والإحاطة قال الله تعالى : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ فقال ابن شاهين مثلك يصلح أن يكون دالا للأمة على الله . وسئل ذو النون المصري عن قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ فقال أثبت ذاته ونفى مكانه فهو موجود بذاته والأشياء موجودة بحكمه كما شاء سبحانه . وسئل الشبلي عن قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ فقال الرحمن لم يزل والعرش محدث والعرش بالرحمن استوى . وسئل جعفر بن نصير عن قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ فقال استوى علمه بكل شيء فليس شيء أقر إليه من شيء وقال جعفر الصادق من زعم أن الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك إذ لو كان على شيء لكان محمولا ولو كان في شيء لكان محصورا ولو كان من شيء لكان محدثا وقال جعفر الصادق أيضا في قوله ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ من توهم أنه بنفسه دنا جعل ثم مسافة إنما التداني أنه كلما قرب منه بعده عن أنواع المعارف إلا لا دنو ولا بعد . ورأيت بخط الأستاذ أبي علي أنه قيل لصوفى أين الله فقال أسحقك الله تطلب مع العين أين . أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا العباس بن الخشاب البغدادي يقول سمعت أبا القاسم بن موسى يقول سمعت محمد بن أحمد يقول سمعت الأنصاري يقول سمعت الخراز يقول

حقيقة القرب فقد حس الأشياء من القلب وهدوء الضمير إلى الله تعالى . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن علي الحافظ يقول سمعت أبا معاذ القزويني يقول سمعت أبا علي الدلال يقول سمعت أبا عبد الله بن قهرمان يقول سمعت إبراهيم الخواص يقول انتهيت إلى رجل وقد صرعه الشيطان فجعلت أؤذن في أذنه فناداني الشيطان من جوفه دعني أقتله فإنه يقول القرآن مخلوق وقال ابن عطاء إن الله تعالى لما خلق الأحرف جعلها سرا له فلما خلق آدم عليه السلام بث فيه ذلك السر ولم يبث ذلك السر في أحد من ملائكته فجرت الأحرف على لسان آدم عليه السلام بفنون الجريان وفنون اللغات فجعلها الله صورا لها صرح ابن عطاء القول بأن الحروف مخلوقة وقال سهل بن عبد الله إن الحروف لسان فعل لا لسان ذات لأنها فعل في مفعول . قال وهذا أيضا تصريح بأن الحروف مخلوقة . وقال الجنيد في جوابات مسائل الشاميين التوكل عمل القلب والتوحيد قول القلب (قال) هذا قول أهل الأصول إن الكلام ^(١) هو المعنى الذي قام ^(٢) بالقلب من معنى الأمر والنهي والخبر والاستخبار وقال الجنيد في جوابات مسائل الشاميين أيضا تفرد الحق بعلم الغيوب فعلم ما كان وما يكون وما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون ، وقال الحسين بن منصور من عرف الحقيقة في التوحيد سقط عنه لم وكيف . أخبرنا محمد بن الحسين قال سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت جعفر بن محمد يقول قال الجنيد أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد ، وقال الواسطي ما أحدث الله شيئا أكرم من الروح صرح بأن الروح مخلوقة . قال الأستاذ الإمام زين الإسلام أبو القاسم رحمه الله دلت هذه الحكايات على أن عقائد مشايخ الصوفية توافق أقاويل أهل الحق في مسائل الأصول وقد اقتصرنا على هذا المقدار خشية خروجنا عما آثرناه من الإيجاز والاختصار .

(١) (إن الكلام) أى حقيقة الكلام .

(٢) (هو المعنى الذى قام إلخ) وهذا هو الكلام النفسى المعبر عنه بما صدقات اللسانى وأما الكلام اللسانى فمجاز عنه هذا هو المختار وقيل حقيقة فى اللسانى وقيل مشترك بينهما ويكل حال فالكلام يطلق على الاثنين قال تعالى : ﴿ يقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول ﴾ أى بألسنتنا مما يخالف الحق فجعل القول فى النفس واللسان جميعا .

فصل

قال الأستاذ زين الإسلام أبو القاسم أدام الله عزه

وهذه فصول تشتمل على بيان عقائدهم فى مسائل التوحيد ذكرناها على وجه الترتيب قال شيوخ هذه الطريقة على ما يدل عليه متفرقات كلامهم ومجموعاتها ومصنفاتهم فى التوحيد إن الحق سبحانه وتعالى موجود قديم واحد حكيم قادر عليم قاهر رحيم مريد سميع مجيد رفيع متكلم بصير متكبر قدير حى باق صمد وأنه عالم بعلم قادر بقدرة مريد بإرادة سميع بسمع بصير ببصر متكلم بكلام حى بحياة باق ببقاء وله يدان هما صفتان يخلق بهما ما يشاء سبحانه على التخصيص وله الوجه الجميل وصفات ذاته مختصة بذاته لا يقال هى هو ولا هى أغيار له بل هى صفات له أزلية ونعوت سرمدية وأنه أحدى الذات ليس يشبه شيئا من المصنوعات ولا يشبهه شيء من المخلوقات ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا صفاته أعراض ولا يتصور فى الأوهام ولا يتقدر فى العقول ولا له جهة ولا مكان ولا يجرى عليه وقت وزمان ولا يجوز فى وصفه زيادة ولا نقصان ولا يخصه هيئة وقد ولا يقطعه نهاية وحد ولا يحله حادث ولا يحمله على الفعل باعث ولا يجوز عليه لون ولا كون ولا ينصره مدد ولا عون ولا يخرج عن قدرته مقدور ولا ينفك عن حكمه مفطور ولا يعزب عن علمه معلوم ولا هو على فعله كيف يصنع وما يصنع ملوم لا يقال له أين ولا حيث ولا كيف ولا يستفتح له وجود فيقال متى كان ولا ينتهى له بقاء فيقال استوفى الأجل والزمان ولا يقال لم فعل ما فعل إذ لا علة لأفعاله ولا يقال ما هو إذ لا جنس له فيتميز بأمارة عن أشكاله يرى لا عن مقابلة ويرى غيره لا عن ماقلة ويصنع لا عن مباشرة ومزاولة له الأسماء الحسنى والصفات العلا يفعل ما يريد ويذل لحكمه العبيد لا يجرى فى سلطانه إلا ما يشاء ولا يحصل فى ملكه غير ما سبق به القضاء ما علم أنه يكون من الحادثات أراد أن يكون وما علم أنه لا يكون مماجاز أن يكون أراد أن لا يكون

خالق أكساب العباد خيرها وشرها ومبدع ما فى العالم من الأعيان والآثار قلها وكثرها (١) . ومرسل الرسل إلى الأمم من غير وجوب عليه ومتعبد الأنام على لسان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بما لا سبيل لأحد باللوم والاعتراض عليه ومؤيد نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة بما أزاح به العذر وأوضح به اليقين والنكر وحافظ بيضة الإسلام بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم بخلفائه الراشدين ثم حارس الحق وناصره بما يوضحه من حجج الدين على السنة وأوليائه عصم الأمة الحنيفية عن الاجتماع على الضلالة وحسم مادة الباطل بما نصب من الدلالة وأنجز ما وعد من نصرة الدين بقوله « لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ » . فهذه فصول . تشير إلى أصول المشايخ على وجه الإيجاز وبالله التوفيق .

(١) (قلها وكثرها) بضم أولها وبكسره أى قليلها وكثيرها لا يقال فكيف يكون الكافر مجبوراً على كفره والفاسق على فسقه فلا يصح تكليفهما بالإيمان والطاعة لأننا نقول: الله تعالى أراد منهما الكفر والفسق باختيارهما فلا جبر كما أنه علم منهما الكفر والفسق باختيارهما فصح تكليفهما بما ذكر .. والله أعلم .

باب

فى ذكر مشايخ هذه الطريقة وما يدل من سيرهم ^(١) وأقوالهم على تعظيم الشريعة ^(٢)

اعلموا رحمكم الله تعالى أن المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يتسم أفاضلهم فى عصرهم بتسمية علم سوى صحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ لا فضيلة له فوقها فقليل لهم الصحابة ولما أدركهم أهل العصر الثانى سمي من صلب الصحابة التابعين ورأوا ذلك أشرف سمة ^(٣) . ثم قيل لمن بعدهم أتباع التابعين ثم اختلف الناس وتباينت المراتب فقليل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين الزهاد والعباد ثم ظهرت البدع وحصل التداعى بين الفرق فكل طريق ادعوا أن فيهم زهادا فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفاسهم مع الله تعالى الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف ^(٤) . واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قيل المائتين من الهجرة (ونحن نذكر) فى هذا الباب أسامى جماعة من شيوخ هذه الطريقة من الطبقة الأولى إلى وقت المتأخرين منهم ونذكر جملا من سيرهم وأقوالهم بما يكون فيه تنبيه على أصولهم وآدابهم ان شاء الله تعالى (فمنهم أبو إسحق إبراهيم بن أدهم

(١) (سيرهم) بكسر السين وفتح الياء أى طرقهم التى يسرون عليها .

(٢) (الشريعة) هى ما شرعه الله تعالى من الدين .

(٣) (سمة) أى علامة يعرف بها .

(٤) (التصوف) هو علم تعرف به أحوال تزكية النفوس وتصفية الأخلاق وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية وسيأتى فى باب تعريفات آخر وموضوعه التزكية والتصفية والتعمير المذكورات وغايته نيل السعادة الأبدية ومساائله ما يذكر فى كتبه من المقاصد وهذا العلم علم الوراثة الذى هو نتيجة العمل المشار إلى ذلك بخبر من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وعلم الوراثة هو الفقه فى الدين والحكمة التى من أوتيتها فقد أوتى خيرا كثيرا قيل للحسن البصرى كذا قال الفقهاء فقال وهل رأيت فقيها قط إنما الفقيه الزاهد فى الدنيا القائم ليله الصائم نهاره الذى لا يدارى ولا يمارى ينشر حكمة الله فإن قبلت منه حمد وإن ردت عليه حمد الله وانظر له تعريفا آخر فى المقدمات .

ابن منصور من كورة بلغ رضى الله تعالى عنه) كان من أبناء الملوك فخرج يوما متصيدا فأثار ثعلبا أو أرنباً وهو فى طلبه فهتف به هاتف يا إبراهيم ألهذا خلقت أم بهذا أمرت ثم هتف به أيضا من قربوس سرجه والله ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فنزل عن دابته وصادف راعيا لأبيه فأخذ جبة للراعى من صوف ولبسها وأعطاه فرسه ومامعه ثم إنه دخل البادية ثم دخل مكة وصحب بها سفيان الثورى والفضيل بن عياض ودخل الشام ومات بها وكان يأكل من عمل يده مثل الحصاد وحفظ البساتين وغير ذلك وأنه رأى فى البادية رجلا علمه اسم الله الأعظم فدعا به بعده فرأى الخضر عليه السلام وقال وإنما علمك أخى داود اسم الله الأعظم أخبرنا بذلك الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى رحمه الله . قال حدثنا محمد بن الحسين بن الخشاب قال حدثنا أبو الحسين على بن محمد المصرى قال حدثنا أبو سعيد الخراز قال حدثنا إبراهيم بن بشار قال صحبت إبراهيم بن أدهم فقلت خبرنى عن بدء أمرك فذكر هذا . وكان إبراهيم بن أدهم كبير الشأن فى باب الورع (يحكى عنه) أنه قال أطب مطعمك ولا حرج عليك أن لا تقوم الليل ولا تصوم النهار وقيل كان عامة دعائه اللهم انقلنى من ذل معصيتك إلى عز طاعتك وقيل لإبراهيم بن أدهم إن اللحم قد غلا فقال أرخصوه أى لا تشتروه وأنشد فى ذلك :

وإذا غلا شيء على تركته فيكون أرخص ما يكون إذا غلا^(١)

أخبرنا محمد بن الحسين رحمه الله تعالى قال سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت محمد بن حامد يقول سمعت أحمد بن خضرويه يقول قال إبراهيم بن أدهم لرجل فى الطواف اعلم أنك لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقبات أو لاها تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة والثانية تغلق باب العز وتفتح باب الذل والثالثة تغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد والرابعة تغلق باب النوم وتفتح باب السهر والخامسة تغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر والسادسة تغلق باب الأمل وتفتح باب الاستعداد للموت . وكان إبراهيم بن أدهم يحفظ كرما فمر به جندى فقال أعطنا من هذا العنب فقال

(١) هذا البيت لم يشرح عليه شيخ الإسلام رحمه الله تعالى .

ما أمرنى به صاحبه فأخذ يضربه بسوطه فطأ رأسه وقال اضرب رأسا طالما عصى الله فأعجز الرجل ومضى . وقال سهل بن إبراهيم صحبت إبراهيم بن أدهم فمرضت فأنفق على نفقته فاشتريت شهوة فباع حماره وأنفق على ثمنه فلما تماثلت^(١) قلت يا إبراهيم أين الحمار فقال بعناه فقلت فعلى ماذا أركب؟ فقال يا أخى على عنقى فحملنى ثلاث منازل (ومنهم أبو الفيض ذو النون المصري^(٢)) واسمه ثوبان بن إبراهيم وقيل الفيض إبراهيم وأبوه كان نوبيا توفى^(٣) . سنة خمس وأربعين ومائتين فائق هذا الشأن^(٤) . وأوحد وقته علما وورعا وحالا وأدبا سعوا به إلى المتوكل فاستحضره من مصر فلما دخل عليه وعظه فبكى المتوكل ورده إلى مصر مكرما وكان المتوكل إذا ذكر بين يديه أهل الورع يبكى ويقول إذا ذكر أهل الورع فحيهلا بذى النون وكان رجلا نحيفا تعلوه حمرة ليس بأبيض اللحية . سمعت أحمد بن محمد يقول سمعت سعيد بن عثمان يقول سمعت ذا النون يقول مدار الكلام على أربع^(٥) . حب الجليل وبغض القليل واتباع التنزيل وخوف التحويل . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت سعيد بن أحمد بن جعفر يقول سمعت محمد بن أحمد بن محمد بن سهل يقول سمعت سعيد بن عثمان يقول سمعت ذا النون المصري يقول من علامات المحب لله عز وجل متابعة حبيب الله صلى الله عليه وآله وسلم فى أخلاقه وأفعاله وأوامره وسننه ، وسئل

(١) تماثلت (أى للشفاء يعنى قاربت البرء من مرض .

(٢) (المصرى) الإخيمى وأخيم بلد فى صعيد مصر .

(٣) (توفى) يوم الاثنين ودفن بالقرافة الصغرى .

(٤) (فائق هذا الشأن) من فاق الرجل أصحابه إذا علاهم بالشرف .

(٥) (علي أربع .. إلخ) أى لا يخلو كلامهم منها لأنهم إما أن يتكلموا فى معرفة الله تعالى وكماله وجلاله أو فى تصغير الدنيا وتحقيرها والإعراض عنها أو فيما جاءت به الشرائع أو فيما يخالف منه التغيير والتحويل بعد الاستقامة فإذا عرف العبد ربه ودينه وتمت استقامته وخاف على نفسه من الخاتمة فقد استقامت أحواله وهذا ساقط من أكثر النسخ وموجود فى بعضها هنا وفى بعضها مؤخر عن المقالة الآتية بلفظ وقال ذو النون مدار الكلام .. إلخ ومن كلامه من لم يعرف قدر النعم سلبها من حيث لا يعلم .

ذو النون عن السفلة فقال من لا يعرف الطريق إلى الله ولا يتعرفه . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول حضرت مجلس ذى النون يوما وجاءه المغربى فقال له يا أبا الفيض ما كان سبب توبتك؟ قال عجب لا تطيقه قال بمعبودك إلا أخبرتنى فقال ذو النون أردت الخروج من مصر إلى بعض القرى فمنت فى الطريق فى بعض الصحارى ففتحت عيني فإذا أنا بقنبرة عمياء سقطت من وكرها على الأرض فانشقت الأرض فخرج منها سكرجتان إحداهما ذهب والأخرى فضة وفى إحداهما سمسم وفى الأخرى ماء فجعلت تأكل من هذا وتشرب من هذا فقلت حسبى قد تبت ولزمت الباب إلى أن قبلى الله عز وجل . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت على ابن عمر الحافظ يقول سمعت ابن رشيقي يقول سمعت أبا دجانة يقول سمعت ذا النون يقول لا تسكن الحكمة معدة ملئت طعاما . وسئل ذو النون عن التوبة فقال توبة العوام تكون من الذنوب وتوبة الخواص تكون من الغفلة (**ومنهج أبو على الفضيل بن عياض**) خراسانى من ناحية مرو وقيل إنه ولد بسمرقند ونشأ بأبيور ومات بمكة فى المحرم سنة سبع وثمانين ومائة سمعت محمد بن الحسين يقول أخبرنا أبو بكر محمد ابن جعفر قال حدثنا الحسن بن عبد الله العسكرى قال حدثنا ابن أخى أبى زرعة قال حدثنا محمد بن إسحق بن راهويه قال حدثنا أبو عمار عن الفضيل بن موسى قال كان الفضيل شاطرا يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس وكان سبب توبته أنه عشق جارية فبينما هو يرتقى الجدران إليها سمع تاليا يتلو ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ فقال يارب قد آن فرجع فأواه الليل إلى خربة فإذا فيهم رفقة فقال بعضهم نرتحل وقال قوم حتى نصبح فإن فضيلا على الطريق يقطع علينا فتاب الفضيل وأمنهم وجاور الحرم حتى مات وقال الفضيل بن عياض إذا أحب الله عبدا أكثر همهم وإذا أبغض عبدا وسع عليه دنياه . وقال ابن المبارك إذا مات الفضيل ارتفع الحزن وقال الفضيل لو أن الدنيا بحذافيرها^(١) . عرضت على ولا

(١) (بحذافيرها) بالذال المعجمة أى بأسرها واحدها حذفار وفيه دليل على كمال حاله =

أحاسب بها لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه وقال الفضيل لو حلفت أنى مرأء أحب إلى من أن أحلف إنى لست بمراء وقال الفضيل ترك العمل لأجل الناس هو الرياء والعمل لأجل الناس هو الشرك ، وقال أبو على الرازى صحبت الفضيل ثلاثين سنة ما رأيته ضاحكا ولا مبتسما إلا يوم مات ابنه على فقلت له فى ذلك فقال إن الله أحب أمرا فأحببت ذلك وقال الفضيل إنى لأعصى الله فأعرف ذلك فى خلق حمارى وخادمى (ومنهم أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخى) كان من المشايخ الكبار مجاب الدعوة يستشفى بقبره يقول البغداديون قبر معروف تزيق مجرب وهو من موالى على بن موسى الرضا رضى الله تعالى عنه مات سنة مائتين وقيل سنة إحدى ومائتين وكان أستاذ السرى السقطى وقد قال له يوما إذا كان لك حاجة إلى الله فأقسم عليه بى . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله تعالى يقول كان معروف الكرخى أبواه نصرانيين فسلموا معروفا إلى مؤدبهم وهو صبى فكان المؤدب يقول له قل ثالث ثلاثة فيقول بل هو أحد فضربه المعلم يوما ضرباً مبرحا فهرب معروف فكان أبواه يقولان ليتـه يرجع إلينا على أى دين يشاء فنوافقه عليه ثم إنه أسلم على يدى على بن موسى الرضا ورجع إلى منزله ودق الباب فقبل من الباب فقال معروف فقالوا على أى دين جئت فقال على الدين الحنيفى . فأسلم أبواه . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا بكر الحرابى يقول سمعت سريا السقطى يقول رأيت معروفا الكرخى فى النوم كأنه تحت العرش فيقول الله عز وجل لملائكته من هذا فيقولون أنت أعلم يارب فيقول هذا معروف الكرخى سكر من حبى فلا يفيق إلا بلقائى . وقال معروف قال لى بعض أصحاب داود الطائى إياك أن تترك العمل فإن ذلك الذى يقربك إلى رضا مولاك فقلت وما ذلك العمل ؟ فقال دوام طاعة ربك وخدمة المسلمين والنصيحة لهم . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله الرازى يقول : سمعت على

= مع مولاة وأنسه به واستغراقه معه ومن هذه حاله لو عرضت عليه الجنة بما فيها لكان ما هو فيه ألد عنده منها فكيف بالدنيا التى كرهها مولاة وزهد عباده فيها .

ابن محمد الدلال يقول سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبي يقول رأيت معروفا الكرخي في النوم بعد موته فقلت له ماذا فعل الله بك فقال غفر لي فقلت بزهدك وورعك ؟ فقال لا بقبولي موعظة ابن السماك ولزوم الفقر ومحبة الفقراء وموعظة ابن السماك ما قاله معروف كنت ماراً بالكوفة فوقفت على رجل يقال له ابن السماك وهو يعظ الناس فقال في خلال كلامه من أعرض عن الله بكليته أعرض الله عنه جملة ومن أقبل على الله بقلبه أقبل الله برحمته إليه وأقبل بجميع وجوه الخلق إليه ومن كان مرة ومرة فإله يرحمه وقتاً ما فوق كلامه في قلبي فأقبلت على الله تعالى وتركت جميع ما كنت عليه إلا خدمة مولاي على بن موسى الرضا وذكرت هذا الكلام لمولاي فقال يكفيك بهذا موعظة إن اتعظت أخبرني بهذه الحكاية محمد ابن الحسين قال: سمعت عبد الرحمن بن علي الحافظ ببغداد يقول سمعت محمد بن عمر بن الفضل يقول سمعت علي بن عيسى يقول سمعت سرياً السقطي يقول سمعت معروفاً يقول ذلك . وقيل لمعروف في مرض موته أوص فقال إذا مت فتصدقوا بقميصي^(١) . فإنني أريد أن أخرج من الدنيا عرياناً كما دخلتها عرياناً ومر معروف^(٢) . بسقاء يقول رحم الله من يشرب وكان صائماً فتقدم فشرب فقيل له ألم تكن صائماً فقال بلى ولكني رجوت دعاءه (ومنهم أبو الحسن سري بن المغلس^(٣) . السقطي) خال الجنيد وأستاذه وكان تلميذ معروف الكرخي كان أوحده زمانه في الورع وأحوال السنة وعلوم التوحيد . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن علي الطوسي يقول سمعت أبا عمرو بن علوان يقول سمعت أبا العباس بن مسروق يقول بلغني أن السري السقطي كان يتجر في السوق وهو من

(١) (فتصدقوا بقميصي .. إلخ) ظاهره أنه لم يبق ما يكفن فيه وكأنه أوصى بذلك حينئذ لما علم من إخوانه وأحبائه أنهم لا يتركون تجهيزه مما عندهم بل يرغبون فيه .

(٢) (ومر معروف) أي وهو صائم نفلاً .

(٣) (المغلس) بضم الميم وفتح المعجمة وكسر اللام المشددة وكان رضى الله تعالى عنه ملازماً بيته لا يخرج منه إلا للجمعة والجماعة ولا يراه في غيرهما إلا من يقصده في منزله وذلك طلباً لسلامة دينه وإراحة لقلبه وبدنه .

أصحاب معروف الكرخي فجاءه معروف يوماً ومعه صبي يتيم فقال اكس هذا اليتيم قال سرى فكسوته ففرح به معروف^(١). وقال بغض الله إليك الدنيا وأراحك مما أنت فيه فقمتم من الحانوت وليس شيء أبغض إلي من الدنيا وكل ما أنا فيه من بركات معروف . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت أبا عمر الأنماطي يقول سمعت الجنيد يقول ما رأيت أعبد من السرى أنت عليه ثمان وتسعون سنة ما روى مضطجعا^(٢). إلا في علة الموت. ويحكي عن السرى أنه قال التصوف اسم لثلاثة معان^(٣). وهو الذي لا يطفئ نور معرفته نور ورعه^(٤). ولا يتكلم بباطن في علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب أو السنة ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله . مات السرى سنة سبع وخمسين ومائتين سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يحكي عن الجنيد رحمه الله أنه قال سألتني السرى يوماً عن المحبة فقلت قال قوم هي الموافقة وقال قوم الإيثار وقال قوم كذا وكذا فأخذ السرى جلدة ذراعه ومدّها فلم تمتد ثم قال وعزته تعالى لو قلت إن هذه الجلدة يبست على هذا العظم من محبته لصدقت ثم غشى عليه فدار وجهه كأنه قمر مشرق وكان السرى به أدمّة . ويحكي عن السرى أنه قال منذ ثلاثين سنة أنا في الاستغفار من قولي الحمد لله مرة قيل وكيف ذلك؟ فقال وقع ببغداد حريق فاستقبلني رجل فقال لي نجا حانوتك فقلت الحمد لله فمنذ ثلاثين سنة أنا نادم على ما قلت حيث أردت لنفسى

(١) (فكسوته ففرح به معروف) فيه تحريض على إدخال التلميذ المسرة على شيخه بفعل ما يشير به ليدعو له بالاجتهاد .

(٢) (ماروى مضطجعا .. الخ) فيه تنبيه على كمال مجاهدته وملازمته الإقبال على الله تعالى بالقلب والجوارح .

(٣) (اسم لثلاثة معان) من قامت به فهو الصوفي لأن التصوف مشتق على الصحيح من الصفاء عن الكدر وقد بين المعاني الثلاثة مع من قامت به .

(٤) (وهو الذي لا يطفئ نور معرفته نور ورعه) وهو الكف عن محارم الله تعالى بخلاف من يطفئ نور معرفته نور ورعه بأن أخطر الشيطان لمن أراد الله خذلانه إن عملك لا يفيدك شيئاً لأنه لا يجري عليك إلا ما سبق لك عند مولاك فيترك العمل فالعلم بما سبق لا يمنع من العمل لأنه لا يدرى ما سبق له على التعيين والظاهر بلا ريب عنوان الباطن .

خيرا مما حصل للمسلمين أخبرني به عبد الله بن يوسف قال سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت أبا بكر الحرابي يقول سمعت السري يقول ذلك ويحكى عن السري أنه قال أنا أنظر في أنفي في اليوم كذا وكذا مرة مخافة أن يكون قد اسود خوفاً من الله أن يسود صورتى لما أتعاطاه . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت محمد بن الحسن بن الخشاب يقول سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السري يقول أعرف طريقاً مختصراً قصداً إلى الجنة فقلت له ما هو؟ فقال لا تسأل من أحد شيئاً ولا تأخذ من أحد شيئاً ولا يكن معك شيء تعطى منه أحداً. سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهاني يقول سمعت أبا نصر السراج الطوسي يقول سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول سمعت الجنيد بن محمد يقول سمعت السري يقول أشتهى أن أموت ببلد غير بغداد فقليل له ولم ذلك فقال أخاف أن لا يقبلني قبري فافتضح . سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهاني يقول سمعت أبا الحسن بن عبد الله النوطي الطرسوسي يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السري يقول اللهم مهما عذبتني بشيء فلا تعذبني بذل الحجاب . سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهاني يقول سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت الجريري يقول سمعت الجنيد يقول دخلت يوماً على السري السقطي وهو يبكي فقلت له ما يبكيك؟ فقال جاءتنى البارحة الصبية فقالت يا أبتى هذه ليلة حارة وهذا الكوز أعلقه ههنا ثم إنه حملتنى عيناى فنمت فرأيت جارية من أحسن الخلق قد نزلت من السماء فقلت لمن أنت فقالت لمن لا يشرب الماء المبرد فى الكيزان فتناولت الكوز فضربت به الأرض فكسرتة قال الجنيد فرأيت الخزف لم يرفعه ولم يمسه حتى عفا عليه التراب (ومنهم أبو نصر بشر بن الحارث الحافى) أصله من مرو وسكن بغداد ومات بها وهو ابن أخت على بن خشرم مات سنة سبع وعشرين ومائتين وكان كبير الشأن وكان سبب توبته أنه أصاب فى الطريق كاغدة مكتوبا فيها اسم الله عز وجل قد وطئتها الأقدام فأخذها واشترى بدرهم كان معه غالية فطيب بها الكاغدة وجعلها فى شق حائط فرأى فيما يرى النائم كأن قائلاً يقول له يا بشر طيبت اسمى لأطيبين اسمك فى الدنيا والآخرة ، سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله

يقول مر بشر ببعض الناس فقالوا هذا الرجل لا ينام الليل كله ولا يفطر إلا في كل ثلاثة أيام مرة فبكى بشر فقيل له في ذلك فقال إني لا أذكر أني سهرت ليلة كاملة ولا أني صمت يوما لم أفطر من ليلته ولكن الله سبحانه وتعالى يلقي في القلوب أكثر مما يفعله العبد لطفا منه سبحانه وكرما ثم ذكر ابتداء أمره كيف كان على ما ذكرناه سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول سمعت عبد الرحمن بن أبي حاتم يقول بلغني أن بشر بن الحارث الحافي قال رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فقال لي يا بشر أتدرى لم رفعك الله من بين أقرانك قلت لا يارسول الله قال باتباعك لسنتي وخدمتك للصالحين ونصيحتك لإخوانك ومحبتك لأصحابي وأهل بيتي هو الذي بلغك منازل الأبرار ، سمعت محمد ابن الحسين رحمه الله يقول سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول سمعت بلالا الخواص يقول كنت في تيه بني إسرائيل فإذا رجل يماشيني فتعجبت منه ثم ألهمت أنه الخضر عليه السلام فقلت له بحق الحق من أنت فقال أخوك الخضر فقلت له أريد أن أسألك فقال سل فقلت ما تقول في الشافعي رحمه الله فقال هو من الأوتاد ^(١) . فقلت ماتقول في أحمد بن حنبل رضى الله عنه قال رجل صديق ^(٢) . قلت فما تقول في بشر بن الحارث الحافي ؟ فقال لم يخلق بعده مثله ، فقلت بأى وسيلة رأيتك فقال ببرك لأمك ^(٣) . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله تعالى يقول أتى بشر الحافي باب المعافي بن عمران فدق عليه الباب فقيل من فقال بشر الحافي فقالت له بنية من داخل

(١) (من الأوتاد) لأنهم الذين يُحفظ بهم الدين وهو رضى الله عنه بهذه المثابة .

(٢) (رجل صديق) لما قاساه من الضرب والهوان لما طلب منه القول بخلق القرآن فأبى ولم ينطق بكلمة يتخلص بها مما هو فيه حفظا لدين الله ولعباده لئلا يعتقدوا في كلام الله تعالى ما لا يليق به .

[illegible]

الدار لو اشتريت لك نعلا بدانقين لذهب عنك اسم الحافى أخبرنى بهذه الحكاية محمد بن عبد الله الشيرازى قال حدثنى عبد العزيز بن الفضل قال حدثنى محمد بن سعيد قال حدثنى محمد بن عبد الله قال سمعت عبد الله المغازلى يقول سمعت بشرا الحافى يذكر هذه الحكاية وسمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا الحسين الحجاجى يقول سمعت المحاملى يقول سمعت الحسن المسوحى يقول سمعت بشر بن الحارث يحكى هذه الحكاية وسمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا الفضل العطار يقول سمعت أحمد بن على الدمشقى يقول قال لى أبو عبد الله بن الجلاء رأيت ذا النون وكانت له العبارة ورأيت سهلا وكانت له الإشارة ورأيت بشر بن الحارث وكان له الورع فقل له فإلى من كنت تميل؟ فقال لبشر بن الحارث أستاذنا وقيل إنه اشتهدى الباقلاء سنين فلم يأكله فرؤى فى المنام بعد وفاته فقل له ما فعل الله بك فقال غفر لى وقال كل يا من لم يأكل واشرب يا من لم يشرب ، أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى رحمه الله قال أخبرنا عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال حدثنا أبو عمرو بن السماك قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثنا أبو بكر بن بنت معاوية قال سمعت أبا بكر بن عفان يقول سمعت بشر بن الحارث يقول إنى لأشتهى الشواء منذ أربعين سنة ما صفا لى ثمنه وقيل لبشر بأى شىء تأكل الخبز فقال أذكر العافية وأجعلها إداما أخبرنا به محمد ابن الحسين رحمه الله تعالى قال أخبرنا عبيد الله بن عثمان قال أخبرنا أبو عمرو بن السماك قال حدثنا عمر بن سعيد قال حدثنا ابن أبى الدنيا قال قال رجل لبشر الحكاية المذكورة . وقال بشر لا يحتمل الحلال السرف . ورؤى بشر فى المنام فقل له ما فعل الله بك فقال غفر لى وأباح لى نصف الجنة وقال لى يا بشر لو سجدت لى على الجمر ما أديت شكر ما جعلته لك فى قلوب عبادى وقال بشر لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس (ومنهم أو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبى) عديم النظير فى زمانه علما وورعا ومعاملة وحالا بصرى الأصل مات ببغداد سنة ثلاث وأربعين ومائتين قيل إنه ورث من أبيه سبعين ألف درهم فلم يأخذ منها شيئا قيل لأن أباه كان يقول بالقدر فرأى من الورع أن لا يأخذ من ميراثه شيئا وقال صحت الرواية عن

النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « لا يتوارث أهل ملتين شيئا » سمعت محمد ابن الحسين يقول سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول سمعت محمد بن مسروق يقول مات الحارث بن أسد المحاسبى وهو محتاج إلى درهم وخلف أبوه ضياعا وعقارا فلم يأخذ منه شيئا . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله تعالى يقول كان الحارث المحاسبى إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة تحرك على أصبعه عرق فكان يمتنع منه وقال أبو عبد الله بن خفيف اقتدوا بخمسة من شيوخنا والباقون سلموا لهم حالهم الحارث بن أسد المحاسبى والجنيد بن محمد وأبو محمد رُويم وأبو العباس بن عطاء وعمرو بن عثمان المكى لأنهم جمعوا بين العلم والحقائق ^(١) . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت عبد الله بن على الطوسى يقول سمعت جعفرا الخالدى يقول سمعت أبا عثمان البلدى يقول قال الحارث المحاسبى من صحح باطنه بالمراقبة والإخلاص زين الله ظاهره بالمجاهدة واتباع السنة ، ويحكى عن الجنيد أنه قال مر بى يوما الحارث المحاسبى فرأيت فيه أثر الجوع فقلت ياعم تدخل الدار تتناول شيئا فقال نعم فدخلت الدار وطلبت شيئا أقدمه إليه فكان فى البيت شيء من طعام حمل إلى من عروس قوم قدمته إليه فأخذ لقمة وأدارها فى فيه مرات ثم إنه قام وألقاها فى الدهليز ومر فلما رأيته بعد ذلك بأيام قلت له فى ذلك فقال إنى كنت جائعا وأردت أن أسرك بأكلى وأحفظ قلبك ولكن بينى وبين الله سبحانه وتعالى علامة أن لا يسوغنى طعاما فيه شبهة فلم يمكنى ابتلاعه فمن أين كان لك ذلك الطعام فقلت إنه حمل إلى من دار قريب لى من العرس ثم قلت تدخل اليوم فقال نعم فقدمت إليه كسراً يابسة كانت لنا فأكل وقال إذا قدمت إلى فقير شيئا

(١) (بين العلم والحقائق) أى بين الشريعة والحقيقة ومن جمع بينهما كلم الناس بقدر ما تقتضيه أحوالهم وغيره وهو من غلب عليه حاله إنما يكلمهم مما غلب عليه فلا يصلح أن يقتدى به فمن غلب عليه حال الجوع مثلا وفتح عليه به إنما يكلم الناس بحاله وليس كل سالك يصلح له ذلك فقد يكون بعض الناس إنما يفتح عليه من باب التبذل ولبس الثياب الخلقة وخدمة الفقراء لا من باب الجوع فالشيخ المقتدى به ينبغى أن يكون طبيبا عارفا بسائر الأدوية والأمراض فيداوى كل عليل بالدواء اللائق بمرضه وهكذا يكون المشايخ .

فقدم إليه مثل هذا (ومنهم أبو سليمان داود بن نصير الطائي) وكان كبير الشأن أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله قال أخبرنا أبو عمر بن مطر قال حدثنا محمد ابن المسيب قال حدثنا ابن خبيق قال قال يوسف بن سباط ورث داود الطائي عشرين ديناراً فأكلها في عشرين سنة . سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول كان سبب زهد داود الطائي أنه كان يمر ببغداد فمر يوماً فنحاه المطرقون بين يدي حميد الطوسي فالتفت داود فرأى حميداً فقال داود أف لدنيا سبقك بها حميد ولزم البيت وأخذ في الجهد والعبادة وسمعت ببغداد بعض الفقراء يقول إن سبب زهده أنه سمع نائحة تنوح وتقول :

بأى خديك تبدى البلى وأى عينيك إذن سالا

وقيل كان سبب زهده أنه كان يجالس أبا حنيفة رضى الله تعالى عنه فقال له أبو حنيفة يوماً يا أبا سليمان أما الأداة فقد أحكمناها فقال له داود فأى شيء بقى فقال العمل به قال داود فنازعتنى نفسى إلى العزلة فقلت لنفسى حتى تجالسهم ولا تتكلم فى مسألة قال فجالستهم سنة لا أتكلم فى مسألة وكانت المسألة تمر بى وأنا إلى الكلام فيها أشد نزاعاً من العطشان إلى الماء البارد ولا أتكلم به ثم صار أمره إلى ما صار وقيل حجم جنيد الحجام داود الطائي فأعطاه ديناراً فقيل له هذا إسراف فقال لا عبادة لمن لا مروءة له وكان يقول بالليل إلهى همك عطل على الهموم الدنيوية وحال بينى وبين الرقاد ، سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا سعيد بن عمرو قال حدثنا علي بن حرب الموصلى قال حدثنا إسماعيل بن زياد الطائي قال قالت داية داود الطائي له أما تشتهى الخبز؟ فقال بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية . ولما توفى داود رآه بعض الصالحين فى المنام وهو يعدو فقال له مالك فقال الساعة تخلصت من السجن فاستيقظ الرجل من منامه فارتفع الصياح بقول الناس مات داود الطائي وقال له رجل أوصنى فقال له عسكر الموت ينتظرونك ودخل بعضهم عليه فرأى جرة ماء انبسطت عليها

الشمس فقال له ألا تحولها إلى الظل ؟ فقال حين وضعتها لم يكن شمس وأنا أستحي أن يرانى الله أمشى لما فيه حظ نفسى ودخل عليه بعضهم فجعل ينظر إليه فقال أما علمت أنهم^(١) كانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام ، أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصبهاني قال أخبرنا أبو إسحق إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكى قال حدثنا قاسم بن أحمد قال سمعت ميمونا الغزالي قال قال أبو الربيع الواسطي قلت لداود الطائي أوصنى فقال صم عن الدنيا^(٢) واجعل فطرك^(٣) الموت وفر من الناس كفرارك من السبع (**ومنهم أبو على شقيق بن إبراهيم البلخي**) من مشايخ خراسان له لسان فى التوكل وكان أستاذ حاتم الأصم قيل كان سبب توبته أنه كان من أبناء الأغنياء خرج للتجارة إلى أرض الترك وهو حدث فدخل بيتا للأصنام فرأى خادما للأصنام فيه قد حلق رأسه ولحيته ولبس ثيابا أرجوانية فقال شقيق للخادم إن لك صانعا حيا عالما قادرا فاعبده ولا تعبد هذه الأصنام التى لا تنضر ولا تنفع فقال إن كان كما تقول فهو قادر على أن يرزقك ببلدك فلم تعنيت إلى ههنا للتجارة فانتبه شقيق وأخذ فى طريق الزهد وقيل كان سبب زهده أنه رأى مملوكا يلعب ويمرح فى زمان قحط وكان الناس مهتمين به فقال شقيق ما هذا النشاط الذى فيك أما ترى ما فيه الناس من الجذب والقحط فقال ذلك المملوك وما على من ذلك ولمولاي قرية خالصة يدخل له منها ما نحتاج نحن إليه فانتبه شقيق وقال إن كان لمولاه قرية ومولاه مخلوق فقير ثم إنه ليس يهتم لرزقه فكيف ينبغى أن يهتم المسلم لرزقه ومولاه غنى ، سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول

(١) (أما علمت أنهم .. إلخ) فيه تنبيه على كمال النصيح لزارئه ووعظه بما ينتفع به فى آخرته من ترك الفضول لعموم الخبر الصحيح من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه وهو ما لا تدعو إليه حاجة دينية .

(٢) (صم عن الدنيا) بزهدك فيها وإمساكك عن نعيمها فنعيم الآخرة خير وأبقى .

(٣) (واجعل فطرك .. إلخ) لأن ذلك سبب سلامة دينك وبدنك وعرضك ومعين على صومك عن الدنيا ومن كلامه ما أخرج الله عبدا من ذل المعاصى إلى عز التقوى إلا أغناه بلا مال وأعزه بلا عشيرة وآنسه بلا بشر فالغنى والعز والأنس بالله تعالى .

سمعت أبا الحسين بن أحمد العطار البلخي يقول سمعت أحمد بن محمد البخاري يقول قال حاتم الأصم كان شقيق بن إبراهيم موسرا وكان يتفتى ويعاشر الفتيان وكان على بن عيسى بن ماهان أمير بلخ وكان يحب كلاب الصيد ففقد كلبا من كلابه فسعى برجل أنه عنده وكان الرجل في جوار شقيق فطلب الرجل فهرب فدخل دار شقيق مستجيرا فمضى شقيق إلى الأمير وقال خلوا سبيله فإن الكلب عندي أردته إليكم إلى ثلاثة أيام فخلوا سبيله وانصرف شقيق مغتما لما صنع فلما كان اليوم الثالث كان رجل من أصدقاء شقيق غائبا من بلخ رجع إليها فوجد في الطريق كلبا عليه قلادة فأخذه وقال أهديه إلى شقيق فإنه يشتغل بالتفتي فحمله إليه فنظر شقيق فإذا هو كلب الأمير فسر به وحمله إلى الأمير وتخلص من الضمان فرزقه الله الانتباه وتاب مما كان فيه وسلك طريق الزهد . وحكى أن حاتما الأصم قال كنا مع شقيق في مصاف نحارب الترك في يوم لا نرى فيه إلا رؤوس تندرو ورماح تنقصف وسيوف تنقطع فقال لي شقيق كيف ترى نفسك يا حاتم في هذا اليوم؟ تراه مثل ما كنت في الليلة التي زفت إليك امرأتك؟ فقلت لا والله قال لكني والله أرى نفسي في هذا اليوم مثل ما كنت تلك الليلة ثم نام بين الصفيين ودرقته تحت رأسه حتى سمعت غطيظه . وقال شقيق إذا أردت أن تعرف الرجل فانظر إلى ما وعده الله وما وعده الناس فبأيهما يكون قلبه أوثق . وقال شقيق تعرف تقوى الرجل في ثلاثة أشياء في أخذه ومنعه وكلامه (ومنهم أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي) وكان جده مجوسيا أسلم وكانوا ثلاثة إخوة آدم وطيفور وعلى وكلهم كانوا زهادا عبادا وأبو يزيد كان أجلمهم حالا . قيل مات سنة إحدى وستين ومائتين وقيل أربع وثلاثين ومائتين . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت أبا الحسن الفارسي يقول سمعت الحسن بن علي يقول سئل أبو يزيد بأي شيء وجدت هذه المعرفة فقال ببطن جائع وبدن عار . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت عمي البسطامي يقول سمعت أبي يقول سمعت أبا يزيد يقول عملت في المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت شيئا أشد

على من العلم ومتابعته^(١) ولولا اختلاف العلماء^(٢) لبقيت واختلاف العلماء رحمة إلا في تجريد التوحيد . وقيل لم يخرج أبو يزيد من الدنيا حتى استظهر القرآن كله . حدثنا أبو حاتم السجستاني قال أخبرنا أبو نصر السراج قال سمعت طيفور البسطامي يقول سمعت المعروف بعمرى البسطامي يقول سمعت أبي يقول قال أبو يزيد قم بنا حتى ننظر إلى هذا الرجل الذي قد شهر نفسه بالولاية وكان رجلا مقصودا مشهورا بالزهد فمضينا إليه فلما خرج من بيته دخل المسجد رمى ببصاقه تجاه القبلة فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه وقال هذا غير مأمون على أدب من آداب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكيف يكون مأمونا على ما يدعيه؟ وبهذا الإسناد قال أبو يزيد لقد هممت أن أسأل الله تعالى أن يكفيني مؤنة الأكل ومؤنة النساء ثم قلت كيف يجوز لي أن أسأل الله هذا ولم يسأله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إياه فلم أسأله ثم إن الله سبحانه وتعالى كفاني مؤنة النساء حتى لا أبالي استقبلتني امرأة أو حائط . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت الحسن بن علي يقول سمعت عمى البسطامي يقول سمعت أبي يقول سألت أبا يزيد عن ابتدائه وزهده فقال ليس للزهد منزلة فقلت لماذا فقال لأنني كنت ثلاثة أيام في الزهد فلما كان اليوم الرابع خرجت منه اليوم ، الأول زهدت في الدنيا وما فيها واليوم الثاني زهدت في الآخرة وما فيها واليوم الثالث زهدت فيما سوى الله فلما كان اليوم الرابع لم يبق لي سوى الله فهمت فسمعت هاتفا يقول يا أبا يزيد لاتقوى معنا فقلت هذا الذي أريد فسمعت قائلا يقول وجدت وجدت . وقيل لأبي يزيد ما أشد ما لقيت في سبيل الله فقال لا يمكن وصفه فقل له ما أهون ما لقيت نفسك منك فقال أما هذا فنعم دعوتها إلى شيء من الطاعات فلم تجبني فمنعتها الماء سنة ، وقال أبو يزيد منذ ثلاثين سنة أصلى

(١) (العلم ومتابعته) أى بالأعمال لأنهما لا يتمان للعبد إلا بمخالفة هواه واجتهاده في تقواه وفى ذلك من المشقة ما لا يخفى لاسيما العلم المتعلق بالقلب من الرياء والعجب والكبر وغيرها من الأخلاق الذميمة والورع والزهد والأخلاص وغيرها من الأخلاق الحميدة .
 (٢) (اختلاف العلماء) أى فى المسائل بقيت أى على اجتهد واحد وهو ما اتفقوا عليه وكنت فى مشقة زائدة بالملازمة لنوع واحد وفى نسخة لتعبت أى زيادة تعب بذلك .

واعتقادی فی نفسی عند کل صلاة أصلیها کأنی مجوسی أريد أن أقطع زناری ، سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول . سمعت عبد الله بن علی يقول سمعت موسى بن عيسى يقول قال لی أبی قال أبو یزید لو نظرتم إلى رجل أعطی من الکرامات حتی یرتقی فی الهواء فلا تغتروا به حتی تنظروا کیف تجدونه عند الأمر والنهی وحفظ الحدود وأداء الشریعة وحکی عمی البسطامی عن أبیه أنه قال ذهب أبو یزید لیلۃ إلى الریاط لیذكر الله سبحانه علی سور الریاط فبقی إلى الصبح لم یذكر فقلت له فی ذلك فقال تذكرت کلمۃ جرت علی لسانی فی حال صباى فاحتشمت أن أذكره سبحانه وتعالی (**ومنهم أبو محمد سهل بن عبد الله التستری**) أحد أئمة القوم ولم یکن له فی وقته نظیر فی المعاملات والورع وكان صاحب الکرامات لقی ذا النون المصری بمکة سنة خروجه إلى الحج توفي کما قیل سنة ثلاث وثمانین ومائتین وقیل ثلاث وسبعین ومائتین . وقال سهل کنت ابن ثلاث سنین وکنت أقوم باللیل أنظر إلى صلاة خالی محمد بن سوار وكان یقوم باللیل فریما کان یقول لی یا سهل اذهب فم فقد شغلت قلبی . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله یقول سمعت أبا الفتح یوسف ابن عمران الزاهد یقول سمعت عبد الله بن عبد الحمید یقول سمعت عبد الله بن لؤلؤ یقول سمعت عمر بن واصل البصری یحکی عن سهل بن عبد الله قال قال لی خالی یوما ألا تذكر الله الذی خلّقک فقلت کیف أذكر . فقال قل بقلبك عند تقلبك فی ثیابک ثلاث مرات من غیر أن تحرك به لسانک الله معی ناظر إلى شاهدی فقلت ذلك ثلاث لیل ثم أعلمته فقال لی قل فی کل لیلۃ سبع مرات فقلت ذلك ثم أعلمته فقال قل فی کل لیلۃ إحدى عشرة مرة فقلت ذلك فوقع فی قلبی حلاوة فلما کان بعد سنة قال لی خالی احفظ ما علمتک ودم علیه إلى أن تدخل القبر فإنه ینفعل فی الدنیا والآخرة فلم أزل علی ذلك سنین فوجدت لها حلاوة فی سرى ^(١) . ثم قال لی خالی یوما

(١) (فوجدت لها حلاوة فی سرى) أى تحملنى علی ملازمتها وأمره بأن یقولها أولا ثلاثا ثم سبعا ثم إحدى عشرة علی سبیل التدریج تسهیلا لانتقاله من شىء إلى ما هو أولى منه وفى ذلك تعلیم وتدریج للمريد کیف یتعلم المراقبة وأولها ذکر الله تعالی باللسان مکررا مع حضور القلب فإذا تنبه ذکره بقلبه خاصة إن لم یکن فی ذکره بلسانه أيضا زیادة فضیلة =

يأسهل من كان الله معه وهو ناظر إليه وشاهده أيعصيه إياك والمعصية فكنت أخلو فبعثوني إلى الكتاب فقلت إنى لأخشى أن يتفرق على هـى ولكن شارطوا المعلم أنى أذهب إليه ساعة فأتعلم ثم أرجع فمضيت إلى الكتاب وحفظت القرآن وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين وكنت أصوم الدهر وقوتى خبز الشعير إلى أن بلغت اثنتى عشرة سنة فسألت أهلى أن يبعثونى إلى البصرة أسأل عنها فجئت البصرة وسألت علماءها فلم يشف أحد منهم عنى شيئا فخرجت إلى عبادان إلى رجل يعرف بأبى حبيب حمزة بن عبد الله العبادانى فسألته عنها فأجابنى وأقمت عنده مدة أنتفع بكلامه وأتأدب بأدابه ثم رجعت إلى تستر فجعلت قوتى اقتصارا على أن يشتري لى بدرهم من الشعير الفرق فيطحن ويخبز لى فأفطر عند السحر كل ليلة على أوقية واحدة بحتا بغير ملح ولا إدام فكان يكفينى ذلك الدرهم سنة ثم عزمتم على أن أطوى ثلاث ليال ثم أفطر ليلة ثم خمسا ثم سبعا ثم خمسا وعشرين ليلة وكنت عليه عشرين سنة ثم خرجت أسيح فى الأرض سنين ثم رجعت إلى تستر وكنت أقوم الليل كله . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول سمعت إبراهيم بن فراس يقول سمعت نصر بن أحمد يقول قال سهل بن عبد الله كل فعل يفعله العبد بغير اقتداء طاعة كان أو معصية فهو عيش النفس وكل فعل يفعله بالاقتداء فهو عذاب على النفس (ومنهم أبو سليمان عبد الرحمن بن عطية الداراني) وداران قرية من قرى دمشق مات سنة خمس عشرة ومائتين . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن محمد الرازى يقول أخبرنا إسحق بن إبراهيم بن أبى حسان يقول سمعت أحمد بن أبى الحوارى يقول سمعت أبى سليمان يقول من أحسن فى نهاره كوفئ فى ليله ومن أحسن فى ليله كوفئ فى نهاره ومن صدق فى ترك شهوة ذهب الله بها من قلبه والله تعالى أكرم من أن يعذب قلباً بشهوة تركت له . وبهذا الإسناد قال إذا سكنت الدنيا = فيجمع بين الحسنين فهذا لما رآه منتبها قيل له فيما ذكر قل بقلبك من غير أن تحرك به لسانك وفى نقله له فى عدد الأفراد سر وهو أنه تعالى فرد يحب الفرد وتر يحب الوتر وكونه ثلاثا وسبعاً وإحدى عشرة كأنه لكون الثلاث أقل الجمع والسبع عدد السموات السبع والأرضين وأيام الأسبوع والإحدى عشرة نهاية صلاة الوتر .

القلب ترحلت منه الآخرة . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول سمعت الجنيد يقول قال أبو سليمان الداراني ربما يقع فى قلبى النكتة من نكت القوم أيا ما فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة وقال أبو سليمان أفضل الأعمال خلاف هوى النفس . وقال لكل شىء علم وعلم الخذلان ترك البكاء وقال لكل شىء صداً وصداً نور القلب شبع البطن وقال كل ما شغلك عن الله تعالى من أهل أو مال أو ولد فهو عليك مشؤوم وقال أبو سليمان كنت ليلة باردة فى المحراب فأقلقنى البرد فخبأت إحدى يدي من البرد وبقيت الأخرى ممدودة فغلبتنى عيناى فهتف بى هاتف يا أبا سليمان قد وضعنا فى هذه ما أصابها ولو كانت الأخرى لوضعنا فيها فأليت على نفسى أن لا أعود إلا ويدأى خارجتان حرّاً كان الزمن أو برداً . وقال أبو سليمان نمت عن وردى فإذا أنا بحوراء تقول لى تنام وأنا أرى لك فى الخدور منذ خمسمائة عام . أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصفهاني قال أخبرنا أبو عمرو الجولستى قال أخبرنا محمد بن إسماعيل قال حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال دخلت على أبي سليمان يوماً وهو يبكي فقلت له ما يبكيك فقال يا أحمد ولم لا أبكي وإذا جن الليل ونامت العيون وخلا كل حبيب بحبيبه وافترش أهل المحبة أقدامهم وجرت دموعهم على خدودهم وتقطرت فى محاريبهم أشرف الجليل سبحانه وتعالى فنادى يا جبريل بعينى من تلذذ بكلامى واستراح إلى ذكرى وإنى لمطلع عليهم فى خلواتهم أسمع أنينهم وأرى بكاءهم فلم لا تنادى فيهم يا جبريل ما هذا البكاء هل رأيتم حبيباً يعذب أحبائه أم كيف يجمل بى أن أخذ قوماً إذا جنهم الليل تملقوا لى فبى حلفت أنهم إذا ردوا على يوم القيامة لأكشف لهم عن وجهى الكريم حتى ينظروا إلى وأنظر إليهم^(١) . (ومنهم أبو عبد الرحمن حاتم بن

(١) (حتى ينظروا إلى وأنظر إليهم) وذلك بكشف الحجب التى تحجبهم عن رؤيتهم له فى الدنيا أما هو فلا يحجب عن رؤيتهم لاستحالة ذلك فى حقه فلا يوصف بأنه محجوب وإن وصف بأنه محتجب لأن المحجوب مقهور والمحتجب بنفسه أى المتخذ لنفسه حجاباً قاهراً وله تعالى سبعون حجاباً من نور وظلمة على ما ورد فى الخبر وفسرت حجب النور بالعلوم والوقوف عندها وحجب الظلمة بجهالات الخلق .

علوان) ويقال حاتم بن يوسف الأصم من أكابر مشايخ خراسان وكان تلميذ شقيق وأستاذ أحمد بن خضرويه قيل لم يكن أصم وإنما تصامم مرة فسمى به سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول جاءت امرأة فسألت حاتما عن مسألة فاتفق أنه خرج منها في تلك الحالة صوت فخرجت فقال حاتم ارفعى صوتك فأرى من نفسه أنه أصم فسرت المرأة بذلك وقالت إنه لم يسمع الصوت فغلب عليه اسم الصمم. أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى رحمه الله قال سمعت أبا على سعيد بن أحمد يقول سمعت أباى يقول سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت خالى محمد بن الليث يقول سمعت حامدا اللفاف يقول سمعت حاتما الأصم يقول ما من صباح إلا والشيطان يقول لى ماذا تأكل وماذا تلبس وأين تسكن فأقول أكل الموت وألبس الكفن وأسكن القبر. وبإسناده قيل له ألا تشتهى فقال أشتهى عافية يوم إلى الليل فقيل له أليست الأيام كلها عافية فقال إن عافية يومى أن لا أعصى الله فيه. وحكى عن حاتم الأصم أنه قال كنت فى بعض الغزوات فأخذنى شخص فأضجعنى للذبح فلم يشغل به قلبى بل كنت أنظر ماذا يحكم الله تعالى فىّ فبينما هو يطلب السكين من خفه أصابه سهم غرب فقتله وطرحه عنى فقامت. سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهاني يقول سمعت أبا نصر منصور بن محمد بن إبراهيم الفقيه يقول سمعت أبا محمد جعفر بن محمد بن نصير يقول روى عن حاتم أنه قال من دخل فى مذهبنا هذا فليجعل فى نفسه أربع خصال من الموت موتاً أبيض وهو الجوع وموتاً أسود وهو احتمال الأذى من الخلق وموتاً أحمر وهو العمل الخالص من الشوب فى مخالفة الهوى وموتاً أخضر وهو طرح الرقاق بعضها على بعض (**ومنهم أبو زكريا يحيى بن معاذ الرازى الواعظ**) نسيج وحده فى وقته له لسان فى الرجاء خصوصاً وكلام فى المعرفة خرج إلى بلخ وأقام بها مدة ورجع إلى نيسابور ومات بها سنة ثمان وخمسين ومائتين . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت عبد الله بن محمد بن أحمد بن حمدان العكبرى يقول سمعت أحمد بن محمد بن السرى يقول سمعت أحمد بن عيسى يقول سمعت يحيى بن معاذ يقول كيف يكون زاهداً من لا ورع له تورع عما ليس لك ثم

ازهد فيما لك . وبهذا الإسناد قال جوع التوابين تجربة وجوع الزاهدين سياسة وجوع الصديقين تكرمة . وقال يحيى الفوت أشد من الموت لأن الفوت انقطاع عن الحق والموت انقطاع عن الخلق وقال يحيى الزهد ثلاثة أشياء القلة والخلة والجوع وقال يحيى لا تريح على نفسك بشيء أجل من أن تشغلها في كل وقت بما هو أولى بها . وقيل إن يحيى بن معاذ تكلم ببخل في تفضيل الغنى على الفقر فأعطى ثلاثين ألف درهم فقال بعض المشايخ لا بارك الله له في هذا المال فخرج إلى نيسابور فوقع عليه اللص وأخذ ذلك المال منه . أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصبهاني قال أنبأنا أبو القاسم عبد الله بن الحسين بن بالويه الصوفي قال سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول سمعت الحسين بن علويه يقول سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول من خان الله في السر هتك الله ستره في العلانية . سمعت عبد الله بن يوسف يقول سمعت أبا الحسين محمد بن عبد العزيز المؤذن يقول سمعت محمد بن محمد الجرجاني يقول سمعت علي بن محمد يقول سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول تزكية الأشرار لك هجنة بك وحبهم لك عيب وهان عليك من احتاج إليك ^(١) . (ومنهم أبو حامد أحمد ابن خضرويه البلخي) من كبار مشايخ خراسان صاحب أبا تراب النخشي قدم نيسابور وزار أبا حفص وخرج إلى بسطام في زيارة أبي يزيد البسطامي وكان كبيراً في الفتوة وقال أبو حفص ما رأيت أحداً أكبر همة ولا أصدق حالاً من أحمد بن خضرويه وكان أبو يزيد يقول أستاذنا أحمد . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت محمد بن حامد يقول كنت جالساً عند أحمد بن خضرويه وهو في النزاع وكان قد أتى عليه خمس وتسعون سنة فسأله بعض أصحابه

(١) (من احتاج إليك) أى وسألك إذ احتياج الشخص إلى الخلق وعدم الزهد فيما بأيديهم يؤدي إلى هو أنه عليهم إلا من اصطفاه الله ممن إذا احتاج إليهم ساعدوه بأنفسهم وأموالهم ودعوا الله له أن يمدّه بعونه ويغنيه عنهم وقليل ما هم بخلاف الاحتياج إلى الله وسؤاله لا هوان فيه على أحد بل من لا يسأله ببغضه ومن كلام يحيى بن بس الصديق صديقاً يحتاج أن يقال له اذكرني في دعائك وبس الصديق صديقاً يحتاج أن يعتذر إليه وبس الصديق صديقاً يحتاج أن تعيش معه بالمدارة .

عن مسألة فدمعت عيناه وقال يا بنى باب كنت أدقه منذ خمس وتسعين سنة وهذا يفتح لى الساعة لا أدرى أبالسعادة يفتح أم بالشقاوة أنى لى أوان الجواب قال وكان عليه سبعمائة دينار دينا وغرماؤه عنده فنظر إليهم وقال اللهم إنك جعلت الرهون وثيقة لأرباب الأموال وأنت تأخذ عنهم وثيقتهم فادعنى قال فدق داق الباب وقال أين غرماء أحمد فقضى عنه ثم خرجت روحه ومات رحمه الله سنة أربعين ومائتين . وقال أحمد بن خضرويه لانوم أثقل من الغفلة ولا رق أملك من الشهوة ولولا ثقل الغفلة عليك لما ظفرت بك الشهوة (**ومنهم أبو الحسين أحمد بن أبي الحواري**) من أهل دمشق صاحب أبا سليمان الداراني وغيره مات سنة ثلاثين ومائتين وكان الجنيد يقول أحمد بن أبي الحواري ريحانة الشام سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت أبا أحمد الحافظ يقول سمعت سعيد بن عبد العزيز الحلبي يقول سمعت أحمد بن أبي الحراري يقول من نظر إلى الدنيا نظر إرادة وحب لها أخرج نور اليقين والزهد من قلبه . وبهذا الإسناد يقول من عمل عملا بلا اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فباطل عمله وبهذا الإسناد قال أحمد بن الحواري أفضل البكاء بكاء العبد على ما فاتته من أوقاته على غير الموافقة . وقال أحمد ما ابتلى الله عبدا بشيء أشد من الغفلة والقسوة (**ومنهم أبو حفص عمر بن مسلمة الحداد**) من قرية يقال لها كورداباذ على باب مدينة نيسابور على طريق بخارى أحد الأئمة والسادة مات سنة نيف وستين ومائتين . قال أبو حفص : المعاصي بريد الكفر كما أن الحمى بريد الموت وقال أبو حفص إذا رأيت المرید يحب السماع فاعلم أن فيه بقية من البطالة . وقال حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن . وقال الفتوة أداء الإنصاف وترك مطالبة الإنصاف . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا الحسن محمد بن موسى يقول سمعت أبا على الثقفي يقول كان أبو حفص يقول من لم يزن أفعاله وأحواله فى كل وقت بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره فلا تعده فى ديوان الرجال (**ومنهم أبو تراب عسكر بن حصين النخشبى**) صاحب حاتم الأصم وأبا حاتم العطار المصرى مات سنة خمس وأربعين ومائتين قيل مات بالبادية نهشته السباع . وقال ابن الجلاء صحبت ستمائة

شيخ ما لقيت فيهم مثل أربعة أولهم أبو تراب النخشبى قال أبو تراب الفقير قوته ما وجده ولباسه ما ستره ومسكنه حيث نزل . وقال أبو تراب إذا صدق العبد فى العمل وجد حلاوته قبل أن يعمله فإذا أخلص فيه وجد حلاوته ولذته وقت مباشرة الفعل . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت جدى إسماعيل بن نجيد يقول كان أبو تراب النخشبى إذا رأى من أصحابه ما يكره زاد فى اجتهاده وجدد توبته ويقول بشؤمى دفعوا إلى ما دفعوا إليه لأن الله عز وجل يقول : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ قال وسمعتة يقول أيضا لأصحابه من لبس منكم مرقعة فقد سأل ومن قعد فى خانقاه أو مسجد فقد سأل ومن قرأ القرآن من مصحف أو كيما يسمع الناس فقد سأل قال وسمعتة يقول كان أبو تراب يقول بينى وبين الله عهد أن لا أمد يدي إلى حرام إلا قصرت يدي عنه . ونظر أبو تراب يوما إلى صوفى من تلامذته قد مد يده إلى قشر بطيخ وقد طوى ثلاثة أيام فقال له أبو تراب تمد يدك إلى قشر البطيخ أنت لا يصلح لك التصوف الزم السوق^(١) . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول سمعت أبا عبد الله الفارسى يقول سمعت أبا الحسين الرازى يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت أبا تراب النخشبى يقول ما تمننت نفسى على قط إلا مرة واحدة تمننت على خبزنا وبيضنا^(٢) وأنا فى سفرى فعدلت^(٣) عن الطريق إلى قرية فوثب رجل وتعلق بى وقال كان هذا مع اللصوص فبطحونى وضربونى سبعين خشبة فوقف علينا رجل صوفى فصرخ وقال ويحكم هذا أبو تراب النخشبى فخلونى واعتذروا إلى وأدخلنى الرجل منزله وقدم إلى خبزنا وبيضنا

(١) (الزم السوق) أى أهله وهو مجاز مرسل هذا من باب الأمر بالصبر وكمال المجاهدة ورفع الهمة عن تناول ما لا يصلح لمثله من الزهاد لأن من وصل إلى أن يصبر عن الطعام ثلاثة أيام بلياليها شغلا بالخير لا يلىق به خسة الهمة وتناول ما يلقىه الناس ولا يأكلونه .

(٢) (تمننت على خبزنا وبيضنا) أى على ما هو الغالب على أهل الريف لأنه من الأنواع المتيسر عندهم غالبا .

(٣) (فعدلت .. إلخ) أى لآكل ذلك من عند بعض إخوانى فأدبنى الله على كونى فسخت عزمى من ترك تمنى الشهوات .

فقلت كلها بعد سبعين جلدة . وحكى ابن الجلاء قال دخل أبو تراب مكة طيب النفس فقلت أين أكلت أيها الأستاذ فقال : أكلة بالبصرة . وأكلة بالنجاج وأكلة ههنا (ومنهم أبو محمد عبد الله بن خبيق) من زهاد المتصوفة صاحب يوسف بن إسقاط كان كوفى الأصل ولكنه سكن أنطاكية سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا الفرج الورثاني يقول سمعت أبا الأزهر الميافارقيني يقول سمعت فتح بن شخرف يقول حدثني عبد الله ابن خبيق أول ما لقيتَه فقال لى يا خراسانى إنما هى أربع لا غير عينك ولسانك وقلبك وهواك فانظر عينك لا تنظر بها إلى ما لا يحل وانظر لسانك ولا تقل به شيئا يعلم الله خلافه من قلبك وانظر قلبك لا يكن فيه غل ولا حقد على أحد من المسلمين وانظر هواك لا تهوى به شيئا من الشر فإذا لم يكن فيك هذه الأربع من الخصال فاجعل الرماد على رأسك فقد شقيت . وقال ابن خبيق لا تغتم إلا من شئ يضرك غدا ولا تفرح إلا بشئ يسرك غدا . وقال ابن خبيق وحشة العباد عن الحق أوحشت منهم القلوب ولو أنهم أنسوا بربهم لأنس بهم كل أحد وقال أنفع الخوف ما حجزك عن المعاصى وأطال منك الحزن على عافائك وألزمك الفكرة فى بقية عمرك وأنفع الرجاء ما سهل عليك العمل . وقال طول الاستماع إلى الباطل يطفئ حلاوة الطاعة من القلب (ومنهم أبو على أحمد بن عاصم الأنطاكى) من أقران بشر بن الحارث والسرى السقطى والحارث المحاسبى وكان أبو سليمان الداراني يسميه جاسوس القلوب لحدة فراسته . وقال أحمد بن عاصم إذا طلبت صلاح قلبك فاستعن عليه بحفظ لسانك وقال أحمد بن عاصم قال الله تعالى ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ ونحن نستزید من الفتنة^(١) . (ومنهم أبو السرى منصور بن عمار) من أهل مرو من قرية يقال لها دندانقان وقيل انه من بوشنج أقام بالبصرة وكان من الواعظین الأكابر قال منصور بن

(١) (نستزید من الفتنة) أى نطلبها ونحبها نبه بذلك على ذم المشغولين بالدنيا واستزادتهم من أموالها وأولادها وقال أحمد بن عاصم يسير اليقين يخرج الشك من القلب ويسير الشك يخرج كل اليقين من القلب وقال إذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق فإنهم جواسيس القلوب يدخلون فى قلوبكم ويخرجون منها من حيث لا يحتسبون ونعمت النصيحة .

عمار من جزع من مصائب الدنيا^(١) . تحولت مصيبتة في دينه . وقال منصور بن عمار أحسن لباس العبد التواضع والانكسار وأحسن لباس العارفين^(٢) . التقوى قال الله تعالى : ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ وقيل إن سبب توبته أنه وجد في الطريق رقعة مكتوبا عليها باسم الله الرحمن الرحيم فرفعها فلم يجد لها موصفا فأكلها فرأى في المنام كأن قائلا قال له فتح الله عليك باب الحكمة باحترامك لتلك الرقعة سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت أبا العباس القاص يقول سمعت أبا الحسن الشعراني يقول رأيت منصور بن عمار في المنام فقلت له ما فعل الله بك ؟ فقال قال لى أنت منصور بن عمار فقلت له بلى يارب قال أنت الذى كنت تزهد الناس فى الدنيا وترغب فيها قلت قد كان ذلك يارب ولكنى ما اتخذت مجلسا إلا بدأت بالثناء عليك وثنيت بالصلاة على نبيك صلى الله عليه وآله وسلم وثلثت بالنصيحة لعبادك فقال صدق ضعوا له كرسيا يمجدى فى سمائى بين ملائكتى كما كان يمجدى فى أرضى بين عبادى (ومنهم أبو صالح حمدون بن أحمد ابن عمارة القصار) نيسابورى منه انتشر مذهب الملامتية بنيسابور صاحب سلمان الباروسى وأبا تراب النخشبى مات سنة إحدى وسبعين ومائتين . سئل حمدون متى يجوز للرجل أن يتكلم على الناس فقال إذا تعين عليه أداء فرض من فرائض الله تعالى فى علمه أو خاف هلاك إنسان فى بدعة وهو يرجو أن ينجيه الله تعالى منها . وقال من ظن أن نفسه خير من نفس فرعون فقد أظهر الكبر . وقال مذ علمت أن للسلطان قراصة فى الأشرار ما خرج خوف السلطان من قلبى . وقال إذا رأيت سكرانا فتمايل لئلا تبغى عليه فتبتلى بمثل ذلك . وقال عبد الله بن منازل قلت لأبى صالح أوصنى فقال إن استطعت أن لا تغضب لشيء من الدنيا فافعل . ومات صديق له وهو عند رأسه فلما مات أطفأ حمدون السراج فقالوا له فى مثل هذا الوقت يزداد فى السراج الدهن

(١) (من مصائب الدنيا) وهى الآلام والأسقام وهلاك المال والولد ونحو ذلك .

(٢) (وأحسن لباس العارفين) أى الذين غلبت عليهم أحوالهم بدوام نظرهم لمولاهم ولما سبق لهم عنده تعالى مما يجريه عليهم فى دنياهم والآخرة خير وأبقى .

فقال لهم إلى هذا الوقت كان الدهن له ومن هذا الوقت صار الدهن للورثة وقال حمدون من نظر في سير السلف عرف تقصيره وتخلفه عن درك درجات الرجال . وقال لا تنفش على أحد ما تحب أن يكون مستورا منك (ومنهم أبو القاسم الجنيد بن محمد) سيد هذه الطائفة وأمامهم أصله من نهاوند ومنشؤه ومولده بالعراق وأبوه كان يبيع الزجاج فلذلك يقال له القواريري وكان فقيها على مذهب أبي ثور وكان يفتي في حلقاته بحضرته وهو ابن عشرين سنة صحب خاله السري والحارث المحاسبي ومحمد ابن علي القصاب مات سنة سبع وتسعين ومائتين سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت محمد بن الحسين البغدادي يقول سمعت الفراغاني يقول سمعت الجنيد يقول وقد سئل من العارف قال من نطق عن شرك وأنت ساكت : سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول سمعت أبا محمد الحريري يقول سمعت الجنيد يقول مأخذنا التصوف عن القيل والقال لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنيات . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت أبا محمد الحريري يقول سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا نصر الأصبهاني يقول سمعت أبا علي الروذباري يقول سمعت الجنيد يقول لرجل ذكر المعرفة وقال أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقرب إلى الله عز وجل فقال الجنيد إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال وهو عندى عظيمة والذي يسرق ويزنى أحسن حالا من الذي يقول هذا^(١) . فإن العارفين بالله تعالى أخذوا الأعمال عن الله تعالى وإليه رجعوا فيها ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بى دونها وقال الجنيد إن أمكنك أن لا تكون آلة بيتك إلا خرفا فافعل^(٢) . وقال الجنيد الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر

(١) (من الذى يقول هذا) القول لأن كلا من الزانى والسارق يعرف عصيانه ويرجو توبته منه بخلاف هذا لأنه يعتقد أنه فى أرفع المقامات وأحسن الأحوال فلا يرجع عنه وهو استدراج والعياذ بالله تعالى وإلى ذلك أشار بقوله فإن العارفين .. إلخ .

(٢) (فافعل) فيه الحث على النقل من الدنيا والاكتفاء بآلة الفخار عن آلة النحاس ونحوه مما يدل اتخاذه على طول الأمل والصوفى ابن وقته وموته بين عينيهِ فيكتفى باليسير من الدنيا .

الرسول عليه الصلاة والسلام . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا عمر الأنماطي يقول سمعت الجنيد يقول لو أقبل صادق على الله ألف الف سنة ثم أعرض عنه لحظة كان ما فاته أكثر مما ناله . وقال الجنيد من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا نصر الأصبهاني يقول سمعت أبا علي الروذباري يقول عن الجنيد مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة وقال الجنيد علمنا هذا مشيد بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . أنبأنا محمد بن الحسين رحمه الله قال سمعت أبا الحسين بن فارس يقول سمعت أبا الحسين علي بن إبراهيم الحداد يقول حضرت مجلس أبي العباس بن شريح فتكلم في الفروع والأصول بكلام حسن عجبت منه فلما رأي إعجابي قال أتدري من أين هذا قلت يقول به القاضي^(١) . فقال هذا ببركة مجالسة أبي القاسم الجنيد . وقيل للجنيد من أين استفدت هذا العلم فقال من جلوسى بين يدي الله ثلاثين سنة تحت تلك الدرجة وأوماً إلى درجة في داره . سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يحكى ذلك وسمعه يقول روى في يده سبحة فقيل له أنت مع شرفك تأخذ بيدك سبحة فقال طريق^(٢) به وصلت إلى ربي لا أفارقه وسمعت الأستاذ أبا علي رحمه الله يقول كان الجنيد يدخل كل يوم حانوته ويسبل الستر ويصلى أربعمئة ركعة ثم يعود إلى بيته . وقال أبو بكر العطوى^(٣) . كنت عند الجنيد حين مات فرأيت ختم القرآن ثم ابتداء من البقرة وقرأ سبعين آية ثم مات رحمه الله (ومنهم أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الحيرى) المقيم بنيسابور وكان من الرى صاحب شاه الكرمانى ويحيى بن معاذ الرازى ثم ورد نيسابور مع شاه الكرمانى على أبى حفص الحداد وأقام عنده وتخرج به وزوجه أبو حفص ابنته مات سنة ثمان وتسعين ومائتين وعاش بعد أبى حفص نيفاً وثلاثين

(١) (يقول به القاضي) أى تخبرنى به أنت .

(٢) (فقال طريق .. إلخ) فيه دليل على كمال اجتهاده وملازمته لما اعتاده من الطاعة .

(٤) (وقال أبو بكر العطوى .. إلخ) فيه دليل على كمال اجتهاده أيضاً وملازمته أوراده إلى حين موته ومن كلامه من طلب عزا بباطل أورثه الله ذلاً بحق وما أحق هذا القول .

سنة . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت أبا عمرو بن حمدان يقول سمعت أبا عثمان يقول لا يكمل إيمان الرجل حتى يستوى في قلبه أربعة أشياء المنع والإعطاء والعز والذل . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت عبد الرحمن بن عبد الله يقول سمعت بعض أصحاب أبي عثمان يقول سمعت أبا عثمان يقول صحبت أبا حفص مدة وأنا شاب فطر دني مرة وقال لا تجلس عندي فقامت ولم أوله ظهري وانصرفت إلى ورائي ووجهني إلى وجهه حتى غبت عن عينيه وجعلت على نفسي أن أحفر على بابه حفرة لا أخرج منها إلا بأمره . فلما رأى ذلك أدنانى وجعلنى من خواص أصحابه قال وكان يقول فى الدنيا ثلاثة لا رابع لهم أبو عثمان بنيسابور والجنيد ببغداد وأبو عبد الله بن الجلاء بالشام ، وقال أبو عثمان منذ أربعين سنة ما أقامنى الله تعالى فى حال فكرهته ولا نقلنى إلى غيره فسخطه . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت عبد الله بن محمد الشعرانى يقول سمعت أبا عثمان يقول ذلك . ولما تغير على أبى عثمان الحال مزق أبو بكر قميصا على نفسه ففتح أبو عثمان عينيه وقال خلاف السنة يا بنى فى الظاهر علامة رياء فى الباطن^(١) . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن أحمد الملامتى يقول سمعت أبا الحسين الوراق يقول سمعت أبا عثمان يقول الصحبة مع الله^(٢) . بحسن الأدب ودوام الهيبة والمراقبة والصحبة مع الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم باتباع سنته ولزوم ظاهر العلم والصحبة مع أولياء الله تعالى بالاحترام والخدمة والصحبة مع الأهل^(٣) . بحسن الخلق والصحبة مع الإخوان بدوام البشر^(٤) . ما لم

(١) (فى الظاهر علامة رياء فى الباطن) وهو هنا كونه أظهر الحزن والألم لثلا يذم بترك الحنو على الوالد والمحبة له فإن العبد إذا لم يراقب الله فى أمره ونهيه عند نزول المصائب سبق إلى قلبه ذم الناس له إن لم يظهر الحزن بموت من يعز عليه .

(٢) (الصحبة مع الله) إطلاقها معه تعالى مأخوذة من خبر أنت الصاحبى السفر والخليفة فى الأهل والمراد دوام المعاملة معه تعالى .

(٣) (والصحبة مع الأهل) من الزوجة والولد والخادم وسائر الأقارب .

(٤) (بدوام البشر) وهو حسن الملاقة عند الاجتماع والسؤال عن أحوالهم وادخال المسرة عليهم .

يكن إثما والصحبة مع الجهال^(١). بالدعاء لهم والرحمة عليهم. سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهاني رحمه الله يقول سمعت أبا عمر بن نجيد يقول سمعت أبا عثمان يقول من أمر السنة على نفسه قولا وفعلًا نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه قولا وفعلًا نطق بالبدعة قال الله تعالى ﴿ وَإِنْ تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ (ومنهم أبو الحسين أحمد بن محمد النوري) بغدادى المولد والمنشأ بغوى الأصل صاحب السرى السقطى وابن أبى الحوارى وكان من أقران الجنيد رحمه الله مات سنة خمس وتسعين ومائتين وكان كبير الشأن حسن المعاملة واللسان . قال النورى رحمه الله التصوف ترك كل حظ للنفس وقال النورى أعز الأشياء فى زماننا شيان عالم يعمل بعلمه وعارف ينطق عن حقيقة سمعت أبا عبد الله الصوفى رحمه الله يقول سمعت أحمد بن محمد البرذعى يقول سمعت المرتضى يقول سمعت النورى يقول من رأيت يده يدعى مع الله حالة تخرجه عن حد العلم الشرعى فلا تقرب منه . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول سمعت الفرغانى يقول سمعت الجنيد يقول منذ مات النورى لم يخبر عن حقيقة الصدق أحد وقال أبو أحمد المغازلى ما رأيت أعبد من النورى قيل ولا الجنيد قال ولا الجنيد وقال النورى كانت المراقع غطاء على الدر فصارت اليوم مزابل على جيف . وقيل كان يخرج كل يوم من داره ويحمل الخبز معه ثم يتصدق به فى الطريق ويدخل مسجدا يصلى فيه إلى قريب من الظهر ثم يخرج ويفتح باب حانوته ويصوم فكان أهله يتوهمون أنه يأكل فى السوق وأهل السوق يتوهمون أنه يأكل فى بيته بقى على هذا فى ابتدائه عشرين سنة (ومنهم أبو عبد الله أحمد بن يحيى الجلاء) بغدادى الأصل أقام بالرملة ودمشق من أكابر مشايخ الشام صاحب أبا تراب وذا النون وأبا عبيد اليسرى وأباه يحيى الجلاء ، سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت محمد بن عبد العزيز الطبرى يقول سمعت أبا عمر الدمشقى يقول سمعت ابن الجلاء يقول قلت لأبى وأمى أحب أن تهبانى لله عز وجل فقالا قد وهبناك لله عز وجل فغبت عنهما مدة فلما رجعت كانت ليلة مطيرة

(١) (مع الجهال) يعنى عصاة المؤمنين ومن عصى فهو جاهل بعظمة الله تعالى.

فدققت الباب فقال لى أبى من ذا قلت ولدك أحمد فقال كان لنا ولد فوهبناه لله تعالى ونحن من العرب لا نسترجع ما وهبناه ولم يفتح لى الباب وقال ابن الجلاء من استوى عنده المدح والذم فهو زاهد ومن حافظ على الفرائض فى أول مواقبتها فهو عابد ومن رأى الأفعال كلها من الله عز وجل فهو موحد لا يرى إلا واحداً . ولما مات ابن الجلاء نظروا إليه وهو يضحك فقال الطبيب إنه حى ثم نظر إلى مجسته فقال إنه ميت ثم كشف عن وجهه فقال لا أدرى أهو ميت أم حى وكان فى داخل جلده عرق على شكل لله . وقال ابن الجلاء رحمه الله كنت أمشى مع أستاذى فرأيت حدثاً جميلاً فقلت يا أستاذى ترى يعذب الله هذه الصورة فقال أو نظرت إليه ستري غبه قال فنسيت القرآن بعده بعشرين سنة (ومنهم أبو محمد رويم ^(١) بن أحمد) بغدادى من أجلة المشايخ مات سنة ثلاث وثلاثمائة وكان مقرناً وكان فقيهاً على مذهب داود قال رويم من حكم الحكيم أن يوسع على إخوانه فى الأحكام ويضيق على نفسه فيها فإن التوسعة عليهم اتباع العلم ^(٢) . والتضييق على نفسه من حكم الورع . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت عبد الواحد بن بكر يقول سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول سألت رويماً فقال أوصنى فقال ما هذا الأمر إلا ببذل الروح فإن أمكنك الدخول فيه مع هذا وإلا فلا تشتغل بترهات الصوفية . وقال رويم قعودك مع كل طبقة من الناس أسلم من قعودك مع الصوفية فإن كل الخلق قعدوا على الرسوم وقعدت هذه الطائفة على الحقائق ^(٣) . وطالب الخلق كلهم أنفسهم بظواهر الشرع وطالب هؤلاء أنفسهم بحقيقة الورع ومداومة الصدق فمن قعد معهم وخالفهم فى شىء مما يتحققون به نزع الله

(١) (رويم) بضم الراء وفتح الواو وإسكان الياء .

(٢) (اتباع العلم) أى من حكم اتباعه لخبر يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا وكونوا عباد الله إخواناً وليتدرب الإنسان فى الخيرات وينتقل من الواجبات إلى المندوبات ويترك المحرمات ثم المكروهات ثم الشبهات ثم أبواباً من الحلال مخافة الوقوع فى شىء من الشبهات .

(٣) (وقعدت هذه الطائفة على الحقائق) وهى غلبة الأحوال على القلب ومشاهدة الرب فى كل عمل كما قال صلى الله عليه وآله وسلم أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه عياناً فإنه يراك فأهل الحقائق هم الطالبون لهذا المقام .

نور الإيمان من قلبه قال رويم اجتزت ببغداد وقت الهاجرة ببعض السكك وأنا عطشان فاستقيت من دار ففتحت صبية بابها ومعها كوز فلما رأنتي قالت صوفى^(١) . يشرب بالنهار فما أفطرت بعد ذلك اليوم قط وقال رويم إذا رزقك الله المقال والفعال فأخذ منك المقال وأبقى عليك الفعال فإنها نعمة وإذا أخذ منك الفعال وأبقى عليك المقال فإنها مصيبة وإذا أخذ منك كليهما فهي نقمة وعقوبة (ومنهم أبو عبد الله محمد بن الفضل البلخي ساكن سمرقند) بلخي الأصل أخرج منها فدخل سمرقند ومات بها وصحب أحمد بن خضرويه وغيره وكان أبو عثمان الحيرى يميل إليه جداً مات سنة تسع عشرة وثلاثمائة . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت أحمد بن محمد الفراء يقول سمعت أبا بكر بن عثمان يقول كتب أبو عثمان الحيرى إلى محمد بن الفضل يسأله علامة الشقاوة فقال ثلاثة أشياء يرزق العلم ويحرم العمل ويرزق العمل ويحرم الإخلاص ويرزق صحبة الصالحين ولا يحترم لهم وكان أبو عثمان الحيرى يقول محمد بن الفضل سمسار الرجال . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله الرازى يقول سمعت محمد بن الفضل يقول الراحة فى السجن من أمانى النفوس سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت محمد بن الفضل يقول ذهاب الإسلام من أربعة لا يعملون بما يعلمون ويعملون بما لا يعلمون ولا يتعلمون ما لا يعلمون ويمنعون الناس من التعلم وبهذا الإسناد قال العجب ممن يقطع المفاز ليصل إلى بيته فيرى آثار النبوة كيف لا يقطع نفسه وهواه ليصل إلى قلبه فيرى آثار ربه عز وجل وقال إذا رأيت المزيد يستزيد من الدنيا فذلك من علامات إدباره وسئل عن الزهد فقال النظر إلى الدنيا بعين النقص والإعراض عنها تعززا وتطرفا وتشرفا (ومنهم أبو بكر أحمد بن نصر الزقاق الكبير) كان من أقران الجنيد من أكابر مصر سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت الحسين بن أحمد يقول سمعت الكتانى يقول لما مات الزقاق انقطعت حجة الفقراء فى دخولهم مصر . وقال الزقاق من لم يصحبه التقى فى فقره أكل الحرام المحض . سمعت الشيخ

(١) (قالت صوفى .. إلخ) فيه دلالة على أن الصبية كانت من بيت علم حتى عرفت أحوال الصوفية وأنهم المجتهدون فى الأعمال وصدق الأقوال .

أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت محمد بن عبد الله بن عبد العزيز يقول سمعت الزقاق يقول تهت فى تيه بنى إسرائيل مقدار خمسة عشر يوماً فلما وقعت على الطريق استقبلنى إنسان جندى فسقانى شربة من ماء فعادت قسوتها على قلبى ثلاثين سنة (ومنهم أبو عبد الله عمرو بن عثمان المكى) لقى أبا عبد الله النباجى وصحب أبا سعيد الخراز وغيره شيخ القوم وإمام الطائفة فى الأصول والطريقة مات ببغداد سنة إحدى وتسعين ومائتين . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت أبا بكر محمد بن أحمد يقول سمعت عمرو بن عثمان المكى يقول كل ما توهمه قلبك أو رسخ فى مجارى فكرتك أو خطر فى معارضات قلبك من حسن أو بهاء أو أنس أو جمال أو ضياء أو شبح أو نور أو شخص أو خيال فالله تعالى بعيد من ذلك ^(١) . ألا تسمع إلى قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ وقال : ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (وبهذا الإسناد) قال العلم قائد والخوف سائق والنفس حرون بين ذلك جموح خداعة رواغة فاحذرهما وراعها بسياسة العلم وسقها بتهديد الخوف يتم لك ما تريد ^(٢) . وقال لا يقع على الواجد عبارة لأنه سر الله عند المؤمنين (ومنهم سمنون ^(٣) بن حمزة) وكنيته أبو الحسن ويقال أبو القاسم صحب السرى وأبا أحمد القلانسى ومحمد بن على

(١) (فالله تعالى بعيد من ذلك) لأن ذلك إنما يتعلق بمن له مثال أو شبيه أو نظير والله تعالى منزّه عن ذلك كله لأن كل ذلك مخلوق ويستحيل أن يحل فى شيء وأن يحل فيه شيء وإلا لكان محصوراً محدوداً فى الأول ومحلّاً للحوادث وجزماً أى جسماً فى الثانى وهو منزّه عن ذلك .

(٢) (يتم لك ما تريد) من فعل الخيرات وترك المنكرات والحزن والكسل والوقوف عن السير والجموح والجماح والجمع الهرب من جهة إلى أخرى وهذا شأن النفس إذا حملت الأثقال إما أن تقف عن السير أو تهرب أو تتخادع صاحبها أو تتروع إليه فإذا أراد سيرها سوفها وخوفها بما ذكرناه ورفق بها فى السير حتى تتعود الخير فتسير إليه بسهولة بعون ربها ولا يحتاج إلى كمال القائد والسائق .

(٣) (ومنهم سمنون) بضم السين على المشهور .

القصار وغيرهم قيل إنه أنشد :

وليس لى فى سواك حظ فكيفما شئت فاخترنى

فأخذه الأشر [احتباس البول] من ساعته فكان يدور على المكاتب ويقول ادعوا لعمكم الكذاب وقيل بل أنشد هذه الأبيات فقال بعض أصحابه لبعض سمحت البارحة وكنت فى الرستاق صوت أستاذنا سمنون يدعو الله ويتضرع إليه ويسأله الشفاء فقال آخر وأنا أيضا كنت سمعت هذه البارحة وكنت بالموضع الفلانى فقال ثالث ورابع مثل هذا فأخبر سمنون وكان قد امتحن بعة الأشر وكان يصبر ولا يجزع فلما سمعهم يقولون هذا ولم يكن هو دعا ولا نطق بشيء من ذلك علم أن المقصود منه إظهار الجزع تأديبا بالعبودية وسترا لحاله فأخذ يطوف على المكاتب ويقول ادعوا لعمكم الكاذب . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت أبا العباس محمد بن الحسن البغدادي يقول سمعت جعفر الخلدی يقول قال لى أبو أحمد المغازلى كان ببغداد رجل فرق على الفقراء أربعين ألف درهم فقال لى سمنون يا أبا أحمد ألا ترى ما قد أنفق هذا وما قد عمله ونحن ما نجد شيئا فامض بنا إلى موضع نصلى فيه بكل درهم أنفقه ركعة فمضينا إلى المدائن فصلينا أربعين ألف صلاة وكان سمنون ظريف الخلق أكثر كلامه فى المحبة وكان كبير الشأن مات قبل الجنيد كما قيل (ومنهم أبو عبيد البسرى) من قدماء المشايخ صحب أبا تراب النخشبى . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت عبد الله بن على يقول سمعت الدقى يقول سمعت ابن الجلاء يقول لقيت ستمائة شيخ فما رأيت مثل أربعة ذى النون المصرى وأبى وأبى تراب النخشبى وأبى عبيد البسرى سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت أحمد بن محمد البغوى يقول سمعت محمد بن معمر يقول سمعت أبا زرعة الحسنى يقول كان أبو عبيد البسرى يوما على جرجر (نورج) يدرس قمحا له وبينه وبين الحج ثلاثة أيام إذ أتاه رجلان فقالا يا أبا عبيدة تنشط للحج فقال لا ثم التفت إلى وقال شيخك على هذا أقدر منهما يعنى نفسه (ومنهم

أبو الفوارس شاه بن شجاع الكرمانى) كان من أولاد الملوك صاحب أبا تراب النخشى وأبا عبيد البسرى وأولئك الطبقة وكان أحد الفتیان كبير الشأن مات قبل الثلاثمائة وقال شاه علامه التقوى الورع وعلامة الورع الوقوف عند الشبهات وكان يقول لأصحابه اجتنبوا الكذب والخيانة والغيبة ثم اصنعوا ما بدا لكم . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت جدى بن نجيد يقول قال شاه الكرمانى من غرض بصره عن المحارم وأمسك نفسه عن الشهوات وعمر باطنه بدوام المراقبة وظاهره باتباع السنة وعود نفسه أكل الحلال لم تخطئ له فراسة (**ومنهم يوسف بن الحسين**) شيخ الرى والجمال فى وقته وكان نسيج وحده فى إسقاط التصنع وكان عالما أديبا صاحب ذا النون المصرى وأبا تراب النخشى ورافق أبا سعيد الخراز . مات سنة أربع وثلاثمائة قال يوسف بن الحسين لأن ألقى الله تعالى بجميع المعاصى أحب إلى من أن ألقاه بذرة من التصنع وقال يوسف بن الحسين إذا رأيت المرید يشتغل بالرخص فاعلم أنه لا يجىء منه شيء وكتب إلى الجنيد لا أذاقك الله طعم نفسك فإنك إن ذقتها لم تذق بعدها خيرا أبدا . وقال يوسف بن الحسين رأيت آفات الصوفية فى صحبة الأحداث ومعاشرة الأضداد ورفق النسوان (**ومنهم أبو عبد الله بن محمد بن على الترمذى**) من كبار الشيوخ وله تصانيف فى علوم القوم صاحب أبا تراب النخشى وأحمد بن خضرويه وابن الجلاء وغيرهم . سئل محمد بن على عن صفة الخلق فقال ضعف ظاهر ودعوى عريضة . وقال محمد بن على ما صنفنا حرفا عن تدبير ولا لينسب إلى شيء منه ولكن كان إذا اشتد على وقتى أتسلى به ^(١) . (**ومنهم أبو بكر محمد بن عمر الوراق الترمذى**) أقام ببلخ وصاحب أحمد بن خضرويه وغيره وله تصانيف فى الرياضيات . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يقول سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت محمد بن محمد البلخى يقول سمعت

(١) (أتسلى به) أى بالتصنيف بأن تجرى الحكم على لسانى فأشتغل بتعليمها لأتسلى به ويخف عنى ما لا أقدر على حمله عادة من تلك الأحوال كما حكى عن النورى أنه وجد ذات يوم ينتف شعرا حواجبه فسئل عن ذلك فقال الحقيقة غالبية على ولا قدرة لى على حملها فأنا أشتغل بذلك ليخف ما بى وأرجع إلى إحساسى .

أبا بكر الوراق يقول من أرضى الجوارح بالشهوات غرس فى قلبه شجر الندامات (١). سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا بكر البلخى يقول سمعت أبا بكر الوراق يقول لو قيل للطمع من أبوك قال الشك فى المقدور ولو قيل ما حرفتك قال اكتساب الذل ولو قيل ما غايتك قال الحرمان وكان أبو بكر الوراق يمنع أصحابه عن الأسفار والسياحات ويقول مفتاح كل بركة الصبر فى موضع إرادتك إلى أن تصح تلك الإرادة فإذا صحت لك الإرادة فقد ظهرت عليك أوائل البركة (ومنهم أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز) من أهل بغداد صاحب ذا النون المصرى والنباجى وأبا عبيد البسرى والسرى ويشرا وغيرهم مات سنة سبع وسبعين ومائتين . قال أبو سعيد الخراز كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا عبد الله الرازى يقول سمعت أبا العباس الصياد يقول سمعت أبا سعيد الخراز يقول رأيت إبليس فى النوم وهو يمر على ناحية فقلت له تعال مالك فقال إيش أعمل بكم وأنتم طرحتم عن نفوسكم ما أخادع به الناس فقلت وما هو قال الدنيا فلما ولى على التفت إلى وقال غير أن لى فيكم لطيفة فقلت وما هى قال صحبة الأحداث . وقال أبو سعيد الخراز صحبت الصوفية ما صحبت فما وقع بينى وبينهم خلاف قالوا لم قال لأنى كنت معهم على نفسى (ومنهم أبو عبد الله محمد بن إسماعيل المغربى) أستاذ إبراهيم بن شيبان وتلميذ على بن رزین عاش مائة وعشرين سنة ومات سنة تسع وتسعين ومائتين كان عجيب الشأن لم يأكل مما وصلت إليه يد بنى آدم سنين كثيرة وكان يتناول من أصول الحشيش أشياء تعود أكلها . وقال أبو عبد الله المغربى أفضل الأعمال عمارة الأوقات بالموافقات وقال أعظم الناس ذلاً فقير داهن غنياً أو تواضع له وأعظم الخلق عزا غنى تذلل للفقراء وحفظ كرامتهم (ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد بن مسروق) من أهل طوس سكن بغداد وصحب الحارث المحاسبى والسرى السقطى توفى ببغداد سنة تسع وقيل سنة ثمان وتسعين ومائتين قال ابن مسروق من راقب الله تعالى فى خطرات قلبه عصمه الله فى حركات

(١) (غرس فى قلبه شجر الندامات) لمخالفة ما يقربه لمولاه وهذا يجده عنده فى الدنيا وهو ظاهر وفى الآخرة لأنه إذا رأى جزاء الأعمال ودرجات المجتهدين فى الطاعة مع خلوه عن ذلك باشتغاله بالشهوات توالى على قلبه الندامات والחסرات .

جوارحه وقال تعظيم حرمان المؤمنين من تعظيم حرمان الله تعالى وبه يصل العبد إلى محل حقيقة التقوى وقال شجرة المعرفة تسقى بماء الفكرة وشجرة الغفلة تسقى بماء الجهل وشجرة التوبة تسقى بماء الندامة وشجرة المحبة تسقى بماء الاتفاق والموافقة وقال متى طمعت في المعرفة ولم تحكم قبلها مدارج الإرادة فأنت في جهل ومتى طلبت الإرادة قبل تصحيح مقام التوبة فأنت في غفلة عما تطلب (ومنهم أبو الحسن على بن سهل الأصبهاني) من أقران الجنيد قصده عمرو بن عثمان المكي في دين ركبه فقضاه عنه وهو ثلاثون ألف درهم لقي أبا تراب النخشي والطبقته . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله الطبري يقول سمعت على بن سهم يقول المبادرة إلى الطاعات من علامات التوفيق والتقاعد عن المخالفات من علامات حسن الرعاية ومراعاة الأسرار من علامات التيقظ وإظهار الدعاوى من رعونات البشرية ومن لم تصح مبادئ إرادته لا يسلم في منتهى عواقبه (ومنهم أبو محمد أحمد بن محمد بن الحسين الجريري)^(١) . من كبار أصحاب الجنيد وصاحب سهل بن عبد الله أقعد بعد الجنيد في مكانه وكان عالما بعلوم هذه الطائفة كبير الحال مات سنة إحدى عشرة وثلاثمائة . سمعت أبا عبد الله الشيرازي يقول سمعت أحمد بن عطاء الروذباري يقول مات الجريري سنة الهبيرة^(٢) . فجزت به بعد سنة فإذا هو مستند جالس وركبته إلى صدره وهو مشير إلى الله بأصبعه^(٣) . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت أبا الحسين الفارسي يقول سمعت أبا محمد الجريري يقول من استولت عليه النفس صار أسيرا في حكم الشهوات محصورا في سجن الهوى^(٤) وحرم الله على قلبه الفوائد فلا

-
- (١) (الجريري) بضم الجيم نسبة إلى جرير بن عباد من بني بكر بن وائل .
 (٢) (سنة الهبيرة) التي كان فيها هلاك الناس وتهجيرهم أين تقطيعهم .
 (٣) (وهو مشير إلى الله تعالى بأصبعه) فيه تنبيه على أنه كان مشغولا بالله تعالى في وقت اشتغال الناس بأنفسهم عن أديانهم لشدة ما يطرقهم من المصائب الدنيوية لأنه لما وقع هذا الأمر العظيم على أنه لا نجاة منه إلا بربه فأقبل عليه وجلس مكانه متوجها إلى القبلة معرضا عن غيره فمات وهو كذلك مشيرا إليه وهكذا يكون العبد الواصل .
 (٤) (محصورا في سجن الهوى) أى لا يتفرغ للطاعات ولا يفرق بين ما ينفعه وما =

يستلذ بكلام الحق تعالى ولا يستحليه وإن كثّر ترداده على لسانه لقوله تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ وقال الجريري رؤية الأصول باستعمال الفروع وتصحيح الفروع بمعارضة الأصول ولا سبيل إلى مقام مشاهدة الأصول إلا بتعظيم ما عظم الله من الوسائط والفروع (ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأعمى) من كبار مشايخ الصوفية وعلمائهم كان الخراز يعظم شأنه وهو من أقران الجنيد وصاحب إبراهيم المارستاني ، مات سنة تسع وثلثمائة . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا سعيد القرشي يقول سمعت ابن عطاء يقول من ألزم نفسه آداب الشريعة نور الله قلبه بنور المعرفة ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم في أوامره وأفعاله وأخلاقه . وقال ابن عطاء أعظم الغفلة غفلة العبد عن ربه عز وجل وغفلته عن أوامره ونواهيه وغفلته عن آداب معاملته . سمعت أبا عبد الله الشيرازي رحمه الله يقول سمعت عبد الرحمن بن أحمد الصوفي يقول سمعت أحمد بن عطاء يقول كل ما سئلت عنه فاطلبه في مفازة العلم فإن لم تجده ففي ميدان الحكمة فإن لم تجده فزنه بالتوحيد فإن لم تجده في هذه المواضع الثلاثة فاضرب به وجه الشيطان (ومنهم أبو أسحق إبراهيم بن أحمد الخواص) من أقران الجنيد والنوري وله في التوكل والرياضات حظ كبير . مات بالرى سنة إحدى وتسعين ومائتين كان مبطوناً فكان كلما قام توضاً وعاد إلى المسجد وصلى ركعتين فدخل مرة الماء فمات رحمه الله . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت الخواص يقول ليس العالم بكثرة الرواية إنما العالم من اتبع العلم واستعمله واقتدى بالسنن وإن كان قليل العلم ، سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول سمعت الأزدي يقول سمعت الخواص يقول دواء القلب خمسة أشياء قراءة القرآن بالتدبر وخلاء البطن وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين (ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد الخراز) من أهل الرى جاور بمكة وصاحب أبا حفص وأبا عمران الكبير وكان من المتورعين

مات قبل العشرة والثلاثمائة . سمعت الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا نصر الطوسى يقول سمعت الدقى يقول دخلت على عبد الله الخراز ولى أربعة أيام لم أكل فقال يجوع أحدكم أربعة أيام فيصبح ينادى عليه الجوع ثم قال إيش يكون لو أن كل نفس منقوسة تلقت فيما تؤمله عند الله ترى يكون ذلك كثيرا . وقال أبو محمد عبد الله الخراز الجوع طعام الزاهدين والذكر طعام العارفين (**ومنهم أبو الحسن بنان بن محمد الحمال**) واسطى الأصل أقام بمصر ومات بها سنة ست عشرة وثلاثمائة كبير الشأن صاحب الكرامات . سئل بنان^(١) عن أجل أحوال الصوفية فقال الثقة بالمضمون^(٢) والقيام بالأوامر ومراعاة السر^(٣) والتخلّى من الكونين . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت الحسين بن أحمد الرازى يقول سمعت أبا على الروذبارى يقول ألقى بنان الحمال بين يدى السبع^(٤) فجعل السبع يشمه ولا يضره فلما أخرج قيل له ما الذى كان فى قلبك حيث شمك السبع قال كنت أفكر فى اختلاف العلماء فى سؤر السبع (**ومنهم أبو حمزة البغدادى البزاز**) مات قبل الجنيد وكان من أقرانه صاحب السرى والحسن المسوحى وكان عالماً بالقراءات فقيها وكان من أولاد عيسى بن أبان وكان أحمد بن حنبل يقول له فى المسائل ماتقول فيها يا صوفى . قيل كان يتكلم فى مجلسه يوم جمعة فتغير عليه الحال فسقط عن كرسيه ومات فى الجمعة التالية وقيل مات سنة تسع وثمانين ومائتين . قال أبو حمزة من علم طريق الحق تعالى سهل عليه سلوكه ولا دليل على الطريق إلى الله تعالى إلا متابعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى أحواله وأفعاله وأقواله وقال أبو حمزة من رزق ثلاثة أشياء فقد نجا من

(١) (بنان) بضم الموحدة وهى الباء .

(٢) (الثقة بالمضمون) وهو الرزق ليستريح عما يشغله عن الطاعات .

(٣) (السر) أى القلب لتكون الأعمال خالصة لله تعالى لا لطلب الجزاء الذى وعد الله به عليها ولا لغيره .

(٤) (ألقى بنان الحمال بين يدى السبع) بأمر ابن طولون حاكم مصر لما أمره بالمعروف أو لما نسب إلى خطأ فى الدين فإن الصوفية تجرى على ألسنتهم كلمات لا يفهمها غيرهم فينسب قائلها إلى ذلك فمنهم من ينسب إلى الزندقة ومنهم من ينسب إلى الحلول والمشى إلى السلاطين .

الآفات : بطن خال مع قلب قانع وفقر دائم معه زهد حاضر وصبر كامل معه ذكر دائم (ومنهم أبو بكر محمد بن موسى الواسطي) خراساني الأصل من فرغانة صاحب الجنيد والنوري عالم كبير الشأن أقام بمرور ومات بعد العشرين وثلاثمائة قال الواسطي الخوف والرجاء زمامان يمنعان من سوء الأدب وقال مطالعة الأعواض على الطاعات من نسيان الفضل وقال الواسطي إذا أراد الله بعبد هوانا ألقاه إلى هؤلاء الأنتان والجيف يريد بها صحبة الأحداث . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر محمد بن عبد العزيز المروزي يقول سمعت الواسطي رحمه الله يقول جعلوا سوء أدبهم إخلاصاً وشره نفوسهم انبساطاً ودناءة الهمم جلادة فعموا على الطريق وسلخوا فيه المضيق فلا حياة تنمو في شواهدهم ولا عبادة تزكوا في محاضرتهم إن نطقوا فبالغضب وإن خاطبوا فبالكبر توثب أنفسهم ينبئ عن خبيث ضمائرهم وشرهم في المأكول يظهر ما في سويداء أسرارهم « قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنِّي يُؤْفِكُون » . سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول سمع بعض المراززة إنساناً صيدلانياً يقول اجتاز الواسطي يوم الجمعة بباب حانوتي قاصداً إلى الجامع فانقطع شسع نعله فقلت أيها الشيخ أتأذن لي أن أصلح نعلك فقال أصلح فأصلحت شسعه فقال أتدري لم انقطع شسع نعلي فقلت حتى تقول قال لأنني ما اغتسلت للجمعة فقلت له يا سيدي ههنا حمام تدخله فقال نعم فأدخلته الحمام فاغتسل (ومنهم أبو الحسن بن الصائغ) واسمه علي بن محمد بن سهل الدينوري أقام بمصر ومات بها من كبار المشايخ قال أبو عثمان المغربي ما رأيت من المشايخ أنور من أبي يعقوب النهرجوري ولا أكثر هيبة من أبي الحسن بن الصائغ . مات سنة ثلاثين وثلاثمائة سئل ابن الصائغ عن الاستدلال بالشاهد على الغائب فقال كيف يستدل بصفات من له مثل ونظير علي من لا مثل له ولا نظير . وسئل عن صفة المريد فقال ما قال الله عز وجل « ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ » الآية . وقال الأحوال كالبروق فإذا ثبتت فهو حديث النفس وملازمة الطبع (ومنهم أبو إسحق إبراهيم بن داود الرقي) من كبار مشايخ الشام من أقران الجنيد وابن الجلاء وقد عمر وعاش إلى سنة ست وعشرين وثلاثمائة وقال إبراهيم

الرقى المعرفة إثبات الحق على ما هو خارجا عن كل ما هو موهوم . وقال القدرة ظاهرة والأعين مفتوحة ولكن أنوار البصائر قد ضعفت وقال أضعف الخلق من ضعف عن رد شهواته وأقوى الخلق من قوى على ردها وقال علامة محبة الله إثارة طاعته ومتابعة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم^(١) . (ومنهم مشاد النورى) من كبار مشايخهم مات سنة تسع وتسعين ومائتين قال مشاد أدب المريد فى التزام حرمان المشايخ وخدمة الإخوان والخروج عن الأسباب وحفظ آداب الشرع على نفسه . وقال مشاد ما دخلت قط على أحد من شيوخى إلا وأنا خال من جميع مالى أنتظر بركات ما يرد على من رؤيته وكلامه فإن من دخل على شيخ بحظه^(٢) . انقطع عن بركات رؤيته ومجالسته وكلامه (ومنهم خير النساج)^(٣) . صاحب أبا حمزة البغدادي ولقى السرى وكان من أقران أبى الحسن النورى إلا أنه عمر عمراً طويلاً وعاش كما قيل مائة وعشرين سنة وتاب فى مجلسه الشبلى والخواص وكان أستاذ الجماعة وقيل كان اسمه محمد بن إسماعيل من سامرة^(٤) . وإنما سمي خير النساج لأنه خرج إلى الحج فأخذه رجل على باب الكوفة وقال أنت عبدى واسمك خير وكان أسود فلم يخالفه^(٥) . واستعمله الرجل فى نسج الخز فكان يقول له يا خير فيقول لبيك ثم قال له الرجل بعد سنين غلظت لا أنت عبدى ولا اسمك خير فمضى وتركه وقال لا أغير اسماً سمانى به رجل مسلم . وقال الخوف سوط الله يقوم به أنفساً قد تعودت سوء الأدب . سمعت

(١) (ومتابعة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم) لأن المتابعة ثمرة المحبة فمن ادعى أنه يحب محبوباً ولم يتابعه كان كاذباً فى محبته ومن كلام الرقى قيمة كل إنسان بقدر همته فإن كانت همته الدنيا فلا قيمة له وإن كانت همته رضا الله فلا يمكن إدراك غاية قيمته ولا الوقوف عليها .

(٢) « بحظه ، أى برؤية نفسه أو بنية الامتحان أو معرفة ما عنده .

(٣) « النساج ، بفتح النون وبالجيم نسبة إلى نسج الثياب .

(٤) « من سامرة ، بضم الميم وتشديد الراء وبالهاء مدينة ويقال لها سامرا بألف بدل الهاء وسر من رأى وسامراء أيضاً بألف التأنيث الممدودة ونزل بغداد .

(٥) (فلم يخالفه) للضرورة فلم يبق له إلا الرضا بما قدره الله عليه إلى أن يفرج عنه .

الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت أبا الحسن القزوينى يقول سمعت أبا الحسين المالكى يقول سألت من حضر موت خير النساء عن أمره فقال لما حضرت موته عند صلاة المغرب غشى عليه ثم فتح عينيه وأوماً فى ناحية البيت وقال قف عافاك الله فإنما أنت عبد مأمور وأنا عبد مأمور وما أمرت به لا يفوتك وما أمرت به يفوتنى ودعا بماء فتوضأ للصلاة وصلى ثم تمدد وغمض عينيه وتشهد ومات فرؤى فى المنام فقيل ما فعل الله بك فقال لسائله لا تسألنى عن هذا ولكن استرحت من دنياكم الوضرة (ومنهم أبو حمزة الخراسانى) بنيسابور أصله من محلة ملقاباذ من أقران الجنيد والخراز وأبى تراب النخشبى وكان ورعاً ديناً . قال أبو حمزة من استشعر ذكر الموت حبيب الله إليه كل باق وبغض إليه كل فان . وقال العارف بالله يدافع عيشه يوماً بيوم ويأخذ عيشه يوماً ليوم وقال له رجل أوصنى فقال هبى زادك للسفر الذى بين يديك سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت أبا الطيب المكى يقول سمعت أبا الحسن المصرى يقول سمعت أبا حمزه الخراسانى يقول كنت قد أبقيت محرماً فى عباء أسافر كل سنة ألف فرسخ تطلع الشمس على وتغرب كلما حلت أحرمت توفى سنة تسعين ومائتين (ومنهم أبو بكر دلف بن جحدر الشبلى) بغدادى المولد والمنشأ وأصله من أسروشة صاحب الجنيد ومن فى عصره وكان شيخ وقته حالاً وظرفاً وعلماً مالكي المذهب عاش سبعة وثمانين سنة ومات سنة أربع وثلاثين وثلثمائة وقبره ببغداد ولما تاب الشبلى فى مجلس خير النساء أتى دماوند وقال كنت والى بلدكم فاجعلونى فى حل وكانت مجاهداته فى بدايته فوق الحد سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول بلغنى أنه اكتحل بكذا وكذا من الملح ليعتاد السهر ولا يأخذ النوم ولو لم يكن من تعظيمه للشرع إلا ما حكاه بكر بن الدينورى فى آخر عمره لكان كثيراً . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول كان الشبلى رحمه الله يقول فى آخر أيامه :

وكم من موضع لو مت فيه لكنك به نكالا فى العشيرة

وكان الشبلى إذا دخل شهر رمضان جد فوق جد من عاصره ويقول هذا شهر
عظمه ربى فأنا أول من يعظمه سمعت الأستاذ أبا على يحكى ذلك عنه (ومنهم
أبو محمد عبد الله بن محمد المرتعش) نيسابورى من محلة الحيرة وقيل من لقاء
صحب أبا حفص وأبا عثمان ولقى الجنيد وكان كبير الشأن وكان يقيم فى مسجد
الشونيزية ، مات ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة قال المرتعش الإرادة حبس النفس
عن مراداتها والإقبال على أوامر الله تعالى والرضا بموارد القضاء عليه وقيل له إن
فلانا يمشى على الماء فقال عندى أن من مكنه الله تعالى من مخالفة هواه فهو أعظم
من المشى فى الهواء^(١) . (ومنهم أبو على أحمد بن محمد الروذبارى) بغدادى أقام
بمصر ومات بها سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة صحب الجنيد والنورى وابن الجلاء
والطبعة أظرف المشايخ وأعلمهم بالطريقة . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى
رحمه الله يقول سمعت أبا القاسم الدمشقى يقول سئل أبو على الروذبارى عن يسمع
الملاهى ويقول هى لى حلال لأنى وصلت إلى درجة لا تؤثر فى اختلاف الأحوال
فقال نعم قد وصل ولكن إلى سقر . وسئل عن التصوف فقال هذا مذهب كله جد فلا
تخلطوه بشيء من الهزل . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت منصور بن
عبد الله يقول سمعت أبا على الروذبارى يقول من علامة الاغترار أن تسيء فيحسن الله
إليك فتترك الإنابة والتوبة توهما أنك تسامح فى الهفوات وترى أن ذلك من بسط الحق
لك . وقال كان أستاذى فى التصوف الجنيد وفى الفقه أبو العباس بن سريج وفى الأدب
ثعلب وفى الحديث إبراهيم الحربى (ومنهم أبو محمد عبد الله بن منازل) شيخ

(١) (أعظم من المشى فى الهواء) الذى هو أعظم من المشى على الماء وذلك لأن المشى
عليها من خوارق العادات وهى لا تعد كرامة إلا إذا قارنتها الاستقامة بأن لا يخل العبد
بشيء من مأموراته ومنهياته فالاستقامة هى الأصل والدليل على صحة الكرامات فمن
مكنه الله من نفسه وقهر له هواه حتى لا يخل بشيء من ذلك فهو المستقيم فالاستقامة
أفضل من أعلى الكرامات إذ حاصل كلامه أنه لما قيل له إن فلانا يمشى على الماء قال من
وهبه الله الاستقامة فقد وهب له ما هو أفضل من المشى فى الهواء الذى هو أفضل من
المشى على الماء .

اللامتية وأوحد وقته صحب حمدون القصار وكان عالما وكتب الحديث الكثير مات بنيسابور سنة تسع وعشرين أو ثلاثين وثلاثمائة سمعت محمد بن الحسن رحمه الله يقول سمعت عبد الله المعلم يقول سمعت عبد الله بن منازل يقول لم يضيع أحد فريضة من الفرائض إلا ابتلاه الله تعالى بتضييع السنن ولم يبل أحد بتضييع السنن إلا أوشك أن يبتلى بالبدع . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت أبا أحمد بن عيسى يقول سمعت عبد الله بن منازل يقول أفضل أوقاتك وقت تسلم فيه من هواجس نفسك ووقت تسلم الناس فيه من سوء ظنك (ومنهم أبو علي محمد بن عبد الوهاب الثقفي) إمام الوقت صحب أبا حفص وحمدون القصار وبه ظهر التصوف بنيسابور مات سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة . سمعت محمد ابن الحسين يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا علي الثقفي يقول لو أن رجلا جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ أو إمام أو مؤدب ناصح ومن لم يأخذ أدبه من أستاذ يريه عيوب أعماله ورعونات نفسه لا يجوز الاقتداء به في تصحيح المعاملات . وقال أبو علي رحمه الله يأتي على هذه الأمة زمان لا تطيب المعيشة فيه لمؤمن إلا بعد استناده إلى منافق وقال أف من اشتغال الدنيا إذا أقبلت وأف من حسراتها إذا أدبرت والعاقل من لا يركن إلى شيء إذا أقبل كان شغلا وإذا أدبر كان حسرة (ومنهم أبو الخير الأقطع) مغربي الأصل سكن تينات وله كرامات وفراسة حادة كان كبير الشأن مات سنة نيف وأربعين وثلاثمائة . قال أبو الخير ما بلغ أحد إلى حالة شريفة إلا بملازمة الموافقة ومعانقة الأدب وأداء الفرائض وصحبة الصالحين (ومنهم أبو بكر محمد بن علي الكتاني) بغدادى الأصل صحب الجنيد والخراساني والنورى وجاور بمكة إلى أن مات سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت أبا بكر الرازي يقول نظر الكتاني إلى شيخ أبيض الرأس واللحية يسأل الناس فقال هذا رجل أضاع حق الله في صغره فضيعه الله في كبره وقال الكتاني الشهوة زمام الشيطان من أخذ بزمامه كان عبده (ومنهم أبو يعقوب إسحق بن محمد

النهرجورى ^(١)) صحب أبا عمرو المكى وأبا يعقوب السوسى والجنيد وغيرهم مات بمكة مجاوراً بها سنة ثلاثين وثلاثمائة . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا الحسين أحمد بن على يقول سمعت النهرجورى يقول الدنيا بحر والآخرة ساحل والمركب التقوى والناس سفر ^(٢) . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت النهرجورى يقول رأيت رجلاً فى الطواف بفرد عين يقول أعوذ بك منك فقلت ما هذا الدعاء فقال نظرت يوماً إلى شخص فاستحسنته وإذا لطمة وقعت على بصرى فسالت عيني فسمعت هاتفاً يقول لطمة بنظرة ولو زدت لزدناك . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أحمد بن على يقول سمعت النهرجورى يقول أفضل الأحوال ما قارن العلم (ومنهم أبو الحسن على بن محمد المزين) من أهل بغداد من أصحاب سهل بن عبد الله والجنيد والطبقة مات بمكة مجاوراً سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وكان ورعاً كبيراً . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت المزين يقول الذنب بعد الذنب عقوبة الذنب الأول والحسنة بعد الحسنة ثواب الحسنة الأولى . وسئل المزين عن التوحيد فقال أن تعلم أن أوصافه تعالى بائنة لأوصاف خلقه باينهم بصفاته قدما كما باينوه بصفاتهم حدثاً . وقال من لم يستغن بالله أحوجه إلى الخلق ومن استغنى بالله أحوج الله إليه الخلق (ومنهم أبو على ابن الكاتب) واسمه الحسن بن أحمد صحب أبا على الروذبارى وأبا بكر المصرى وغيرهما كان كبيراً فى حالة مات سنة نيف وأربعين وثلاثمائة قال ابن الكاتب إذا سكن الخوف فى القلب لم ينطق اللسان إلا بما يعنيه . وقال ابن الكاتب المعتزلة نزهوا الله تعالى من حيث العقل فأخطأوا والصوفية نزهوه من حيث العلم فأصابوا (ومنهم

(١) (النهرجورى) بفتح النون والراء الأولى نسبة إلى نهرجورى بلدة بالمشرق

(٢) (سفر) بإسكان الفاء أى مسافرون فى المركب هذا من باب الاعتبار لأن الناس فى الدنيا ليسوا مقيمين لأنها ليست دار قرار فهم فيها كالمسافرين باختلاف الليل والنهار إلى آخر أعمارهم فأشبهت البحر . والآخرة دار استيطان فأشبهت ساحل البحر الذى هو للاستقرار فمن سافر إليها بحسن استعداد وكمال زاد وصل إلى محل القرار سالماً غانماً ومن فرط فى ذلك غرق وهلك وتوالى عليه الألم قبل الوصول وبعده لأن الآخرة دار الجزاء .

مظفر القرمسينى (من أشياخ الجبل صحب عبد الله الخراز وغيره . قال مظفر القرمسينى الصوم على ثلاثة أوجه صوم الروح بقصر الأمل وصوم العقل بخلاف الهوى وصوم النفس بالإمساك عن الطعام والمحارم . وقال مظفر أخس الأرفاق أرفاق النسوان على أى وجه كان . وقال الجوع إذا ساعدته القناعة فهو مزرعة الفكر وينبوع الحكمة وحياة الفطنة ومصباح القلب وقال أفضل أعمال العبيد حفظ أوقاتهم الحاضرة وهو أن لا يقصروا فى أمر ولا يتجاوزوا عن حد وقال من يأخذ الأدب عن حكيم لم يتأدب به مريد (ومنهم أبو بكر عبد الله بن طاهر الأبهري) من أقران الشبلى من مشايخ الجبل عالم ورع صحب يوسف بن الحسين وغيره مات بقرب من الثلاثين والثلاثمائة . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا بكر بن طاهر يقول من حكم الفقير أن لا يكون له رغبة فإن كان ولا بد فلا يجاوز رغبته كفايته يعنى المحتاج إليه . وبهذا الإسناد قال إذا أحببت أخاً فى الله فاقلل مخالطته فى الدنيا (ومنهم أبو الحسين بن بنان) ينتمى إلى أبى سعيد الخراز من كبار مشايخ مصر قال ابن بنان كل صوفى كان هم الرزق قائماً فى قلبه فلزوم العمل أقرب إليه وعلامة سكون القلب إلى الله أن يكون بما فى يد الله أوثق منه بما فى يده وقال اجتنبوا دناءة الأخلاق كما تجتنبون الحرام (ومنهم أبو إسحق إبراهيم بن شيبان القرمسينى) شيخ وقته صحب أبا عبد الله المغربى والخواص وغيرهما . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا يزيد المروزى الفقيه يقول سمعت إبراهيم بن شيبان يقول من أراد أن يتعطل أو يتبطل فليلزم الرخص . وبهذا الإسناد قال علم الفناء والبقاء يدور على إخلاص الوجدانية وصحة العبودية ما كان غير هذا فهو المغاليط والزندقة وقال إبراهيم السفلة ^(١) . من يعصى الله عز وجل ^(٢) . (ومنهم أبو بكر الحسين بن على بن يزدانيار) من أرمينية له طريقة يختص بها فى التصوف وكان عالماً ورعاً وكان ينكر على بعض العارفين

(١) (السفلة) بكسر الفاء وهم أراذل الناس .

(٢) (من يعصى الله عز وجل) ولم يتب أى كان مصراً على المعصية ومن كلامه من =

فى إطلاقات وألفاظ لهم . قال ابن يزدانيار إياك أن تطمع فى الأنس بالله وأنت تحب
الأنس بالناس وإياك أن تطمع فى حب الله وأنت تحب الفضول وإياك أن تطمع فى
المنزلة عند الله وأنت تحب المنزلة عند الناس (**ومنهـم أبو سعيد بن الأعرابى**) واسمه
أحمد بن محمد بن زياد البصرى جاور الحرم ، ومات به سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة
صحب الجنيد وعمرو بن عثمان المكى والنورى وغيرهم قال ابن الأعرابى أخسر
الأخسرين من أبدى للناس صالح أعماله وبارز بالقبيح من هو أقرب إليه من حبل
الوريد (**ومنهـم أبو عمرو محمد بن إبراهيم الزجاجى النيسابورى**) جاور بمكة سنين
كثيرة ومات بها صاحب الجنيد وأبا عثمان والنورى والخواص وروى ما . مات سنة
ثمان وأربعين وثلاثمائة . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت
جدى أبا عمرو بن نجيد يقول سئل أبو عمرو الزجاجى ما بالك تتغير عند التكبير
الأولى فى الفرائض فقال لأنى أخشى أن أفتتح فريضتى بخلاف الصدق فمن يقول
الله أكبر وفى قلبه شىء أكبر منه أو قد كبر شيئا سواه على مرور الأوقات فقد كذب
نفسه على لسانه وقال من تكلم عن حال لم يصل إليها كان كلامه فتنة لمن يسمعه
ودعوى تتولد فى قلبه وحرمة الله الوصول إلى تلك الحال وقد جاور بمكة سنين كثيرة
لم يتطهر فى الحرم بل كان يخرج إلى الحل ويتطهر فيه احتراماً للحرم (**ومنهـم أبو**
محمد جعفر بن محمد بن نصير) بغدادى المنشأ والمولد صاحب الجنيد وانتمى إليه
وصحب النورى وروى ما وسمنون والطبقة . مات ببغداد سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة
قال جعفر لا يجد العبد لذة المعاملة مع الله مع لذة النفس لأن أهل الحقائق قطعوا
العلائق التى تقطعهم عن الحق قبل أن تقطعهم العلائق سمعت محمد بن الحسين يقول
سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت جعفر بن محمد يقول إن ما بين العبد وبين

= ترك حرمة المشايخ ابتلى بالدعاوى الكاذبة وافتضح بها ومن تكلم فى الإخلاص ولم
يطالب نفسه به ابتلاه الله بهتك ستره عند أقرانه وإخوانه ومن كلامه قال لى أبى يا بنى
تعلم العلم لآداب الظاهر واستعمل الورع لآداب الباطن وإياك أن يشغلك عن الله شاغل فقل
من أعرض عنه فأقبل عليه .

الوجود أن تسكن التقوى قلبه فإذا سكنت التقوى قلبه نزلت عليه بركات العلم وزالت عنه رغبة الدنيا (ومنهم أبو العباس السيارى)^(١) . واسمه القاسم بن القاسم من مرو صحت الواسطى وانتمى إليه فى علوم هذه الطائفة وكان عالما . مات سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة سئل أبو العباس السيارى بماذا يروض المريد نفسه فقال بالصبر على فعل الأوامر واجتناب النواهى وصحبة الصالحين وخدمة الفقراء وقال ما التذ عاقل بمشاهدة الحق قط لأن مشاهدة الحق فناء ليس فيها لذة^(٢) . (ومنهم أبو بكر محمد ابن داود الدينورى) المعروف بالدقى أقام بالشام وعاش أكثر من مائة سنة مات بدمشق بعد الخمسين والثلاثمائة صحب ابن الجلاء والزقاق قال أبو بكر الدقى المعدة موضع يجمع الأطعمة فإذا طرحت فيها الحلال صدرت الأعضاء بالأعمال الصالحة وإذا طرحت فيها الشبهة اشتبه عليك الطريق إلى الله وإذا طرحت فيها التبعات كان بينك وبين أمر الله حجاب (ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد الرازى) مولده ومنشؤه بنيسابور صحب أبا عثمان الحيرى والجديد ويوسف بن الحسين وروىما وسمنونا وغيرهم مات سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت عبد الله الرازى يقول وقد سئل ما بال الناس يعرفون عيوبهم ولا يرجعون إلى الصواب فقال لأنهم اشتغلوا بالمباهاة بالعلم ولم يشتغلوا باستعماله واشتغلوا بالظواهر ولم يشتغلوا بأداب البواطن فأعمى الله قلوبهم وقيد جوارحهم عن العبادات (ومنهم

(١) (السيارى) نسبة إلى سيار جد المذكور .

(٢) (فناء ليس فيها لذة) فالمراد فناء الفناء لأن العبد متى كمل شغله بربه حتى فنى عن ذكر غيره من قلبه كان فناء وإن قوى شغله به حتى نسى نفسه كان فناء الفناء فالمشاهدة مقولة بالتشكيك لأن فيها أعلى وهو المسمى بفناء الفناء كما ذكر وأدنى بأن يكون العبد مشاهداً لمولاه قليل الغفلة عنه ناظراً لما يرد عليه من فضله وهو مدرك لنفسه ومولاه وتفضله عليه فهذا فناء فيه لذة قالوا فناء فى الأفعال لا فاعل إلا الله وفناء فى الصفات لا حى ولا عالم ولا قادر ولا مريد ولا سميع ولا بصير ولا متكلم على الحقيقة إلا الله وفناء فى الذات لا موجود على الإطلاق إلا الله وأنشدوا فى ذلك :

فيفىنى ثم يفىنى ثم يفىنى فكان فناؤه عين البقاء

أبو عمرو إسماعيل بن نجيد) صحب أبا عثمان ولقى الجنيد وكان كبير الشأن آخر من مات من أصحاب أبي عثمان توفى بمكة سنة ست وستين وثلثمائة سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت جدى أبا عمرو بن نجيد يقول كل حال لا يكون عن نتيجة علم فإن ضرره على صاحبه أكثر من نفعه قال وسمعتة يقول من ضيع فى وقت من أوقاته فريضة افترضها الله عليه حرم لذة تلك الفريضة ولو بعد حين . قال وسئل عن التصوف فقال الصبر تحت الأمر والنهى وقال آفة العبد رضاه من نفسه بما هو فيه (**ومنهم أبو الحسن على بن أحمد بن سهل البوشنجى**) أحد فتیان خراسان لقى أبا عثمان وابن عطاء والجريرى وأبا عمرو الدمشقى . مات سنة ثمان وأربعين وثلثمائة . وسائل البوشنجى عن المروءة فقال هى ترك استعمال ما هو محرم عليك مع الكرام الكاتبين وقال له إنسان ادع الله لى فقال أعاذك الله من فتنتك وقال أول الإيمان منوط بآخره (**ومنهم أبو عبد الله بن خفيف الشيرازى**) صحب رويما والحريرى وابن عطاء وغيرهم . مات سنة إحدى وتسعين وثلثمائة وهو شيخ الشيوخ وأوحد وقته قال ابن خفيف الإرادة استدامة الكد وترك الراحة وقال ليس شئ أضر على المرید من مسامحة النفس فى ركوب الرخص وقبول التأويلات وسئل عن القرب فقال قريك منه تعالى بملازمة الموافقات وقربه منك بدوام التوفيق . سمعت أبا عبد الله الصوفى يقول سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول ربما كنت أقرأ فى ابتداء أمرى فى ركعة واحدة عشرة آلاف مرة ﴿ قل هو الله أحد ﴾ وربما كنت أقرأ فى ركعة واحدة القرآن كله وربما كنت أصلى من الغداة إلى العصر ألف ركعة . سمعت أبا عبد الله بن باكويه الشيرازى رحمه الله يقول سمعت أبا أحمد الصغير يقول دخل يوما من الأيام فقير فقال للشيخ أبى عبد الله بن خفيف بى وسوسة فقال الشيخ عهدى بالصوفية يسخرون من الشيطان والآن الشيطان يسخر منهم وسمعتة يقول سمعت أبا العباس الكرخى يقول سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول ضعفت عن القيام فى النوافل فجعلت بدل

كل ركعة^(١). من أورادى ركعتين قاعدا للخبر ، صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم ، (ومنهم أبو الحسين بندار بن الحسين الشيرازي) كان عالما بالأصول كبيرا في الحال صحب الشبلي مات بأرجان سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة قال بندار بن الحسين لا تخاصم لنفسك^(٢). فإنها ليست لك دعها لمالكها يفعل بها ما يريد وقال بندار صحبة أهل البدع تورث الإعراض عن الحق وقال بندار أترك ما تهوى لما تأمل (ومنهم أبو بكر الطمستاني) صحب إبراهيم الدباغ وغيره وكان أوحده وقته علما وحالا . مات بنيسابور بعد سنة أربعين وثلثمائة قال أبو بكر الطمستاني النعمة العظمى الخروج من النفس والنفس أعظم حجاب بينك وبين الله سمعت أبا عبد الله الشيرازي رحمه الله يقول سمعت منصور بن عبد الله الأصبهاني يقول سمعت أبا بكر الطمستاني يقول إذا هم القلب عوقب في الوقت وقال الطريق واضح والكتاب والسنة قائم بين أظهرنا وفضل الصحابة معلوم لسبقهم إلى الهجرة ولصحبتهم فمن صحب منا الكتاب والسنة وتغرب عن نفسه والخلق وهاجر بقلبه إلى الله فهو الصادق المصيب (ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد الدينوري) صحب يوسف بن الحسين وابن عطاء والجريري وكان عالما فاضلا ورد نيسابور وأقام بها مدة وكان يعظ الناس ويتكلم على لسان المعرفة ثم ذهب إلى سمرقند ومات بها بعد الأربعين وثلثمائة قال أبو العباس الدينوري أدنى الذكر أن تنسى ما دونه ونهاية الذكر أن يغيب الذاكر في الذكر عن الذكر وقال أبو العباس لسان الظاهر لا يغير حكم الباطن وقال أبو العباس الدينوري نقضوا أركان التصوف وهدموا سبيلها وغيروا معانيها بأسامي أحدثوها سموا

(١) (فجعلت بدل كل ركعة .. إلخ) في ذلك دلالة على كمال اجتهاده وحمل الحديث على ظاهره احتياطا ورغبة في الأجر وإلا فغيره من الفقهاء حملوه على القادر فالعاجز مساويه في الأجر ومن كلامه الأكل مع الفقراء قرينة إلى الله تعالى .

(٢) (لا تخاصم لنفسك .. إلخ) فيه الإشارة للأمر بترك الأخلاق الذميمة إذ العبد إنما يخاصم عن ملكه فإذا علم أن نفسه وما يملكه ملك لربه اعتمد عليه واكتفى بحسن نظر الله تعالى إليه فإنه القادر على جلب ما ينفعها ودفع ما يضرها وحصل له التوكل والرضا بما يجريه الحق عليه في السعة أو غيرها .

الطمع زيادة وسوء الأدب إخلاصا والخروج عن الحق شطحا والتلذذ بالمذموم طيبة واتباع الهوى ابتلاء والرجوع إلى الدنيا وصلا وسوء الخلق صولة والبخل جلادة والسؤال عملا وبذاءة اللسان ملامة وما هذا كان طريق القوم (ومنهم أبو عثمان سعيد بن سلام المغربي) واحد عصره لم يوصف مثله قبله صحب ابن الكاتب وحبيبا المغربي وأبا عمرو الزجاجي ولقى النهرجوري وابن الصايغ وغيرهم . مات بنيسابور سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة وأوصى بأن يصلى عليه الإمام أبو بكر بن فورك رحمه الله تعالى . سمعت الأستاذ أبا بكر بن فورك يقول كنت عند أبي عثمان المغربي حين قرب أجله وعلى القوال الصغير يقول شيئا فلما تغير عليه الحال أشرنا على بالسكوت ففتح الشيخ أبو عثمان عينيه وقال لم لا يقول على شيئا فقلت لبعض الحاضرين سلوه علام يسمع المستمع فإنى أحترشمه فى تلك الحال فسألوه فقال إنما يسمع من حيث يسمع وكان فى الرياضة كبير الشأن وقال أبو عثمان التقوى هى الوقوف مع الحدود لا يقصر فيها ولا يتعدها وقال من أثر صحبة الأغنياء على مجالسة الفقراء ابتلاه الله بموت القلب (ومنهم أبو القاسم إبراهيم محمد النصراباذى) شيخ خراسان فى وقته صحب الشبلى وأبا على الروذبارى والمرتعش جاور بمكة حرسها الله تعالى سنة ست وستين وثلاثمائة ومات بها سنة تسع وستين وثلاثمائة وكان عالما بالحديث كثير الرواية . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت النصراباذى يقول إذا بدا لك شىء من بوادى الحق فلا تلتفت معها إلى جنة ولا إلى نار فإذا رجعت عن تلك الحال فعظم ما عظمه الله . وسمعت محمد بن الحسين يقول قيل للنصراباذى إن بعض الناس يجالس النسوان ويقول أنا معصوم فى رؤيتهن فقال ما دامت الأشباح باقية فإن الأمر والنهى باق والتحليل والتحريم مخاطب به ولن يجترئ على الشبهات إلا من تعرض للمحرمات ، وسمعت محمد بن الحسين يقول قال النصراباذى أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع وتعظيم حرمان المشايخ ورؤية أعداء الخلق ^(١) . والمداومة على الأوراد وترك ارتكاب الرخص

(١) (ورؤية أعداء الخلق) أى قبولها منهم تلك الرؤية تدل على كمال المعرفة بانفراد =

والتأويلات . (ومنهم أبو الحسن علي بن إبراهيم الحصرى البقرى) سكن بغداد عجيب الحال واللسان شيخ وقته ينتمى إلى الشبلى مات ببغداد سنة إحدى وسبعين وثلثمائة قال الحصرى الناس يقولون الحصرى لا يقول بالنوافل وعلى أورد من حال الشباب لو تركت ركعة لعوقبت وقال من ادعى فى شىء من الحقيقة كذبت شواهد كشف البراهين (ومنهم أبو عبد الله أحمد بن عطاء الروذبارى) ابن أخت الشيخ أبى على الروذبارى شيخ الشام فى وقته مات بصور سنة تسع وستين وثلثمائة . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت على بن سعيد المصيصى يقول سمعت أحمد بن عطاء الروذبارى يقول كنت راكباً جملاً فغاصت رجلاً فى الرمل فقلت جل الله فقال الجمل جل الله وكان أبو عبد الله الروذبارى إذا دعا أصحابه معه إلى دعوة فى دور السوق ومن ليس من أهل التصوف لا يخبر الفقراء بذلك وكان يطعمهم شيئاً فإذا فرغوا أخبرهم ومضى بهم فكانوا قد أكلوا فى الوقت فلا يمكنهم أن يمدوا أيديهم إلى طعام الدعوة إلا بالتعزز وإنما كان يفعل ذلك لئلا تسوء ظنون الناس بهذه الطائفة فيأثموا بسببهم وقيل كان أبو عبد الله الروذبارى يمشى على أثر الفقراء يوماً وكذا كانت عادته أن يمشى على أثرهم وكانوا يمضون إلى دعوة فقال إنسان يقال هؤلاء المستحلون ويسط لسانه فيهم وقال فى أثناء كلامه إن واحداً منهم قد استقرض منى مائة درهم ولم يردّها ولست أدري أين أطلبه فلما دخلوا دار الدعوة قال أبو عبد الله الروذبارى لصاحب الدار وكان من محبى هذه الطائفة ائتنى بمائة درهم إن أردت سكون قلبى فأتاه بها فى الوقت فقال لبعض أصحابه احمل هذه المائة إلى البقال الفلانى وقل له هذه المائة التى استقرضها منك بعض أصحابنا وقد وقع له فى التأخير بها عذر وقد بعثها الآن فاقبل عذره فمضى الرجل وفعل فلما رجعوا من

= الحق بالأفعال وعلى خروج غيره عن القدرة على إحداث شىء فإذا علم العبد ذلك عذر الخلق فيما ينصرفون فيه أقله بعجزهم عما يصلحهم ويدفع عنهم ما يؤذيهم ومع هذا يقيم عليهم الحدود وينكر عليهم ما لا ينبغي فعله امتثالاً لأمر الله تعالى وهذا هو الصراط المستقيم الذى هو أدق من الشعرة وأرق من السيف (هذه الطائفة) وعددهم ثلاث وثمانون .

الدعوة اجتازوا بحانوت البقال فأخذ البقال فى مدحهم يقول هؤلاء هم الثقة الأمناء الصلحاء وما أشبه ذلك وقال أبو عبد الله الروذبارى أقبح من كل قبيح صوفى شحيح .

قال أبو القاسم الأستاذ الإمام جمال الإسلام رضى الله تعالى عنه هذا^(١) . هو ذكر جماعة من شيوخ هذه الطائفة كان الغرض من ذكرهم فى هذا الموضوع التنبيه على أنهم مجمعون على تعظيم الشريعة متصفون بسلوك طرق الرياضة مقيمون على متابعة السنة غير مخلين بشيء من آداب الديانة متفقون على أن من خلا من المعاملات والمجاهدات ولم يبن أمره على أساس الورع والتقوى كان مفتريا على الله سبحانه وتعالى فيما يدعيه مفتونا هلك فى نفسه وأهلك من اغتربه ممن ركن إلى أباطيله ولو تقصينا وتتبعنا ما ورد عنهم من ألفاظهم وحكاياتهم ووصف سيرهم مما يدل على أحوالهم لطال به الكتاب وحصل منه الملل وفى هذا القدر الذى لوحنا به فى تحصيل المقصود غنية وبالله التوفيق (فأما المشايخ) الذين أدركناهم وعاصرناهم وإن لم يتفق لنا لقياهم مثل الأستاذ الشهيد لسان وقته وأوحد عصره أبى على الحسن بن على الدقاق والشيخ نسيج وحده فى وقته أبى عبد الرحمن السلمى وأبى الحسن على بن جهضم مجاور الحرم والشميخ أبى العباس القصار بطبرستان وأحمد الأسود بالدينور وأبى القاسم الصيرفى بنيسابور وأبى سهل الخشاب الكبير بها ومنصور بن خلف المغربى وأبى سعيد المالينى وأبى طاهر الخوزندى قدس الله أرواحهم وغيرهم فلو اشتغلنا بذكرهم وتفصيل أحوالهم لخرجنا عن المقصود فى الإيجاز وغير ملتبس من أحوالهم حسن سيرتهم فى معاملاتهم وسنورد من حكاياتهم طرفا فى مواضع من هذه الرسالة إن شاء الله .

باب

فى تفسير ألفاظ تدور بين هذه الطائفة

وبيان ما يشكل منها

اعلم أن من المعلوم أن كل طائفة من العلماء لهم لفاظ يستعملونها انفراداً بها عن سواهم تواطئوا عليها لأغراض لهم فيها من تقريب الفهم على المخاطبين بها أو تسهيل^(١). على أهل تلك الصنعة فى الوقوف على معانيهم بإطلاقها^(٢). وهذه الطائفة يستعملون ألفاظاً فيما بينهم قصدوا بها الكشف عن معانيهم لأنفسهم والإجمال والستر على من باينهم فى طريقتهم لتكون معانى ألفاظهم مستبهمة على الأجانب غيرة منهم على أسرارهم أن تشيع فى غير أهلها إذ ليست حقائقهم مجموعة بنوع تكلف أو مجلوبة بضرب تصرف بل هى معان أودعها الله تعالى قلوب قوم واستخلص لحقائقها أسرار قوم ونحن نريد بشرح هذه الألفاظ تسهيل الفهم على من يريد الوقوف على معانيهم من سالكى طرقهم ومتبعى سنتهم . فمن ذلك (الوقت) حقيقة الوقت عند أهل التحقيق حادث متوهم^(٣). علق حصوله على حادث متحقق وقوعه فيه^(٤). فالحادث المتحقق وقت للحادث المتوهم تقول آتيك رأس الشهر فالإتيان متوهم ورأس الشهر حادث متحقق فرأس الشهر وقت الإتيان سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله تعالى يقول الوقت ماأنت فيه إن كنت بالدنيا فوقتك الدنيا

(١) (أو تسهيل) الأولى وتسهيل ليكون عطف تفسير بالواو التى هى لمطلق الجمع .

(٢) (بإطلاقها) كأهل أصول الدين حيث اصطلاحوا على إطلاق العالم والخير والوقت والجوهر والسكون والحال وغيرها لمعان أرادوها وربما وافق بعضها مقتضى اللغة على وضعها الحقيقى .

(٣) (حادث متوهم) أى متوهم وقوعه فى المستقبل .

(٤) (حادث متحقق وقوعه فيه) صوابه حادث متحقق عليه حصول حادث متوهم بدليل قوله فالحادث .. إلخ والله أعلم .

وإن كنت بالعقبى فوقتك العقبى وإن كنت بالسرور فوقتك السرور وإن كنت بالحزن فوقتك الحزن يريد بهذا أن الوقت ما كان هو الغالب على الإنسان وهم يعنون بالوقت ما هو فيه من الزمان فإن قوماً قالوا الوقت ما بين الزمانين يعنى الماضى والمستقبل ويقولون الصوفى ابن وقته يريدون بذلك أنه مشغل بما هو أولى به من العبادات فى الحال قائم بما هو مطالب به فى الحين وقيل الفقير لا يهتم ماضى وقته وآتية بل يهتم وقته الذى هو فيه وقيل الاشتغال بفوات وقت ماضٍ تضييع وقت ثان وقد يريدون بالوقت ما يصادفهم من تصريف الحق لهم دون ما يختارونه لأنفسهم ويقولون فلان بحكم الوقت أى أنه مستسلم لما يبدو له من الغيب من غير اختيار له وهذا فيما ليس لله تعالى عليهم فيه أمر أو اقتضاء بحق شرع إذ التضييع لما أمرت به وإحالة الأمر فيه على التقدير وترك المبالاة بما يحصل منك من التقصير خروج عن الدين ومن كلامهم الوقت سيف أى كما أن السيف قاطع فالوقت بما يمضيه الحق ويجريه غالب وقيل السيف لين مسه قاطع حده فمن لايته سلم ومن خاشته اصطلح كذلك الوقت من استسلم لحكمه نجا ومن عارضه انتكس وتردى .. وأنشدوا فى ذلك :

وكالسيف إن لايته لان مسه وحده إن خاشته خشان

ومن ساعده الوقت فالوقت له وقت ومن ناكده الوقت فالوقت عليه مقت .
وسمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول الوقت مبرد يسحقك ولا يحققك يعنى لو محاك وأفناك لتخلصت حين فنيت لكنه يأخذ منك ولا يحوك بالكلية وكان ينشد فى هذا المعنى .

كل يوم يمر يأخذ بعضى يورث القلب حسرة ثم يمضى

وكان ينشد أيضاً :

كأهل النار إن نضجت جلود أعيدت للشقاء لهم جلود

وفى معناه :

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

والكيس من كان بحكم وقته إن كان وقته الصحو فقيامه بالشرعية وإن كان وقته المحو فالغالب عليه أحكام الحقيقة ^(١) . ومن ذلك (**المقام**) والمقام ما يتحقق به العبد بمنزلته من الآداب مما يتوصل إليه بنوع تصرف ويتحقق به بضرب تطلب ومقاساة تكلف فمقام كل أحد موضع إقامته عند ذلك وما هو مشتغل بالرياضة له وشرطه أن لا يرتقى من مقام إلى مقام آخر ما لم يستوف أحكام ذلك المقام فإن من لا قناعة له لا يصح له التوكل ومن لا توكل له لا يصح له التسليم وكذلك من لا توبة له لا تصلح له الإنابة ومن لا ورع له لا يصح له الزهد والمقام هو الإقامة كالمدخل بمعنى الإدخال والمخرج بمعنى الإخراج ولا يصح لأحد منزلة مقام إلا بشهود إقامة الله تعالى إياه بذلك المقام ليصح بناء أمره على قاعدة صحيحة سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله تعالى يقول لما دخل الواسطى نيسابور سأل أصحاب أبي عثمان بما كان يأمركم شيخكم فقالوا كان يأمرنا بالتزام الطاعات ورؤية التقصير فيها فقال أمركم بالمجوسية المحضة هلا أمركم بالغيبه عنها برؤية منشئها ومجريها وإنما أراد الواسطى بهذا صيانتهم عن محل الإعجاب لا تعريجاً في أوطان التقصير أو تجويزاً للإخلال بأدب الآداب ومن ذلك (**الحال**) والحال عند القوم معنى يرد على القلب من غير تعمد منهم ولا اجتلاب ولا اكتساب لهم من طرب أو

(١) (فالغالب عليه أحكام الحقيقة) لأن من غاب عن إدراك نفسه وغيره فهو مشغول بالحق عن الخلق ومع ذلك لا يجرى عليه حينئذ ما يخالف الشريعة فحصل من مجموع ما ذكر أنهم يطلقون الوقت على ما غلب من الحال وعلى ما كان عمارة للزمان وعلى ما يصرف الله العبد فيه من المقدورات بغير اختيار وأنهم لقبوا الوقت بأنه سيف لأنه يقطع عمر العبد فإن لم يقطعه بخير انقطع عمره بغفلة وأنهم لقبوه أيضاً بأنه مبرد بمعنى أنه لا يستغرق العبد حتى يغيب عن إحساسه بل لا بد أن يدرك ما هو فيه من غلبة حال أو عمارة أو تصريف من الحق ولو استغرق لم يسموه وقتاً .

حزن أو قبض أو شوق أو انزعاج أو هبة أو احتياج فالأحوال مواهب والمقامات مكاسب والأحوال تأتي من عين الوجود والمقامات تحصل ببذل المجهود وصاحب المقام ممكن في مقام وصاحب الحال مترق عن حاله وسئل ذو النون المصري عن العارف فقال كان ههنا فذهب وقال بعض المشايخ الأحوال كالبروق فإن بقي فحديث نفس وقالوا الأحوال كاسمها يعنى أنها كما تحل بالقلب تزول في الوقت وأنشدوا :

لو لم تحل ما سميت حالا وكل ما حال فقد زالا

انظر إلى الفناء إذا ما انتهى يأخذ في النقص إذا طالا

وأشار قوم إلى بقاء الأحوال ودوامها وقالوا إنها إذا لم تدم ولم تتوال فهي لوائح وبواده ولم يصل صاحبها بعد إلى الأحوال فإذا دامت تلك الصفة فعند ذلك يسمى حالا وهذا أبو عثمان الحيرى يقول منذ أربعين سنة ما أقامنى الله تعالى فى حال فكرهته أشار إلى دوام الرضا والرضا من جملة الأحوال فالواجب فى هذا أن يقال إن من أشار إلى بقاء الأحوال فصحيح ما قال فقد يصير المعنى شرباً لأحد فيرى فيه ولكن لصاحب هذه الحال أحوال هى طوارق لا تدوم فوق أحواله التى صارت شرباً له فإذا دامت هذه الطوارق له كما دامت الأحوال المتقدمة ارتقى إلى أحوال آخر فوق هذه وأطف من هذه فأبدا يكون فى الترقى . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول فى معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم ، إنه ليغان على قلبى حتى أستغفر الله تعالى فى اليوم سبعين مرة ، أنه كان صلى الله عليه وآله وسلم أبداً فى الترقى من أحواله فإذا ارتقى من حالة إلى حالة أعلى مما كان فيها فربما حصل له ملاحظة إلى ما ارتقى عنها فكان يعدها غينا بالإضافة إلى ما حصل فيها فأبدا كانت أحواله فى التزايد ومقدورات الحق سبحانه من الألفاظ لا نهاية لها فإذا كان حق الحق تعالى العز وكان الوصول إليه بالتحقيق محالا فالعبد أبدا فى ارتقاء أحواله فلا معنى يوصل إليه إلا وفى مقدوره سبحانه ما هو فوقه يقدر أن يوصله إليه وعلى هذا يحمل قولهم ، حسنات الأبرار سيئات المقربين ، وسئل

الجنيد عن هذا فأنشد :

طوارق أنوار^(١) تلوح إذا بدت فتظهر كتماننا وتخبر عن جمع

ومن ذلك (القبض والبسط) وهما حالتان بعد ترقى العبد عن حالة الخوف والرجاء والقبض للعارف بمنزلة الخوف للمستأنف والبسط للعارف بمنزلة الرجاء للمستأنف ومن الفصل بين القبض والخوف والبسط والرجاء أن الخوف إنما يكون من شيء في المستقبل إما أن يخاف فوت محبوب أو هجوم محذور وكذلك الرجاء إنما يكون يتأمل محبوب في المستقبل أو بتطلع زوال محذور وكفاية مكروه في المستأنف وأما القبض^(٢) . فلمعنى حاصل في الوقت وكذلك البسط فصاحب الخوف والرجاء تعلق قلبه في حالتيه بآجله وصاحب القبض والبسط أخذ وقته بوادره غلب عليه في عاجله ثم تتفاوت نعتهم في القبض والبسط على حسب تفاوتهم في أحوالهم فمن وارد يوجب قبضا ولكن يبقى مساغ للأشياء الآخر لأنه غير مستوف ومن مقبوض لا مساغ لغير وارده فيه لأنه مأخوذ عنه بالكلية بوارده كما قال بعضهم أنا ردّم أى مساغ فى وكذلك المبسوط قد يكون فيه بسط يسع الخلق فلا يستوحش من أكثر الأشياء ويكون مبسوطا لا يؤثر فيه شيء بحال من الأحوال سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول دخل بعضهم على أبى بكر القحطى وكان له ابن يتعاطى ما يتعاطاه الشباب وكان ممر هذا الداخل على هذا الابن فإذا هو مع أقرانه فى اشتغاله ببطالته فرق قلبه وتألم للقحطى وقال مسكين هذا الشيخ كيف ابتلى بمقاساة هذا الابن فلما دخل على القحطى وجده كأنه لا خبر له بما يجرى عليه من

(١) (طوارق أنوار .. إلخ) أى المقامات أولها طوارق تلوح إذا ظهرت ونهايتها أنها إذا قويت بعد ظهورها أظهرت الجمع وكمال الحال وكتمان السر فأول المقام طوارق ونهايته جمع كمال حال وكتمان سر فأشار بالأول إلى مقام الأبرار وبالثانى إلى مقام المقربين .

(٢) (وأما القبض .. إلخ) معنى ذلك أن العبد قد يتقدم له الخوف من ضرر يخشاه فى المستقبل فإذا حل به انقبض والرجاء تأمل حصول محبوب فى المستقبل فإذا حصل انبسط فمتعلق الخوف والرجاء أمر يحصل فى الزمن الآجل أى المستقبل ومتعلق القبض والبسط أمر يحصل فى الوقت العاجل كما أشار إلى ذلك بقوله فصاحب .. إلخ .

الملاهي فتعجب منه وقال فديت من لا تؤثر فيه الجبال الرواسي فقال القحطى إنا قد حررنا عن رق الأشياء فى الأزل ، ومن أدنى موجبات القبض أن يرد على قلبه وارد موجب إشارة إلى عتاب ورمز باستحقاق تأديب فيحصل فى القلب لا محالة قبض وقد يكون موجب بعض الواردات إشارة إلى تقرب أو إقبال بنوع لطف وترحيب فيحصل للقلب بسط وفى الجملة قبض كل أحد على حسب بسطه وبسطه على حسب قبضه وقد يكون قبض يشكل على صاحبه سببه يجد فى قلبه قبضا لا يدري موجب ولا سببه فسبيل صاحب هذا القبض التسليم حتى يمضى ذلك الوقت لأنه لو تكلف نفية أو استقبل الوقت قبل هجومه عليه باختياره زاد فى قبضه ولعله يعد ذلك منه سوء أدب وإذا استسلم لحكم الوقت فعن قريب يزول القبض فإن الحق سبحانه قال ﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ ﴾ وقد يكون بسط يرد بغتة ويصادف صاحبه فلة لا يعرف له سببا يهز صاحبه ويستغفره فسبيل صاحبه السكون ومراعاة الأدب فإن فى هذا الوقت له خطرا عظيما فليحذر صاحبه مكر خفيا كذا قال بعضهم فتح على باب البسط فزلت زلة فحجبت عن مقامى ولهذا قالوا قف على البساط وإياك والانبساط وقد عد أهل التحقيق حالتى القبض والبسط من جملة ما استعاذوا منه لأنهما بالإضافة إلى ما فوقهما من استهلاك العبد واندراجة فى الحقيقة فقر وضرر. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفر بن محمد يقول سمعت الجنيد يقول الخوف من الله يقبضنى والرجاء منه يبسطنى والحقيقة تجمعنى والحق يفرقنى إذا قبضنى بالخوف أفانى عنى وإذا بسطنى بالرجاء ردى عنى وإذا جمعنى بالحقيقة أحضرنى وإذا فرقنى بالحق أشهدنى غيرى فغطانى عنه فهو تعالى فى ذلك كله محركى غير ممسكى وموحشى غير مؤنسى فأنا بحضورى أذوق طعم وجودى فليته أفانى عنى فمتعنى أو غيبنى عنى فروحنى . ومن ذلك (الهيبة والأنس) وهما فوق القبض والبسط فكما أن القبض فوق رتبة الخوف والبسط فوق منزلة الرجاء فالهيبة أعلى من القبض والأنس أتم من البسط^(١) . وحق الهيبة

(١) (والأنس أتم من البسط) أى فوقه فى المنزلة فالهيبة ناشئة من القبض الناشئ =

الغيبة فكل هائب غائب ثم الهائبون يتفاوتون في الهيبة على حسب تباينهم في الغيبة فمنهم ومنهم وحق الأنس صحو بحق فكل مستأنس صاح ثم يتباينون حسب تباينهم في الشرب ولهذا قالوا أدنى محل الأنس أنه لو طرح في لظى لم يتكدر عليه أنسه . قال الجنيد رحمه الله كنت أسمع السرى يقول يبلغ العبد إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لم يشعر وكان في قلبى منه شيء حتى بان لى أن الأمر كذلك (١) . وحكى عن أبى مقاتل العكى أنه قال دخلت على الشبلى وهو ينتف الشعر من حاجبه بمنقاش فقلت يا سيدى أنت تفعل هذا بنفسك ويعود ألمه إلى قلبى فقال ويلك الحقيقة ظاهرة لى ولست أطيقها فهو ذا فأنا أدخل الألم على نفسى لعللى أحس به فيستتر عنى فلست أجد الألم وليس يستتر عنى وليس لى به طاقة وحال الهيبة والأنس وإن جلنا فأهل الحقيقة يعدونهما نقصا لتضمنهما تغير العبد فإن أهل التمكين سمت أحوالهم عن التغير وهم محو فى وجود العين فلا هيبة لهم ولا أنس ولا علم ولا حس والحكاية معروفة عن أبى سعيد الخراز أنه قال تهت فى البادية مرة فكنت أقول :

أتية فلا أدرى من التيه من أنا سوى ما يقول الناس فى وفى جنسى
أتية على جن البلاد وأنسها فإن لم أجد شخصا أتية على نفسى

قال سمعت هاتفا يهتف بى ويقول :

أيا من يرى الأسباب أعلى وجوده ويفرح بالتية الدنى وبالأنس

= من الخوف والأنس ناشئ من البسط الناشئ من الرجاء لأن من خاف الله وعرف نقصيره فى حقه تعالى انقبض قلبه وبقي مشغولا بالله فيحصل له الهيبة منه ومن أمل وصوله إلى خير انبسط قلبه وبقي مشغولا بالله فيحصل له الأنس به .

(١) (حتى بان لى أن الأمر كذلك) حيث ذاق وعلم أن كمال الاستغراق يزيل الإحساس بالنفس بالكلية وشاهده خبر أن الشهيد إنما يجد من الموت كما نجده من القرصة لخرة ذلك عليه بكمال شغله بجهاده فيأتيه الموت بالسيف ولا يحس به إلا كما يحس بالقرصة .

فلو كنت من أهل الوجود حقيقة لغبت عن الأكوان والعرش والكرسي
وكنت بلا حال مع الله واقفا تصان عن التفكير للجن والإنس

وإنما يرتقى العبد عن هذه الحالة بالوجود ومن ذلك (التواجد والتواجد
والوجود) فالتواجد استدعاء الوجد بضرب اختيار وليس لصاحبه كمال الوجد إذ لو
كان لكان واجداً وباب التفاعل أكثره على إظهار الصفة وليس كذلك .. قال الشاعر :

إذا تخازرت وما بي من خزر ثم كسرت العين من غير ما عور

فقوم قالوا التواجد غير مسلم لصاحبه لما يتضمن من التكلف ويبعد عن
التحقيق وقوم قالوا إنه مسلم للفقراء المجردين الذين ترصدوا لوجدان هذه المعاني
وأصلهم خبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم « ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا ، والحكاية
المعروفة لأبي محمد الجريري رحمه الله أنه قال كنت عند الجنيد وهناك ابن مسروق
وغيره وثم قوال فقام ابن مسروق وغيره والجنيد ساكن فقلت يا سيدي ما لك في
السماع شيء فقال الجنيد « وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر
السحاب » ثم قال وأنت يا أبا محمد مالك في السماع شيء فقلت ياسيدي أنا
إذا حضرت موضعاً فيه سماع وهناك محتشم أمسكت على نفسي وجدى فإذا خلوت
أرسلت وجدى فتواجدت فأطلق في هذه الحكاية التواجد ولم ينكر عليه الجنيد .
سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول لما راعى أبو محمد أدب الأكابر
في حال السماع حفظ الله عليه وقته لبركات الأدب حتى يقول أمسكت على
نفسي وجدى فإذا خلوت أرسلت وجدى فتواجدت لأنه لا يمكن إرسال الوجد إذا
شئت بعد ذهاب الوقت وغلباته ولكنه لما كان صادقاً في مراعاة حرمة الشيوخ
حفظ الله تعالى عليه وقته حتى أرسل وجده عند الخلوة فالتواجد ابتداء الوجد
على الوصف الذي جرى ذكره وبعد هذا الوجد . والوجد ما يصادف قلبك ويرد
عليك بلا تعمد وتكلف ولهذا قال المشايخ الوجد المصادفة والمواجيد^(١) . ثمرات

(١) (والمواجيد) جمع وجد على غير قياس أو ما يسمى صيغة منتهى الجموع .

الأوراد^(١). فكل من ازدادت وظائفه ازدادت من الله تعالى لطائفه . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول الواردات من حيث الأوراد فمن لا ورد له بظاهرة لا ورد له فى سرائره وكل وجد فيه من صاحبه شيء ليس بوجد وكما أن ما يتكلفه العبد من معاملات ظاهرة يوجب له حلاوة الطاعات فما ينزله العبد من أحكام باطنه يوجب له المواجهيد^(٢). فالحلاوات ثمرات المعاملات والمواجهيد نتائج المنازلات وأما الوجود فهو بعد الارتقاء عن الوجد ولا يكون وجود الحق إلا بعد خمود البشرية لأنه يكون للبشرية^(٣). بقاء عند ظهور سلطان الحقيقة وهذا معنى قول أبى الحسين النورى أنا منذ عشرين سنة بين الوجد والفقد أى إذا وجدت ربى فقدت قلبى وإذا وجدت قلبى فقدت ربى وهذا معنى قول الجنيد علم التوحيد مبين لوجوده ووجوده مباين لعلمه^(٤). وفى هذا المعنى أنشدوا :

وجودى أن أغيب عن الوجود * بما يبدو على من الشهود

فالتواجد بداية والوجود نهاية والوجود واسطة بين البداية والنهاية . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول التواجد يوجب استيعاب العبد والوجد يوجب استغراق العبد والوجود يوجب استهلاك العبد فهو كمن شهد البحر ثم ركب البحر ثم غرق فى البحر وترتيب هذا الأمر قصود ثم ورود ثم شهود ثم جمود ثم خمود وبمقدار الوجود يحصل الخمود وصاحب الوجود له صحو ومحو فحال صحوه بقاؤه بالحق وحال

(١) (ثمرات الأوراد) أى المرتبة عليها بواسطة المنازلات كما سيأتى تفضلا لا بالاكتساب.

(٢) (يوجب له المواجهيد) من رجاء لحصول ماطلبه أو خوف من فواته أو شكر لإسباغه أو شوق لكمال حصوله .

(٣) (لأنه لا يكون للبشرية .. إلخ) لأن العبد مادام مدركا لنفسه ممتعا بوجوده فبشرية حاصلة وإذا اشتغل بالحق كمال الشغل حتى ينسى كونه مشتغلا به صار الغالب عليه إذ ذاك الحق خاصة دون شعور وعبروا عن هذه الحالة بالوجود .

(٤) (ووجوده مباين لعلمه) يعنى أن العبد يكون عالما بالتوحيد بالاستدلال بالآثار ولا يكون واجداً له لأن وجوده لا يبقى للعبد معه إحساس بنفسه فضلا عن علمه واستدلاله عليه.

محوه فناؤه بالحق وهاتان الحالتان أبدا متعاقبتان عليه فإذا غلب عليه الصحو بالحق فيه يصول وبه يقول قال عليه الصلاة السلام فيما أخبر عن الحق « فبى يسمع وبى يبصر » سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول وقف رجل على حلقة الشبلى فسأله هل تظهر آثار صحة الوجود على الواجدين فقال نعم نور يزهر مقارنا لنيران الاشتياق فتلوح على الهياكل آثارها كما قال ابن المعتز :

وأمطر الكأس ماء من أبارقها فأنبث الدر فى أرض من الذهب
وسبح القوم لما أن رأوا عجباً نوراً من الماء فى نار من العنب
سلافة ورثتها عاد عن إرم كانت ذخيرة كسرى عن أب فآب

وقيل لأبى بكر الدقى إن جهما الدقى أخذ شجرة بيده فى حال السماع فى ثوراته فقلعها من أصلها فاجتمعا فى دعوة وكان الدقى كف بصره فقام جهم الدقى يدور فى هيجانه فقال الدقى إذا قرب منى أرونيه وكان الدقى ضعيفاً فمر به فلما قرب منه قالوا له هذا هو فأخذ الدقى ساق جهم فوقفه فلم يمكنه أن يتحرك فقال جهم أيها الشيخ التوبة التوبة فخلاه (قال الأستاذ الإمام أدام الله جماله) فكان ثوران جهم فى حق وإمساك الدقى بساقه بحق ولما علم جهم أن حال الدقى فوق حاله رجع إلى الإنصاف واستسلم وكذا من كان بحق لا يستعصى عليه شىء فأما إذا كان الغالب عليه المحو فلا علم ولا عقل ولا فهم ولا حس . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يذكر بإسناده أن أبا عقال المغربى أقام بمكة أربع سنين لم يأكل ولم يشرب إلى أن مات ودخل بعض الفقراء على أبى عقال فقال له سلام عليكم فقال له أبو عقال وعليكم السلام فقال الرجل أنا فلان فقال أبو عقال أنت فلان كيف أنت وكيف حالك وغاب عن حالته قال هذا الرجل فقلت له سلام عليكم فقال وعليكم السلام وكأنه لم يرنى قط ففعلت مثل هذا غير مرة فعلمت أن الرجل غائب فتركته وخرجت من عنده . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عمر بن محمد ابن أحمد يقول سمعت امرأة أبى عبد الله النروغندى تقول لما كانت أيام المجاعة

والناس يموتون من الجوع دخل أبو عبد الله النروغندی بيته فرأى في بيته مقدار منوين^(١). حنطة فقال الناس يموتون من الجوع وفي بيتي حنطة فخلوط في عقله^(٢). فما كان يفیق إلا في أوقات الصلاة يصلى الفريضة ثم يعود إلى حالته فلم يزل كذلك إلى أن مات دلت هذه الحكاية على أن هذا الرجل كان محفوظا عليه آداب الشريعة عند غلبات أحكام الحقيقة وهذا هو صفة أهل الحقيقة ثم كان سبب غيبته عن تمييزه شفقتة على المسلمين وهذا أقوى سمة لتحقيقه في حاله ومن ذلك (**الجمع والفرق**) لفظ الجمع والتفرقة يجرى في كلامهم كثيرا^(٣). وكان الأستاذ أبو علي الدقاق يقول الفرق ما نسب إليك والجمع ما سلب عنك ومعناه أن يكون كسباً للعبد من إقامة العبودية وما يليق بأحوال البشرية فهو فرق وما يكون من قبل الحق من إبداء معان وإسداء لطف وإحسان فهو جمع هذا أدنى أحوالهم في الجمع والفرق لأنه من شهود الأفعال فمن أشهده الحق سبحانه أفعاله من طاعاته ومخالفاته فهو عبد بوصف التفرقة ومن أشهده الحق سبحانه ما يوليه^(٤). من أفعال نفسه سبحانه فهو عبد يشاهد الجمع فإثبات الخلق من باب التفرقة وإثبات الحق من نعت الجمع ولا بد للعبد من الجمع والفرق فإن من لا تفرقة له لا عبودية له ومن لا جمع له لا معرفة له فقله ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ إشارة إلى الفرق وقله ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ إشارة إلى الجمع وإذا ما خاطب العبد الحق سبحانه بلسان نجواه إما سائلا أو داعيا أو مثنيا أو شاكرا أو متنعلا أو مبتهلا قام في محل التفرقة وإذا أصغى بسره إلى ما يناجيه به مولاه واستمع بقلبه ما يخاطبه به فيما ناداه أو ناجاه أو عرفه معناه أو لوح

(١) (منوين) تثنية منا بالقصر وهو أفصح من مده وهو رطلان قاله الجوهري في صحاحه.

(٢) (فخلوط في عقله) بحيث غاب عن نفسه من شدة ما دخل عليه بسبب حرصه على الطعام في وقت الاحتياج إليه إذا كان حقه أن يخرج الفاضل عن قوته .

(٣) (الجمع والفرق لفظ الجمع والتفرقة يجرى في كلامهم كثيرا) والجمع مأخوذ من جمع الهمة على الحق تعالى والتفرقة مأخوذة من تفرقتها في الكائنات مع الحق والجامع والمفرق في الحقيقة هو الله تعالى .

(٤) (يوليه) أى يعطيه .

لقلبه وأرادَه فهو يشاهد الجمع . سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول أنشد
قوال بين يدي الأستاذ أبي سهل الصعلوكي رحمه الله تعالى ، جعلت تنزه نظري
إليك . وكان أبو القاسم النصراباذي رحمه الله حاضراً فقال الأستاذ أبو سهل جعلتُ
بنصب التاء وقال النصراباذي بل جعلتُ بضم التاء فقال الأستاذ أبو سهل أليس عين
الجمع أتم فسكت النصراباذي وسمعت الشيخ أبا عبد الرحمن أيضاً يحكى هذه الحكاية
على هذا الوجه ومعنى هذا أن من قال جعلت بضم التاء يكون إخباراً عن حال نفسه
فكان العبد يقول هذا وإذا قال جعلت بالفتح فكأنه يتبرأ من أن يكون ذلك بتكلفه بل
يخاطب مولاه فيقول أنت الذي خصصتني بهذا لا أنا بتكلفي فالأول على خطر
الدعوى والثاني بوصف التبري من الحول والإقرار بالفضل والطول وفرق بين من
يقول بجهدى أعبدك وبين من يقول بفضلك ولطفك أشهدك ومن ذلك (جمع الجمع)
وجمع الجمع فوق هذا ويختلف الناس في هذه الجملة على حسب تباين أحوالهم
وتفاوت درجاتهم فيمن أثبت نفسه وأثبت الخلق ولكن شاهد الكل قائماً بالحق فهذا هو
جمع وإذا كان مختطفاً عن شهود الخلق مصطلماً عن نفسه مأخوذاً بالكلية عن
الإحساس بكل غير بما ظهر واستولى من سلطان الحقيقة فذاك جمع الجمع
والتفرقة^(١) . شهود الأغيار لله عز وجل والجمع شهود الأغيار بالله وجمع الجمع
الاستهلاك بالكلية وفناء الإحساس بما سوى الله عز وجل عند غلبات الحقيقة وبعد هذا
حالة عزيزة يسميها القوم (الفرق الثاني) وهو أن يرد إلى الصحو عند أوقات أداء
الفرائض ليجرى عليه القيام بالفرائض في أوقاتها فيكون رجوعاً لله بالله تعالى لا للعبد
بالعبد فالعبد يطالع نفسه في هذه الحالة في تصريف الحق سبحانه يشهد مبدأ ذاته
وعينه بقدرته ومجرى أفعاله وأحواله عليه بعلمه ومشيتته وأشار بعضهم بلفظ الجمع
والتفرق إلى تصريف الحق جميع الخلق فجمع الكل في التقلب والتصريف من حيث
إنه منشئ ذواتهم ومجرى صفاتهم ثم فرقهم في التنويع ففريقاً أسعدهم وفريقاً أبعدهم
(١) (والتفرقة .. إلخ) فالحاصل أن من كانت أفعاله لله تعالى وشاهدها طاعة له تعالى فهو
في التفرقة ومن شاهدها جارية عليه فضلاً من الله فقد شاهدها بالله فهو في الجمع ومن
غفل عنها وعن نفسه شغلاً بالله فهو حقاً في جمع الجمع .

وأشقاهم وفريقا هداهم وفريقا أضلهم وأعماهم وفريقا حجبهم عنه وفريقا جذبهم إليه وفريقا أنسهم بوصلته وفريقا آيسهم من رحمته وفريقا أكرمهم بتوقيفه وفريقا اضطلمهم عند رومهم لتحقيقه وفريقا أصحاهم وفريقا محاهم وفريقا قريهم وفريقا غيبيهم وفريقا أدناهم وأحضرهم ثم أسقاهم فأسكرهم وفريقا أشقاهم وأخرهم ثم أقصاهم وهجرهم وأنواع أفعاله لا يحيط بها حصر ولا يأتي على تفصيلها شرح ولا ذكر وأنشدوا للجنيـد رحمه الله في معنى الجمع والتفرقة :

وتحققتك في سرى فناجاك لسانى
فاجتمعنا لمعانى وافترقنا لمعانى
أن يكن غيبك التعظيم عن لحظ عيانى
فلقد صيرك الوجد من الأحشاء دانى

وأنشدوا :

إذا ما بدا إلى تعاضمته^(١) فأصدر^(٢) فى حال من لم يرد
جمعت وفرقت على به ففرد التواصل مثنى العدد

ومن ذلك (الفناء والبقاء) أشار القوم بالفناء إلى سقوط الأوصاف المذمومة وأشاروا بالبقاء إلى قيام الأوصاف المحمودة به وإذا كان العبد لا يخلو عن أحد هذين القسمين فمن المعلوم أنه إذا لم يكن أحد القسمين كان القسم الآخر لا محالة فمن فنى عن أوصافه المذمومة ظهرت عليه الصفات المحمودة ومن غلبت عليه الخصال المذمومة استتارت عنه الصفات المحمودة . واعلم أن الذى يتصف به العبد أفعال وأخلاق وأحوال فالأفعال تصرفات باختياره والأخلاق جبلة فيه ولكن تتغير بمعالجته على مستمر العادة والأحوال ترد على العبد على وجه الابتداء لكن صفاؤها بعد زكاء الأعمال فهى كالأخلاق من هذا الوجه لأن العبد إذا نازل الأخلاق بقلبه

(١) تعاضمته (فغبت فيه هذا جمع والجمع ضد التفرقة كما قلنا .

(٢) (فأصدر .. إلخ) هذا تفرقة أى فارجع إليه فى وصف من لم يرد محل الورود بل ردنى إليه بفضلـه فاستغرقت فيه .

فينفى بجهد سفسافها من الله عليه بتحسين أخلاقه^(١). فكذاك إذا واظب على تزكية أعماله ببذل وسعه من الله عليه بتصفية أحواله بل بتوفية أحواله فمن ترك مذموم أفعاله بلسان الشريعة يقال إنه فنى عن شهواته فإذا فنى عن شهواته بقى بنيته وإخلاصه فى عبوديته ومن زهد فى دنياه بقلبه يقال فنى عن رغبته فإذا فنى عن رغبته فيها بقى بصدق إنابته ومن عالج أخلاقه فنفى عن قلبه الحسد والحقد والبخل والشح والغضب والكبر وأمثال هذا من رعونات النقص يقال فنى عن سوء الخلق فإذا فنى عن سوء الخلق بقى بالفتوة والصدق ومن شاهد جريان القدرة فى تصارييف الأحكام يقال فنى عن حسابان الحدثان من الخلق فإذا فنى عن توهم الآثار من الأغيار بقى بصفات الحق ومن استولى عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الأغيار لا عينا ولا أثراً ولا رسماً ولا طللاً يقال إنه فنى عن الخلق وبقي بالحق ففناء العبد عن أفعاله الذميمة وأحواله الخسيسة بعدم هذه الأفعال وفناؤه عن نفسه وعن الخلق بزوال إحساسه بنفسه وبهم فإذا فنى عن الأفعال والأخلاق والأحوال فلا يجوز أن يكون ما فنى عنه من ذلك موجوداً وإذا قيل فنى عن نفسه وعن الخلق فنفسه موجودة والخلق موجودون ولكنه لا علم له بهم ولا به ولا إحساس ولا خبر فتكون نفسه موجودة والخلق موجودين ولكنه غافل عن نفسه وعن الخلق أجمعين غير محس بنفسه وبالخلق^(٢). وقد ترى الرجل يدخل على ذى سلطان أو محتشم فيذهل عن نفسه وعن أهل مجلسه هيبة وربما يذهل عن ذلك المحتشم حتى إذا سئل بعد خروجه من عنده من أهل مجلسه وهيئات نفسه ذلك الصدر وهيئات لم يمكنه الإخبار عن شيء قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ لم يجدن عند لقاء يوسف عليه السلام على الوهلة ألم قطع الأيدي وهن أضعف الناس وقلن ما هذا بشراً ولقد

(١) (من الله عليه بتحسين أخلاقه) أى المحمودة كالتواضع والصبر وسلامة الباطن والزهد وحسن الخلق روى البيهقى خبر أن الله يحب معالى الأمور ويكره سفسافها.

(٢) (غير محس بنفسه وبالخلق) لكمال اشتغاله بما هو أرفع من ذلك بكثير وبهذا علم أن من قال الفناء ذهب البشرية لم ترد به ذهابها بالكلية فإنها موجودة فى نفسها مع لوازمها من اللذات والآلام بل أراد أنها مغمورة بما يطرأ عليها من لذات وآلام أعظم من تلك .

كان بشراً وقلن ﴿ إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ ولم يكن ملكاً فهذا تغافل مخلوق عن أحواله عند لقاء مخلوق فما ظنك بمن تكاشف بشهود الحق سبحانه فلو تغافل عن إحساسه بنفسه وأبناء جنسه فأى أعجوبة فيه فمن فنى عن جهله بقى بعلمه ومن فنى عن شهوته بقى بإنابته ومن فنى عن رغبته بقى بزهادته ومن فنى عن منيته بقى بإرادته وكذلك القول فى جميع صفاته فإذا فنى العبد عن صفته بما جرى ذكره يرتقى عن ذلك^(١) . بفنائهم عن رؤية فناءه وإلى هذا أشار قائلهم :

فقوم تاه فى أرض بقفر وقوم تاه فى ميدان حبه
فأفنوا ثم أفنوا ثم أفنوا وأبقوا بالبقاء من قرب ربه

فالأول فناء عن نفسه وصفاته ببقائه بصفات الحق ثم فناءه عن صفات الحق بشهوده الحق ثم فناءه عن شهود فناءه باستهلاكه فى وجود الحق . ومن ذلك (الغيبة والحضور) فالغيبة غيبة القلب عن علم ما يجرى من أحوال الخلق لاشتغال الحس بما ورد عليه ثم قد يغيب عن إحساسه بنفسه وغيره بوارد من تذكروا أو تفكر عقاب كما روى أن الربيع بن خيثم كان يذهب إلى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه فمر بحانوت حداد فرأى الحديد المحمأة فى الكير فعشى عليه^(٢) . ولم يفق إلى الغد^(٣) . فلما أفاق سئل عن ذلك فقال تذكرت كون أهل النار فى النار فهذه غيبة زادت على حدّها حتى صارت غشية . وروى عن على بن الحسين أنه كان فى سجوده فوق حريق فى داره فلم ينصرف عن صلاته فسئل عن حاله فقال ألهمتى النار الكبرى عن

(١) (يرتقى عن ذلك .. إلخ) لأنه إذا فنى عن الأغيار فتارة يكون ذاكرة لقيامه وتارة يقوى شهوده وشغله بمن استغرق فيه حتى لا يحس بفناءه لعدم ذكره أحوال نفسه وهذا فناء الفناء فإنه فنى حتى عن فناءه .

(٢) (فعشى عليه) أى لتذكره خروج المذنبين من النار أو حالهم فيها عياداً بالله من حال أهل النار .

(٣) (ولم يفق إلى الغد) مع أنه ينادى عند كل صلاة ياربى ياربى فلا يسمع ولا يعقل لغلبة حاله واستغراقه فى خوفه فهو حاضر بقلبه مع المخوف غائب عن كل مألوف

هذه النار وربما تكون الغيبة عن إحساسه بمعنى يكشف به من الحق سبحانه وتعالى ثم إنهم مختلفون في ذلك على حسب أحوالهم ومن المشهور أن ابتداء حال أبي حفص النيسابوري الحداد في ترك الحرفة أنه كان على حانوته فقرأ قارئ آية من القرآن فورد على قلب أبي حفص وارد تغافل عن إحساسه فأدخل يده في النار وأخرج الحديد المحمأة بيده فرأى تلميذ له ذلك فقال يا أستاذ ما هذا فنظر أبو حفص إلى ما ظهر عليه فترك الحرفة وقام من حانوته . وكان الجنيد قاعدا وعنده امرأته فدخل عليه الشبلى فأرادت امرأته أن تستتر فقال لها الجنيد لا خبر للشبلى عنك فاقعدى فلم يزل يكلمه الجنيد حتى بكى الشبلى فلما أخذ الشبلى في البكاء قال الجنيد لامرأته استترى فقد أفاق الشبلى من غيبته . سمعت أبا نصر المؤذن بنيسابور وكان رجلا صالحا قال كنت أقرأ القرآن في مجلس الأستاذ أبي على الدقاق بنيسابور وقت كونه هناك وكان يتكلم في الحج كثيرا فأثر في قلبي كلامه فخرجت إلى الحج تلك السنة وتركت الحانوت والحرفة وكان الأستاذ أبو على رحمه الله خرج إلى الحج أيضا في تلك السنة وكنت مدة كونه بنيسابور أخدمه وأواظب على القراءة في مجلسه فرأيتُه يوما في البادية تطهر ونسى قممته كانت بيده فحملتها فلما عاد إلى رحله وضعتها عنده فقال جزاك الله تعالى خيرا حيث حملت هذا ثم نظر إلى طويلا كأنه لم يرني قط وقال رأيتك مرة من أنت فقلت المستغاث بالله تعالى صحبتك مدة وخرجت عن مسكني ومالي بسببك وتقطعت في المفازة بك والساعة تقول رأيتك مرة (وأما **الحضور**) فقد يكون حاضرا بالحق لأنه إذا غاب عن الخلق حضر بالحق على معنى أنه يكون كأنه حاضر وذلك لاستيلاء ذكر الحق على قلبه فهو حاضر بقلبه بين يدي ربه تعالى فعلى حسب غيبته على الحق يكون حضوره بالحق فإن غاب بالكلية كان الحضور على حسب الغيبة فإذا قيل فلان حاضر فمعناه أنه حاضر بقلبه لربه غير غافل عنه ولا ساه مستديم لذكره ثم يكون مكاشفا في حضوره على حسب رتبته بمعان يخصه الحق سبحانه وتعالى بها وقد يقال لرجوع العبد إلى إحساسه بأحوال نفسه وأحوال الخلق أنه حضر أى رجع عن غيبته فهذا يكون حضورا بخلق والأول حضورا

بحق وقد تختلف أحوالهم فى الغيبة فمنهم من لا تمتد غيبته ومنهم من تدوم غيبته .
وقد حكى أن ذا النون المصرى بعث إنساناً من أصحابه إلى أبى يزيد لينقل إليه صفة
أبى يزيد فلما جاء الرجل إلى بسطام سأل عن دار أبى يزيد فدخل عليه فقال له
أبو يزيد ما تريد فقال أريد أبا يزيد فقال من أبو يزيد ^(١) . وأين أبو يزيد أنا فى طلب
أبى يزيد فخرج الرجل وقال هذا مجنون فرجع الرجل إلى ذى النون فأخبره بما شاهده
فبكى ذو النون وقال أخى أبو يزيد ذهب فى الداهيين إلى الله ومن ذلك (الصحو
والسكر) فالصحو رجوع إلى الإحساس بعد الغيبة والسكر غيبة بوارد قوى والسكر
زيادة على الغيبة من وجه وذلك أن صاحب السكر قد يكون مبسوطاً إذا لم يكن
مستوفياً فى سكره وقد يسقط إخطار الأشياء عن قلبه فى حال سكره تلك حال
المتساكر الذى لم يستوفه الوارد فيكون للإحساس فيه مساغ وقد يقوى سكره حتى
يزيد على الغيبة وربما يكون صاحب السكر أشد غيبة من صاحب الغيبة إذا قوى
سكره وربما يكون صاحب الغيبة أتم فى الغيبة من صاحب السكر إذا كان متساكراً
غير مستوف والغيبة قد تكون للعباد بما يغلب على قلوبهم من موجب الرغبة والرهبة
ومقتضيات الخوف والرجاء والسكر لا يكون إلا لأصحاب المواجهين فإذا كوشف العبد
بنعت الجمال حصل السكر وطاب الروح وهام القلب ^(٢) . وفى معناه ^(٣) . أنشدوا :

فصحوك من لفظى هو الوصل كله وسكرك من لحظى يبيح لك الشربا

فما مل ساقبها وما مل شارب عقار لحاظ كأسه يسكر اللبا

(١) (من أبو يزيد .. إلخ) فيه دليل على كمال استغراقه فى أكثر أوقاته وهو يحب أن لو
خفف عنه ما هو فيه ليرجع إلى إحساسه وينتفع بما لا بد منه .

(٢) (وهام القلب) وسقط التمييز بين ما يؤلمه وما يلذه لأن التجليات الجمالية وشهود
الصفات الكمالية إذا استولت على العبد بحيث صار لا يشهد سوى الحق تصير الأشياء بالنسبة
إليه شيئاً واحداً فحينئذ لا يميز بين الأشياء لغلبة رؤية ما للحق تعالى عليه .

(٣) (وفى معناه) أى السكر الناشئ عن كشف الجمال .

وأنشدوا :

فأسكر القوم دور كأس وكان سكرى من المدير

وأنشدوا :

لى سكرتان وللدمان واحدة شىء خصصت به من بينهم وحدى

وأنشدوا :

سكران سكرهوى وسكر مدامة فمتى يفيق فتى به سكران

واعلم أن الصحو على حسب السكر فمن كان سكره بحق كان صحوه بحق ومن كان سكره بحظ مشوبا كان صحوه بحظ صحيح مصحوبا ومن كان محقا فى حاله كان محظوظا فى سكره والسكر والصحو يشيران إلى طرف من التفرقة وإذا ظهر من سلطان الحقيقة علم فصفا العبد الثبور والقهر وفى معناه أنشدوا :

إذا طلع الصباح لنجم راح تساوى فيه سكران وصاح

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ۚ ﴾

هذا مع رسالته وجلالة قدره خر صعقا وهذا مع صلابته وقوته صار دكا متكسرا والعبد فى سكره يشاهد الحال وفى حال صحوه يشاهد العلم إلا أنه فى حال سكره محفوظ لا بتكلفه وفى صحوه متحفظ بتصرفه والصحو والسكر بعد الذوق والشرب . ومن ذلك (**الذوق والشرب**) ومن جملة ما يجرى فى كلامهم الذوق والشرب ويعبرون بذلك عما يجدونه من ثمرات التجلى ونتائج الكشف وبوادر الواردات وأول ذلك الذوق ثم الشرب ثم الرى فصفا معاملاتهم يوجب لهم ذوق المعانى ووفاء منازلهم يوجب لهم الشرب ودوام مواصلاتهم يقتضى لهم الرى فصاحب الذوق متساكر وصاحب الشرب سكران وصاحب الرى صاح ومن قوى حبه تسرمد شربه^(١) . فإذا دامت به^(٢) . تلك

(١) (تسرمد شربه) أى دام شربه .

(٢) (فإذا دامت به .. إلخ) ولهذا قال الجنيد فى هذه الحالة وترى الجبال تحسبها =

الصفة لم يورثه الشرب سكرًا فكان صاحبًا بالحق فأنيا عن كل حظ لم يتأثر بما يرد عليه ولا يتغير عما هو به ومن صفا سره لم يتكرر عليه الشرب ومن صار الشراب له غذاء لم يصبر عنه ولم يبق بدونه وأنشدوا :

وإنما الكأس رضاع بيننا فإذا لم نذقها لم نعش
وأنشدوا :

عجبت لمن يقول ذكرت ربي فهل أنسى فأذكر ما نسيت
شربت الحب كأسا بعد كأس فما نفذ الشراب ولا رويت

ويقال كتب يحيى بن معاذ إلى أبي يزيد البسطامي ههنا من شرب كأسا من المحبة لم يظمأ بعده^(١).

فكتب إليه أبو يزيد عجبت من ضعف حالك ههنا من يحتسى بحار الكون وهو فاغر فاه يستزيد . واعلم أن كاسات القرب تبدو من الغيب ولا تدار إلا على أسرار معتقة وأرواح عن رق الأشياء محررة . ومن ذلك (المحو والإثبات) المحو رفع أوصاف العادة والإثبات إقامة أحكام العبادة فمن نفى عن أحواله^(٢) . الخصال الذميمة وأتى بدلها بالأفعال والأحوال الحميدة فهو صاحب محو وإثبات . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول قال بعض المشايخ لواحد إيش^(٣) . تمحو وإيش^(٤) . تثبت^(٥) . فسكت الرجل فقال أما علمت أن الوقت محو وإثبات إذ من لا

= جامدة وهي تمر مر السحاب .

- (١) (لم يظمأ بعده) لدوام تعلق قلبه بمحبوبه وشغله به لما وهب له من مقام المحبة .
(٢) (فمن نفى عن أحواله .. إلخ) فمحو الجهل يحصل بإثبات العلم ومحو الكسل يحصل بملازمة العمل وكذا القول في سائر ما يمحي ويثبت في القلوب والجوارح من الصفات .
(٣) (إيش تمحو) أى وأى شىء تمحو .
(٤) (وإيش) أى وأى شىء .
(٥) (تثبت) سأله عن حاله فى وقته ليعرف مقامه الذى هو فيه .

محوله ولا إثبات فهو معطل مهمل وينقسم إلى محو الزلة عن الظواهر ومحو الغفلة عن الضمائر ومحو العلة عن السرائر ففي محو الزلة إثبات المعاملات وفي محو الغفلة إثبات المنازلات وفي محو العلة إثبات المواصلات هذا محو وإثبات بشرط العبودية وأما حقيقة المحو والإثبات فصادران عن القدرة فالحق ما ستره الحق ونفاه والإثبات ما أظهره الحق وأبداه والمحو والإثبات مقصوران على المشيئة قال الله تعالى ﴿يُمحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ قيل يمحو عن قلوب العارفين ذكر غير الله تعالى ويثبت على السنة المريدين ذكر الله ومحو الحق لكل أحد وإثباته على ما يليق بحاله ومن محاه الحق سبحانه عن مشاهدة أثبته بحق حقه ومن محاه الحق عن إثباته به رده إلى شهود الأغيار وأثبته في أودية التفرقة . وقال رجل للشبلى رحمه الله تعالى ما لى أراك قلنا أليس هو معك وأنت معه فقال الشبلى لو كنت أنا معه كنت أنا ولكنى محو فيما هو . والمحق فوق المحو لأن المحو يبقى أثرا والمحق لا يبقى أثرا وغاية همه القوم أن يحققهم الحق عن شاهدهم ثم لا يردهم إليهم بعدما محققهم عنهم . ومن ذلك (الستر والتجلى)^(١) . العوام فى غطاء الستر والخواص فى دوام التجلى وفى الخبر إن الله إذا تجلى لشيء خضع له فصاحب الستر يوصف شهوده وصاحب التجلى أبدا ينعث خشوعه والستر للعوام عقوبة وللخواص رحمة إذ لولا أنه يستر عليهم ما يكتشفهم به لتلاشوا عند سلطان الحقيقة ولكنه كما يظهر لهم يستر عليهم . سمعت منصوراً المغربى يقول وافى بعض الفقراء حياً من أحياء العرب فأضافه شاب فبينما الشاب فى خدمة هذا الفقير إذ غشى عليه فسأل الفقير عن حاله فقالوا له بنت عم وقد علقها فمشت فى خيمتها فرأى الشاب غبار ذيلها فغشى عليه فمضى

(١) (الستر والتجلى) الستر من قبل العبد كون البشرية حاصلة بين الستر وشهود الغيبى فإذا ظهر النور الغيبى أزال حجاب البشرية ومن قبل الحق ستره عن العبد حاله والتجلى من قبل العبد زوال حجاب البشرية وانصقال مرآة القلب عن صدأ طباع البشرية ومن قبل الحق كشفه عن العبد حاله وسئل بعضهم عن التجلى والتخلى والتجلى فقال التجلى ظهور الذات فى حجب الأسماء والصفات تنزلاً والتخلى القيام بمعانى الأسماء تعبدًا وتمثلاً والتخلى سقوط الإرادة والاختيار اعتماداً وتوكلاً عليه سبحانه وتعالى .

الفقير إلى باب الخيمة وقال إن للغريب فيكم حرمة وذماما وقد جئت مستشفعا إليك في أمر هذا الشاب فتعطفى عليه فيما هو به من هواك فقالت سبحان الله أنت سليم القلب إنه لا يطيق شهود غبار ذيلي فكيف يطيق صحبتي وعوام هذه الطائفة عيشهم في التجلى ويلاؤهم في الستر وأما الخواص فهم بين طيش وعيش لأنهم إذا تجلى لهم طاشوا وإذا ستر عليهم ردوا إلى الحظ فعاشوا وقيل إنما قال الحق تعالى لموسى عليه السلام ﴿ وما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾ ليستر عليه ببعض ما يعظه به بعض ما أثر فيه من المكاشفة بفجأة السماع وقال صلى الله عليه وآله وسلم « إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم سبعين مرة » والاستغفار طلب الستر ولأن الغفر هو الستر ومنه غفر الثوب والمغفر وغيره فكانه أخبر أنه يطلب الستر على قلبه عند سطوات الحقيقة إذ الخلق لا بقاء لهم مع وجود الحق وفي الخبر « لو كشف عن وجهه لأحرقت سبحات وجهه ما أدرك بصره ». ومن ذلك (**المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة**) المحاضرة ابتداء ثم المكاشفة ثم المشاهدة فالمحاضرة حضور القلب وقد يكون بتواتر البرهان وهو بعد وراء الستر وإن كان حاضرا باستيلاء سلطان الذكر ثم بعده المكاشفة وهو حضوره بنعت البيان غير مفتقر في هذه الحالة إلى تأمل الدليل وتطلب السبيل ولا مستجير من دواعي الريب ولا محجوب عن نعت الغيب ثم المشاهدة وهي حضور الحق من غير بقاء تهمة فإذا أصحت سماء السر عن غيوم الستر فشمس الشهود مشرقة عن برج الشرف وحق المشاهدة ما قاله الجنيد رحمه الله وجود الحق مع فقدانك فصاحب المحاضرة مربوط بآياته وصاحب المكاشفة مبسوط بصفاته وصاحب المشاهدة ملقى بذاته وصاحب المحاضرة يهديه عقله وصاحب المكاشفة يدنيه علمه وصاحب المشاهدة تمحوه معرفته ولم يزد في بيان تحقيق المشاهدة أحد على ما قاله عمرو بن عثمان المكي رحمه الله ومعنى ما قاله أنه تتوالى أنوار التجلى على قلبه من غير أن يتخللها ستر وانقطاع كما لو قدر اتصال البروق فكما أن الليلة الظلماء بتوالى البروق فيها واتصالها إذا قدرت تصير في ضوء النهار فكذلك القلب إذا دام التجلى متع^(١).

(١) (متع) بالبناء للفاعل وتخفيف الفوقية أى التاء ارتفع وطال اللوائح والطوال واللوامع =

نهاره فلا ليل وأنشدوا :

يلى بوجهك مشرق وظلامه فى الناس سارى

والناس فى سدف الظلا م ونحن فى ضوء النهار

وقال النورى لا يصح للعبد المشاهدة وقد بقى له عرق قائم وقال إذا طلع الصباح استغنى عن المصباح وتوهم قوم أن المشاهدة تشير إلى طرف من التفرقة لأن باب المفاعلة فى العربية بين اثنين وهذا وهم من صاحبه فإن فى ظهور الحق سبحانه ثبور الخلق وباب المفاعلة جعلتها لا تقتضى مشاركة الاثنين نحو سافر وطارق النعل وأمثاله وأنشدوا :

فلما استبان الصبح أدرك ضوءه بأنواره أنوار ضوء الكواكب

يجرعه كأساً لو ابتلى به اللظى بتجريعه طارت كأسرع ذاهب

كأس وأى كأس تصطلمهم عنهم وتفتنيهم وتخطفهم منهم ولا تبقيهم كأس لا تبقى ولا تذر تمحوهم بالكلية ولا تبقى شظية من آثار البشرية كما قال قائلهم . ساروا فلم يبق لارسم ولا أثر . ومن ذلك (اللوائح والطواع واللوامع) قال الأستاذ رضى الله تعالى عنه هذه الألفاظ متقاربة المعنى لا يكاد يحصل بينها كبير فرق (١) . وهى من صفات أصحاب البدايات الصاعدين فى الترقى بالقلب فلم يدم لهم بعد ضياء شمس المعارف لكن الحق سبحانه وتعالى يؤتى رزق قلوبهم فى كل حين كما قال «ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيّاً» فكما أظلم عليهم سماء القلوب بسحاب الحظوظ سنع لهم فيها لوائح الكشف وتلاً لألوامع القرب وهم فى زمان سترهم يرقبون فجأة اللوائح فهم كما قال القائل :

يا أيها البرق الذى يلمع من أى أكفاف السماء تسطع

= هذه الألفاظ كناية عن اختلاف أحوال أرباب السلوك وما يفتح الله به عليهم من المقامات التى يرومون بلوغ كمالها كالزهد والتوكل والرضا والتسليم والمحبة .
(١) (كبير فرق) وإن كان الطواع أتم من اللوامع .

فتكون أولا لوائح ثم لوامع ثم طوالع فاللوائح كالبروق ما ظهرت
حتى استترت كما قال القائل :

افترقنا حولا فلما التقينا كان تسليمه عليّ وداعا
وأنشدوا :

يا ذا الذی زار وما زارا كأنه مقتبس نارا
مر بباب الدار مستعجلا ما ضره لو دخل الدارا
واللوامع أظهر من اللوائح وليس زوالها بتلك السرعة فقد تبقى اللوامع
وقتین وثلاثة ولكن كما قالوا :

*** والعين باكية لم تشيع النظرا ***

وكما قالوا :

لم ترد ماء وجهه العين إلا شرقت قبل ربهـا برقيب
فإذا لمع قطعك عنك وجمعك به لكن لم يسفر نور نهاره حتى كر عليه
عساكر الليل فهؤلاء بين روح ونوح لأنهم بين كشف وستر كما قالوا :

فالليل يشملنا بفاضل برده والصبح يلحفنا رداء مذهبـا

الطوالع أبقي وقتا وأقوى سلطانا وأدوم مكثا وأذهب للظلمة وأنفى للتهمة
لكنها موقوفة على خطر الأفول ليست برفيعة الأوج ولا بدائمة المكث ثم أوقات
حصولها وشيكة الارتحال وأحوال أقولها طويلة الأذيال وهذه المعاني التي هي
اللوائح واللوامع والطوالع تختلف في القضايا فمنها ما إذا فات لم يبق عنها أثر
كالشوارق إذا أفلت فكأن الليل كان دائما ومنها ما يبقى عنه أثر فإن زال رقمه بقي
ألمه وإن غربت أنواره فصاحبه بعد سكون غلبته بقيت آثاره يعيش في ضياء بركاته
فإلى أن يلوح ثانيا يرجى وقته على انتظار عوده ويعيش بما وجد في حين كونه .

ومن ذلك (البواده^(١)) والهجوم) البواده ما يفجأ قلبك من الغيب على سبيل الوهلة إما موجب فرح وإما موجب ترح والهجوم ما يرد على القلب بقوة الوقت من غير تصنع^(٢) منك ويختلف فى الأنواع على حسب قوة الوارد وضعفه فمنهم من تغيره البواده وتصرفه الهواجم ومنهم من يكون فوق ما يفجؤه حالا وقوة أولئك سادات الوقت كما قيل :

لا تهتدى نوب الزمان إليهم ولهم على الخطيب الجليل لجام

ومن ذلك (التلوين والتمكين) التلوين صفة أرباب الأحوال والتمكين صفة أهل الحقائق فما دام العبد فى الطريق فهو صاحب تلوين لأنه يرتقى من حال إلى حال وينتقل من وصف إلى وصف ويخرج من مرحل ويحصل فى مربع فإذا وصل تمكن وأنشدوا :

ما زلت أنزل فى وداك منزلا تتحير الأبواب دون نزوله

وصاحب التلوين أبدا فى الزيادة وصاحب التمكين وصل ثم اتصل وأماره أنه اتصل أنه بالكلية عن كليته بطل . وقال بعض المشايخ انتهى سفر الطالبين إلى الظفر بنفوسهم فإذا ظفروا بنفوسهم فقد وصلوا (قال الأستاذ رحمه الله) يريد به انخnas أحكام البشرية واستيلاء سلطان الحقيقة فإذا دام للعبد هذه الحالة فهو صاحب تمكين كان الشيخ أبو على الدقاق رحمه الله تعالى يقول كان موسى عليه السلام صاحب تلوين فرجع من سماع الكلام واحتاج إلى ستر وجهه لأنه أثر فيه الحال ونبينا صلى الله عليه وآله وسلم كان صاحب تمكين فرجع كما ذهب لأنه لم يؤثر فيه ما شاهده تلك الليلة وكان يستشهد على هذا بقصة يوسف عليه السلام إن النسوة اللاتي رأين يوسف عليه السلام قطعن أيديهن لما ورد عليهن من شهود يوسف عليه السلام على وجه الفجأة وامرأة العزيز كانت أتم فى بلاء يوسف منهن ثم لم تتغير عليها

(١) (البواده) من بدهه الشئ أى فجأه .

(٢) (تصنع) أى تكلف ونظر .

شعرة ذلك اليوم لأنها كانت صاحبة تمكين في حديث يوسف^(١) . عليه السلام . قال الأستاذ واعلم أن التغير بما يرد على العبد يكون لأحد أمرين إما لقوة الوارد أو لضعف صاحبه والسكون من صاحبه لأحد أمرين إما لقوته أو لضعف الوارد عليه . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول أصول القوم في جواز دوام التمكين فتخرج على وجهين أحدهما ما لا سبيل إليه لأنه قال صلى الله عليه وآله وسلم^(٢) « لو بقيتم على ما كنتم عليه عندي لصاغتكم الملائكة »^(٣) . ولأنه صلى الله عليه وآله وسلم قال « لى وقت لا يسعنى فيه غير ربى عز وجل » أخبر عن وقت مخصوص قال رحمه الله تعالى والوجه الثانى أنه يصح دوام الأحوال لأن أهل الحقائق ارتقوا عن وصف التأثير بالطوارق والذى فى الخبر فى أنه قال « لصاغتكم الملائكة » فلم يعلق الأمر فيه على أمر مستحيل ومصافحة الملائكة دون ما أثبت لأهل البداية من قوله صلى الله عليه وآله وسلم أن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع » وما قال^(٤) لى وقت فإنما قال على حسب فهم السامع وفى جميع أحواله كان قائما بالحقيقة والأولى أن يقال إن العبد ما دام فى الترقى فصاحب تلوين يصح فى نعتة الزيادة فى الأحوال والنقصان منها فإذا وصل إلى الحق بانخاس أحكام البشرية مكنه الحق سبحانه بأن لا يردّه إلى معلولات النفس فهو متمكن فى حاله على حسب محله واستحقاقه ثم ما يتحفه الحق سبحانه فى كل نفس فلا حد لمقدوراته فهو فى الزيادات متلون بل ملون فى أصل حاله متمكن فأبدا يتمكن فى حالة أعلى مما كان فيها قبله ثم يرتقى عنها إلى ما فوق ذلك إذ لا غاية لمقدورات الحق سبحانه فى كل جنس فأما المصطلم

(١) (فى حديث يوسف) أى قصته لأنها لما تولى عليها النظر إليه وعلى قلبها جماله لم تلفت إليه وقت خروجه على النسوة اللاتى لم يطقن ما أطاقت وقطعن أيديهن لغلبة شغلن به على إحساسهن وكن صاحبات تلوين لتغير أحوالهن .

(٢) (لأنه قال صلى الله عليه وآله وسلم) لما قال حنظلة وهو يبكى نافع حنظلة فإننا نكون عندك تذكرنا الآخرة والجنة والنار كأننا رأى عين فإذا فارقناك عاسفنا الأهل فزال عنا .

(٣) (ذلك لصاغتكم الملائكة) فى طرقكم وعلى فراشكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة .

(٤) (وما قال) أى وأما ما قال من قوله لى وقت لا يسعنى .. إلخ ..

عن شاهده المستوفى إحساسه بالكلية فللبشرية لا محالة حد فإذا بطل عن جملته ونفسه وحسه وكذلك عن المكونات بأسرها ثم دامت به هذه الغيبة فهو محو فلا تمكين له إذا ولا تلوين ولا مقام ولا حال وما دام بهذا الوصف فلا تشریف ولا تكليف اللهم إلا أن يرد بما يجرى عليه من غير شيء منه فذلك متصرف في ظنون الخلق مصرف في التحقيق قال الله تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ﴾ وبالله التوفيق . ومن ذلك (**القرب والبعد**) أول رتبة في القرب القرب من طاعته والإنصاف في دوام الأوقات بعبادته وأما البعد فهو التدنيس بمخالفته والتجافى عن طاعته فأول البعد عن التحقيق ثم بعد عن التحقيق بل البعد عن التوفيق هو البعد بعد التوفيق . قال صلى الله عليه وآله وسلم مخبراً عن الحق سبحانه « ما تقرب إلى المتقربين بمثل أداء ما افترضت عليهم ولا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى يحبني وأحبه فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً فبى يبصر وبى يسمع الخبر » فقرب العبد أولاً قرب بإيمانه وتصديقه ثم قرب بإحسانه وتحقيقه وقرب الحق سبحانه ما يخصه اليوم به من العرفان وفى الآخرة ما يكرمه به من الشهود والعيان وفيما بين ذلك بوجوه اللطف والامتنان ولا يكون قرب العبد من الحق إلا ببعده عن الخلق وهذه من صفات القلوب دون أحكام الظواهر والسكون فقرب الحق سبحانه بالعلم والقدرة عام للكافة وباللطف والنصرة خاص بالمؤمنين ثم بخصائص التأنيس مختص بالأولياء قال الله تعالى ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ وقال الله تعالى ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ ﴾ وقال تعالى ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ وقال : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ ومن تحقق بقرب الحق سبحانه وتعالى فأدونه دوام مراقبته إياه لأنه عليه رقيب التقوى ثم رقيب الحفظ والوفاء ثم رقيب الحياء^(١) وأنشدوا :

(١) (ثم رقيب الحياء) أى من الوقوع فيما لا يليق وإذا وصل العبد إلى دوام مراقبته لربه واشتد حياؤه منه حتى لا يخرج عن الحق حسن منه أن يقول هذه الأبيات التى ذكرها المصنف بقوله كأن رقيباً ... إلخ والتى ستذكر بعد .

كَانَ رَقِيبًا مِنْكَ يَرَعَى خَوَاطِرِي وَآخِرَ يَرَعَى نَاضِرِي وَلِسَانِي
 فَمَا رَمَقْتَ عَيْنَايَ بِعَدِّكَ مَنَظَرَا يَسُوءُكَ إِلَّا قَلَّتْ قَدَ رِفْعَانِي
 وَلَا بَدَرْتَ مِنْ فِي دُونِكَ لَفْظَةً لَغَيْرِكَ إِلَّا قَلَّتْ قَدَ سَمْعَانِي
 وَلَا خَطَرْتَ فِي السَّرِّ بِعَدِّكَ خَطَرَةً لَغَيْرِكَ إِلَّا عَرَجَا بَعْنَانِي
 وَإِخْوَانٌ صَدَقَ قَدْ سَمِعْتَ حَدِيثَهُمْ وَأَمْسَكَتَ عَنْهُمْ نَاضِرِي وَلِسَانِي
 وَمَا الزَّهْدُ أَسْلَى عَنْهُمْ غَيْرَ أُنْنِي وَجَدْتِكَ مَشْهُودًا بِكُلِّ مَكَانٍ

وكان بعض المشايخ يخص واحداً من تلامذته بإقباله عليه فقال أصحابه
 له في ذلك فدفع إلى كل واحد منهم طيراً وقال اذبحوه بحيث لا يراه أحد فمضى كل
 واحد وذبح الطير بمكان خال وجاء هذا الإنسان والطير معه غير مذبوح فسأله الشيخ
 فقال أمرتني أن أذبحه بحيث لا يراه أحد ولم يكن موضع إلا والحق سبحانه يراه
 فقال الشيخ لهذا أقدم هذا عليكم إذ الغالب عليكم حديث الخلق وهذا غير غافل عن
 الحق ورؤية القرب حجاب عن القرب^(١) . فمن شاهد لنفسه محلاً أو نفساً^(٢) . فهو
 مَكُورٌ به ولهذا قالوا أوحشك الله تعالى من قربه أى من شهودك لقربه فإن الاستئناس
 بقربه من سمات العزة به إذ الحق سبحانه وراء^(٣) . كل أنس وإن مواضع الحقيقة
 توجب الدهش والمحو وفي قريب من هذا قالوا :

مَحْنَتِي فِيكَ أُنْنِي * مَا أَبَالِي بِمَحْنَتِي

قَرِيبَكُمْ مِثْلَ بَعْدِكُمْ * فَمَتَى وَقْتُ رَاحَتِي

(١) (حجاب عن القرب) لأنه إذا رأى قربه منه فقد رأى غيره فكمال قربه أن يشتغل
 بربه عن قربه منه .

(٢) (نفساً) بفتح الفاء لا بسكونها .

(٣) (وراء) أى أمام .

وكان الأستاذ أبو علي الدقاق رحمه الله كثيرا ما ينشد :

ودادكم هجروحبكم قلى وقربكم بعد وسلمكم حرب

ورأى أبو الحسين النورى بعض أصحاب أبى حمزة فقال أنت من أصحاب أبى حمزة الذى يشير إلى القرب إذا لقيته فقل له إن أبى الحسين النورى يقرئك السلام ويقول لك قرب القرب فيما نحن فيه بعد البعد فأما القرب بالذات فتعالى الله الملك الحق عنه فإنه متقدس عن الحدود والأقطار والنهاية والمقدار ما اتصل به مخلوق ولا انفصل عنه حادث مسبوق به جلت الصمدية عن قبول الوصل والفصل فقرب هو فى نعتة محال وهو تدانى الذات وقرب هو واجب فى نعتة وهو قرب بالعلم والرؤية وقرب هو جائز فى وصفه يخص به من يشاء من عباده وهو قرب الفضل باللطف . ومن ذلك (**الشرعية والحقيقة**) الشرعية أمر بالتزام العبودية والحقيقة مشاهدة الربوبية^(١) . فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول وكل حقيقة غير مقيدة بالشرعية فغير مقبول فالشرعية جاءت بتكليف الخلق والحقيقة إنباء عن تصريح الحق فالشرعية أن تعبدته والحقيقة أن تشهده والشرعية قيام بما أمر والحقيقة شهود لما قضى وقدر وأخفى وأظهر سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول قوله « إياك نعبد » حفظ للشرعية « وإياك نستعين » إقرار بالحقيقة واعلم أن الشرعية حقيقة من حيث إنها وجبت بأمره والحقيقة أيضا شريعة من حيث إن المعارف^(٢) به سبحانه أيضا وجبت بأمره . ومن ذلك (**النفس**) النفس ترويح القلوب بلطائف الغيوب وصاحب الأنفاس أرق وأصفى من صاحب الأحوال فكان صاحب الوقت مبتدئا وصاحب الأنفاس منتهيا وصاحب الأحوال بينهما فالأحوال وسائط والأنفاس نهاية الترقى فالأوقات لأصحاب القلوب والأحوال لأرباب الأرواح والأنفاس لأهل السرائر وقالوا أفضل العبادات عد

(١) (مشاهدة الربوبية) أى رؤيته إياها بقلبه ويعبر عن ذلك بأن الشرعية معرفة السلوك إلى الله تعالى والحقيقة دوام النظر إليه والطريقة سلوك طريق الشرعية أى العمل بمقتضاها وبعضهم لم يفرق بينها وبين الشرعية ظاهر الحقيقة والحقيقة باطن الشرعية وهما متلازمان لا يتم أحدهما إلا بالآخر .

(٢) (إن المعارف) أى معرفة العارفين النفس بفتح الفاء لا بسكونها .

الأنفاس مع الله سبحانه وتعالى وقالوا خلق الله القلوب وجعلها معادن المعرفة وخلق الأسرار وراءها وجعلها محلا للتوحيد فكل نفس حصل من غير دلالة المعرفة وإشارة التوحيد على بساط الاضطراب فهو ميت وصاحبه مسؤول عنه . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله تعالى يقول العارف لا يسلم له النفس لأنه لا مسامحة تجرى معه والمحب لا بد له من نفس إذ لولا أن يكون له نفس لتلاشى لعدم طاقته . ومن ذلك (**الخواطر**) والخواطر خطاب يرد على الضمائر فقد يكون بإلقاء ملك وقد يكون بإلقاء الشيطان ويكون أحاديث النفس ويكون من قبل الحق سبحانه فإذا كان من الملك فهو الإلهام وإذا كان من قبل النفس قيل له الهواجس وإذا كان من قبل الشيطان فهو الوسواس وإذا كان من قبل الله سبحانه وتعالى وإلقائه في القلب فهو خاطر لحق وجملة ذلك من قبيل الكلام فإذا كان من قبل الملك فإنما يعلم صدقه بموافقة العلم ولهذا قالوا كل خاطر لا يشهد له ظاهر فهو باطل وإذا كان من قبل الشيطان فأكثره ما يدعو إلى المعاصي وإذا كان من قبل النفس فأكثره ما يدعو إلى اتباع شهوة أو استئثار كبر أو ما هو من خصائص أوصاف النفس واتفق المشايخ على أن من كان أكله من الحرام لم يفرق بين الإلهام والوسواس .. وسمعت الشيخ أبا على الدقاق رحمه الله يقول من كان قوته معلوما لم يفرق بين الإلهام والوسواس ، وأن من سكنت عنه هواجس نفسه بصدق مجاهدته نطق بيان قلبه بحكم مكابדתه وأجمع الشيخ على أن النفس لا تصدق وأن القلب لا يكذب وقال بعض المشايخ إن نفسك لا تصدق وقلبك لا يكذب ولو اجتهدت كل الجهد أن تخاطبك روحك لم تخاطبك وفرق الجنيد بين هواجس النفس ووساوس الشيطان بأن النفس إذا طالبتك بشيء ألحت فلا تزال تعاودك ولو بعد حين حتى تصل إلى مرادها ويحصل مقصودها .. اللهم إلا أن يدوم صدق المجاهدة ثم إنها تعاودك وتعاودك وأما الشيطان إذا دعاك إلى زلة فخالفته بترك ذلك يوسوس بزلة أخرى لأن جميع المخالفات له سواء إنما يريد أن يكون داعيا أبدا إلى زلة ما ولا غرض له في تخصيص واحد دون واحد وقيل كل خاطر يكون من المسلك فربما يوافقه صاحبه وربما يخالفه فأما خاطر يكون من الحق سبحانه

فلا يحصل خلاف من العبد له .. وتكلم الشيوخ فى خاطر والثانى إذا كان الخاطران من الحق سبحانه هل هو أقوى من الأول فقال الجنيد خاطر الأول أقوى لأنه إذا بقى رجع صاحبه إلى التأمل وهذا بشرط العلم فترك الأول يضعف الثانى وقال ابن عطاء الثانى أقوى لأنه ازداد قوة بالأول وقال أبو عبد الله بن خفيف من المتأخرين هما سواء لأن كليهما من الحق فلا مزية لأحدهما على الآخر والأول لا يبقى فى حال وجود الثانى لأن الآثار لا يجوز عليها البقاء . ومن ذلك (علم اليقين ^(١)) وعين اليقين وحق اليقين) هذه ^(٢) عبارات عن علوم جليلة ^(٣) فاليقين هو العلم الذى لا يتداخل صاحبه ريب على مطلق العرف ولا يطلق فى وصف الحق سبحانه لعدم التوقيف فعلم اليقين هو اليقين وكذلك عين اليقين نفس اليقين وحق اليقين نفس اليقين فعلم اليقين على موجب اصطلاحهم ما كان بشرط البرهان وعين اليقين ما كان بحكم البيان ^(٤) وحق اليقين ما كان بنعت العيان فعلم اليقين لأرباب العقول وعين اليقين لأصحاب العلوم وحق اليقين لأصحاب المعارف والكلام فى الإفصاح عن هذا بحال تحقيقه يعود إلى ما ذكرناه فاقصرنا على هذا القدر على جهة التنبيه . ومن ذلك (الوارد) ويجرى فى كلامهم ذكر الواردات كثيرا والوارد ما يرد على القلوب من الخواطر المحمودة مما لا يكون بتعمد العبد وكذلك ما لا يكون من قبيل الخواطر فهو أيضاً وارد ثم قد يكون وارد من الحق ووارد من العلم فالواردات أعم من الخواطر لأن الخواطر تختص بنوع الخطاب أو ما يتضمن معناه والواردات تكون وارد سرور ووارد حزن ووارد قبض ووارد بسط إلى غير ذلك

(١) (اليقين) هو عند جماعة توالى العلم بالمعلوم حتى لا يكاد يغفل عنه فهو أخص من العلم وعن آخرين هو العلم نفسه وسيأتى .

(٢) (هذه) أى الألفاظ .

(٣) (عبارات عن علوم جليلة) مع تفاوتها فى القوة بناء على أن اليقين مقول على أفرادها بالتشكيك والثلاثة مذكورة فى القرآن قال تعالى « لو تعلمون علم اليقين » وقال « لترونها عين اليقين » وقال « إن هذا لهُو حق اليقين » .

(٤) (بحكم البيان) أى بطريق الكشف والنوال .

من المعانى . ومن ذلك (لفظ الشاهد) كثيراً ما يجرى فى كلامهم لفظ الشاهد فلان بشاهد العلم وفلان بشاهد الوجد وفلان بشاهد الحال ويريدون بلفظ الشاهد ما يكون حاضر قلب الإنسان وهو ما كان الغالب عليه ذكره حتى كأنه يراه ويبصره وإن كان غائبا عنه فكل ما يستولى على قلب صاحبه ذكره فهو بشاهده فإن كان الغالب عليه العلم فهو يشاهد العلم وإن كان الغالب عليه الوجد فهو بشاهد الوجد ومعنى الشاهد الحاضر فكل ما هو حاضر قلبك فهو شاهدك وسئل الشبلى عن المشاهدة فقال من أين لنا مشاهدة الحق ؟ الحق لنا شاهد أشار بشاهد الحق إلى المستولى على قلبه والغالب عليه من ذكر الحق والحاضر فى قلبه دائما من ذكر الحق ومن حصل له مع مخلوق تعلق بالقلب يقال إنه شاهده يعنى أنه حاضر قلبه فإن المحبة توجب دوام ذكر المحبوب واستيلائه عليه وبعضهم تكلف فى مراعاة هذا الاشتقاق فقال إنما سمي الشاهد من الشهادة فكأنه إذا طالع شخصا بوصف الجمال فإن كانت بشريته ساقطة عنه ولم يشغله شهود ذلك الشخص عما هو به من الحال ولا أثرت فيه صحبتته بوجه فهو شاهد له على فناء نفسه ومن أثر فيه ذلك فهو شاهد عليه فى بقاء نفسه وقيامه بأحكام بشريته إما شاهد له أو شاهد عليه وعلى هذا حمل قوله صلى الله عليه وآله وسلم « رأيت ربى ليلة المعراج فى أحسن صورة أى أحسن صورة رأيتها تلك الليلة لم تشغلنى عن رؤيته تعالى بل رأيت المصور فى الصورة والمنشئ فى الإنشاء » يريد به رؤية العلم لا إدراك البصر. ومن ذلك (النفس) نفس الشيء فى اللغة وجوده وعند القوم ليس المراد من إطلاق لفظ النفس الوجود ولا القلب الموضوع إنما أرادوا بالنفس ما كان معلوما من أوصاف العبد ومذموما من أخلاقه وأفعاله ثم المعلومات من أوصاف العبد على ضربين أحدهما يكون كسباً له كمعاصيه ومخالفاته والثانى أخلاقه الدنيئة فهى فى أنفسها مذمومة فإذا عالجها العبد ونازلها تنتفى عنه بالمجاهدة تلك الأخلاق على مستمر العادة ^(١) . والقسم الأول من أحكام النفس ما نهى عنه نهى تحريم أو نهى تنزيه وأما القسم الثانى من النفس فسفساف الأخلاق والدنىء

(١) (على مستمر العادة) أى على العادة المستمرة وإن لم يتغير الطبع وهو الميل لكل =

منها هذا حده على الجملة ثم تفصيلها فالكبر والغضب والحقد والحسد وسوء الخلق وقلة الاحتمال وغير ذلك من الأخلاق المذمومة وأشد أحكام النفس وأصعبها توهماً أن شيئاً منها حسن أو أن لها استحقاق قدر ولهذا عد ذلك من الشرك الخفى ومعالجة الأخلاق فى ترك النفس وكسرها أتم من مقاساة الجوع والعطش والسهر وغير ذلك من المجاهدات التى تتضمن سقوط القوة وإن كان ذلك أيضاً من جملة ترك النفس ويحتمل أن تكون النفس لطيفة مودعة فى هذا القلب هى محل الأخلاق المعلومة كما أن الروح لطيفة مودعة فى هذا القلب هى محل الأخلاق المحمودة وتكون الجملة مسخراً بعضها لبعض والجميع إنسان واحد وكون الروح والنفس من الأجسام اللطيفة فى الصورة ككون الملائكة والشياطين بصفة اللطافة وكما يصح أن يكون البصر محل الرؤية والأذن محل السمع والأنف محل الشم والفم محل الذوق والسميع والبصير والشام والذائق إنما هى الجملة التى هى الإنسان فكذلك محل الأوصاف الحميدة القلب والروح ومحل الأوصاف المذمومة النفس ، والنفس جزء من هذه الجملة والقلب جزء من هذه الجملة والحكم والاسم راجع إلى الجملة . ومن ذلك (الروح) الأرواح مختلف فيها عند أهل التحقيق من أهل السنة فمنهم من يقول إنها الحياة ومنهم من يقول أعيان مودعة فى هذه القوالب ..

[لطيفة] أجرى الله العادة بخلق الحياة فى القالب ما دامت الأرواح فى الأبدان فالإنسان حى بالحياة ولكن الأرواح مودعة فى القوالب ولها ترق فى حال النوم ومفارقة للبدن ثم رجوع إليه وأن الإنسان هو الروح والجسد لأن الله سبحانه وتعالى سخر هذه الجملة بعضها لبعض والحشر يكون للجملة والمثاب والمعاقب الجملة

= لذيذ والنفرة عن كل كربه فالنفس فى طبعها تميل إلى الدنيا لكونها لا تعرف حسناً غيرها فإذا عرفت نقصها وحجبها عن الخيرات نفرت عنها فالذى كان لذيذاً لها بما لها وطبعها لم يتغير وإنما تغير ظنها باللذيذ والكربه وكذلك من نظر للأعمال الصالحة ومشقة القيام بها يجد نفسه نافرة عنها فإذا عرف ما يترتب عليها من الفوائد مال إليها وكره تركها فالذى كان كارهاً له صار مائلاً إليه والطبع هو هو لم يتغير .

والأرواح مخلوقة ومن قال بقدمها فهو مخطئ خطأ عظيماً والأخبار تدل على أنها أعيان لطيفة . ومن ذلك (السر) يحتمل أنها لطيفة مودعة في القالب كالأرواح وأصولها تقتضى أنها محل المشاهدة كما أن الأرواح محل للمحبة والقلوب محل للمعارف وقالوا السر مالك عليه إشراف وسر السر ما لا اطلاع عليه لغير الحق وعند القوم على موجب مواضعاتهم ومقتضى أصولهم السر ألطف من الروح والروح أشرف من القلب ويقولون الأسرار معتقة عن رق الأغيار من الآثار والأطلال ويطلق لفظ السر على ما يكون مصنوعاً مكتوماً بين العبد والحق سبحانه فى الأحوال وعليه يحمل قول من قال أسرارنا بكر لم يفتضها وهم واهم ويقولون صدور الأحرار قبور الأسرار وقالوا لو عرف زرى سرى لطرحته فهذا طرف من تفسير إطلاقاتهم وبيان عباراتهم فيما انفردوا به من ألفاظ ذكرناها على شرط الإيجاز ..

ونذكر الآن أبواباً فى شرح المقامات التى هى مدارج أرباب السلوك ثم بعدها أبواباً فى تفصيل الأحوال على الحد الذى يسهله الله بفضله إن شاء الله تعالى ..



باب التوبة

قال الله تعالى : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ

تُفْلِحُونَ ﴾ (أخبرنا) أبو بكر محمد بن الحسين بن فورك قال أخبرنا أحمد بن محمود بن خراز قال حدثنا محمد بن فضل بن جابر قال حدثنا سعيد بن عبد الله قال حدثنا أحمد بن زكريا قال « حدثنا أبي قال سمعت أنس بن مالك يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » ، وإذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب ثم تلا ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ ^(١) قيل يارسول الله وما علامة التوبة قال « الندامة » ^(٢) (أخبرنا) علي بن أحمد بن عبدان الأهوازي قال أخبرنا أبو الحسن أحمد بن عبيد الصفار قال أخبرنا محمد بن الفضل بن جابر أخبرنا الحكم بن موسى قال حدثنا غسان بن عبيد عن أبي عاتكة طريف بن سليمان عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « ما من شيء أحب إلى الله من شاب تائب » فالتوبة أول منزل من منازل السالكين وأول مقام من مقامات الطالبين وحقيقة التوبة في لغة العرب الرجوع يقال تاب أى رجع فالتوبة الرجوع عما كان مذموما في الشرع إلى ما هو محمود فيه وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم « الندم التوبة » فأرباب الأصول من أهل السنة قالوا شرط التوبة حتى تصح ثلاثة أشياء الندم على ما عمل من المخالفات وترك الزلة في الحال والعزم على أن لا يعود إلى مثل ما عمل من المعاصي فهذه الأركان لا بد منها حتى تصح توبته قال هؤلاء وما في الخبر أن الندم توبة إنما نص على معظمه ^(٣) . كما قال صلى الله عليه وآله وسلم « الحج عرفة » أى معظم أركانه عرفة أى الوقوف بها لأنه لا ركن في الحج

(١) (إن الله يحب التوابين) لأنه إذا أحب الشخص ألهمه التوبة من الذنب أو غفر له لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ .

(٢) (الندامة) أى على ما تاب منه وهى من شروط التوبة .

(٣) (على معظمه) أى ركنها والأولى معظمها أى معظم أركانها .

سوى الوقوف بعرفات ولكن معظم أركانه الوقوف بها كذلك قوله « الندم توبة ، أى معظم أركانها الندم ومن أهل التحقيق من قال يكفى الندم فى تحقيق ذلك لأن الندم يستتبع الركنتين الآخرين فإنه يستحيل تقدير أن يكون نادماً على ما هو مصر على مثله أو عازم على الإتيان بمثله وهذا معنى التوبة على جهة التحديد والإجمال فأما على جهة الشرح والإبانة فإن للتوبة أسباباً وترتيباً وأقساماً فأول ذلك انتباه القلب عن رقدة الغفلة ورؤية العبد ما هو عليه من سوء الحالة ويصل إلى هذه الجملة بالتوفيق للإصغاء إلى ما يخطر بباله من زواجر الحق سبحانه يسمع قلبه فإنه جاء فى الخبر واعظ الله فى قلب كل امرئ مسلم وفى الخبر « إن فى البدن لمضغة إذا صلحت صلح جميع البدن وإذا فسدت فسد جميع البدن ألا وهى القلب ، فإذا فكر بقلبه فى سوء ما يصنعه وأبصر ما هو عليه من قبيح الأفعال سرح فى قلبه إرادة التوبة والإقلاع عن قبيح المعاملة فيمده الحق سبحانه بتصحيح العزيمة والأخذ فى جميل الرجعة والتأهب لأسباب التوبة فأول ذلك هجران إخوان السوء فإنهم هم الذين يحملونه على رد هذا القصد ويشوشون عليه صحة هذا العزم ولا يتم ذلك إلا بالمواظبة^(١) على المشاهدة التى تزيد رغبته فى التوبة وتوفر دواعيه على إتمام ما عزم عليه مما يقوى خوفه ورجاءه فعند ذلك تنحل من قلبه عقدة الإصرار على ما هو عليه من قبيح الأفعال فيقف على تعاطى المحظورات ويكبح لجام نفسه عن متابعة الشهوات فيفارق الزلة فى الحال ويبرم العزيمة على أن لا يعود إلى مثلها فى الاستقبال فإن مضى على موجب قصده ونفذ بمقتضى عزمه فهو الموفق صدقاً وإن نقض التوبة مرة أو مرات وتحمله إرادته على تجديدها فقد يكون مثل هذا أيضاً كثيراً فلا ينبغى قطع الرجاء عن توبة أمثال هؤلاء فإن لكل أجل كتاباً (حكى عن أبى سليمان الدارانى) أنه قال اختلفت إلى مجلس قاض فأنثر كلامه فى قلبى فلما قمت لم يبق فى قلبى منه شئ فعدت ثانياً فسمعت كلامه فبقى كلامه فى قلبى فى الطريق ثم زال ثم عدت

(١) (ولا يتم ذلك إلا بالمواظبة .. إلخ) ومن ذلك خلطته بالصالحين وسماع أقوالهم وأفعالهم المرسومة فى الكتب عنهم

ثالثاً فبقى أثر كلامه فى قلبى حتى رجعت إلى منزلى فكسرت آلات المخالفات ولزمت الطريق فحكى هذه الحكاية ليحيى بن معاذ فقال عصفور اصطاد كركياً أراد بالعصفور ذلك القصاص وبالكركى أبا سليمان الداراني (ويحكى عن أبي حفص الحداد) أنه قال تركت العمل ^(١) كذا وكذا مرة ^(٢) . فعدت إليه ثم تركنى العمل فلم أعد بعد إليه ، وقيل إن أبا عمرو بن نجيد فى ابتداء أمره اختلف إلى مجلس أبي عثمان فأثر فى قلبه كلامه فتأب ثم إنه وقعت له فترة فكان يهرب من أبي عثمان إذا رآه ويتأخر عن مجلسه فاستقبله أبو عثمان يوماً فحاد أبو عمرو عن طريقه وسلك طريقاً أخرى فتبعه أبو عثمان فما زال يقفو أثره حتى لحقه فقال له يا بنى لا تصحب من لا يحبك إلا معصوماً إنما ينفعك أبو عثمان فى مثل هذه الحالة قال فتأب أبو عمرو بن نجيد وعاد إلى الإرادة ونفذ فيها . سمعت الشيخ أبا على الدقاق رحمه الله يقول تأب بعض المريدين ثم وقعت له فترة فكان يفكر وقتاً لو عاد إلى توبته كيف حكمه فهتف به هاتف يافلان أطلعنا فشكرناك ثم تركتنا فأمهلناك وإن عدت إلينا قبلناك فعاد الفتى إلا الإرادة ونفذ فيها فإذا ترك المعاصى وحل عن قلبه عقدة الإصرار وعزم على أن لا يعود إلى مثله فعند ذلك يخلص إلى قلبه صادق الندم فيتأسف على ما عمله ويأخذ فى التحسر على ما صنعه من أحواله وارتكبه من قبيح أعماله فنتم توبته وتصدق مجاهدته واستبدل بمخالطته العزلة وبصحبتة مع إخوان السوء التوحش عنهم والخلوة دونهم ويصل ليلة بنهاره فى التلهف ويعتق فى عموم أحواله بصدق التأسف يحو بصوب عبرته آثار عثرته ويأسو بحسن توبته كلوم حوبته

(١) (العمل) أى الكسب .

(٢) (كذا وكذا مرة .. إلخ) يعنى ترك العمل فى الدنيا ليتفرغ للعبادة ثم غلبته محبته فعاد إليه ثم غلب عليه محبة تركه لشدة محبته فى الخير فتركه ثم غلب عليه محبة العمل فعاد إليه ثم قوى حاله فترك العمل ونفرت نفسه عنه ورغب فيما هو أفضل منه وربما كان سبب ترك العمل ما حكى أنه كان يعمل الحديد فى دكانه فغلب عليه حاله فأدخل يده فى الكير وأخذ الحديد بيده وجعل يطرقها وهو لا يشعر فلما كلمه تلميذه فى ذلك رجع إلى حاله وهرب من الشهرة وعلم أن المراد منه ترك ما هو فيه .

ويعرف من بين أمثاله بذنوبه ويستدل على صحة حاله بنحوه ولن يتم له شيء من ذلك إلا بعد فراغه من إرضاء خصومه والخروج عما لزمه من مظالمه فإن أول منزلة من التوبة إرضاء الخصوم بما أمكنه فإن اتسع ذات يده لإيصال حقوقهم إليهم أو سمحت أنفسهم بإحلاله والبراءة عنه وإلا فالعزم بقلبه على أن يخرج عن حقوقهم عند الإمكان والرجوع إلى الله بصدق الابتهال والدعاء لهم (**والتائبين صفات وأحوال**) هي من خصالهم بعد ذلك من جملة التوبة لكونها من صفاتهم لا لأنها من شرط صحتها وإلى ذلك تشير أقاويل الشيوخ في معنى التوبة سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول التوبة على ثلاثة أقسام أولها التوبة وأوسطها الإنابة وآخرها الأوبة فجعل التوبة بداية والأوبة نهاية والإنابة واسطتهما فكل من تاب لخوف العقوبة فهو صاحب توبة ومن تاب طمعاً في الثواب فهو صاحب إنابة ومن تاب مراعاة للأمر لا للرجبة في الثواب أو رهبة من العقاب فهو صاحب أوبة ويقال أيضاً التوبة صفة المؤمنين قال تعالى : ﴿ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴾ والإنابة صفة الأولياء والمقربين قال تعالى : ﴿ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴾ والأوبة صفة الأنبياء والمرسلين ، قال الله تعالى : ﴿ نِعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ، سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت منصور ابن عبد الله يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت الجنيد يقول التوبة على ثلاثة معان أولها الندم والثاني العزم على ترك المعادة إلى ما نهى الله عنه والثالث السعى في أداء المظالم وقال سهل بن عبد الله التوبة ترك التسويف . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت أبا عبد الله القرشى يقول سمعت الجنيد يقول سمعت الحارث يقول ما قلت قط (اللهم إني أسألك التوبة ولكنى أقول أسألك شهوة التوبة) أخبرنا أبو عبد الله الشيرازى قال سمعت أبا عبد الله بن مصلح بالأهواز يقول سمعت ابن زيرى يقول سمعت الجنيد يقول دخلت على السرى يوماً فرأيتته متغيراً فقلت له مالك فقال دخل على شاب فسألنى عن التوبة فقلت له أن لا تنسى ذنبك فعارضنى وقال بل التوبة أن تنسى ذنبك فقلت إن الأمر عندى ما قال الشاب فقال لم قلت لأنى إذا كنت فى حال

الجفاء فنقلنى إلى حال الوفاء فذكر الجفاء فى حال الصفاء جفاء . فسكت . سمعت أبا حاتم السجستاني يقول سمعت أبا نصر السراج الصوفى يقول سئل سهل بن عبد الله عن التوبة فقال أن لاتنسى ذنبك وسئل الجنيد عن التوبة فقال أن تنسى ذنبك قال أبو نصر السراج أشار سهل إلى أحوال المريدين والمتعرضين تارة لهم وتارة عليهم فأما الجنيد فإنه أشار إلى توبة المحققين فإنهم لا يذكرون ذنوبهم بما غلب على قلوبهم من عظمة الله ودوام ذكره قال وهو مثل ما سئل رويم عن التوبة فقال هى التوبة من التوبة ^(١) . وسئل ذو النون المصرى عن التوبة فقال توبة العوام من الذنوب وتوبة الخواص من الغفلة وقال أبو الحسين النورى التوبة أن تتوب من كل شىء سوى الله عز وجل سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفى يقول سمعت عبد الله بن علي بن محمد التميمى يقول شتان ما بين تائب يتوب من الزلات وتائب يتوب من الغفلات وتائب يتوب من رؤية الحسنات وقال الواسطى التوبة النصوح لا تبقى على صاحبها أثراً من المعصية سراً ولا جهراً ومن كانت توبته نصوحاً لا يبالي كيف أمسى وأصبح . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن إبراهيم بن الفضل الهاشمى يقول سمعت محمد بن الرومى يقول سمعت يحيى بن معاذ يقول إلهى لا أقول تبت ولا أعود لما أعرف من خلقى ولا أضمن ترك الذنوب لما أعرف من ضعفى ثم إنى أقول لا أعود لعلى أن أموت قبل أن أعود وقال ذو النون الاستغفار من غير إقلاع توبة الكاذبين . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت النصراباذى يقول سمعت ابن يزدانيار يقول وقد سئل عن العبد إذا خرج إلى الله على أى أصل يخرج فقال على أن لا يعود إلى ما منه خرج ولا يراعى غير من إليه خرج ويحفظ سره عن ملاحظة ما تبرأ منه فقل له هذا حكم من خرج عن وجود

(١) (التوبة من التوبة) أى من رؤية كونه تائباً فإنه لا يرى ذلك إلا إذا كان مفرق القلب ناظراً لنفسه وتوبته فينحجب بذلك فكمال توبته دوام شغله بربه حتى ينسى توبته كما قال الجنيد وقيل معنى كلام رويم ما قالته رابعة أستغفر الله من قلة صدقى من قولى أستغفر الله إشارة إلى التوبة من التقصير فى الأعمال واستغفار عما عساه أن يقع فيها من ذهول أو إهمال أو نحوه مما لا يليق بحضرة الحق تعالى أو إذا لم تستوف شروط التوبة بأجمعها .

فكيف حكم من خرج عن عدم فقال وجود الحلاوة في المستأنف عوضاً عن المرارة في السالف . وسئل البوشنجي عن التوبة فقال إذا ذكرت الذنب ثم لا تجد حلاوته عند ذكره فهو التوبة وقال ذو النون حقيقة التوبة أن تضيق عليك الأرض بما رحبت حتى لا يكون لك قرار ثم تضيق عليك نفسك كما أخبر الله تعالى في كتابه بقوله : ﴿ وَصَافَتْ عَلَيْهِمُ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ﴾ وقال ابن عطاء التوبة توبتان توبة الإنابة وتوبة الاستجابة فتوبة الإنابة أن يتوب العبد خوفاً من عقوبته وتوبة الاستجابة أن يتوب حياء من كرمه . وقيل لأبي حفص لم يبغض التائب الدنيا قال لأنها دار باشر فيها الذنوب فقليل له أيضاً هي دار أكرمه الله فيها بالتوبة فقال إنه من الذنب على يقين ومن قبول توبته على خطر . وقال الواسطي طرب داود عليه السلام وما هو فيه من حلاوة الطاعة أوقعه في أنفاس متصاعدة وهو في الحالة الثانية أتم منه في وقت ما ستر عليه أمره . وقال بعضهم توبة الكذابين على أطراف ألسنتهم يعني قول أستغفر الله . وسئل أبو حفص عن التوبة فقال ليس للعبد في التوبة شيء لأن التوبة إليه لا منه وقيل أوحى الله سبحانه إلى آدم يا آدم ورثت ذريتك التعب والنصب وورثتهم التوبة من دعاني منهم بدعوتك لبيتك كتلبيتك يا آدم أحشر التائبين من القبور مستبشرين بى ضاحكين ودعائهم مستجاب . وقال رجل لرابعة إني قد أكثرت من الذنوب والمعاصي فلو تبت هل يتوب على .. فقالت : لا بل لو تاب عليك لتبت واعلم أن الله تعالى قال ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ ومن قارف الزلة فهو من خطئه على يقين فإذا تاب فإنه من القبول على شك لاسيما إذا كان من شرطه وحقه أن يكون مستحقاً لمحبة الحق وإلى أن يبلغ العاصي محلاً يجد في أوصافه أماره محبة الله إياه مسافة بعيدة فالواجب إذاً على العبد إذا علم أنه ارتكب ما تجب منه التوبة دوام الانكسار وملازمة التنصل والاستغفار كما قالوا استشعار الوجل إلى الأجل وقال عز من قائل ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ وكان من سنته صلى الله عليه

وآله وسلم دوام الاستغفار وقال صلى الله عليه وآله وسلم « إنه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة ». سمعت أبا عبد الله الصوفي يقول سمعت الحسين بن علي يقول سمعت محمد بن أحمد يقول سمعت عبد الله بن سهل يقول سمعت يحيى بن معاذ يقول زلة واحدة بعد التوبة^(١). أقبح من سبعين قبلها . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا عبد الله الرازي يقول سمعت أبا عثمان يقول في قوله عز وجل ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴾ قال رجوعهم وإن تمادى بهم الجولان في المخالفات . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت أبا عمرو الأنماطي يقول ركب على بن عيسى الوزير في موكب عظيم فجعل الغرباء يقولون من هذا من هذا فقالت امرأة قائمة على الطريق إلى متى تقولون من هذا من هذا ؟ هذا عبد سقط من عين الله فابتلاه الله بما ترون فسمع على بن عيسى ذلك فرجع إلى منزله واستعفى عن الوزارة وذهب إلى مكة وجاور بها .



(١) (زلة واحدة بعد التوبة .. إلخ) لأن الفعل القبيح من العالم بكمال قبحه أقبح من غيره ولهذا كان عذاب العالم أشد من عذاب الجاهل وذكر السبعين هنا وفي الخبر السابق ليس للتقييد بل للمبالغة كما في قوله تعالى : ﴿ إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ﴾ أى حتى لو استغفر لهم أكثر من السبعين مرة وكذا ذكر المائة في الرواية السابقة .

باب المجاهدة

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ

الْمُحْسِنِينَ ﴾ (أخبرنا) أبو الحسين علي بن أحمد الأهوازي قال أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار قال أخبرنا العباس بن الفضل الإسقاطي قال أخبرنا ابن كاسب قال أخبرنا ابن عيينة عن علي بن زيد عن أبي نصره عن أبي سعيد الخدري قال سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أفضل الجهاد فقال « كلمة عدل عند سلطان جائر » فدمعت عينا أبي سعيد . سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول من زين ظاهره بالمجاهدة حسن الله سرائره بالمشاهدة .. قال الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا

لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ واعلم أن من لم يكن في بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من هذه الطريقة شمة . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت أبا عثمان المغربي يقول من ظن أنه يفتح له شيء من هذه الطريقة أو يكشف له عن شيء منها إلا بلزوم المجاهدة فهو في غلط . سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول من لم يكن له في بدايته قومة لم يكن له في نهايته جلسة وسمعته أيضا يقول قولهم الحركة بركة حركات الظواهر توجب بركات السرائر . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول سمعت الحسين بن علوية يقول قال أبو يزيد البسطامي كنت ثنتي عشرة سنة حداد نفسي وخمس سنين كنت مرآة قلبي وسنة أنظر فيما بينهما فإذا في وسطى زنار ظاهر فعلت في قطعه ثنتي عشرة سنة ثم نظرت فإذا في باطنى زنار فعلت في قطعه خمس سنين أنظر كيف أقطعه فكشف لى فنظرت إلى الخلق فرأيتهم موتى فكبرت عليهم أربع تكبيرات . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول سمعت جعفرا يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السرى يقول يا معشر الشباب جدوا قبل أن تبلغوا مبلغى فتضعفوا وتقصروا كما ضعفت وقصرت وكان في ذلك الوقت لا يلحقه الشباب في العبادة

وسمعه يقول سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت عبد العزيز النجراني يقول سمعت الحسن القزاز يقول بنى هذا الأمر على ثلاثة أشياء أن لا تأكل إلا عند الفاقة ولا تنام^(١). إلا عند الغلبة ولا تتكلم إلا عند الضرورة^(٢) سمعته يقول سمعت منصور ابن عبد الله يقول سمعت محمد بن حامد يقول سمعت أحمد بن خضرويه يقول سمعت إبراهيم بن أدهم يقول لن ينال الرجل درجة الصالحين حتى يجوز ست عقبات أولها أن يغلق باب النعمة ويفتح باب الشدة والثاني أن يغلق باب العز ويفتح باب الذل والثالث أو يغلق باب الراحة ويفتح باب الجهد والرابع أن يغلق باب النوم ويفتح باب السهر والخامس أن يغلق باب الغنى ويفتح باب الفقر والسادس أن يغلق باب الأمل ويفتح باب الاستعداد للموت. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت جدى أبا عمرو بن نجيد يقول من كرمته عليه نفسه^(٣). هان عليه دينه وسمعته يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا على الروذباري يقول إذا قال الصوفى بعد خمسة أيام أنا جائع فالزموه السوق وأمروه بالكسب واعلم أن أصل المجاهدة وملاكها فطم النفس عن المألوفات وحملها على خلاف هواها فى عموم الأوقات وللنفس صفتان مانعتان لها من الخير انهماك فى الشهوات وامتناع عن الطاعات فإذا جمحت عند ركوب الهوى وجب كبحها بلجام التقوى وإذا حرنت عند القيام بالموافقات يجب سوقها على خلاف الهوى وإذا ثارت عند غضبها فمن الواجب مراعاة حالها فما من منازلة أحسن عاقبة من غضب يكسر سلطانه بخلق حسن وتخمد نيرانه برفق فإذا استحلت شراب الرعونة فضأقت إلا عن إظهار مناقبها والتزین لمن ينظر إليها

(١) (ولا تنام) عن فعل الطاعات لا النوم الحقيقى فقط .

(٢) (عند الضرورة) لعموم خبر ، من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ، والخبر ، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإذا كان ولا بد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ، ولقوله تعالى ﴿ لا خير فى كثير من نجواهم ﴾ الآية .. وقال مالك رضى الله تعالى عنه من عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه وفى الخبر ، وهل يكب الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم ، وعمر الإنسان رأس ماله الذى فيه تجارته فإذا ضيعه فيما لا يعنيه فقد أتلفه فيما لا شىء .

(٣) (من كرمته عليه نفسه) ووافقها فيما تحب من الشهوات وترك مشقة الطاعات .

ويلاحظها فمن الواجب كسر ذلك عليها وإحلالها بعقوبة الذل بما يذكرها من حقارة قدرها وخساسة أصلها وقذارة فعلها وجهد العوام في توفية الأعمال وقصد الخواص إلى تصفية الأحوال فإن مقاساة الجوع والسهر سهل يسير ومعالجة الأخلاق والتنقى عن سفاسفها صعب شديد (ومن غوامض آفات النفس) ركونها إلى استحلاء المدح فإن من تحسى منه جرعة حمل السموات والأرضين على شفر من أشفاره وأماره ذلك أنه إذا انقطع عنه ذلك الشرب آل حاله إلى الكسل والفشل وكان بعض المشايخ يصلى فى مسجد فى الصف الأول سنين كثيرة فعاقه يوما عن الإبرار إلى المسجد عائق فصلى فى الصف الأخير فلم ير بعد ذلك مدة فسئل عن السبب فقال كنت أقضى صلاة كذا وكذا سنة صليتها وعندى أنى مخلص فيها لله فداخلى يوم تأخرى عن المسجد من شهود الناس إياى فى الصف الأخير نوع خجل فعلت أن نشاطى طول عمرى إنما كان على رؤيتهم فقضيت صلواتى (ويحكى) عن أبى محمد المرتعش أنه قال حجبت كذا وكذا حجة على التجريد فبان لى أن جميع ذلك كان مشوبا بحظى وذلك أن والدتى سألتنى يوما أن أستقى لها جرة ماء فقتل ذلك على نفسى فعلت أن مطاوعة نفسى فى الحجات كانت لحظ وشوب لنفسى إذ لو كانت نفسى فانية لم يصعب عليها ما هو حق فى الشرع وكانت امرأة قد طعنت فى السن فسئلت عن حالتها فقالت كنت فى حال الشباب أجد من نفسى نشاطا وأحوالا أظنها قوة الحال فلما كبرت زالت عنى فعلت أن ذلك كان قوة الشباب فتوهمتها أحوالا^(١). سمعت أبا على الدقاق يقول ما سمع هذه الحكاية أحد من الشيوخ إلا رق لهذه العجوز وقال إنها كانت منصفة. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت ذا النون المصرى يقول ما أعز الله عبدا بعز هو أعز له من أن يدلّه على ذل نفسه وما أدل الله عبدا بذل هو أدل له من أن يحجبه عن ذل نفسه وسمعت يقول سمعت محمد بن عبد الله الرازى يقول سمعت إبراهيم الخواص يقول ما هالنى شيء إلا ركبته وسمعت يقول سمعت عبد الله الرازى

(١) (أحوالا) إذ لو كانت عين اليقين والعرفان لدامت بدوامها فى كل زمان .

يقول سمعت محمد بن الفضل يقول الراحة وهو الخلاص من أمانى النفس^(١). سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا على الروذبارى يقول دخلت الآفة على الخلق من ثلاثة سقم الطبيعة وملازمة العادة وفساد الصحبة فسألته ما سقم الطبيعة فقال أكل الحرام فقلت ما ملازمة العادة فقال النظر والاستمتاع بالحرام والغيبة قلت فما فساد الصحبة قال كلما هاجت فى النفس الشهوة تبعتها^(٢). وسمعت يقول سمعت النصراباذى يقول سجنك نفسك فإذا خرجت منها وقعت فى راحة أبدية وسمعت يقول سمعت محمد الفراء يقول سمعت أبا الحسين الوراق يقول كان أجل أحكامنا فى مبادئ أمرنا فى مسجد أبى عثمان الحيرى الإيثار بما يفتح علينا وأن لا نبیت على معلوم ومن استقبلنا بمكروه لا ننتقم لأنفسنا بل نعتذر إليه ونتواضع له وإذا وقع فى قلوبنا حقارة لأحد قمنا بخدمته والإحسان إليه حتى يزول وقال أبو حفص النفس ظلمة كلها وسراجها سرها ونور سراجها التوفيق فمن لم يصحبه فى سره توفيق من ربه كان ظلمة كله (قال الأستاذ الإمام القشيري) معنى قوله سراجها سرها يريد العبد الذى بينه وبين الله تعالى وهو محل إخلاصه وبه يعترف العبد أن الحادثات بالله لا بنفسه ولا من نفسه ليكون متبرئاً من حوله وقوته على استدامة أوقاته ثم بالتوفيق يعتصم من شرور نفسه فإن من لم يدركه التوفيق لم ينفعه علمه بنفسه ولا بربه ولهذا قال الشيوخ من لم يكن له سر فهو مصر .. وقال أبو عثمان لا يرى أحد عيب نفسه وهو مستحسن من نفسه شيئاً وإنما يرى عيوب نفسه من يتهمها فى جميع الأحوال قال أبو حفص ما أسرع هلاك من لا يعرف عيبه فإن المعاصى بريد الكفر .. وقال أبو سليمان ما استحسنت من نفسى عملاً فاحتسبت به وقال السرى إياكم وجيران الأغنياء وقراء الأسواق وعلماء الأمراء وقال ذو النون

(١) (أمانى النفس) أى شهواتها واختياراتها فكمال الراحة فى الدين بلوغ العبد إلى قيام التوكل والرضا ولا يتم ذلك له إلا بعلمه أن الحق سبحانه أرحم به من أمه وأعلم بما يصلحه .
 (٢) (تبعها) فالصحبة النافعة معها التى بها نجاتها أن يخالف العبد هواها ويحملها على ما طلبه منها ربه فحصل من مجموع ذلك أن الفساد دخل من أكل الحرام وقلة التثبت قبل الفعل والتصرف بمقتضى الهوى .

المصرى إنما دخل الفساد على الخلق من ستة أشياء ضعف النية بعمل الآخرة والثانى صارت أبدانهم رهينة لشهواتهم والثالث غلبهم طول الأمل مع قرب الأجل والرابع آثروا رضا المخلوقين على رضا الخالق والخامس اتبعوا أهواءهم ونبذوا سنة نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم وراء ظهورهم والسادس جعلوا قليل زلات السلف حجة لأنفسهم ودفنوا كثير مناقبهم .



باب الخلوة والعزلة

أخبرنا أبو الحسن على بن أحمد بن عبدان قال أخبرنا أحمد بن عبيد البصرى قال حدثنا عبد العزيز بن معاوية قال حدثنا القعنبي قال حدثنا عبد العزيز بن أبى حازم عن أبيه عن بعة بن عبد الله بن بدر الجهنى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « إن من خير معاش الناس كلهم رجلا أخذنا بعنان فرسه فى سبيل الله إن سمع فزعة أو هيعة كان على متن فرسه يبتغى الموت أو القتل فى مظانه أو رجلا فى غنيمة له فى رأس شعبة من هذه الشعاف أو بطن واد من هذه الأودية يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويعبد ربه حتى يأتية اليقين ليس فى الناس إلا فى خير، ^(١) . (قال الأستاذ) الخلوة صفة أهل الصفوة والعزلة من أمارات الوصلة ولا بد للمريد فى ابتداء حاله من العزلة عن أبناء جنسه ثم فى

(١) (إلا فى خير) هذا الخبر روى بالفاظ مختلفة وكلها متفقة على أن البعد عن الناس للتفرغ للعبادات أفضل من الاختلاط بهم على ما يأتى ببيانہ . والشعبة بفتح العين رأس الجبل وجمعها شعف وشعوف وشعاف وشعفات ذكره الجوهري فى صحاحه .

نهايته من الخلوة لتحقيقه بأنسه ^(١). ومن حق العبد إذا آثر العزلة أن يعتقد باعتزاله عن الخلق سلامة الناس من شره ولا يقصد سلامته من شر الخلق فإن الأول من القسمين نتيجة استصغار نفسه والثاني شهود مزيته على الخلق ومن استصغر نفسه فهو متواضع ومن رأى لنفسه مزية على أحد فهو متكبر ورؤى بعض الرهبان فقيلاً له إنك راهب فقال لا بل أنا حارس كلب إن نفسى كلب يعقر الخلق أخرجتها من بينهم ليسلموا منها ومر إنسان ببعض الصالحين فجمع ذلك الشيخ ثيابه منه فقال الرجل لم تجمع عنى ثيابك ليست ثيابى نجسه فقال الشيخ وهمت فى ظنك ثيابى هى النجسة جمعتها عنك لئلا تنجس ثيابك لا لكى تنجس ثيابى .

(ومن آداب العزلة) أن يحصل من المعلوم ما يصحح به عقد توحيده لكى لا يستهويه الشيطان بوساوسه ثم يحصل من علوم الشرع ما يؤدى به فرضه ليكون بناء أمره على أساس محكم والعزلة فى الحقيقة اعتزال الخصال المذمومة فالتأثير لتبديل الصفات لا للتنائى عن الأوطان ولهذا قيل من العارف قالوا كائن بائن يعنى كائن مع الخلق بائن عنهم بالسر . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول البس مع الناس ما يلبسونه وتناول مما يأكلونه وانفرد عنهم بالسر وسمعت يقول جاءنى إنسان وقال جئتك من مسافة بعيدة فقلت ليس هذا الحديث من حيث قطع المسافة ومقاساة الأسفار فارق نفسك ولو بخطوة وفقد حصل مقصودك ، ويحكى عن أبى يزيد قال رأيت ربه عز وجل فى المنام فقلت كيف أجذك قال فارق نفسك وتعال . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا عثمان المغربى يقول من اختار الخلوة على الصحبة ينبغى أن يكون خالياً من جميع الأذكار إلا ذكر ربه وخالياً من جميع الإرادات إلا رضا ربه وخالياً من مطالبة النفس من جميع الأسباب فإن لم يكن بهذه

(١) (لتحقيقه بأنسه) تعالى لأنها لم تجمع همته على مقصوده وانفراده بمحبوبه لتكامل مناجاته ويترقى فى درجات قربيه وحقيقة الخلوة الانقطاع من الخلق إلى الحق لأنه سفر من النفس إلى القلب وهو من القلب إلى الروح ومن الروح إلى السر ومن السر إلى واهب الكل وهكذا فعل صلى الله عليه وآله وسلم فى الغار حتى أتته الرسالة على لسان جبريل عليه السلام

الصفة فإن خلوته توقعه فى فتنة أو بلية وقيل الانفراد فى الخلوة أجمع لدواعى السلوة وقال يحيى بن معاذ انظر أنسك بالخلوة أو أنسك معه فى الخلوة فإن كان أنسك بالخلوة ذهب أنسك إذا خرجت منها وإن كان أنسك به فى الخلوة استوت لك الأماكن فى الصحارى والبرارى سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت محمد بن حامد يقول جاء رجل إلى زيارة أبى بكر الوراق فلما أراد أن يرجع قال له أوصنى فقال وجدت خير الدنيا والآخرة فى الخلوة والقلة وشرهما فى الكثرة والاختلاط وسمعته يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت الجريرى وقد سئل عن العزلة فقال هى الدخول بين الزحام وتمنع سرك أن لا يزاحموك وتعزل نفسك عن الآثام ويكون سرك مربوطاً بالحق وقيل من أثر العزلة حصل العزلة وقال سهل لا تصح الخلوة إلا بأكل الحلال ولا يصح أكل الحلال إلا بأداء حق الله وقال ذو النون المصرى لم أر شيئاً أبعت على الإخلاص من الخلوة وقال أبو عبد الله الرملى ليكن خدتك الخلوة وطعامك الجوع وحديثك المناجاة فإما أن تموت وإما أن تصل إلى الله سبحانه وقال ذو النون ليس من احتجب عن الخلق بالخلوة كمن احتجب عنهم بالله . سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت الجنيد يقول مكابدة العزلة أيسر^(١) من مداراة الخلطة^(٢) . وقال مكحول إن كان فى مخالطة الناس خير فإن فى العزلة السلامة^(٣) . وقال يحيى بن معاذ الوحدة جليس الصديقين . سمعت الشيخ أبا على الدقاق يقول سمعت الشبلى يقول الإفلاس الإفلاس ياناس فقيل له يا أبا بكر ما علامة الإفلاس قال من علامة الإفلاس الاستئناس بالناس وقال يحيى بن أبى كثير من خالط الناس داراهم ومن داراهم رآهم

(١) (أيسر) على العبد .

(٢) (من مداراة الخلطة) لأن مكابدة العزلة اشتغال بالنفس خاصة وردها عما تشتبهى بخلاف مداراة الخلطة بالناس مع اختلاف أخلاقهم وشهواتهم وأغراضهم وما يبدو منهم من الأذى وما يحتاج إليه من الحلم والصفح .

(٣) (فى العزلة السلامة) من الشر والسلامة من الشر أكد من تحصيل الخير إذ أن التخلية أهم من التحلية نعم إن وجبت الخلطة لتحصيل علم أو عمل لم تصح الخلوة .

وقال شعيب بن حرب دخلت على مالك بن مسعود بالكوفة وهو فى داره وحده فقلت له أما تستوحش وحدك فقال ما كنت أرى أن أحدا يستوحش مع الله . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا عمرو الأنماطى يقول سمعت الجنيد يقول من أراد أن يسلم له دينه ويستريح بدنه وقلبه فليعتزل الناس فإن هذا زمان وحشة والعامل من اختار فيه الوحدة وسمعته يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول قال أبو يعقوب السوسى الانفراد لا يقوى عليه إلا الأقوياء ولأمثالنا الاجتماع أوفر وأنفع يعمل بعضهم على رؤية بعض وسمعته يقول سمعت أبا عثمان سعيد بن أبى سعيد يقول سمعت أبا العباس الدامغانى يقول أوصانى الشبلى فقال الزم الوحدة وامح اسمك عن القوم واستقبل الجدار حتى تموت . وجاء رجل إلى شعيب بن حرب فقال له ما جاء بك فقال أكون معك قال يا أخى إن العبادة لا تكون بالشركة ومن لم يستأنس بالله لم يستأنس بشيء . حكى أن بعضهم قيل له ما أعجب ما لقيت فى سياحتك فقال لهم لقينى الخضر فطلب منى الصحبة فخشيت أن يفسد على توكلى وقيل لبعضهم ههنا أحد تستأنس به فقال نعم ومد يده إلى مصحفه ووضع فى حجره وقال هذا . وفى معناه أنشدوا :

وكتبك حولى لا تفارق مضجعى وفيها شفاء للذى أنا كاتم

وقال رجل لذى النون المصرى متى تصح لى العزلة فقال إذا قويت على عزلة نفسك وقيل لابن المبارك ما دواء القلب فقال قلة الملاقاة للناس وقيل إذا أراد الله أن ينقل العبد من ذل المعصية إلى عز الطاعة آنسه بالوحدة وأغناه بالقناعة وبصره بعيوب نفسه فمن أعطى ذلك فقد أعطى خير الدنيا والآخرة .



باب التقوى

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (أخبرنا) أبو الحسن على بن أحمد بن عبدان قال أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار قال أخبرنا محمد بن الفضل ابن جابر قال حدثنا ابن عبد الأعلى القرشي قال حدثنا يعقوب العمى عن ليث عن مجاهد عن أبي سعيد الخدري قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا نبي الله أوصني فقال « عليك بتقوى الله فإنه جماع كل خير وعليك بالجهاد فإنه رهبانية المسلم وعليك بذكر الله فإنه نور لك » (وأخبرنا) على بن أحمد بن عبدان قال أخبرنا أحمد بن عبيد قال أخبرنا عباس بن الفضل الإسقاطي قال حدثنا أحمد بن يونس قال حدثنا أبو هرمرز نافع بن هرمرز قال سمعت أنسا يقول قيل يا نبي الله من آل محمد قال « كل تقى » فالتقوى جماع الخيرات وحقيقة الاتقاء التحرز بطاعة الله عن عقوبته يقال اتقى فلان بترسه وأصل التقوى اتقاء الشرك ثم بعده اتقاء المعاصي والسيئات ثم بعده اتقاء الشبهات ثم تدع بعده الفضلات كذلك سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول سمعته يقول ولكل قسم من ذلك باب وجاء في تفسير قوله عز وجل ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ أن معناه أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت أحمد بن على بن جعفر يقول سمعت أحمد بن عاصم يقول سمعت سهل بن عبد الله يقول لامعين إلا الله ولا دليل إلا رسول الله ولا زاد إلا التقوى ولا عمل إلا الصبر عليه^(١) وسمعته يقول سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت الكتاني يقول قسمت الدنيا على البلوى وقسمت الآخرة على التقوى وسمعته يقول سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت الجريري يقول من لم يحكم بينه وبين الله التقوى والمراقبة لم يصل إلى الكشف والمشاهدة وقال النصراباذي التقوى أن يتقى العبد ما سواه تعالى وقال سهل من أراد أن تصح له

(١) (الصبر عليه) أى على العمل لأن الله تعالى يبتلى عبده أى يختبره بالمرض والعافية والفقر والغنى وغير ذلك فإن صبر على المشق المؤلم أثابه وإن شكر على النعم أثابه .

التقوى فليترك الذنوب كلها وقال النصر إبادي من لزم التقوى اشتاق إلي مفارقة الدنيا لأن الله سبحانه يقول: ﴿ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ وقال بعضهم من تحقق في التقوى هون الله على قلبه الإعراض عن الدنيا وقال أبو عبد الله الروذباري التقوى مجانية ما يبعدك عن الله وقال ذو النون المصري التقى من لا يدنس ظاهره بالمعارضات ولا باطنه بالعلالات ويكون واقفا مع الله موقف الاتفاق. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا الحسن الفارسي يقول سمعت ابن عطاء يقول للتقوى ظاهر وباطن فظاهره محافظة الحدود وباطنه النية والإخلاص وقال ذو النون :

فلا عيش إلا مع رجال قلوبهم نحن إلى التقوى وترتاح للذكر^(١)

سكون إلى روح اليقين وطيبه كما سكن الطفل الرضيع إلى الحجر

وقيل يستدل على تقوى الرجل بثلاث : حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا فيما قد نال وحسن الصبر على ما قد فات ، وقال طلق بن حبيب التقوى عمل بطاعة الله على نور من الله مخافة عقاب الله . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت محمدا الفراء يحكى عن أبي حفص أنه قال التقوى بالحلال المحض لا غير وسمعت يقول سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت أبا الحسين الزنجاني يقول من كان رأس ماله التقوى كلت الألسن عن وصف ربحه وقال الواسطي التقوى أن يتقى من تقواه يعنى من رؤية تقواه والمتقى مثل ابن سيرين اشترى أربعين حبا سمنا فأخرج غلامه فأرة من حب فسأله من أى حب أخرجتها فقال لا أدري فصبها كلها على الأرض ومثل أبى يزيد اشترى بهمدان حب القرطم ففضل منه شيء فلما رجع إلى بسطام رأى فيه نملتين فرجع إلى همدان فوضع النملتين . ويحكى أن أبا حنيفة

(١) (للذكر) فى نسخة بالذكر لأن العيش الطيب إنما يكون مع حياة القلب وحياته بزوال الغفلة عنه ودوام اليقظة لما خلق له ، وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون ، وإذا صلح القلب صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله وإن صلحا معاً ووجد القلب من يقصد مقصده تظافرت الهمم على نيل المطلوب فهؤلاء القوم إذا وجدوا حملوا الضعيف بقوتهم وعاشت همته برويتهم ورؤية مجاهدتهم .

كان لا يجلس فى ظل شجرة غريمه ويقول قد جاء فى الخبر ، كل قرض جر نفعا فهو ربا ، وقيل إن أبا يزيد غسل ثوبه فى الصحراء مع صاحب له فقال له صاحبه تعلق الثوب فى جدار الكرم فقال لا لاتغرز الودت فى جدار الناس فقال نعلقه فى الشجر فقال لا إنه يكسر الأغصان فقال نبسطه على الأذخر فقال لا إنه علف الدواب لا نستره عنها فولى ظهره إلى الشمس والقميص على ظهره حتى جف جانب ثم قلبه حتى جف الجانب الآخر وقيل إن أبا يزيد دخل يوما الجامع فغرز عصاه فى الأرض فسقطت ووقعت على عصا شيخ بجانبه ركز عصاه فى الأرض فألقته فانحنى الشيخ وأخذ عصاه فمضى أبو يزيد إلى بيت الشيخ واستحله وقال كان السبب فى انحنائك تفريطى فى غرز عصاى حيث احتجت إلى أن تنحنى ورؤى عتبة الغلام بمكان يتصبب عرقا فى الشتاء فقليل له فى ذلك فقال إنه مكان عصيت الله فيه فسئل عنه فقال كشطت من هذا الجدار قطعة طين غسل بها ضيف لى يده ولم أستحل من صاحبه وقال إبراهيم بن أدهم بت ليلة تحت الصخرة ببيت المقدس فلما كان بعض الليل نزل مكان فقال أحدهما لصاحبه من ههنا فقال الآخر إبراهيم بن أدهم فقال ذاك الذى حط الله سبحانه درجة من درجاته فقال لم قال لأنه اشترى بالبصرة التمر فوقعت ثمرة على تمره من تمر البقال فلم يردّها على صاحبها قال إبراهيم فمضيت إلى البصرة واشتريت التمر من ذلك الرجل وأوقعت ثمرة على تمره ورجعت إلى بيت المقدس وبت فى الصخرة فلما كان بعض الليل إذا أنا بملكين نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه من ههنا فقال الآخر إبراهيم بن أدهم فقال ذاك الذى رد الله مكانه ورفعت درجته وقيل التقوى على وجوه للعامة تقوى الشرك وللخاصة تقوى المعاصى وللأولياء تقوى التوسل بالأفعال وللأنبياء تقوى نسبة الأفعال إذ تقواهم منه إليه وعن أمير المؤمنين على رضى الله تعالى عنه قال سادة الناس فى الدنيا الأسخياء وسادة الناس فى الآخرة الأتقياء (أخبرنا) على بن أحمد الأهوازي قال أخبرنا أبو الحسين البصرى قال أخبرنا بشر بن موسى قال حدثنا محمد ابن عبد الله بن المبارك عن يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن على بن يزيد

عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « من نظر إلى محاسن امرأة فغض بصره في أول مرة أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها في قلبه ، سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا العباس محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله الفرغانى يقول كان الجنيد جالسا مع رويم والجريرى وابن عطاء فقال الجنيد ما نجا من نجا إلا بصدق اللجا قال الله تعالى : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِقُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ وقال رويم ما نجا من نجا إلا بصدق التقى قال الله تعالى : ﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِثَازَتِهِمْ ﴾ الآية وقال الجريرى ما نجا من نجا إلا بمراعاة الوفاء قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يوفون بعهد الله وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴾ وقال ابن عطاء ما نجا من نجا إلا بتحقيق الحياء قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾ ^(١) . (وقال الأستاذ الإمام) ما نجا من نجا إلا بالحكم والقضاء قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ ﴾ الآية ، وقال أيضا ما نجا من نجا إلا بما سبق له من الاجتهاء قال الله تعالى : ﴿ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ .



(١) (الله يرى) أى ما صدر منه أى يعلمه فيجازيه عليه وهذه الأقوال الأربعة ناظرة إلى أسباب النجاة المكتسبة من العبد والثانى منها وهو قول رويم مستلزم بقية الأسباب .

باب الورع ^(١)

أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكى قال أخبرنا محمد بن داود بن سليمان الزاهد قال أخبرنا محمد بن الحسين بن قتيبة قال حدثنا أحمد بن أبي طاهر الخراساني قال حدثنا يحيى بن العيزار قال حدثنا محمد ابن يوسف الفريابي عن سفيان عن الأجلح عن عبد الله بن بريدة عن أبي الأسود الدؤلي عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ، (قال الأستاذ الإمام رضى الله تعالى عنه) أما الورع فإنه ترك الشبهات كذلك قال إبراهيم بن أدهم الورع ترك كل شبهة وترك ما لا يعنك هو ترك الفضلات ^(٢) وقال أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة أن نقع فى باب من الحرام ^(٣) . وقال صلى الله عليه وآله وسلم لأبى هريرة « كن ورعا تكن أعبد الناس » .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول سمعت جعفر بن محمد يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السرى يقول كان أهل الورع فى أوقاتهم أربعة حذيفة المرتعش ويوسف بن أسباط وإبراهيم بن أدهم وسليمان الخواص فنظروا فى الورع فلما ضاقت عليهم الأمور فزعوا إلى التقلل وسمعتهم يقول سمعت أبا القاسم الدمشقى يقول سمعت الشبلى يقول الورع أن تتورع عن كل ما سوى الله تعالى وسمعتهم يقول أخبرنا أبو جعفر الرازى قال حدثنا العباس بن حمزة قال حدثنا أحمد بن أبي الحوارى قال حدثنا إسحق بن خلف قال الورع فى المنطق أشد منه فى الذهب والفضة

(١) (الورع) هنا هو ترك الشبهات .

(٢) (الفضلات) أى الحلال وما لا تدعو إليه حاجة دينية ويقال له الزهد .

(٣) (فى باب من الحرام) لا سيما فى المطعم لخبر كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به والمراد بالسبعين المبالغة لا أصل العدد فى كثرة ترك الحلال ويحتمل إرادة العدد المخصوص كما قيل فى قوله تعالى إن تستغفر لهم سبعين مرة فإنه حتى لو استغفر لهم أكثر . من سبعين مرة فلن يغفر الله تعالى لهم .

والزهد فى الرياسة أشد منه فى الذهب والفضة لأنك تبدلها فى طلب الرياسة وقال أبو سليمان الداراني الورع أول الزهد كما أن القناعة طرف من الرضا وقال أبو عثمان ثواب الورع خفة الحساب وقال يحيى بن معاذ الورع الوقوف على حد العلم من غير تأويل .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت الحسين بن أحمد بن جعفر يقول سمعت محمد بن داود الدينورى يقول سمعت عبد الله بن الجلاء يقول أعرف من أقام بمكة ثلاثين سنة لم يشرب من ماء زمزم إلا ما استقاه بركوته ورشائه ولم يتناول من طعام جلب من مصر وسمعته يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت على بن موسى التاهرتى يقول وقع من عبد الله بن مروان فلس فى بئر قذرة فاكثرى عليه بثلاثة عشر دينارا حتى أخرجه فقيل له فى ذلك فقال كان عليه اسم الله تعالى^(١) وسمعته يقول سمعت أبا الحسين الفارسى يقول سمعت ابن علويه يقول سمعت يحيى بن معاذ يقول الورع على وجهين ورع الظاهر وهو أن لا يتحرك إلا لله تعالى وورع فى الباطن وهو أن لا يدخل قلبك سواه تعالى وقال يحيى بن معاذ من لم ينظر فى الدقيق من الورع لم يصل إلى الجليل من العطاء^(٢). وقيل من دق فى الدين نظره جل^(٣) فى القيامة خطره^(٤) وقال ابن الجلاء من لم يصحبه التقى فى فقره أكل الحرام وقال يونس بن عبيد الورع الخروج عن كل شبهة ومحاسبة النفس فى كل طرفة وقال سفيان الثورى ما رأيت أسهل من الورع ما حاك فى نفسك تركته وقال معروف الكرخى احفظ لسانك من المدح كما تحفظه من الذم وقال بشر بن الحارث أشد الأعمال ثلاثة الجوع فى القلة والورع فى الخلوة وكلمة الحق عند من

(١) (كان عليه اسم الله تعالى) فيه تنبيه على كمال تعظيمه لربه حتى عظم ما عليه اسمه ومن ذلك ما حكى أن بشر بن الحارث إنما رفعه الله على أقرانه لكونه وجد رقعة فيها اسم الله فاشتري طيبا وطيبها ورفعته فى موضع فرأى فى منامه أنه قيل له لأطيبين اسمك فى الدنيا والآخرة أى كما طيبت اسمى .

(٢) (إلى الجليل من العطاء) لأن العبد إنما يشرف عند مولاه بعلو همته فى طلبه لما يرضاه فمن دق نظره فيما يخشاه نال من فضل الله أشرف عطاياه ومن لا فلاشىء له من الخير .

(٣) (جل) عظم .

(٤) (خطره) أى قدره ومنزلته .

يخاف منه ويرجى وقيل جاءت أخت بشر الحافى إلى أحمد بن حنبل وقالت إنا نغزل على سطوحنا فتمررنا مشاعل الظاهرية ويقع الشعاع علينا أفيجوز لنا الغزل فى شعاعها فقال أحمد من أنت عافاك الله تعالى فقالت أخت بشر الحافى فبكى أحمد وقال من بيتكم يخرج الورع الصادق لا تغزلى فى شعاعها وقال على العطار مررت بالبصرة فى بعض الشوارع فإذا مشايخ قعود وصبيان يلعبون فقلت أما تستحون من هؤلاء المشايخ فقال صبى من بينهم هؤلاء المشايخ قل ورعهم فقلت هيبتهم . وقيل إن مالك بن دينار مكث بالبصرة أربعين سنة فلم يصح له أن يأكل شيئاً من تمر البصرة ولا من رطبها حتى مات ولم يذقه وكان إذا انقضى وقت الرطب قال يا أهل البصرة هذا بطنى ما نقص منه شيء ولا زاد فيكم وقيل لإبراهيم بن أدهم ألا تشرب من ماء زمزم فقال لو كان لى دلو لشربت ، سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول كان الحارث المحاسبى إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة ضرب على رأس أصبعه عرق فيعلم أنه غير حلال وقيل إن بشر الحافى دعى إلى دعوة فوضع بين يديه طعام فجهد أن يمد يده إليه فلم تمتد ففعل ذلك ثلاث مرات فقال رجل يعرف ذلك منه إن يده لا تمتد إلى طعام فيه شبهة ما كان أغنى صاحب الدعوة أن يدعو هذا الشيخ (أخبرنا) أحمد بن محمد بن يحيى الصوفى قال سمعت عبد الله بن على بن يحيى التميمى قال سمعت أحمد بن محمد بن سالم بالبصرة يقول سئل سهل بن عبد الله عن الحلال الصافى فقال هو الذى لا يعصى الله تعالى فيه وقال سهل الحلال الصافى الذى لا ينسى الله تعالى فيه ودخل الحسن البصرى مكة فرأى غلاماً من أولاد على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قد أسند ظهره إلى الكعبة يعظ الناس فوقف عليه الحسن وقال له ما ملك الدين فقال الورع قال فما آفة الدين فقال الطمع فتعجب الحسن منه وقال الحسن مثقال ذرة من الورع السالم خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة وأوحى الله إلى موسى عليه السلام لم يتقرب إلى المتقربين بمثل الورع والزهد وقال أبو هريرة جلساء الله تعالى غداً أهل الورع والزهد وقال سهل بن عبد الله من لم يصحبه الورع أكل رأس الفيل ولم يشبع وقيل حمل إلى عمر بن عبد العزيز مسك من الغنائم

فقبض على مشامه وقال إنما ينتفع من هذا بريحه وأنا أكره أن أجدر ريحه دون المسلمين وسئل أبو عثمان الحيرى عن الورع فقال كان أبو صالح حمدون عند صديق له وهو فى النزع فمات الرجل فنفت أبو صالح فى السراج فقبل له فى ذلك فقال إلى الآن كان الدهن له فى المسرجة ومن الآن صار للورثة اطلبوا دهنا غيره . وقال كهمس أذنبت ذنبا أبكى عليه منذ أربعين سنة وذلك أنه زارنى أخ لى فاشتريت بدانق سمكة مشوية فلما فرغ أخذت قطعة طين من جدار جارى لى حتى غسل يده ولم أستحله^(١) وقيل كان رجل يكتب رقعة وهو فى بيت بكراء فأراد أن يترب الكتاب من جدار البيت فخطر بباله^(٢) أن البيت بالكراء ثم إنه خطر بباله أنه خطر لهذا فترب الكتاب فسمع هاتفاً يقول سيعلم المستخف بالتراب ما يلقاه غداً من طول الحساب^(٣) ورهن أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى سطلا له عند بقال بمكة حرسها الله تعالى فلما أراد فكاهه أخرج البقال إليه سطلين وقال خذ أيهما هو لك فقال أحمد أشكل على سطلى فهو لك والدراهم لك فقال البقال سطلك هذا وأنا أردت أن أجربك فقال لا آخذه ومضى وترك السطل عنده^(٤) . وكان سيب ابن المبارك له دابة قيمتها كثيرة وصلى صلاة الظهر فرتعت الدابة فى زرع قرية سلطانية فترك ابن المبارك الدابة ولم يركبها وقيل رجع ابن المبارك من مرو إلى الشام فى قلم استعاره فلم يرده على صاحبه . واستأجر النخعى دابة فسقط سوطه من يده فنزل وربط الدابة ورجع فأخذ السوط فقبل له لو حولت الدابة إلى الموضع الذى سقط فيه السوط فأخذته كان أسهل لك فقال إنما استأجرتها لأمضى هكذا لا هكذا . وقال أبو بكر الدقاق تهت فى تبة بنى إسرائيل

(١) (ولم أستحله) أى قبل أخذى له فبكاهه على أخذه مع علمه بتحريمه وترك الاستحلال قبل أخذه وفى ذلك دلالة على غاية احترازه من الذنوب المستحقة عند الناس .

(٢) (بباله) هنا أى بقلبه .

(٣) (من طول الحساب) فى ذلك تنبيه على رفعة منزلة هذا الرجل عند الله تعالى لكونه نبه هذا العبد فى مثل ذلك .

(٤) (وترك السطل عنده) تورعاً وتعريفاً له بأن أهل الدين والزهد لا يلتفتون لشيء من الدنيا ليتأدب بذلك ولا يمتحن أحداً .

خمسة عشر يوما فلما وافيت الطريق استقبلني جندى فسقاني شربة من ماء فعادت قسوتها على قلبي وتألمت ثلاثين سنة وقيل خاطت رابعة العدوية شقا في قميصها في ضوء مشعلة سلطان ففقدت قلبها زمانا حتى تذكرت فشقت قميصها فوجدت قلبها. ورؤى سفيان الثوري في المنام وله جناحان يطير بهما في الجنة من شجرة إلى شجرة فقيل له بم نلت هذا فقال بالورع . ووقف حسان بن أبي سنان على أصحاب الحسن فقال أى شيء أشد عليكم قالوا الورع فقال ولا شيء أخف على منه فقالوا فكيف فقال لم أرو من نهركم منذ أربعين سنة وكان حسان بن أبي سنان لا ينام مضطجعا ولا يأكل سمينا ولا يشرب ماء بارداً ستين سنة فرؤى في المنام بعد موته فقيل له ما فعل الله بك فقال خيرا إلا أنى محبوس عن الجنة بإبرة استعرتها فلم أردها وكان لعبد الواحد بن زيد غلام خدمه سنين وتعبد أربعين سنة وكان ابتداء أمره كيانا فلما مات رؤى في المنام فقيل له ما فعل الله تعالى بك فقال خيرا غير أنى محبوس عن الجنة وقد أخرج على من غبار القفيز أربعين قفيزا ومر عيسى ابن مريمها عليه السلام بمقبرة فنادى رجلا منها فأحياه الله تعالى فقال من أنت فقال كنت حمالا أنقل للناس فنقلت يوما لإنسان خطبا فكسرت منه خلا لا تخللت به فأنا مطالب به منذ مت وتكلم أبو سعيد الخراز في الورع فمر به عباس بن المهتدي فقال يا أبا سعيد أما تستحي أن تجلس تحت سقف أبي الدوانيق وتشرب من بركة زبيدة وتعامل بالدراهم المزيفة وتتكلم في الورع .



باب الزهد

أخبرنا حمزة بن يوسف السهمي الجرجاني قال أخبرنا أبو الحسن عبيد الله ابن أحمد بن يعقوب المقرئ ببغداد قال حدثنا جعفر بن مجاشع قال حدثنا زيد بن إسماعيل قال حدثنا كثير بن هشام قال حدثنا الحكم بن هشام عن يحيى بن سعيد عن أبي فروه عن أبي خلاد وكانت له صحبة قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم « إذا رأيتم الرجل قد أوتى زهداً في الدنيا ومنطقاً فاقترّبوا منه فإنه يلقي الحكمة » (قال الأستاذ الإمام أبو القاسم رحمه الله) اختلف الناس في الزهد فمنهم من قال الزهد في الحرام لأن الحلال مباح من قبل الله تعالى فإذا أنعم الله سبحانه على عبده بمال من حلال وتعبده بالشكر عليه فتركه له باختياره لا يقدم على إمساكه له بحق إذنه ومنهم من قال الزهد في الحرام واجب وفي الحلال فضيلة فإن إقلال المال والعبد صابر في حاله راض بما قسم الله تعالى له قانع بما يعطيه أتم من توسعه وتبسطه في الدنيا وأن الله تعالى زهد الخلق في الدنيا بقوله ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى ﴾ وغير ذلك من الآيات الواردة^(١). في ذم الدنيا والتزهيد فيها ومنهم من قال إذا أنفق العبد ماله في الطاعة وعلم من حاله الصبر وترك التعرض لما نهاه الشرع عنه في حال العسر فحينئذ يكون زهده في المال الحلال أتم ومنهم من قال ينبغي للعبد أن لا يختار ترك الحلال بتكلفه ولا طلب الفضول مما لا يحتاج إليه ويرعى القسمة فإن رزقه الله سبحانه وتعالى مالا من حلال شكره وإن وقفه الله تعالى

(١) (من الآيات الواردة .. إلخ) كقوله تعالى ﴿ وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ﴾ وكخبر « لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء » ، وخبر البخاري « تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة إن أعطى رضى وإن لم يعط لم يرض » ، وباقي الحديث « تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش » ، وخبر الترمذي « ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصابعه في اليم فلينظر بماذا يرجع » ، وهو يدل لمن قال الفقير الصابر أفضل من الغنى الشاكر .

على حد الكفاية لم يتكلف فى طلب ما هو فضول المال فالصبر أحسن بصاحب الفقر والشكر أليق بصاحب المال الحلال (**وتكلموا فى معنى الزهد**) فكل نطق عن وقته وأشار إلى حده . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول حدثنا أحمد بن إسماعيل الأزدي قال حدثنا عمران بن موسى الإسفنجي قال حدثنا الدورقي قال حدثنا وكيع قال قال سفيان الثوري الزهد فى الدنيا قصر الأمل ليس بأكل الغليظ ولا بلبس العباء وسمعت يقول سمعت سعيد بن أحمد يقول سمعت عباس بن عصام يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السرى السقطي يقول إن الله سبحانه سلب الدنيا عن أوليائه وحماها عن أصفياؤه وأخرجها من قلوب أهل وداده لأنه لم يرضها لهم . وقيل الزهد من قوله سبحانه : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ فالزاهد لا يفرح بموجود من الدنيا ولا يتأسف على مفقود منها . وقال أبو عثمان الزهد أن تترك الدنيا ثم لا تبالي بمن أخذها سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول الزهد أن تترك الدنيا كما هي لا تقول ابني بها رباطاً أو أعمر مسجداً وقال يحيى بن معاذ الزهد يورث السخاء بالملك والحب يورث السخاء بالروح وقال ابن الجلاء الزهد هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال لتصغر فى عينك فيسهل عليك الإعراض عنها وقال ابن خفيف علامة الزهد وجود الراحة فى الخروج عن الملك وقال أيضا الزهد سلو القلب عن الأسباب ونفض الأيدي من الأملاك وقيل الزهد عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت النصراباذي يقول الزاهد غريب فى الدنيا والعارف غريب فى الآخرة وقيل من صدق فى زهده أتته الدنيا راغمة . ولهذا قيل لو سقطت قلنسوة من السماء لما وقعت إلا على رأس من لا يريدتها . وقال الجنيد الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد وقال أبو سليمان الداراني الصوف علم من أعلام الزهد فلا ينبغي أن يلبس صوفاً بثلاثة دراهم وفى قلبه رغبة خمسة دراهم وقد اختلف السلف فى الزهد فقال سفيان الثوري وأحمد بن حنبل وعيسى بن يونس وغيرهم الزهد فى الدنيا إنما هو قصر الأمل وهذا الذى قالوه يحمل على أنه من أمارات الزهد والأسباب الباعثة عليه والمعانى الموجبة له وقال عبد الله بن المبارك الزهد هو الثقة بالله تعالى مع حب الفقر

وبه قال شقيق البلخي ويوسف بن أسباط وهذا أيضا من أمارات الزهد فإنه لا يقوى العبد على الزهد إلا بالثقة بالله تعالى وقال عبد الواحد بن زيد الزهد ترك الدينار والدرهم.. وقال أبو سليمان الداراني الزهد ترك ما يشغل عن الله سبحانه وتعالى سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أحمد بن علي يقول سمعت إبراهيم بن فاتك يقول سمعت الجنيد يقول وقد سأله رويم عن الزاهد فقال هو استصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب وقال سري لا يطيب عيش الزهد إذا اشتغل عن نفسه^(١). ولا يطيب عيش العارف إذا اشتغل بنفسه. وسئل الجنيد عن الزهد فقال خلو اليد من الملك والقلب من التتبع. وسئل الشبلي عن الزهد فقال أن تزهد فيما سوى الله تعالى، وقال يحيى بن معاذ لا يبلغ أحد حقيقة الزهد حتى يكون فيه ثلاث خصال عمل بلا علاقة وقول بلا طمع وعز بلا رياسة، وقال أبو حفص الزهد لا يكون إلا في الحلال ولا حلال في الدنيا فلا زهد، وقال أبو عثمان إن الله تعالى يعطي الزاهد فوق ما يريد ويعطي الراغب دون ما يريد ويعطي المستقيم موافقة ما يريد، وقال يحيى بن معاذ. الزاهد يسعطك الخل والخردل، والعارف يشمك المسك والعنبر، وقال الحسن البصري: الزهد في الدنيا أن تبغض أهلها وتبغض ما فيها. وقيل لبعضهم: ما الزهد في الدنيا؟ قال: ترك ما فيها على من فيها.

وقال رجل لذي النون المصري: متى أزهد في الدنيا؟ فقال إذا زهدت في نفسك: وقال محمد بن الفضل: إيثار الزهاد عند الاستغناء وإيثار المفتيان عند الحاجة، قال الله تعالى ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، وقال الكتاني: الشيء الذي لم يخالف فيه كوفي ولا مدني ولا عراقي ولا شامي الزهد في الدنيا وسخاوة النفس والنصيحة للخلق يعني أن هذه الأشياء لا يقول أحد إنها غير

(١) (إذا اشتغل عن نفسه) بغيرها من شهواتها الدنيوية لأن شغله بنفسه إنما هو بإعراضها عن محبوباتها الدنيوية فإذا عدل عنها إلى غيرها فقد اشتغل عنها وعن أعراضها عن ذلك فلا يكون زاهدا ومتى زهد في شيء من الدنيا وبقي عليه شيء لم يزهد فيه لم يكمل زهده بل هو ناقص الزهد ولذلك لما سئل الجنيد رحمه الله عمن لم يبق عليه من الدنيا إلا التمتع بمص نواة قال المكاتب عبد ما بقي عليه درهم وأشار به إلى من بقي عليه ما ذكر.

محمودة . وقال رجل ليحيى بن معاذ متى أدخل حانوت التوكل وألبس رداء الزهد وأقعد مع الزاهدين فقال إذا صرت من رياضتك لنفسك فى السر إلى حد لو قطع الله عنك الرزق ثلاثة أيام لم تضعف فى نفسك فأما ما لم تبلغ هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين جهل ثم لا آمن عليك أن تفتضح بينهم وقال بشر الحافى الزهد ملك لا يسكن إلا فى قلب مخلى سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت محمد بن محمد بن الأشعث البيكندى يقول من تكلم فى الزهد ووعظ الناس ثم رغب فى مالهم رفع الله تعالى حب الآخرة من قلبه وقيل إذا زهد العبد فى الدنيا وكل الله تعالى به ملكا يغرس الحكمة فى قلبه وقيل لبعضهم لم زهدت فى الدنيا فقال لزهدها فى . وقال أحمد بن حنبل الزهد على ثلاثة أوجه ترك الحرام وهو زهد العوام والثانى ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص والثالث ترك ما يشغل العبد عن الله تعالى وهو زهد العارفين .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول قيل لبعضهم لم زهدت فى الدنيا قال لما زهدت فى أكثرها أنفت من الرغبة فى أقلها وقال يحيى بن معاذ : الدنيا كالعروس المجلوة ومن يطلبها ماشطتها والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف شعرها ويخرق ثوبها والعارف مشغل بالله تعالى لا يلتفت إليها ، سمعت أبا عبد الله الصوفى يقول سمعت أبا الطيب السامرى يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السرى يقول مارست كل شىء من أمر الزهد فنلت منه ما أريد إلا الزهد فى الناس فإنى لم أبلغه ولم أطقه وقيل ما خرج الزاهدون إلا إلى أنفسهم لأنهم تركوا النعيم الفانى للنعيم الباقى وقال النصراباذى الزهد حق دماء الزاهدين وسفك دماء العارفين وقال حاتم الأصم الزاهد يذيب كيسه قبل نفسه والمتزهد يذيب نفسه قبل كيسه .. سمعت محمد بن عبد الله يقول حدثنا على بن الحسين الموصلى قال حدثنا أحمد بن الحسين قال حدثنا محمد بن الحسن قال حدثنا محمد بن جعفر قال سمعت الفضيل بن عياض يقول جعل الله الشر كله فى بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله فى بيت وجعل مفتاحه الزهد .



باب الصمت^(١)

أخبرنا عبد الله^(٢) بن يوسف الأصبهاني قال حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان قال حدثنا أحمد بن يوسف السلمي قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » (أخبرنا) على بن أحمد بن عبدان قال أخبرنا أحمد بن عبيد قال حدثنا بشر بن موسى الأسدي قال حدثنا محمد بن سعيد الأصبهاني عن ابن المبارك عن يحيى بن أيوب عن عبيد الله ابن زحر عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي أمامة عن عقبة بن عامر قال قلت يارسول الله ما النجاة قال « احفظ عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك » ..

(قال الأستاذ رحمه الله) الصمت سلامة وهو الأصل وعليه ندامة إذ ورد عنه الزجر فالواجب أن يعتبر فيه الشرع والأمر والنهي والسكوت في وقته صفة الرجال كما أن النطق في موضعه من أشرف الخصال . سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول من سكت عن الحق فهو شيطان أخرس والصمت من آداب الحضرة قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ .. وقال تعالى خبرا عن الجن بحضرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ وكم بين عبد سكت تصاوننا عن الكذب والغيبة وبين عبد سكت لاستيلاء سلطان الهيبة عليه

(١) (الصمت) يقال صمت يصمت صمتا وصموتا وصماتا أى سكت يسكت سكوتا وسكاتا .

(٢) (أخبرنا عبد الله .. إلخ) رواه الشيخان دل على أن المقصود من الكلام قول الخير فإن لم يعلم العبد أن في كلامه خيرا فالصمت خير له وقد قال تعالى : ﴿ لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ﴾ . وسئل صلى الله عليه وآله وسلم فيم النجاة فقال « في حفظ اللسان » وروى الترمذى خبر « من صمت نجا » .

وفى معناه أنشدوا :

أفكر ما أقول إذا افترقنا وأحكم دائبا حجج المقال
فأنساها إذا نحن التقينا فأنطق حين أنطق بالمحال
وأنشدوا :

فيا ليل كم من حاجة لى مهمة إذا جئكم لم أدر بالليل ماهيا
وأنشدوا :

كم حديث لك حتى إذا مكنت من لقياك أنسيته
وأنشدوا :

رأيت الكلام يزين الفتى والصمت خير لمن قد صمت
فكم من حروف تجر الحتوف ومن ناطق ود أن لو سكت

(والسكوت على قسمين) سكوت بالظاهر وسكوت بالقلب والضمائر
فالمتوكل يسكت قلبه عن تقاضى الأرزاق والعارف يسكت قلبه مقابلة للحكم بنعت
الوفاق فهذا بجميل صنعه واثق وهذا بجميع حكمه قانع وفى معناه قالوا :

تجرى عليك صروفه وهموم سرك مطرقة

وربما يكون سبب السكوت حيرة البديهة فإنه إذا ورد كشف عن وصف
البغثة خرس العبارات عند ذلك فلا بيان ولا نطق وطمست الشواهد هناك فلا علم ولا
حس قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا ﴾
فأما إثارة أرباب المجاهدة السكوت فلما علموا ما فى الكلام من الآفات ثم ما فيه من
حفظ النفس وإظهار صفات المدح والميل إلى أن يتميز بين أشكاله بحسن النطق وغير
هذا من آفات الخلق وذلك نعت أرباب الرياضات وهو أحد أركانهم فى حكم المنازلة
وتهذيب الخلق وقيل إن داود الطائى لما أراد أن يعقد فى بيته اعتقد أن يحضر مجالس
أبى حنيفة إذ كان تلميذا له ويعقد بين أقرانه من العلماء ولا يتكلم فى مسألة فلما قوى

نفسه على ممارسة هذه الخصلة سنة كاملة قعد فى بيته عند ذلك وآثر العزلة وكان عمر بن عبد العزيز إذا كتب كتابا فاستحسن لفظه مزق الكتاب وغيره . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول أخبرنا عبد الله بن محمد الرازى قال حدثنا أبو العباس محمد بن إسحق السراج قال سمعت أحمد بن الفتح يقول سمعت بشر بن الحارث يقول إذا أعجبك الكلام^(١) فاصمت وإذا أعجبك الصمت فتكلم وقال سهل بن عبد الله لا يصح لأحد الصمت حتى يلزم نفسه الخلوة ولا تصح له التوبة حتى يلزم نفسه الصمت وقال أبو بكر الفارسى من لم يكن الصمت وطنه فهو فى الفضول وإن كان صامتا^(٢) والصمت ليس بمخصوص على اللسان لكنه على القلب والجوارح كلها وقال بعضهم من لم يستغنم السكوت فإذا نطق نطق بغيره . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت ممشاد الدينورى يقول الحكماء ورثوا الحكمة بالصمت والتفكير . وسئل أبو بكر الفارسى عن صمت السر فقال ترك اشتغال بالماضى والمستقبل وقال أبو بكر الفارسى إذا كان العبد ناطقا فيما يعنيه وفيما لا بد منه فهو فى حد الصمت ويروى عن معاذ بن جبل أنه قال كلم الناس قليلا وكلم ربك تعالى كثيرا لعل قلبك يرى الله تعالى وقيل لذى النون من أصون الناس لنفسه قال أملكهم للسانه وقال ابن مسعود مامن شيء يطول السجن أحق من اللسان وقال على بن بكار جعل الله تعالى لكل شيء بابين وجعل للسان أربعة أبواب فالشفطان مصراعان والأسنان مصراعان وقيل إن أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه كان يمسك فى فيه حجرا كذا وكذا سنة ليقل كلامه وقيل إن أبا حمزة البغدady كان حسن الكلام فهتف به هاتف تكلمت فأحسنت بقى أن تسكت فتحسن فما تكلم بعد ذلك حتى مات ومات قريبا

(١) (إذا أعجبك الكلام .. إلخ) لأن فى ذلك مخالفة لهوى النفس وردا لها عن هواها وإعجابها بإحداهما يكون إما لاستحسانها للشيء ولو كان ما استحسنته لا يخالف الشرع لكنها يحملها الشرع به عما هو أولى منه أو لإضافة ما استحسنته إليها ألفها ومدحها عليه ونسى كونه من فضل الله .

(٢) (وإن كان صامتا) بلسانه لأنه تارة يشير إلى مقصوده بيده وتارة بعينه وتارة يغيرهما كما مر ولهذا قال والصمت .. إلخ .

من هذه الحالة على رأس أسبوع أو أقل أو أكثر وربما يكون السكوت يقع على المتكلم^(١) تأديباً له لأنه أساء أدبه فى شىء كان الشبلى إذا قعد فى حلقة ولا يسألونه يقول ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون وربما يقع السكوت على المتكلم لأن فى القوم من هو أولى منه بالكلام سمعت ابن السماك يقول كان بين شاه الكرمانى ويحيى ابن معاذ صداقة فجمعهما بلد فكان شاه لا يحضر مجلسه ف قيل له فى ذلك فقال الصواب هذا فما زالوا به حتى حضر يوماً مجلسه وقعد ناحية لا يشعر به يحيى بن معاذ فلما أخذ يحيى فى الكلام سكت ثم قال ههنا من هو أولى بالكلام منى وارتج عليه فقال شاه قلت لكم الصواب أن لا أحضر مجلسه وربما يقع السكوت على المتكلم لمعنى فى الحاضرين وهو أنه يكون هناك من ليس بأهل لسماع ذلك الكلام فيصون الله تعالى لسان المتكلم غيرة وصيانة لذلك الكلام عن غير أهله وربما كان سبب السكوت الذى يقع على المتكلم أن بعض الحاضرين كان معلوم الله تعالى من حاله أنه يسمع ذلك الكلام فيكون فتنة له إما لتوهمه أنه وقته ولا يكون أو لأنه يحمل نفسه ما لا يطيق^(٢). فيرحمه الله تعالى بأن يحفظ سمعه عن ذلك الكلام إما صيانة له أو عصمة عن غلظه وقال مشايخ هذه الطريقة ربما يكون السبب فيه حضور من ليس بأهل لسماعه من الجن إذ لا تخلو مجالس القوم من حضور جماعة من الجن .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول اعتللت مرة بمرو فاشتقت أن أرجع إلى نيسابور فرأيت فى المنام كأن قائلاً يقول لى لا يمكنك أن تخرج من هذا البلد فإن جماعة من الجن قد استحلوا كلامك ويحضررون مجلسك فلأجلهم تجلس ههنا . وقال بعض الحكماء إنما خلق للإنسان لسان واحد وعينان وأذنان ليسمع ويبصر أكثر مما يقول^(٣). ودعى إبراهيم بن أدهم إلى دعوة فلما جلس أخذوا فى الغيبة فقال عندنا

(١) (يقع على المتكلم) أى يطلب من المتكلم .

(٢) (ما لا يطيق) بأن يكون بحيث لو سمعه لثارت فى قلبه أحوال قد تكون سبب ضرره وهلاكه أضعفه عن حمل ما يرد عليه .

(٣) (أكثر مما يقول) أى فينبغى أن يكون كلامه أقل من سماعه ورؤيته ولذلك حكمة احتاج إلى أن يسمع ويرى من جهتيه تفضل عليه الحق بعينين وأذنين وأما اللسان =

يؤكل اللحم بعد الخبز وأنتم ابتدأتم بأكل اللحم أشار إلى قوله تعالى : ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ . وقال بعضهم الصمت لسان الحلم وقال بعضهم تعلم الصمت كما تتعلم الكلام فإن كان الكلام يهديك فإن الصمت يقيك . وقيل عفة اللسان صمته . وقيل مثل اللسان مثل السبع إن لم توثقه عدا عليك ، وسئل أبو حفص أى الحالين للولى أفضل الصمت أو النطق فقال لو علم الناطق ما آفة النطق لصمت إن استطاع عمر نوح ولو علم الصامت ما آفة الصمت لسأل الله تعالى ضعفى عمر نوح حتى ينطق ^(١) . وقيل صمت العوام بالسننهم وصمت العارفين بقلوبهم وصمت المحبين من خواطر أسرارهم وقيل لبعضهم تكلم فقال ليس لى لسان فأتكلم فقل له اسمع فقال ليس فى مكان فأسمع . وقال بعضهم مكثت ثلاثين سنة لا يسمع لسانى إلا من قلبى ثم مكثت ثلاثين سنة لا يسمع قلبى إلا من لسانى . وقال بعضهم لو سكت لسانك لم تنج من كلام قلبك ولو صرت رميما لم تتخلص من حديث نفسك ولو جهدت كل الجهد لم تكلمك روحك لأنها كاتمة للسّر . وقيل لسان الجاهل مفتاح حفته وقيل المحب إذا سكت هلك والعارف إذا سكت ملك . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن محمد الرازى يقول سمعت محمد بن نصر الصائغ يقول سمعت مردويه الصائغ يقول سمعت الفضيل بن عياض يقول من عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه ^(٢) .



فترجمان عما فى الضمير فلا يحتاج إلى تعدده .

(١) (حتى ينطق) ليهتدى إلى الخير .

(٢) (إلا فيما يعنيه) أى يحتاج إليه حاجة شديدة .

باب الخوف

قال الله تعالى : ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ (أخبرنا) أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس الحيرى العدل قال أخبرنا أبو بكر محمد بن دلوية الدقاق قال حدثنا محمد بن يزيد قال حدثنا عامر بن أبى الفرات قال حدثنا المسعودى عن محمد بن عبد الرحمن عن عيسى بن طلحة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا يدخل النار من بكى من خشية الله تعالى حتى يلج اللبى فى الصرع ولا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى منخرى عبد أبداً . (حدثنا) أبو نعيم أحمد بن محمد بن إبراهيم المهرجاني قال حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد ابن الحسين بن الشرفى قال حدثنا عبد الله بن هاشم قال حدثنا يحيى بن سعيد القطان قال حدثنا شعبة قال حدثنا قتادة عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ، (قلت) الخوف معنى متعقله فى المستقبل لأنه إنما يخاف أن يحل به مكروه أو يفوته محبوب ولا يكن هذا إلا لشيء يحصل فى المستقبل فأما ما يكون فى الحال موجوداً فالخوف لا يتعلق به والخوف من الله تعالى هو أن يخاف أن يعاقبه الله تعالى إما فى الدنيا وإما فى الآخرة وقد فرض الله سبحانه على العباد أن يخافوه فقال تعالى : ﴿ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونَ ﴾ ومدح المؤمنين بالخوف فقال تعالى : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ ، سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول الخوف ^(١) . على مراتب الخوف الخشية والهيبة فالخوف من شرط الإيمان وقضيته قال الله تعالى ﴿ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ والخشية من شرط العلم قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ والهيبة من شرط المعرفة قال الله تعالى : ﴿ وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ ^(٢) .

(١) (الخوف) أى مطلقه .

(٢) (ويحذركم الله نفسه) لما كان العارفون مشغولين بربهم عن سواه حذروهم من نفسه ولم يذكر شيئاً من عذابه وبما قاله علم أن الخوف يطلق على الثلاثة وأن الخوف الثانى =

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن على الحيرى يقول سمعت محفوظا يقول سمعت أبا حفص يقول الخوف سوط الله يقود به الشاردين عن بابه وقال أبو القاسم الحكيم الخوف على ضربين رهبة وخشية فصاحب الرهبة يلتجئ إلى الهرب إذا خاف وصاحب الخشية يلتجئ إلى الرب (قال رحمه الله) ورهب وهرب يصح أن يقال إنهما واحد مثل جذب وجبذ فإذا هرب انجذب فى مقتضى هواه كالرهبان الذين اتبعوا أهواءهم فإذا كبهم لجام العلم وقاموا بحق الشرع فهو الخشية . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن محمد الرازى يقول سمعت أبا عثمان يقول سمعت أبا حفص يقول الخوف سراج القلب به يبصر ما فيه من الخير والشر . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول الخوف أن لا تغل نفسك بعسى وسوف .. سمعت محمد ابن الحسين يقول سمعت أبا القاسم الدمشقى يقول سمعت أبا عمر الدمشقى يقول الخائف من يخاف نفسه أكثر مما يخاف من الشيطان وقال ابن الجلال الخائف من تأمنه المخوفات وقيل ليس الخائف الذى يبكى ويمسح عينيه إنما الخائف من يترك ما يخاف أن يعذب عليه وقيل للفضل ما لنا لا نرى خائفا فقال لو كنتم خائفين لرأيتم الخائفين إن الخائف لا يرى إلا الخائفون وإن الثكلى هى التى تحب أن ترى الثكلى . وقال يحيى بن معاذ مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لدخل الجنة وقال شاه الكرمانى علامة الخوف الحزن الدائم وقال أبو القاسم الحكيم من خاف من شىء هرب منه ومن خاف من الله عز وجل هرب إليه .. وسئل ذو النون المصرى رحمه الله تعالى متى يتيسر على العبد سبيل الخوف فقال إذا أنزل نفسه منزلة السقيم يحتمى من كل شىء مخافة طول السقام وقال معاذ بن جبل إن المؤمن لا يطمئن قلبه

= أخص من الأول ونظيره الهبة تنقسم إلى هبة وهدية وصدقة كما هو مقرر فى محله وهذا لا ينافى قول بعضهم الخشية حال من مقام الخوف والخوف اسم جامع لحقيقة التقوى والتقوى معنى جامع للعبادة وفسر بعضهم الخشية بأنها خوف مقترن بتعظيم وبذلك فسرت قراءة ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ برفع اسم الله ونصب العلماء بأن جعل اسم الله تعالى فاعلا والعلماء مفعولا فالخشية هنا بمعنى التعظيم أى إنما يعظمه الله من عباده العلماء لا الخشية المعروفة بمعنى الخوف .

ولا تسكن روعته حتى يخلف جسر جهنم وراءه .. وقال بشر الحافى الخوف من الله ملك لا يسكن إلا فى قلب متق قال أبو عثمان الحيرى عيب الخائف فى خوفه السكون إلى خوفه لأنه أمر خفى وقال الواسطى الخوف حجاب بين الله تعالى وبين العبد وهذا اللفظ فيه إشكال ومعناه أن الخائف متطلع لوقت ثان وأبناء الوقت لا تطلع لهم فى المستقبل وحسنات الأبرار سيئات المقربين . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن على النهاوندى يقول سمعت إبراهيم بن فاثك يقول سمعت النوى يقول الخائف يهرب من ربه إلى ربه وقال بعضهم علامة الخوف التحير على باب الغيب . سمعت أبا عبد الله الصوفى يقول سمعت على بن إبراهيم العكبرى يقول سمعت الجنيد يقول وسئل عن الخوف فقال هو توقع العقوبة مع مجارى الأنفاس .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت الحسين بن أحمد الصفار يقول سمعت محمد بن المسيب يقول سمعت هاشم بن خالد يقول سمعت أبا سليمان الدارانى يقول ما فارق الخوف قلبا إلا خرب وسمعته يقول سمعت عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن يقول سمعت أبا عثمان يقول صدق الخوف هو الورع عن الآثام ظاهراً وباطناً وقال ذو النون الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف فإذا زال عنهم الخوف ضلوا عن الطريق وقال حاتم الأصم لكل شىء زينة وزينة العبادة الخوف وعلامة الخوف الأمل وقال رجل لبشر الحافى أراك تخاف الموت فقال القدوم على الله عز وجل شديد .. وسمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول دخلت على الإمام أبى بكر بن فورك عائداً فلما رأتى دمعت عيناه فقلت له إن شاء الله تعالى يعافيك ويشفيك فقال لن ترانى أخاف من الموت إنما أخاف مما وراء الموت (أخبرنا) على بن أحمد الأهوازى قال أخبرنا أحمد بن عبيد قال حدثنا محمد بن عثمان قال حدثنا القاسم بن محمد قال حدثنا يحيى بن يمان عن مالك بن مغول عن عبد الرحمن بن سعيد بن موهب عن عاشة رضى الله تعالى عنها قالت « يارسول الله الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أهو الرجل يسرق ويزنى ويشرب الخمر قال لا ولكن الرجل يصوم ويصلى ويتصدق ويحاف أن لا يقبل منه ، وقال ابن المبارك الذى يهيج الخوف حتى يسكن فى القلوب دوام المراقبة فى السر والعلانية ^(١) . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت

محمد بن الحسن يقول سمعت أبا القاسم بن أبي موسى يقول حدثنا محمد بن أحمد قال حدثنا علي الرازي قال سمعت ابن المبارك رحمه الله يقول ذلك ، وسمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت إبراهيم بن شيبان يقول إذا سكن الخوف أحرق مواضع الشهوات منه وطرد رغبة الدنيا عنه وقيل الخوف قوة العلم بمجاري الأحكام وقيل الخوف حركة القلب من جلال الرب^(٢) . وقال أبو سليمان الداراني ينبغي للقلب أن لا يكون الغالب عليه إلا الخوف فإنه إذا غلب الرجاء على القلب فسد القلب ثم قال يا أحمد بالخوف ارتفعوا فإن ضيعوه نزلوا . وقال الواسطي الخوف والرجاء زمامان على النفوس لئلا تخرج إلى رعونتها . وقال الواسطي إذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها فضلة لرجاء ولا لخوف (قال الأستاذ أبو القاسم) وهذا فيه إشكال ومعناه إذا اضطلمت شواهد الحق تعالى الأسرار ملكتها فلا يبقى فيها مساع لذكر حدثان والخوف والرجاء من آثار بقاء الإحساس بأحكام البشرية وقال الحسين بن منصور من خاف من شيء سوى الله عز وجل أو رجا سواه أغلق عليه أبواب كل شيء وسلط عليه المخافة وحجبه بسبعين حجابا أيسرها الشك وإن مما أوجب شدة خوفهم فكرهم في العواقب وخشية تغير أحوالهم قال الله تعالى ﴿ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ فكم من مغبوط في أحواله انعكست عليه الحال ومنى بمفارقة قبيح الأفعال فبدل بالأنس وحشة وبالاحضور غيبة . سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله ينشد كثيرا :

أحسنْتَ ظنك بالأيام إذا حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر

(١) (دوام المراقبة في السر والعلانية) إذ الحامل على دوامها إنما هو قوة الخوف من لحوق الضرر فيتوالى الخوف على القلب تحصل المراقبة وعلامة سكون الخوف في القلب تواليه فيه حتى يصير كأنه ساكن فإن الأعراض لا بقاء لها .

(٢) (من جلال الرب) وعظمته فمتى استشعر القلب نظر الرب إليه في حالته التي هو فيها وإن كانت أفضل عباداته اضطرب قلبه واقشعر جلده ووجل كما قال تعالى : ﴿ إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ .

وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

سمعت منصور بن خلف المغربي يقول كان رجلاً اصطحباً في الإرادة برهة من الزمان ثم إن أحدهما سافر وفارق صاحبه وأتى عليه مدة من الزمان ولم يسمع منه خبراً فبينما هذا الآخر كان في غزاة يقاتل عسكر الروم إذ خرج على المسلمين رجل مقتنع في السلاح يطلب المبارزة فخرج إليه من أبطال المسلمين واحد فقتله الرومي ثم خرج آخر فقتله ثم ثالث فقتله فخرج إليه هذا الصوفي وتطاردا فحسر الرومي عن وجهه فإذا هو صاحبه الذي صاحبه في الإرادة والعبادة سنين فقال له إيش الخبر فقال إنه ارتد وخالط القوم وولد له أولاد واجتمع له مال فقال له وكنت تقرأ القرآن بقراءات كثيرة فقال لا أذكر منه^(١). حرفاً فقال له هذا الصوفي لا تفعل وارجع فقال لا أفعل فلي فيهم جاه ومال فانصرف أنت وإلا لأفعلن بك ما فعلت بأولئك فقال له هذا الصوفي اعلم أنك قتلت ثلاثة من المسلمين وليس عليك أنفة في الانصراف فانصرف أنت وأنا أمهلك فرجع الرجل مولياً فتبعه الصوفي وطعنه فقتله فبعد تلك المجاهدات ومقاسات تلك الرياضيات قتل على النصرانية وقيل لما ظهر على إبليس ما ظهر طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يبيكان زماناً طويلاً فأوحى الله تعالى إليهما ما لكما تبكيان كل هذا البكاء فقالا يارب لا نأمن من مكرك فقال الله تعالى: هكذا كونا لا تأمنا مكرى. ويحكى عن السرى السقطى أنه قال إني لأنظر إلى أنفى في اليوم كذا كذا مرة مخافة أن يكون قد استود لما أخافه من العقوبة وقال أبو حفص منذ أربعين سنة اعتقادي في نفسي أن الله تعالى ينظر إلى نظر السخط وأعمالى تدل على ذلك. وقال حاتم الأصم لا تغتر بموضع صالح فلا مكان أصلح من الجنة فلقى آدم عليه السلام فيها ما لقي ولا تغتر بكثرة العبادة فإن إبليس بعد طول تعبد له لقي ما لقي ولا تغتر بكثرة العلم فإن بلعام^(٢). كان يحسن اسم الله الأعظم فانظر ماذا لقي^(٣). ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص أكبر قدراً من المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ولم ينتفع

(١) (منه) بمعنى عنه إذ حروف الجر تتبادل.

(٢) (بلعام) ويقال بلعم بن باعوراء من علماء بنى إسرائيل .

(٣) (فانظر ماذا لقي) حيث كفر وصار مثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه =

بلقائه أقاربه وأعدائه وخرج ابن المبارك يوماً على أصحابه فقال إنى اجترأت البارحة على الله عز وجل سألته الجنة ^(١) . وقيل خرج عيسى عليه السلام ومعه صالح من صالحى بنى إسرائيل فتبعهما رجل خاطئ مشهور بالفسق فيهم ففقد منتبذا عنهما منكسرا فدعا الله سبحانه وقال اللهم اغفر لى ودعا هذا الصالح وقال اللهم لا تجمع غدا بينى وبين ذلك العاصى فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام إنى قد استجبت دعاءهما جميعاً رددت ذلك الصالح وغفرت لذلك المجرم . وقال ذو النون المصرى قلت لعليم لم سميت مجنوناً قال لما طال حبسى عنه صرت مجنوناً لخوف فراقه فى الآخرة وفى معناه أنشدوا :

لو أن مابى على صخر لأنحله فكيف يحمله خلق من الطين

وقال بعضهم ما رأيت رجلاً أعظم رجاء لهذه الأمة ولا أشد خوفاً على نفسه من ابن سيرين ^(٢) . وقيل مرض سفيان الثورى فعرض دليله على الطبيب فقال هذا رجل قطع الخوف كبده ثم جاء وجس عرقه ثم قال ما علمت أن فى الحنيفة مثله . وسئل الشبلى لم تصفر الشمس عند الغروب فقال لأنها عزلت عن مكان التمام فاصفرت لخوف المقام وكذا المؤمن إذا قارب خروجه من الدنيا اصفر لونه لأنه يخاف المقام فإذا طلعت الشمس طلعت مضيئة كذلك المؤمن إذا بعث من قبره خرج ووجهه يشرق . ويحكى عن أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى أنه قال سألت ربى عز وجل أن يفتح على بابا من الخوف ففتح فخفت على عقلى فقلت يارب أعطنى على قدر ما أطيق فسكن ذلك عنى .

= يلهث مع اندلاع لسانه على صدره .

(١) (سألته الجنة) وأنا حقير فى نفسى ولا تصلح أحوالى لسؤالها وكان حقى أن أستعيز به من النار .

(٢) (من ابن سيرين) حيث نظر إلى عمله بعين النقص وحسن ظنه بالمسلمين فرجا لهم العفو عما يقع منهم .

باب الرجاء

قال الله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَكَ لَيْتٌ ﴾ . أخبرنا أبو الحسن على بن أحمد الأهوازي قال أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار قال حدثنا عمرو بن مسلم الثقفي قال : حدثنا الحسن بن خالد قال حدثنا العلاء بن زيد قال دخلت على مالك بن دينار فرأيت عنده شهر بن حوشب فلما خرجنا من عنده قلت لشهر يرحمك الله تعالى زدني زودك الله تعالى قال نعم حدثتني عمتي أم الدرداء عن أبي الدرداء عن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم عن جبريل عليه السلام قال : « قال ربكم عز وجل عبدي ما عبدتني ورجوتني ولم تشرك بي شيئاً غفرت لك على ما كان منك ولو استقبلتني بملء الأرض خطايا وذنوباً استقبلتك بمثلها مغفرة فأغفر لك ولا أبالي » . أخبرنا على بن أحمد قال أخبرنا أحمد بن عبيد قال حدثنا بسر بن موسى قال حدثنا خلف بن الوليد قال حدثنا مروان بن معاوية الفزاري قال حدثنا أبو سفيان طريف بن عبد الله بن الحارث عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « يقول الله تعالى يوم القيامة أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة شعير من إيمان ، ثم يقول أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان ، ثم يقول وعزتي وجلالي لا أجعل من آمن بي ساعة من ليل أو نهار كمن لم يؤمن بي » الرجاء تعلق القلب بمحسوب^(١) . سيحصل في المستقبل^(٢) . وكما أن الخوف يقع في مستقبل الزمان فكذلك الرجاء يحصل لما يؤمل في الاستقبال وبالرجاء عيش القلوب واستقلالها والفرق بين الرجاء وبين التمني أن التمني يورث صاحبه الكسل ولا يسلك طريق الجهد والجد وبعبارة صاحب الرجاء فالرجاء محمود التمني معلول وتكلموا في

(١) (بمحسوب) من جلب نفع أو دفع ضرر ودفع الضرر أولاً .

(٢) (في المستقبل) وذلك بأن يغلب على القلب الظن بحصوله في المستقبل .

(٣) (حسن الطاعة) ومن المعهود في أعمال الدنيا أن من وضع حبة في أرض طيبة قد رويت قوى رجائه وظنه بحصول مطلوبه وعكسه من وضع حبة في أرض سبخة =

الرجاء فقال شاه الكرمانى علامة الرجاء حسن الطاعة^(١) . وقال ابن خبيق الرجاء ثلاثة رجل عمل حسنة فهو يرجو قبولها ورجل عمل سيئة ثم تاب فهو يرجو المغفرة والثالث الرجل الكاذب يتمادى فى الذنوب ويقول أرجو المغفرة ومن عرف نفسه بالإساءة ينبغى أن يكون خوفه غالباً على رجائه وقيل والرجاء ثقة الجود من الكريم الودود وقيل الرجاء رؤية الجلال بعين الجمال وقيل هو قرب القلب^(١) من ملاطفة الرب وقيل سرور الفؤاد بحسن المعاد وقيل هو النظر إلى سعة رحمة الله تعالى . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا على الروزبارى يقول الخوف والرجاء هما كجناحى الطائر إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص وإذا ذهب صار الطائر فى حد الموت . وسمعت يقول سمعت النصراباذى يقول سمعت ابن أبى حاتم يقول سمعت على بن شهرمزدان يقول قال أحمد بن عاصم الأنطاكى وسئل ما علامة الرجاء فى العبد قال أن يكون إذا أحاط به الإحسان ألهم الشكر راجياً لتمام النعمة من الله تعالى عليه فى الدنيا وتمام عفوه فى الآخرة وقال أبو عبد الله بن خفيف الرجاء استبشار بوجود فضله وقال ارتياح القلوب لرؤية كرم المرجو المحبوب سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا عثمان المغربى يقول من حمل نفسه على الرجاء تعطل ومن حمل نفسه على الخوف قنط ولكن من هذه مرة ومن هذه مرة . وسمعت يقول حدثنا أبو العباس البغدادى قال حدثنا الحسن بن صفوان قال حدثنا ابن أبى الدنيا قال حدثت عن بكر بن سليم الصواف قال دخلنا على مالك بن أنس فى العشية التى قبض فيها فقلنا يا أبا عبد الله كيف تجدك فقال ما أدرى ما أقول لكم غير أنكم ستعاينون من عفو الله تعالى ما لم يكن لكم فى حساب ثم ما برحنا حتى أغمضناه وقال يحيى بن معاذ يكاد رجائى لك مع الذنوب يغلب رجائى لك مع الأعمال لأنى أجدنى أعتمد فى الأعمال على

= فى زمن الصيف وقال الله قادر على أن ينبتہ فیها وهذا القول وإن كان صحيحاً لكن المتبع ما أجراه الله من عادته فى خلقه فاتخذ فى الأسباب تسلم .

(١) (قرب القلب .. إلخ) هذا قريب مما قبله وفيه إشارة إلى الحضور ودوام العلم بتوالى نعم الله على العبد .

الإخلاص وكيف أحرزها وأنا بالآفة معروف وأجدنى فى الذنوب أعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف وكلموا ذا النون المصرى وهو فى النزاع فقال لا تشغلونى فقد تعجبت من كثرة لطف الله تعالى معى وقال يحيى بن معاذ إلهى أحلى العطايا فى قلبى رجاؤك وأعذب الكلام على لسانى ثناؤك وأحب الساعات إلى ساعة يكون فيها لقاءك وفى بعض التفاسير : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل على أصحابه من باب بنى شيبه فرآهم يضحكون فقال أتضحكون لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً ثم رجع القهقري وقال نزل على جبريل عليه السلام وأتى بقوله تعالى : ﴿ نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ، (أخبرنا) أبو الحسن على بن أحمد الأهوازي قال حدثنا أبو الحسن الصفار قال حدثنا عباس بن تميم قال حدثنا يحيى بن أيوب قال حدثنا مسلم بن سالم قال حدثنا خارجة بن مصعب عن زيد بن أسد عن عطاء بن يسار عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : إن الله تعالى ليضحك من يأس العباد وقنوطهم وقرب الرحمة منهم فقلت بأبى وأمى يا رسول الله أو يضحك ربنا عز وجل فقال والذي نفسى بيده إنه ليضحك فقالت لا يعدمنا خيرا إذا ضحك ، ^(١) . واعلم أن الضحك فى وصفه من صفات فعله وهو إظهار فضله كما يقال ضحكت الأرض بالنبات وضحكه ^(٢) . من قنوطهم إظهار تحقيق فضله الذى هو ضعف انتظارهم له وقيل إن مجوسيا استضاف إبراهيم الخليل عليه السلام فقال له إن أسلمت أضفتك فقال المجوسى إذا أسلمت فأى منة تكون لك على فمر المجوسى فأوحى الله تعالى إلى إبراهيم عليه السلام يا إبراهيم

(١) (لا يعدمنا خيرا إذا ضحك) إذا ضحك علامة الرضا وبذلك علم أنه تعالى لا تضره معصية ولا تنفعه طاعة فمن أطاعه فبركة طاعته عائدة عليه ومن عصاه فشؤم معصيته راجع إليه فإن تاب عنها فلا ييأس من رحمة الله فإن أيس منها فهو جاهل وضحك الله تعالى ممن ييأس لأنه أتى بشيء عجيب وهو غفلته عن سعة رحمة الله أو جهله واعتقاده أن معصيته يرجع إلى ربه منها شيء وذلك من المستحيلات فضحك ربه مقابلة له بضد حاله فإنه لما أيس من رحمته أسبغها عليه لاسيما بعد توبته .

(٢) (وضحكه) الأولى فضحكه تعالى .

لم تطعمه إلا بتغييره دينه ونحن منذ سبعين سنة نطعمه على كفره فلو أضفته ليلة ماذا عليك فمر إبراهيم عليه السلام خلف المجوسى وأضافه فقال له المجوسى إيش كان السبب فى الذى بدا لك فذكر له ذلك فقال له المجوسى أهكذا يعاملنى ثم قال أعرض على الإسلام فأسلم . سمعت الشيخ أبا على الدقاق يقول رأى الأستاذ أبو سهل الصعلوكى أبا سهل الزجاج فى النوم وكان يقول أبو عبد الأبد فقال له كيف حالك فقال وجدنا الأمر أسهل مما توهمنا . سمعت أبا بكر بن أشكيب يقول رأيت أبا سهل الصعلوكى فى المنام على هيئة حسنة لا توصف فقلت له يا أستاذ بم نلت هذا فقال بحسن ظنى برى ورؤى مالك بن دينار فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال قدمت على رى عز وجل بذنوب كثيرة محاها عنى حسن ظنى به تعالى . وروى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى إن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإن ذكرنى فى ملاء ذكرته فى ملاء هو خير منهم وإن اقترب إلى شبرا اقتربت إليه ذراعا وإن اقترب إلى ذراعا اقتربت إليه باعا وإن أتانى يمشى أتيت هرولة ، أخبرنا بذلك أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الأسفراينى قال أخبرنا يعقوب بن إسحق قال حدثنا على بن حرب قال حدثنا أبو معاوية ومحمد بن عبيد عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول ذلك وقيل كان ابن المبارك يقاتل علجا مرة فدخل وقت صلاة العليج فاستمهل فأمهل فلما سجد للشمس أراد ابن المبارك أن يضربه بسيفه فسمع من الهواء قائلا يقول « وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا » فأمسك فلما سلم المجوسى قال له لم أمسكت عما هممت به فذكر له ما سمع فقال له المجوسى نعم الرب رب يعاتب وليه فى عدوه فأسلم وحسن إسلامه وقيل إنما أوقعهم فى الذنب حين سمى نفسه عفوا وقيل لو قال لا أغفر الذنوب لم يذنب مسلم قط كما أنه لما قال « إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ » لم يشرك مسلم قط ولكن لما قال « وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ » طمعوا فى مغفرته .

ويحكى عن إبراهيم بن أدهم أنه قال كنت أنتظر مدة من الزمان أن يخلو

المطاف لى فكانت ليلة ظلماء فيها مطر شديد فخلا المطاف فدخلت الطواف وكنت أقول فيه اللهم أعصمنى اللهم أعصمنى فسمعت هاتفا يقول لى يا ابن أدهم أنت تسألنى العصمة وكل الناس يسألونى العصمة فإذا عصمتكم فمن أرحم . وقيل رأى أبو العباس^(١) بن شريح فى منامه فى مرض موته كأن القيامة قد قامت وإذا الجبار سبحانه يقول أين العلماء قال فجاءوا ثم قال ماذا عملتم فيم علمتم قال فقلنا يارب قصرنا وأسأنا قال فأعاد السؤال كأنه لم يرض به وأراد جوابا آخر فقلت أما أنا فليس فى صحيفتى الشرك وقد وعدت أى تغفر مادونه فقال اذهبوا فقد غفرت لكم ومات بعد ذلك بثلاث ليال . وقال كان رجل شريب^(٢) . جمع قوما من ندمائه ودفع إلى غلام له^(٣) أربعة دراهم وأمره أن يشتري بها شيئا من الفواكه للمجلس فمر الغلام بباب مجلس منصور بن عمار وهو يسأل لفقيه شيئا ويقول من دفع له أربعة دراهم دعوت له أربع دعوات قال فدفع له الغلام الدراهم^(٤) . فقال منصور ما الذى تريد أن أدعو لك به فقال لى سيد أريد أن أتخلص منه فدعا لى منصور وقال ما الأخرى فقال أن يخلف الله تعالى على دراهمى فدعا ثم قال وما الأخرى فقال أن يتوب الله على سيدى فدعا قال وما الأخرى فقال أن يغفر الله تعالى لى ولسيدى ولك وللقوم فدعا منصور بذلك فرجع الغلام إلى سيده فقال لم أبطأت فقص عليه القصة فقال له وبم دعا فقال سألت لنفسى العتق فقال اذهب فأنت حر وإيش الثانى فقال أن يخلف الله على الدراهم فقال لك أربعة آلاف درهم فقال وإيش الثالث فقال أن يتوب الله عليك فقال تبت إلى الله تعالى فقال وإيش الرابع فقال أن يغفر الله تعالى لك ولى وللقوم فقال

(١) (وقيل رأى أبو العباس .. إلخ) فيه دلالة على جواز الغفران لمن لم يشرك بالله كالأية التى أشار إليها وعلى بشرى عظيمة لابن سريج وهو أنه مغفور له وقد اعترف هو ومن معه بالتقصير ومن اعترف بتقصيره رضى له المغفرة ومن اعترف بذنبه واستغفر غفر له ربه .

(٢) (شريب) أى كثير الشرب للخمر .

(٣) (غلام له) وكان صالحا ينكر عليه ذلك .

(٤) (فدفع له الغلام الدراهم) لأنه رأى أن سيده يرضى بذلك أو رأى أن هذا أولى مما أمره به سيده وهان عليه مشقة الضرب والألم من سيده حتى لا يقع فى هذا المنكر الشديد وظن منصور أنه مالك الدراهم .

هذا الواحد ليس إلى فلما بات رأى في المنام كأن قائلاً يقول له أنت فعلت ما كان إليك ترانى لا أفعل ما إلى قد غفرت لك وللغلام ولمنصور بن عمار وللقوم الحاضرين وقيل حج رباح القيسى حجات كثيرة فقال يوما وقد وقف تحت الميزاب إلهى وهبت من حجاتى كذا وكذا للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعشرة منها لأصحابه العشرة وثنتين لوالدى والباقي للمسلمين ولم يحبس منها شيئاً لنفسه فسمع هاتفاً يقول هو ذا يتسخرى علينا لأغفرن لك ولأبويك ولمن شهد شهادة الحق وروى عن عبد الوهاب ابن عبد المجيد الثقفى إنه قال رأيت جنازة يحملها ثلاثة من الرجال وامرأة قال فأخذت مكان المرأة وذهبنا إلى المقبرة فصلينا عليها ودفناها فقلت للمرأة من كان هذا منك فقالت ابنى فقلت أو لم يكن لكم جيران قالت نعم ولكنهم صغروا أمره فقلت وإيش كان هذا فقالت مخنثاً قال فرحمتها وذهبت بها إلى منزلى وأعطيتها دراهم وحنطة وثياباً ونمت تلك الليلة فرأيت كأنه أتانى آت كأنه القمر ليلة البدر وعليه ثياب بيض فجعل يتشكر لى فقلت من أنت فقال المخنث الذى دفنتمونى اليوم رحمنى ربى عز وجل باحتقار الناس إياى.. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول مر أبو عمرو البيكندى يوماً بسكة فرأى قوما أرادوا إخراج شاب من المحلة لفساده وامرأة تبكى قيل إنها أمه فرحمها أبو عمرو وتشفع له إليهم وقال هبوه منى هذه المرة فإن عاد إلى فساد فشانكم فوهبوه منه فمضى أبو عمرو فلما كان بعد أيام اجتاز بتلك السكة فسمع بكاء العجوز من وراء ذلك الباب فقال فى نفسه لعل الشاب عاد إلى فساد فنفى من المحلة فصدق عليها الباب وسألها عن حال الشاب فخرجت العجوز وقالت إنه مات فسألها عن حاله فقالت لما قرب أجله قال لا تخبرى بموتى الجيران فلقد آذيتهم وإنهم يشمتون بى ولا يحضرون جنازتى وإذا دفنتينى فهذا خاتم لى مكتوب عليه بسم الله فادفنيه معى فإذا فرغت من دفنى فتشفعى لى إلى ربى عز وجل قالت ففعلت وصيته فلما انصرفت عن رأس قبره سمعت صوته يقول انصرفى يا أماه فقد قدمت على رب كريم. وقيل أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام قل لهم إنى لم أخلقهم لأريح عليهم وإنما خلقتهم ليربحوا على.. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن

عبد الله بن شاذان يقول سمعت أبا بكر الحريبي يقول سمعت إبراهيم الأطروش يقول كنا قعوداً ببغداد مع معروف الكرخي على الدجلة إذ مر بنا قوم أحداث في زورق يضربون بالدف ويشربون ويلعبون فقلنا لمعروف أما تراهم كيف يعصون الله تعالى مجاهرين ادع الله تعالى عليهم فرفع يده وقال إلهي كما فرحتهم في الدنيا فرحهم في الآخرة فقالوا ^(١) إنما سألتك أن تدعو عليهم فقال إذا فرحهم في الآخرة تاب عليهم .. سمعت أبا الحسن بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد المزكي قال حدثنا أبو زكريا يحيى بن محمد الأديب قال حدثنا الفضل بن صدقة قال حدثنا أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن سعيد قال كان يحيى بن أكثم القاضي صديقاً لي وكان يودني وأوده فمات يحيى فكنت أشتهي أن أراه في المنام فأقول له ما فعل الله تعالى بك فرأيت ليلة في المنام فقلت ما فعل الله تعالى بك قال غفر لي إلا أنه وبخني ثم قال لي يا يحيى خلطت على في دار الدنيا فقلت أي رب اتكلت على حديث حدثني أبو معاوية الضرير عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنك قلت « إنني لأستحي أن أعذب ذا شيبة بالنار » فقال قد عفوت عنك يا يحيى وصدق نبيي إلا أنك خلطت على في دار الدنيا .



(١) (فقالوا .. إلخ) وإذا تابوا زال عنكم ما تكرهونه فيحصل مطلوبكم من الدعاء عليهم وهذا من كمال المعرفة والسياسة في تغيير المنكر الذي لا يتمكن العبد من إزالته لقوة الجاه والسطوة فسلك معروف في إزالته مسلك السؤال وطلب الفضل من الله بأن يغير أحوالهم عما هي عليه لأنه تعالى الفاعل بهم ما هم فيه فقال اللهم كما فرحتهم في الدنيا فرحهم في الآخرة فأعلمهم بذلك أن التغيير في هذا الوقت لمثل هؤلاء إنما هو بالدعاء لهم بالتوبة وما أمل ما فعل وهكذا يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا خشونة ولا استعلاء .

باب الحزن

قال الله عز وجل : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴾
 (أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان قال أخبرنا أحمد بن عبيد قال حدثنا علي بن حبيش
 قال حدثنا أحمد بن عيسى قال حدثنا ابن وهب قال حدثنا أسامة بن زيد الليثي عن
 محمد بن عمرو بن عطاء قال سمعت عطاء بن يسار قال سمعت أبا سعيد الخدري
 يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ما من شيء يصيب العبد
 المؤمن من وصب أو نصب أو حزن أو ألم يهمله إلا كفر الله تعالى عنه من سيئاته .
 الحزن حال يقبض القلب عن التفرق في أودية الغفلة والحزن من أوصاف أهل
 السلوك . سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول صاحب الحزن يقطع من طريق الله
 تعالى في شهر ما لا يقطعه من فقد حزنه سنين وفي الخبر : إن الله تعالى يحب كل
 قلب حزين ، وفي التوراة إذا أحب الله عبداً جعل في قلبه نائحة وإذا أبغض عبداً جعل
 في قلبه مزماراً وروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان متواصل الأحزان
 دائم الفكره ، وقال بشر بن الحرث الحزن ملك فإذا سكن في موضع لم يرض أن يساكنه
 أحد وقيل القلب إذا لم يكن فيه حزن خرب كما أن الدار إذا لم يكن فيها ساكن تخرب
 وقال أبو سعيد القرشي بكاء الحزن يعمي وبكاء الشوق يغشى البصر ولا يعمي .. قال
 الله تعالى : ﴿ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ وقال ابن خفيف الحزن حصر
 النفس عن النهوض في الطرب وسمعت رابعة العدوية رجل يقول واحزنناه فقالت قل واقلة
 حزنناه لو كنت محزوناً لم يتهياً لك أن تتنفس وقال سفيان بن عيينة لو أن محزوناً بكى
 في أمة لرحم الله تعالى تلك الأمة ببكائه وكان داود الطائي الغالب عليه الحزن وكان
 يقول بالليل إلهي همك عطل على الهموم وحال بيني وبين الرقاد وكان يقول كيف
 يتسلى من الحزن من تتجدد عليه المصائب في كل وقت وقيل الحزن يمنع من الطعام
 والخوف يمنع من الذنوب وسئل بعضهم بم يستدل على حزن الرجل فقال بكثرة أنينه .

وقال سرى السقطى وددت أن حزن كل الناس ألقى على وتكلم الناس فى الحزن فكلهم قالوا إنما يحمد حزن الآخرة وأما حزن الدنيا فغير محمود إلا أبا عثمان الحيرى فإنه قال الحزن بكل وجه فضيلة وزيادة للمؤمن مالم يكن بسبه معصية لأنه إن لم يوجب تخصيصاً فإنه يوجب تمحيصاً . وعن بعض المشايخ أنه إذا كان سافر واحد من أصحابه يقول له إن رأيت محزوناً فأقرئه منى السلام .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول كان بعضهم يقول للشمس عند غروبها هل طلعت اليوم على محزون . وكان حسن البصرى لا يراه أحد إلا ظن أنه حديث عهد بمصيبة وقال وكيع لما مات الفضيل ذهب الحزن اليوم من الأرض وقال بعض السلف أكثر ما يجده المؤمن فى صحيفته من الحسنات الهم والحزن ، سمعت أبا عبد الرحمن الشيرازى يقول سمعت على بن بكران يقول سمعت محمد بن على المروزى يقول سمعت أحمد ابن أبى روح يقول سمعت أبى يقول سمعت الفضيل بن عياض يقول كان السلف يقولون إن على كل شىء زكاة وزكاة العقل طول الحزن سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن أحمد الفراء يقول سمعت أبا الحسين الوراق يقول سألت أبا عثمان الحيرى يوماً عن الحزن فقال الحزين^(١) لا يتفرغ إلى سؤال الحزن فأجتهد فى طلب الحزن ثم سل^(٢) .



(١) (فقال الحزين .. إلخ) أى وأنت تسأل عنه فأنت فارغ ولولا فراغك منه لما سألت عنه .

(٢) (ثم سل) أى ثم بعد اجتهداك فى طلبه سل عنه ثم بعد حصول كماله لا سؤال لأن كمال الحزن يشغلك عن السؤال عنه .

باب الجوع وترك الشهوة

قال الله تعالى : ﴿ وَلَبِّلُونَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ ﴾ ثم قال فى آخر الآية : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ بشرهم بجميل الثواب على الصبر على مقاساة الجوع وقال تعالى : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (١).

(أخبرنا) على بن أحمد الأهوازي قال أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار قال حدثنا عبد الله بن أيوب قال حدثنا أبو الوليد الطيالسي قال حدثنا أبو هاشم صاحب الزعفراني قال حدثنا محمد بن عبد الله عن أنس بن مالك أنه حدثه قال ، جاءت فاطمة رضى الله تعالى عنها بكسره خبز لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ما هذه الكسرة يا فاطمة قالت قرصاً خبزته ولم تطب نفسى حتى أتيتك بهذه الكسرة فقال أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام ، وفى بعض الروايات جاءت فاطمة رضى الله تعالى عنها بقرص شعير ولهذا كان الجوع من صفات القوم وهو أحد أركان المجاهدة فإن أرباب السلوك تدرجوا إلى اعتياد الجوع والإمساك عن الأكل ووجدوا ينابيع الحكمة فى الجوع وكثرت الحكايات عنهم فى ذلك .. سمعت محمد بن أحمد ابن محمد الصوفى يقول : سمعت عبد الله بن على التميمى يقول سمعت ابن سالم يقول أدب الجوع أن لا ينقص من عادته إلا مثل أذن السنور وقيل كان سهل بن عبد الله لا يأكل الطعام إلا فى كل خمسة عشر يوماً فإذا أدخل شهر رمضان كان لا يأكل حتى يرى الهلال وكان يفطر كل ليلة على الماء القراح وقال يحيى بن معاذ لو أن الجوع يباع فى السوق لما كان ينبغى لطلاب الآخرة إذا دخلوا السوق أن يشتروا غيره ..

(١) (خصاصة) أى حاجة إلى ما يؤثرون به وفى ذلك مدح على الجوع وترك الشهوة فهما مطلوبان وقد طلبا صريحا فى الصوم وروى الترمذى خبره ، ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ، ومن ثم كان التقليل من الدنيا ممدوحا .

(أخبرنا) محمد بن عبد الله بن عبيد الله قال حدثنا علي بن الحسين الأرجاني قال حدثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد الأصبخري بمكة حرسها الله تعالى قال قال سهل بن عبد الله لما خلق الله تعالى الدنيا جعل في الشبع المعصية والجهل وجعل في الجوع العلم والحكمة . وقال يحيى بن معاذ الجوع للمريد رياضة وللتائبين تجربة وللزهاد سياسة وللعارفين مكرمة . سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول دخل بعضهم على بعض الشيوخ فرآه يبكي فقال له مالك تبكي قال إني جائع قال ومثلك يبكي من الجوع فقال اسكت أما علمت أن مراده من جوعى أن أبكى . سمعت أبا عبد الله الشيرازي يقول حدثنا محمد بن بشر قال حدثنا الحسين بن منصور قال حدثنا داود بن معاذ قال سمعت مخلدا يقول كان الحجاج بن فرافصة معنا بالشام فمكث خمسين ليلة لا يشرب الماء ولا يشبع من شيء يأكله وسمعته يقول سمعت أبا بكر الغزالي يقول سمعت محمد بن علي يقول سمعت أبا عبد الله أحمد بن يحيى الجلاء يقول دخل أبو تراب النخشي من بادية البصرة مكة حرسها الله تعالى فسألناه عن أكلة فقال خرجت من البصرة وأكلت بنباج^(١) . ثم بذات عرق ومن ذات عرق إليكم فقطع البادية بأكلتين وسمعته يقول حدثنا علي بن النحاس المصري قال حدثنا هارون بن محمد الدقاق قال حدثنا أبو عبد الرحمن بن الدرقش قال حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال سمعت عبد العزيز بن عمير يقول تجوع صنف من الطير أربعين صباحا ثم طاروا في الهواء فرجعوا بعد أيام فكان يفوح منهم رائحة المسك وكان سهل بن عبد الله إذا جاع قوى وإذا أكل شيئا ضعف . وقال أبو عثمان المغربي الرباني لا يأكل في أربعين يوما والصمداني في ثمانين يوما وسمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت محمد بن علي العلوي يقول سمعت علي بن إبراهيم القاضي بدمشق يقول سمعت محمد بن علي ابن خلف يقول سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول سمعت أبا سليمان الداراني يقول

(١) (بنباج) بكسر النون قرية بالبادية أحيائها عبد الله بن عامر قاله الجوهري في صحاحه .

مفتاح الدنيا الشبع ^(١) . ومفتاح الآخرة الجوع ^(٢) . سمعت محمد بن عبد الله بن عبيد الله يقول سمعت على بن الحسين الأرجاني يقول سمعت أبا محمد الإصطخرى يقول سمعت سهل بن عبد الله وقيل له الرجل يأكل في اليوم أكلة فقال أكل الصديقين قال فأكلتين قال أكل المؤمنين قال فثلاثة قال قل لأهلك يبنون لك معلفا ^(٣) . . . وسمعتة يقول حدثنا عبد العزيز بن الفضل قال حدثنا أبو بكر السائح قال سمعت يحيى بن معاذ يقول الجوع نور ^(٤) . والشبع نار والشهوة مثل الحطب يتولد منه الاحتراق ولا تطفأ ناره حتى يحرق صاحبه . . سمعت أبا حاتم السجستاني يقول سمعت أبا نصر السراج الطوسي يقول دخل يوماً رجل من الصوفية على شيخ فقدم إليه طعاماً ثم قال له مذ كم يوماً تأكل فقال مذ خمسة أيام فقال له جوعك جوع بخل عليك ثياب وأنت تجوع ليس هذا جوع فقر . . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن أحمد بن سعيد الرازي يقول سمعت العباس بن حمزة يقول سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول قال أبو سليمان الداراني لأن أترك من عشائي لقمة أحب إلى من أن أقوم الليل إلى آخره . . وسمعتة يقول سمعت أبا القاسم جعفر بن أحمد الرازي يقول انتهى أبو الخير العسقلاني السمك سنين ثم ظهر له ذلك من موضع حلال فلما مد يده إليه ليأكل أخذت شوكة من عظامه أصبعه فذهبت في ذلك يده فقال يارب هذا لمن مد يده بشهوة إلى حلال فكيف بمن مد يده بشهوه إلى حرام . سمعت الأستاذ أبا بكر بن فورك يقول شغل العيال نتيجة متابعة الشهوة بالحلال فما ظنك بقضية شهوة الحرام . سمعت رستم الشيرازي الصوفي يقول كان أبو عبد الله بن خفيف في دعوة فمد واحد من أصحابه يده إلى

(١) (مفتاح الدنيا الشبع) لأنه يحرك شهوته التي منها شهوة الفرج والعبد إذا تزوج وسلم من الفساد كثرت كلفته وإن جاءه أولاد فقد حصلت عنده الأعداء وتوالت جهات الفساد قال تعالى : ﴿ إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم ﴾ .

(٢) (الجوع) لأن يحرك للطاعة .

(٣) (معلفاً) مكان علف الدواب شبهه بالدواب التي لا همة لها إلا في كثرة الأكل والشرب التي هي سبب قلة الفهم .

(٤) (الجوع نور) لأنه يسوق إليه بتفرغ القلب للخيرات .

الطعام قبل الشيخ لما كان به من الفاقة فأراد بعض أصحاب الشيخ أن ينكروا عليه لسوء أدبه حيث مد يده إلى الطعام قبل الشيخ فوضع شيئاً بين يدي هذا الفقير فلم الفقير أنه أنكر عليه لسوء أدبه فاعتقد أن لا يأكل خمسة عشر يوماً عقوبة لنفسه وتأديباً لها وإظهار التوبة من سوء أدبه وكان قد أصابته فاقة قبل ذلك . سمعت محمد بن عبد الله الصوفى قال حدثنا أبو الفرج الورثانى قال حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر قال حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحارث قال حدثنا سليمان بن داود قال حدثنا جعفر بن سليمان قال سمعت مالك بن دينار يقول من غلب شهوات الدنيا فذلك الذى فرق الشيطان من ظله . وسمعت يقول سمعت منصور بن عبد الله الأصبهانى يقول سمعت أبا على الروذبارى يقول إذا قال الصوفى بعد خمسة أيام أنا جائع فألزموه السوق وأمروه بالكسب .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول حاكيا عن بعض المشايخ أنه قال إن أهل النار غلبت شهواتهم حميتهم فلذلك افتضحوا^(١) .. وسمعت يقول قيل لبعضهم ألا تشتهى فقال أشتهى ولكن أحتمى قال وقيل لبعضهم ألا تشتهى فقال أشتهى أن لا أشتهى وهذا أتم^(٢) .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول أخبرنا أحمد بن منصور قال أخبرنا ابن مخلد قال حدثنا أبو الحسين الحسن بن عمرو بن الجهم قال سمعت أبا نصر التمار يقول أتانى بشر ليلة فقلت الحمد لله الذى جاء بك جاءنا قطن من خراسان فغزلته البنت وباعته واشترت لنا لحماً فتفطر عندنا فقال لو أكلت عند أحد أكلت عندكم ثم قال إني لأشتهى الباذنجان منذ سنين ولم يتفق لى أكله فقلت إن فيها الباذنجان من الحلال فقال حتى يصفولى حب الباذنجان .. سمعت عبد الله بن باكويه الصوفى يقول سمعت أبا أحمد الصغير يقول أمرنى أبو عبد الله بن خفيف أن أقدم إليه كل ليلة عشر حبات زبيب لإفطاره فليلاً أشفت عليه فحملت إليه خمسة عشر حبة

-
- (١) (فلذلك افتضحوا) بارتكاب شهواتهم لأن حمى الله تعالى محارمه ومن حام حول الحمى كاد أن يقع فيه فمن غلبت شهواته تقواه افتضح ومن غلبت تقواه شهواته نجح
- (٢) (وهذا أتم) مما قبله لأنه إخبار عن عدم شهوته وذاك إخبار عنها ولكن احتمى عنها .

فنظر إلى وقال من أمرك بهذا وأكل عشر حبات وترك الباقي ^(١) .. سمعت محمد ابن عبد الله بن عبيد الله يقول سمعت أبا العباس أحمد بن محمد بن عبد الله بن الفرغانى يقول سمعت أبا الحسين الرازى يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت أبا تراب النخشبى يقول ما تمننت نفسى من الشهوات إلا مرة واحدة تمننت خبزاً وبيضاً وأنا فى سفر فعدلت إلى قرية فقام واحد وتعلق بى وقال هذا كان مع اللصوص فضربونى سبعين درة ثم عرفنى رجل منهم فقال هذا أبو تراب النخشبى فاعتذروا إلى فحملنى رجل إلى منزله إكراماً لى وشفقة على وقدم إلى خبزاً وبيضاً فقلت لنفسى كلى ^(٢) . بعد سبعين درة .



باب الخشوع والتواضع

قال الله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ

خَاشِعُونَ ﴾ (أخبرنا) أبو الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكى قال أخبرنا أبو الفضل سفيان بن محمد الجوهري قال حدثنا على بن الحسين قال حدثنا يحيى بن حماد قال حدثنا شعبة عن أبان بن ثعلب عن فضل الفقيمي عن إبراهيم النخعي عن علقمة بن قيس عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان » ، قال رجل يا رسول الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه

(١) (وترك الباقي) فيه دلالة على كمال محافظته على ما حصل له من الاستقامة فى أدب النفوس والاكتفاء باليسير واعتياد التقلل من الطعام وإن كان شهياً لذيقاً حيث اكتفى بعشر حبات زبيب فى وقت إفطاره قيل وربما كان يتسحر لصومه بمثلها .

(٢) (كلى .. إلخ) قال ذلك توبيخاً لنفسه .

حسناً.. فقال « إن الله تعالى جميل يحب الجمال الكبير من بطر الحق »^(١). وغمص الناس^(٢). أخبرنا علي بن أحمد الأهوازي قال أخبرنا أحمد بن عبيد البصري قال حدثنا محمد بن الفضل بن جابر قال حدثنا أبو إبراهيم قال حدثنا علي بن مسهر عن مسلم الأعور عن أنس بن مالك قال « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعود المريض ويشيع الجنائز ويركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم قريظة والنضير على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه أكاف من ليف » . الخشوع الانقياد للحق . والتواضع هو الاستسلام للحق وترك الاعتراض على الحكم^(٣). وقال حذيفة أول ما تفقدون من دينكم الخشوع . وسئل بعضهم عن الخشوع فقال الخشوع قيام القلب بين يدي الحق سبحانه بهم مجموع وقال سهل بن عبد الله من خشع قلبه لم يقرب منه الشيطان وقيل من علامات الخشوع للعبد أنه إذا أغضب أو خولف أو رد عليه أن يستقبل ذلك بالقبول وقال بعضهم خشوع القلب قيد العيون عن النظر وقال محمد بن علي الترمذي الخاشع من خمدت نيران شهوته وسكن دخان صدره وأشرق نور التعظيم في قلبه فماتت شهوته وحيى قلبه فخشعت جوارحه . وقال الحسن البصري الخشوع الخوف الدائم اللازم للقلب وسئل الجنيد عن الخشوع فقال تذلل القلوب لعلام الغيوب قال الله تعالى : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ . سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول ما معناه متواضعين متخاشعين وسمعته يقول هم الذين لا يستحسنون شمع نعالهم إذا مشوا واتفقوا على أن الخشوع محله القلب

(١) (بطر الحق) بفتح الباء والطاء المهملة أى رده وإبطاله .

(٢) (وغمص الناس) بصاد مهملة أى احتقارهم ولأنه عبارة عن تعاظم العبد على غيره وما ذكر ليس كذلك بل فيه إظهار للنعمة وهو مطلوب والخبر رواه مسلم بلفظ « الكبير بطر الحق وغمط الناس » بطاء مهملة وهو بمعنى غمص والكبر ضد التواضع ومن تواضع لله رفعه ومن تكبر على خلق الله وضعه الله .

(٣) (وترك الاعتراض على الحكم) أى من الحاكم وهو أعم من الخشوع لأنه يستعمل فيما بين العباد وفيما بينهم وبين الرب بخلاف الثانى لا يستعمل إلا فى الثانى فلا يقال خشع العبد لمثله بل يقال تواضع له .

ورأى بعضهم رجلاً منقبض الظاهر منكسر الشاهد قد زوى منكبيه فقال له يا فلان الخشوع ههنا وأشار إلى صدره لاههنا وأشار إلى منكبيه وروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأى رجلاً يعبث في صلاته بلحيته فقال « لو خضع قلب هذا لخشعت جوارحه » وقيل شرط الخشوع في الصلاة أن لا يعرف من على يمينه ومن على شماله قال الأستاذ الإمام ويحتمل أن يقال الخشوع إطراق السريره بشرط الأدب بمشهد الحق سبحانه وتعالى ويقال الخشوع ذبول يرد على القلب عند اطلاع الرب ويقال الخشوع ذوبان القلب وانخناسه عند سلطان الحقيقة ويقال الخشوع مقدمات غلبات الهيبة ويقال الخشوع قشعريرة ترد على القلب بغتة عند مفاجأة كشف الحقيقة وقال الفضيل بن عياض كان يكره أن يرى على الرجل من الخشوع أكثر مما في قلبه وقال أبو سليمان الداراني لو اجتمع الناس على أن يضعوني كوضعي عند نفسي لما قدروا عليه وقيل من لم يتضع عند نفسه لم يرتفع عند غيره وكان عمر بن عبد العزيز لا يسجد إلا على التراب ..

(أخبرنا) علي بن أحمد الأهوازي قال أخبرنا أحمد بن عبيد البصري قال حدثنا إبراهيم بن عبد الله قال حدثنا أبو الحسن علي بن يزيد الفرائضي قال حدثنا محمد بن كثير وهو المصيصي عن هارون بن حيان عن حصيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر » وقال مجاهد لما أغرق الله تعالى قوم نوح شمخت الجبال وتواضع الجودي فجعله الله تعالى قرارا لسفينة نوح عليه سلام وكان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يسرع في المشي ويقول إنه أسرع للمحاجة وأبعد عن الزهو وكان عمر بن عبد العزيز يكتب ليلة شيئا وعنده ضيف فكاد السراج ينطفئ فقال الضيف أقوم إلى المصباح فأصلحه فقال لا ليس من الكرم استخدام الضيف قال فأنبه الغلام قال لا هي أول نومة نامها فقام إلى البطة وجعل الدهن في المصباح فقال الضيف قمت بنفسك يا أمير المؤمنين فقال له عمر ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر وروى أبو سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلف البعير ويقم البيت ويخفف النعل ويرقع الثوب ويحلب الشاة ويأكل مع الخادم ويطحن معه إذا أعيا وكان

لا يمنعه الحياء أن يحمل بضاعته من السوق إلى أهله وكان يصافح الغنى والفقير ويسلم مبتدئاً ولا يحتقر ما دعى إليه ولو إلى حشف التمر وكان هين المؤنة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طلق الوجه بساما غير ضحك محزوناً من غير عبوسة متواضعا من غير مذلة جواداً من غير سرف رقيق القلب رحيماً بكل مسلم لم يتجشأ قط من شبع ولم يمد يده إلى طمع .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت عبد الله بن محمد الرازي يقول سمعت محمد بن نصر الصائغ يقول سمعت مردويه الصائغ يقول سمعت الفضيل بن عياض يقول قراء الرحمن عز وجل أصحاب خشوع وقراء القضاء أصحاب عجب وتكبر وقال الفضيل بن عياض من رأى لنفسه قيمة فليس له فى التواضع نصيب. وسئل الفضيل عن التواضع فقال تخضع للحق وتنقاد له وتقبله ممن قاله وقال الفضيل أوحى الله تعالى إلى الجبال أنى مكلم على واحد منكم نبيا فتناولت الجبال وتواضع طور سيناء^(١). فكلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام لتواضعه . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أحمد بن على بن جعفر يقول سمعت إبراهيم بن فاتك يقول سئل الجنيد عن التواضع فقال خفض الجناح للخلق ولين الجانب لهم^(٢). وقال وهب مكتوب فى بعض ما أنزل الله تعالى من الكتب إنى أخرجت الذر^(٣). من صلب آدم فلم أجد قلباً أشد تواضعا من قلب موسى عليه السلام لذلك اصطفيته^(٤) وكلمته^(٥) وقال ابن المبارك التكبر على الأغنياء^(٦). والتواضع

(١) (وتواضع طور سيناء .. إلخ) فيه دلالة على جواز خلق الحياة والفهم والأخبار والحركات فى الجمادات والله قادر على كل شىء .

(٢) (ولين الجانب لهم) ليقربوا منه فينتفعوا به ويكون بحيث إنه إن آذاه غيره بأذية حملها فلا يؤاخذ بها .

(٣) (الذر) بالمعجمة أى بنى آدم .

(٤) (اصطفيته) أى اخترته من بين الناس نبيا .

(٥) (وكلمته) فما ميزه تعالى على أمته وخصه بكلامه إلا لما اختص به من كمال تواضعه .

(٦) (التكبر على الأغنياء .. إلخ) الغرض منه التنفير عن التواضع للأغنياء لدنياهم وإلا =

للفقراء من التواضع وقيل لأبى يزيد متى يكون الرجل متواضعا فقال إذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا ولا يرى أن فى الخلق من هو شر منه وقيل التواضع نعمة لا يحسد عليها والكبر محنة لا يرحم عليها والعز فى التواضع فمن طلبه فى الكبر لم يجده .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله يقول سمعت إبراهيم بن شيبان يقول الشرف فى التواضع والعز فى التقوى والحرية فى القناعة . وسمعته يقول سمعت الحسن السائى يقول سمعت ابن الأعرابى يقول بلغنى أن سفيان الثورى قال أعز الخلق خمسة أنفس عالم زاهد وفقه صوفى وغنى متواضع وفقير شاكرو شريف سنى وقال يحيى بن معاذ التواضع حسن فى كل أحد لكنه فى الأغنياء أحسن والتكبر سمج^(١) فى كل أحد لكنه فى الفقراء أسمع وقال ابن عطاء التواضع قبول الحق ممن كان وقيل ركب زيد بن ثابت فدنا ابن عباس ليأخذ بركابه فقال مه يا ابن عم رسول الله فقال هكذا أمرنا أن نفعل بعلماننا فأخذ زيد بن ثابت يد ابن عباس فقبلها وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال عروة بن الزبير رأيت عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وعلى عاتقه قرية ماء فقلت يا أمير المؤمنين لا ينبغي لك هذا فقال لما أتانى الوفود سامعين مطيعين دخلت فى نفسى نخوة فأحببت أن أكسرها ومضى بالقرية إلى حجرة امرأة من الأنصار فأفرغها فى إنائها .. سمعت أبا حاتم السجستاني يقول سمعت أبا نصر السراج الطوسى يقول روى أبو هريرة وهو أمير المدينة وعلى ظهره حزمة حطب وهو يقول طرقتوا للأمير وقال عبد الله الرازى التواضع ترك التمييز فى الخدمة . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن أحمد بن هارون يقول سمعت محمد بن العباس الدمشقى يقول سمعت أحمد بن أبى الحوارى يقول سمعت أبا سليمان الدارانى

= فالتكبر مذموم لكل أحد فقيرا كان أو غنيا والتواضع محمود لكل أحد فالمذموم منه التواضع للأغنياء لندياهم والفقراء لفقدهم والمحمود التواضع لله سواء كان مع الأغنياء أم الفقراء وهذا هو التواضع المطلوب لا التكبر المذموم ..
(١) (سمج) بإسكان الميم وكسرها أى قبيح .

يقول من رأى لنفسه قيمة لم يذق حلاوة الخدمة^(١). وقال يحيى بن معاذ التكبر على من تكبر عليك بماله تواضع وقال الشبلى ذلى عطل ذل اليهود^(٢). وجاءه رجل فقال له الشبلى ما أنت فقال ياسيدى النقطة التى تحت الباء فقال أنت شاهدى ما لم تجعل لنفسك مقاما وقال ابن عباس من التواضع أن يشرب الرجل من سور أخيه وقال بشر سلموا على أبناء الدنيا بترك السلام عليهم وقال شعيب بن حرب بينا أنا فى الطواف إذ لكرنى إنسان بمرفقه فالتفت إليه فإذا هو الفضيل بن عياض فقال يا أبا صالح إن كنت تظن أنه شهد الموسم شرمى ومنك فبئسما ظننت وقال بعضهم رأيت فى الطواف إنسانا بين يديه شاكزية يمنعون الناس لأجله عن الطواف ثم رأيت بعد ذلك بمدة على جسر بغداد يسأل الناس شيئا فتعجبت منه فقال لى أنا تكبرت فى موضع يتواضع الناس هناك فابتلانى الله تعالى بالتذلل فى موضع يترفع فيه الناس وبلغ عمر بن عبد العزيز أن ابنا له اشترى فصا بألف درهم فكتب إليه عمر بلغنى أنك اشتريت فصا بألف درهم فإذا أتاك كتابى هذا فبع الخاتم وأشبع ألف بطن واتخذ خاتما من درهمين واجعل فصه حديدا صينيا واكتب عليه رحم الله امرءا عرف قدر نفسه . وقيل عرض على بعض الأمراء مملوك بألف درهم فلما أحضر الثمن استكثره فبدا له فى شرائه فرد الثمن إلى الخزانة فقال العبد يامولاى اشترنى فإن فى بكل درهم من هذه الدراهم خصلة تساوى أكثر من ألف درهم فقال وما هى فقال أقلها وأدناها ما لو اشتريتنى وقدمتنى على جميع ممالكك لا أغلظ فى نفسى وأعلم أنى أنا عبدك فاشتره .. وحكى عن رجاء بن حيوة أنه قال قومت ثياب عمر بن عبد العزيز وهو يخطب باثنى عشر درهما وكان قباء وعمامة وقميصا وسراويل ورداء وخفين وقلنسوة وقيل مشى عبد الله

(١) (لم يذق حلاوة الخدمة) إذ لا يذوقها من كمل إخلاصه ورأى توفيقه للخدمة من جملة النعم عليه وذلك معقود فيمن رأى لنفسه قيمة .

(٢) (عطل ذل اليهود) المذكور فى قوله تعالى : ﴿ ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا ﴾ فهم أذل الخلق والمعنى ذلى فى نفسى أعظم من ذل اليهود فى أنفسهم لأن ذلهم قهرى وذلى عن علم بما عليه نفسى من النقص وهذا لا يلزم منه جحده لفضل ربه عليه لأن ما ذكر من الذل بالنظر لنفسه وما هو فيه من الفضل جار عليه من ربه فهو ذليل فى نفسه عزيز بالله .

ابن محمد بن واسع مشيا لا يحمد فقال له أبوه أتدرى بكم اشتريت أمك بثلاثمائة درهم وأبوك لا أكثر الله تعالى في المسلمين مثله أبا وأنت تمشي هذه المشية . سمعت محمد ابن الحسين يقول سمعت محمد بن أحمد الفراء يقول سمعت عبد الله بن منازل يقول سمعت حمدون القصار يقول التواضع أن لا ترى لأحد إلى نفسك حاجة لا في الدين ولا في الدنيا . وقال إبراهيم بن أدهم ما سررت في إسلامي إلا ثلاث مرات مرة كنت في سفينة وفيها رجل مضحك كان يقول كنا نأخذ العلاج في بلاد الترك هكذا وكان يأخذ بشعر رأسي وبهزني فيسرني ذلك لأنه لم يكن في تلك السفينة أحد أحقر في عينه مني والأخرى كنت عليلا في مسجد فدخل المؤذن وقال اخرج فلم أطق فأخذ برجلي وجرني إلى خارج المسجد والثالثة كنت بالشام وعلى فرو فنظرت فيه فلم أميز بين شعره وبين القمل لكثرت فسرني ذلك وفي حكاية أخرى عنه قال ما سررت بشيء كسرورى أنى كنت يوما جالسا فجاء رجل وبال على . وقيل تشاجر أبو ذر وبلال رضى الله تعالى عنهما فغير أبو ذر بلالا بالسواد فشكاه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا أبا ذر إنه بقى في قلبك من كبر الجاهلية شيء فألقى أبو ذر نفسه وحلف أن لا يرفع رأسه حتى يطأ بلال خده بقدمه فلم يرفع حتى فعل بلال ذلك .

ومر الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما بصبيان معهم كسر خبر فاستضافوه فنزل وأكل معهم ثم حملهم إلى منزله وأطعمهم وكساهم وقال اليد لهم لأنهم لم يجدوا غير ما أطعموني ونحن نجد أكثر منه وقيل قسم عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الحل بين الصحابة من غنيمة فبعث إلى معاذ حلة يمانية فباعها واشترى ستة أعبد وأعتقهم فبلغ عمر ذلك فكان يقسم الحل بعده فبعث إليه حلة دون تلك فعاتبه معاذ فقال له عمر لا معاتبة لأنك بعت الأولى فقال معاذ وما عليك ادفع إلى نصيبى وقد حلفت لأضربن بها رأسك فقال عمر هذا رأسى بين يديك وقد يرفق الشيخ بالشيخ .



باب مخالفة النفس وذكر عيوبها

قال الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ ..

(أخبرنا) على بن أحمد بن عبدان قال حدثنا أحمد بن عبيد قال أخبرنا تمام قال حدثنا محمد بن معاوية النيسابوري قال حدثنا على بن أبي على بن عتبة بن أبي لهب عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « أخوف ما أخاف على أمتي اتباع الهوى وطول الأمل فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق وأما طول الأمل فينسى ^(١) الآخرة ^(٢) . ثم اعلم أن مخالفة النفس رأس العبادة وقد سئل المشايخ عن الإسلام فقالوا ذبح النفس ^(٣) بسيوف المخالفة ^(٤) . واعلم أن من نجمت ^(٥) . طوارق نفسه ^(٦) أفلت ^(٧) شوارق أنسه ^(٨) . وقال ذو النون المصري مفتاح العبادة الفكرة وعلامة الإصابة مخالفة النفس عن الهوى ومخالفتها ترك شهواتها وقال ابن عطاء النفس مجبولة على سوء الأدب والعبد مأمور بملازمة الأدب فالنفس تجرى بطبعها في ميدان المخالفة والعبد

(١) فينسى (أى صاحبه .

(٢) (الآخرة) لاشتغاله حينئذ عادة بالدنيا .

(٣) (ذبح النفس) وفي نسخة النفوس .

(٤) (بسيوف المخالفة) وهو أول الطريق وذلك لأن النفس إذا اعتادت اللذات لا تنصرف إلى الطاعات إلا بالمجاهدات والتوبيخات الشديدة ومن ثم سميت هذه الأمور سيوفا وذبح النفوس قهرها ونقلها عن هواها إلى سواء الطريق .

(٥) (نجمت) أى طلعت .

(٦) (طوارق نفسه) أى آثار خواطرها .

(٧) (أفلت) أى غربت من قلبه .

(٨) (شوارق أنسه) بالله أى علاماته قال الله تعالى ﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ﴾ والدنيا والآخرة ككفتي الميزان فمتى مالت إحداها ارتفعت الأخرى .

يردها بجهد عن سوء المطالبة فمن أطلق عنانها فهو شريكها معها فى فسادها.. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول.. سمعت أبا عمر الأنماطى يقول سمعت الجنيد يقول النفس الأماره بالسوء فى الداعية إلى المهالك المعينة للأعداء المتبعة للهوى المتهمة بأصناف الأسواء وقال أبو حفص من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات ولم يخالفها فى جميع الأحوال ولم يجرها إلى مكروها فى سائر أيامه كان مغرورا ومن نظر إليها باستحسان شئ منها فقد أهلكها وكيف يصح لعاقل الرضا عن نفسه والكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم الخليل يقول : ﴿وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء﴾ .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت إبراهيم بن مقسم ببغداد يقول سمعت ابن عطاء يقول قال الجنيد أرقت ليلة فقممت إلى وردى فلم أجد ما كنت أجده من الحلاوة والتلذذ بمناجاتى لربى فتحيرت فأردت أن أنام فلم أقدر عليه فقعدت فلم أطق القعود ففتحت الباب وخرجت فإذا رجل ملتف فى عباءة مطروح على الطريق فلما أحس بى رفع رأسه وقال يا أبا القاسم إلى الساعة فقلت ياسيدى من غير موعد فقال بلى قد سألت محرك القلوب أن يحرك إلى قلبك .. فقلت : فقد فعل.. فمل حاجتك فقال : متى يصير داء النفس دواءها .. فقلت : إذا خالفت النفس هواها صار داءها دواءها فأقبل على نفسه وقال اسمعى قد أجبتك بهذا الجواب سبع مرات فأبيت إلا أن تسمعيه من الجنيد وقد سمعت وانصرف عني ولم أعرفه ولم أقف عليه بعد وقال أبو بكر الطمستاني النعمة العظمى الخروج من النفس لأن النفس أعظم حجاب بينك وبين الله عز وجل وقال سهل بن عبد الله ما عبد الله بشئ مثل مخالفة النفس والهوى سمعت محمد بن الحسين يقول.. سمعت منصور بن عبد الله يقول.. سمعت أبا عمر الأنماطى يقول سمعت ابن عطاء وقد سئل عن أقرب شئ إلى مقت الله تعالى فقال رؤية النفس وأحوالها وأشد من ذلك مطالعة الأغراض على أفعالها وسمعته يقول : سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت إبراهيم الخواص

يقول كنت فى جبل اللكام^(١) . فرأيت رمانا^(٢) . فاشتتهيته فدنوت منه فأخذت منه واحدة فشقققتها فوجدتها حامضة^(٣) . فمضيت وتركت الرمان فرأيت رجلا مطروحا قد اجتمع عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال عليك السلام يا إبراهيم فقلت كيف عرفتني فقال من عرف الله تعالى لا يخفى عليه شيء^(٤) . فقلت أرى لك حالا مع الله تعالى فلو سألته أن يحميك ويقيك الأذى من هذه الزنابير^(٥) . فقال وأنا أرى لك حالا مع الله تعالى فلو سألته أن يقيك شهوة الرمان فإن لدغ الرمان يجد ألمه الإنسان فى الآخرة ولدغ الزنابير يجد ألمه فى الدنيا^(٦) . فتركته ومضيت^(٧) . وحكى عن إبراهيم بن شيبان أنه قال ما بت تحت سقف ولا فى موضع عليه غلق أربعين سنة وكنت أشتهى فى أوقات أن أتناول شبة عدس فلم يتفق فكنت وقتا بالشام فحمل إلى غضارة فيها عدس فتناولت منه وخرجت فرأيت قوارير معلقة فيها شيء شبه نموذجات فظننته خلا فقال لى بعض الناس إيش تنظر هذه نموذجات الخمر وهذه الدنان خمر فقلت فى نفسى لزمنى فرض فدخلت حانوت الخمار ولم أزل أصب تلك الدنان وهو يتوهم أنى أصبها بأمر السلطان فلما علم حملنى إلى ابن طولون فأمر بضربى مائتى خشبة وطرحنى فى السجن فبقيت فيه مدة حتى دخل أبو عبد الله المغربى أستاذى ذلك البلد فشفع لى فلما وقع بصره على قال إيش فعلت فقلت شبة عدس ومائتى خشبة فقال لى نجوت مجانا^(٨) .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى

(١) (جبل اللكام) بالشام .

(٢) (فرأيت رمانا) وكنت عزميت على تركه لله تعالى .

(٣) (فوجدتها حامضة) فلم يأكل منها شيئا أدب بذلك لمخالفته عزمه .

(٤) (لا يخفى عليه شيء) بأن يبسر الله له كل ما يريد تارة بالسؤال وتارة بغيره .

(٥) (من هذه الزنابير) التى تلدغك كان خيرا لك .

(٦) (ألمه فى الدنيا) وألم الدنيا أهون بكثير من ألم الآخرة .

(٧) (ومضيت) خشية أن أشتغل به فيفسد على توكلنى دل كلام المطروح الأول على أنه من

العارفين وكلامه الثانى على أنه من المكاشفين .

(٨) (مجانا) أى بلا بدل يعنى بلا عقوبة فى الآخرة بل عجلت لك فى الدنيا =

يقول سمعت أبا العباس البغدادي يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السري السقطي يقول وإن نفسي تطالبني منذ ثلاثين سنة أو أربعين سنة أن أغمس جزرة في دبس فما أطعتها وسمعته يقول سمعت جدي يقول آفة العبد رضاه من نفسه بما هو فيه وسمعته يقول .. سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول سمعت الحسين بن علي القرمسيني يقول وجه عصام بن يوسف البلخي شيئا إلى حاتم الأصم فقبله منه فقيل له لم قبلته فقال وجدت في أخذه ذلي وعزه وفي رده عزى وذله فاخترت عزه على عزى وذلي على ذله وقيل لبعضهم إنى أريد أن أحج على التجريد فقال له جرد أولا قلبك عن السهو ونفسك عن اللهو ولسانك عن اللغو ثم اسلك حيث شئت وقال أبو سليمان الداراني من أحسن في ليله كوفئ في نهاره ومن أحسن في نهاره كوفئ في ليله ومن صدق في ترك شهوة كفى مؤنتها والله أعكرم من أن يعذب قلبا ترك شهوة لأجله . وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام يا داود حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات فإن القلوب المعلقة بشهوات الدنيا عقولها عنى محجوبة . ورؤى رجل جالسا في الهواء فقيل له بم نلت هذا فقال تركت الهوى فسخر لى الهواء وقيل لو عرض للمؤمن ألف شهوة لأخرجها بالخوف ولو عرض للفاجر شهوة واحدة لأخرجته من الخوف وقيل لا تضع زمامك في يد الهوى فإنه يقودك إلى الظلمة وقال يوسف بن أسباط لا يحو الشهوات من القلب إلا خوف مزعج أو شوق مقلق وقال الخواص من ترك شهوة فلم يجد عوضها في قلبه فهو كاذب في تركها وقال جعفر بن نصير دفع إلى الجنيد درهما وقال اشترى لى به التين الوزيرى فاشتريته له فلما أفطر أخذ واحدة ووضعها في فيه ثم ألقاها وبكى وقال احمله فقلت له في ذلك فقال هتف في قلبى أما تستحى شهوة تركتها من أجلى ثم تعود إليها وأنشد وا :

نون الهوان من الهوى مسروقه وصريع كل هوى صريع هوان

واعلم أن للنفس أخلاقا ذميمة فمن ذلك الحسد^(١).

= لشهوتك الدنيوية .

(١) (حسد) هو تمنى العبد زوال النعمة عن غيره سواء أراد رجوعها عليه أم لا وذلك =

باب الحسد

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ * (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ، ثُمَّ قَالَ ﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ فخرم السورة التي جعلها عوذة (٢) . بذكر الحسد .

(أخبرنا) أبو الحسن الأهوازي قال أخبرنا أحمد بن عبيد البصرى قال حدثنا إسماعيل بن الفضل قال حدثنا يحيى بن مخلد قال حدثنا معافى بن عمران عن الحرث بن شهاب عن معبد عن أبي قلابة عن ابن مسعود قال إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ، ثلاث هن أصل كل خطيئة فاتقوهن واحذروهن إياكم والكبر فإن إبليس حملة الكبر على أن لا يسجد لآدم وإياكم والحرص (٣) . فإن آدم حملة على الحرص على أن أكل من الشجرة وإياكم والحسد فإن بنى آدم إنما قتل أحدهما صاحبه حسدا ، وقال بعضهم الحاسد جاحد لا يرضى بقضاء الواحد وقيل الحسود لا يسود (٤) . وقيل فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ قيل ما بطن الحسد وفى بعض الكتب الحاسد عدو نعمتى وقيل أثر الحسد يتبين فيك قبل أن يتبين فى عدوك وقال الأصمعى رأيت أعرابيا أتى عليه مائة وعشرون سنة فقلت له ما أطول عمرك فقال تركت الحسد فبقيت وقال ابن المبارك الحمد لله الذى لم يجعل فى قلب أميرى ما جعل فى قلب حاسدى وفى بعض الآثار إن فى السماء الخامسة ملكا يمر به عمل عبد وله ضوء كضوء الشمس فيقول له الملك قف فأنا ملك الحسد

= حرام لأن فيه نسبة الظلم إلى الله تعالى وقد يطلق مجازا على الغبطة وتسمى بالمنافسة كما فى خبر ، لاحسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا ورجل آتاه الله علما ، الحديث وهو تمنى العبد أن يكون له مثل ما لغيره دون أن ينزع الخير عن هذا الغير .

(١) (الفلق) أى الصبح .

(٢) (عوذة) بفتح العين وضمها أى تعويذا .

(٣) (وإياكم والحرص) أى أحذركم على اتباع الشهوات .

(٤) (لا يسود) لا دنيا ولا أخرى بل يعود عليه بهما ضرر الحسد وهو ألم الهم والحزن فى الدنيا وألم العقوبة فى الآخرة فالحسود لا يسود .

أضرب به وجه صاحبه فإنه حاسد وقال معاوية كل إنسان أقدر على أن أرضيه إلا الحاسد فإنه لا يرضيه إلا زوال النعمة ويقال الحاسد ظالم غشوم لا يبقى ولا يذر وقال عمر بن عبد العزيز ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد غم دائم ونفس متتابع وقيل من علامات الحاسد أن يتملق إذا شهد ويغتاب إذا غاب ويشمت بالمصيبة إذا نزلت وقال معاوية ليس في خلال الشر خلة أعدل من الحسد تقتل الحاسد قبل المحسود وقيل أوحى الله عز وجل إلى سليمان بن داود عليهما السلام أوصيك بسبعة لا تغتابن صالح عبادي ولا تحسدن أحداً من عبادي فقال سليمان يارب حسبى وقيل رأى موسى عليه السلام رجلاً عند العرش فغبطه فقال ماصفته فقيل كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وقيل الحاسد إذا رأى نعمة بهت وإذا رأى عثرة شمت وقيل إذا أردت أن تسلم من الحاسد فلبس عليه أمرك وقيل الحاسد مغتاز على من لا ذنب له بخيل بما لا يملكه وقيل إياك أن تتمنى في مودة من يحسدك فإنه لا يقبل إحسانك وقيل إذا أراد الله تعالى أن يسلط على عبد عدواً لا يرحمه سلط عليه حاسده وأنشدوا :

وحسبك من حادث بامرئ ترى حاسديه له راحمينا
وأنشدوا :

كل العداوة قد ترجى إمانتها إلا عداوة من عاداك من حسد
وقال ابن المعتز :

قل للحسود إذا تنفس طعنة يا ظالماً وكأنه مظلوم
وأنشدوا :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود
ومن الأخلاق المذمومة للنفس اعتياد الغيبة .



باب الغيبة

قال الله عز وجل : ﴿ وَلَا يَغْتَبَ بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ۖ ﴾ الآية ..

(أخبرنا) أبو سعيد محمد بن إبراهيم الإسماعيلي قال أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين بن الحسن بن الخليل قال حدثنا علي بن الحسن قال حدثنا إسحق بن عيسى ابن بنت داود بن أبي هند قال حدثنا محمد بن أبي حميد عن موسى بن وردان عن أبي هريرة أن رجلاً قام وهو مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل ذلك جالس فقال بعض القوم ما أعجز فلانا فقال صلى الله عليه وآله وسلم « أكلتم أخاكم واغتبتموه » وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام من مات تائباً من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة .. ومن مات مصرأً عليها فهو أول من يدخل النار ^(١) . وقال عوف دخلت على ابن سيرين فتناولت الحجاج ^(٢) . فقال ابن سيرين إن الله تعالى حكم عدل فكما يأخذ من الحجاج يأخذ للحجاج وإنك إذا لقيت الله عز وجل غداً كان أصغر ذنب أصبته أشد عليك من أعظم ذنب أصابه الحجاج ^(٣) . وقيل دعى إبراهيم بن أدهم إلى دعوة فحضر فذكروا رجلاً لم يأتهم فقالوا إنه ثقيل فقال إبراهيم إنما فعل بي هذا نفسي حيث حضرت موضعاً يغتاب فيه الناس فخرج ولم يأكل ثلاثة أيام وقيل مثل الذي يغتاب الناس كمثلاً من نصب منجنيقاً يرمى به حسناته شرقاً وغرباً يغتاب واحداً خرانسانياً وآخر حجازياً وآخر تركياً فيفرق حسناته ويقوم ولا شيء معه وقيل يؤتى

(١) (أول من يدخل النار) فيه دلالة على شدة أمر الغيبة وعلى أن من دخل النار بسببها يطول مكثه فيها ومن تاب منها يتأخر دخوله الجنة لما تقدم له منها وللمقاصة بما عليه من الحقوق لمن اغتابه .

(٢) (فتناولت الحجاج) أخذته بالسوء أى اغتبطه .

(٣) (من أعظم ذنب أصابه الحجاج) إذ لا تزر وزرة وزر أخري فالأولى لكل شخص أن يشغل بنفسه وإن عظم ذنوب غيره فإنه إنما يطالب بجرمه وإن قل لا بجرم غيره وإن كثرت .

العبد يوم القيامة كتابه فلا يرى فيه حسنة فيقول أين صلاتي وصيامي وطاعتني فيقال ذهب عمالك كله باغتيابك للناس وقيل من اغتيب بغيبة غفر الله تعالى له نصف ذنوبه وقال سفيان بن الحسين كنت جالسا عند إياس بن معاوية فنلت من إنسان فقال لى هل غزوت العام الترك والروم فقلت لا فقال سلم منك الترك والروم وما سلم منك أخوك المسلم ^(١) .. وقيل يعطى الرجل كتابه فيرى فيه حسنات لم يعملها فيقال له هذا بما اغتياك الناس وأنت لم تشعر . وسئل سفيان الثوري عن قوله صلى الله عليه وآله وسلم « إن الله ييغض أهل البيت اللحميين » فقال هم الذين يغتابون الناس يأكلون لحومهم . وذكرت الغيبة عند عبد الله بن المبارك فقال: لو كنت مغتاباً أحداً لا اغتبت والذى لأنهما أحق بحسناتى وقال يحيى بن معاذ ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال إن لم تنفعه فلا تضره وإن لم تسره فلا تغمه وإن لم تمدحه فلا تذهمه وقيل للحسن البصرى إن فلاناً اغتياك فبعث إليه طبق حلواء . وقال بلغنى أنك أهديت إلى حسناتك فكافأتك .

(أخبرنا) على بن أحمد الأهوازي قال أخبرنا أحمد بن عبيد البصرى قال حدثنا أحمد بن عمرو القطوانى قال حدثنا سهل بن عثمان العسكرى قال حدثنا الربيع بن بدر عن أبان عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من ألقى جلاباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له » سمعت حمزة بن يوسف السهمى يقول سمعت أبا طاهر محمد بن أسيد الرقى يقول سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول قال الجنيد كنت جالسا فى مسجد الشونيزية أنتظر جنازة أصلى عليها وأهل بغداد على طبقاتهم جلوس ينتظرون الجنازة فرأيت فقيرا على أثر النسك يسأل الناس فقلت فى نفسى لو عمل هذا عملا يصون به نفسه كان أجمل به فلما انصرفت إلى منزلى وكان لى شىء من الورد بالليل حتى البكاء والصلاة وغير ذلك فثقل على جميع أورادى فسهرت وأنا قاعد فغلبتنى عيناي فرأيت ذلك الفقير جاءوا

(١) (وما سلم منك أخوك المسلم) فيه تأديب حسن وإرشاد إلى تغيير المنكر فى الغيبة على الفور فإنه لو قال له إنك مغتاب ربما نفرت نفسه منه .

به على خوان ممدود وقالوا لى كل لحمه فقد اغتبتبه وكشف لى عن الحال فقلت ما اغتبتبه إنما قلت فى نفسى شيئاً فقيل لى ما أنت ممن يرضى منك بمثله اذهب فاستحله فأصبحت ولم أزل أتردد حتى رأيته فى موضع يلتقط من الماء عند تزايد الماء أوراقاً من البقل مما تساقط من غسل البقل فسلمت عليه فقال يا أبا القاسم تعود فقلت لا فقال غفر الله تعالى لنا ولك . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا طاهر الإسفراينى يقول سمعت أبا جعفر البلخى يقول كان عندنا شاب من أهل بلخ وكان يجتهد ويتعبد إلا أنه كان أبداً يغتاب الناس ويقول فلان كذا وفلان كذا فرأيته يوماً عند المخنثين الغسالىين خرج من عندهم فقلت يا فلان ما حالك فقال تلك الواقعة فى الناس أوقعتنى إلى هذا ابتليت بمخنث من هؤلاء وأنا هوذا أخدمهم من أجله وتلك الأحوال كلها قد ذهبت فادع الله أن يرحمنى .



باب القناعة (١)

قال الله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ قال كثير من أهل التفسير الحياة الطيبة في الدنيا القناعة .

(أخبرنا) الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال حدثنا أبو عمرو محمد ابن جعفر بن مطر قال حدثنا محمد بن موسى الحلواني قال حدثنا عبد الله بن إبراهيم الغفاري عن المنكدر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « القناعة كنز لا يفنى » (٢) .

(أخبرنا) أبو الحسن الأهوازي قال حدثنا أحمد بن عبيد البصري قال حدثنا عبد الله بن أيوب المقرئ قال حدثنا أبو الربيع الزهراني قال حدثنا إسماعيل بن زكريا عن أبي رجاء عن برد بن سنان عن مكحول عن واثلة بن الأسقع عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « كن ورعا تكن أعبد الناس » (٣) . وكن قنعاً تكن أشكر الناس وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً وأقل الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب ، وقيل الفقراء أموات إلا من أحياه الله تعالى بغز القناعة وقال بشر الحافي القناعة ملك لا يسكن إلا في قلب مؤمن . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن محمد

(١) (القناعة) هي الاكتفاء بما تندفع به الحاجة من مأكّل وملبس وغيرهما وهي ممدوحة ومطلوبة .

(٢) (كنز لا يفنى) وقال صلى الله عليه وآله وسلم « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ، أي وهو ما لا حاجة له به وقال « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً ، وثمرة القناعة في الدنيا السلامة من المطالبة بالحقوق وما يتبعها من التعب وفي الآخرة السلامة من طول الحساب .

(٣) (أعبد الناس) لأن الورع يجتنب ما يضره شرعاً فيكون أعبد الناس أشكر الناس لأن القانع يكتفى بما فتح الله به عليه فتكثر نعم الله عليه فيكون أشكر الناس بخلاف الطامع لأنه لا يرى من النعم إلا العظائم فيقل شكره .

الشعرانى يقول سمعت إسحق بن إبراهيم بن أبى حسان الأنماطى يقول سمعت أحمد بن أبى الحوارى يقول سمعت أبا سليمان الدارانى يقول القناعة من الرضا بمنزلة الورع من الزهد هذا أول الرضا وهذا أول الزهد وقيل القناعة السكون عند عدم المألوفات وقال أبو بكر المراغى العاقل من دبر أمر الدنيا بالقناعة والتسويق وأمر الآخرة بالحرص والتجمل وأمر الدين بالعلم والاجتهاد وقال أبو عبد الله بن خفيف القناعة ترك التشوف إلى المفقود والاستغناء بالموجود وقيل فى معنى قوله «ليرزقهم الله رزقا حسنا» يعنى القناعة وقال محمد بن على الترمذى القناعة رضا النفس بما قسم لها من الرزق وقال القناعة الاكتفاء بالموجود وزوال الطمع فيما ليس بحاصل وقال وهب إن العز والغنى خرجا يجولان يطلبان رفيقاً فلقيا القناعة فاستقرا وقيل من كانت قناعته سمينة طابت له كل مرقة ومن رجع إلى الله تعالى على كل حال رزقه الله القناعة وقيل مر أبو حازم بقصاب ومعه لحم سمين فقال خذ يا أبا حازم فإنه سمين فقال ليس معى درهم فقال أنا أنظرك فقال نفسى أحسن نظرة لى منك . وقيل لبعضهم من أقنع الناس فقيل أكثرهم للناس معونة وأقلهم عليهم مؤونة . وفى الزبور القانع غنى وإن كان جائعاً وقيل وضع الله تعالى خمسة أشياء فى خمسة مواضع: العز فى الطاعة .. والذل فى المعصية .. والهيبة فى قيام الليل .. والحكمة فى البطن الخالى .. والغنى فى القناعة .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت نصر بن محمد يقول سمعت سليمان ابن أبى سليمان يقول سمعت أبا القاسم بن أبى نزار يقول سمعت إبراهيم المارستانى يقول انتقم من حرصك بالقناعة كما تنتقم من عدوك بالقصاص وقال ذو النون المصرى من قنع استراح من أهل زمانه واستطال على أقرانه وقيل من قنع استراح من الشغل واستطال على الكل وقال الكتانى من باع الحرص بالقناعة ظفر بالعز والمروءة وقيل من تبعت عيناه ما فى أيدي الناس طال حزنه وأنشدوا :

وأحسن بالفتى من يوم عار ينال به الغنى كرم وجوع

وقيل رأى رجلاً حكيماً يأكل ما تساقط من البقل على رأس ماء فقال لو خدمت السلطان لم تحتج إلى أكل هذا فقال الحكيم وأنت لو قنعت بهذا لم تحتج إلى

خدمة السلطان وقيل العقاب عزيز في مطاره لا يسمو إليه طرف صياد ولا طمعه فإذا طمع في جيفة علقت على حباله نزل من مطاره فتعلق في حباله ^(١) . وقيل نطق موسى عليه السلام بذكر الطمع فقال ﴿ لَوْ شِئْتُ لَاتَّخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ قال الخضر له ﴿ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ .. وقيل لما قال ذلك موسى عليه السلام وقف بين يدي موسى والخضر عليهما السلام ظبي وكانا جائعين الجانب الذي يلي موسى عليه السلام غير مشوى والجانب الذي يلي الخضر مشوى وقيل في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ هو القناعة في الدنيا ﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ ^(٢) هو الحرص في ^(٣) الدنيا ^(٤) . وقيل في قوله ﴿ فَكُ رَقَبَةً ﴾ أي فكها من ذل الطمع وقيل في قوله ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ يعني البخل والطمع ﴿ وَيُطَهِّرَ كُمْ تَطْهِيرًا ﴾ بالسقاء والإيثار وقيل في قوله تعالى : ﴿ وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ﴾ أي مقاماً في القناعة أنفرد به من أشكالي وأكون راضياً فيه بقضائك وقيل في قوله تعالى : ﴿ لَا تُعَذِّبْنَاهُ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ يعني لأسلبه القناعة ولأبتليته بالطمع يعني أسأل الله تعالى أن يفعل به ذلك وقيل لأبى يزيد بم وصلت إلى ما وصلت فقال جمعت أسباب الدنيا فربطتها بحبل القناعة ووضعيتها في منجنيق الصدق ورميت بها في بحر اليأس فاسترحمت .. سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول سمعت محمد بن فرحان بسامرة يقول سمعت خالي عبد الوهاب يقول كنت جالسا عند الجنيد أيام الموسم وحوله جماعة كثيرون من العجم والمولدين فجاء إنسان

(١) (فتعلق في حباله) أي في شبابه فكذلك القنوع لا يزال عزيز النفس سالما من المذلة حتى يلوح له شيء من الدنيا فيطمع في نيلها فيزول عزه ويحل به ذله ولهذا لما دخل الحسن البصري مكة ورأى رجلا من أولاد فاطمة قد أسند ظهره إلى الكعبة وهو يعظ الناس فسأله ما ملاك الدين فقال الورع فقال وما فساداه فقال الطمع فقال له مثلك يصلح أن يعظ الناس .

(٢) (وهو) أي الجحيم .

(٣) (الحرص في) وفي نسخة على .

(٤) (الدنيا) هذا تفسير باللازم لأن من قنع باليسير استراح سره وقلَّ تبعه وكان منعماً ومن اشتد حرصه كثر تبعه وقلت راحته وكان معذبا .

بخمسمائة دينار ووضعها بين يديه وقال تفرقها على هؤلاء الفقراء فقال ألك غيرها قال نعم لى دنانير كثيرة فقال أتريد غير ما تملك فقال نعم فقال الجنيد خذها فإنك أخرج إليها منا ولم يقبلها .



باب التوكل

قال الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ وقال : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ وقال : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ..

(أخبرنا) عبد الله بن جعفر بن أحمد الأصبهاني قال حدثنا يونس بن حبيب بن عبد القاهر قال حدثنا أبو داود الطيالسي قال حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أريت الأمم بالموسم فرأيت أمتى قد ملؤوا السهل والجبال فأعجبني كثرتهم وهيئتهم فقيل لى أراضيت فقلت نعم قال ومع هؤلاء سبعون ألف يدخلون الجنة بغير حساب لا يكتون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون ، فقام عكاشة ابن محصن الأسدي فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعله منهم فقام آخر فقال ادع الله أن يجعلني منهم فقال صلى الله عليه وسلم « سبقك بها عكاشة » .. سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهاني يقول سمعت أبا نصر السراج يقول حدثني أبو بكر الوجيهي يقول قال أبو على الروذباري قلت لعمر بن سنان احك لى عن سهل بن عبد الله حكاية فقال إنه قال علامة المتوكل ثلاث لا يسأل ولا يرد ولا يحبس .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا عبد الله الشيرازي يقول سمعت أبا موسى الديلمي يقول قيل لأبى يزيد ما التوكل فقال لى ما تقول أنت قلت إن أصحابنا يقولون

لو أن السباع والأفاعى عن يمينك ويسارك ما تحرك لذلك شرك فقال أبو يزيد نعم هذا قريب ولكن لو أن أهل الجنة فى الجنة يتنعمون وأهل النار فى النار يعذبون ثم وقع لك تمييز عليهما خرجت من جملة التوكل ، وقال سهل بن عبد الله أول مقام فى التوكل أن يكون العبد بين يدى الله عز وجل كالميت بين يدى الغاسل يقلبه كيف شاء لا يكون له حركة ولا تدبير وقال حمدون التوكل هو الاعتصام بالله تعالى .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر محمد بن أحمد البلخى يقول سمعت محمد بن حامد يقول سمعت أحمد بن خضرويه يقول قال رجل لحاتم الأصم من أين تأكل فقال « وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ » واعلم أن التوكل محله القلب والحركة بالظاهر لا تنافى التوكل بالقلب بعدما تحقق العبد أن التقدير من قبل الله تعالى وإن تعسر شيء فبتقديره وإن اتفق شيء فبتيسيره .

(أخبرنا) على بن أحمد بن عبدان قال حدثنا أحمد بن عبيد البصرى قال حدثنا غيلان بن عبد الصمد قال حدثنا إسماعيل بن مسعود الجحدرى قال حدثنا خالد ابن يحيى قال حدثنى عمى المغيرة بن أبى قره عن أنس بن مالك قال « جاء رجل على ناقة فقال يارسول الله أدعها وأتوكل فقال اعقلها وتوكل »^(١) . قال إبراهيم الخواص من صح توكله فى نفسه صح توكله فى غيره وقال بشر الحافى يقول أحدهم توكلت على الله تعالى ويكذب على الله تعالى لو توكل على الله تعالى لرضى بما يفعل الله تعالى به . وسئل يحيى بن معاذ متى يكون الرجل متوكلا فقال إذا رضى بالله تعالى وكىلا .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن على بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن محمد الصامت يقول سمعت إبراهيم الخواص يقول بينما أنا أسير فى البادية وإذا بهاتف يهتف فالتفت إليه فإذا أعرابى يسير فقال لى يا إبراهيم التوكل عندنا أقم عندنا حتى يصح توكلك ألم تعلم أن

(١) (اعقلها وتوكل) فيه دلالة على أن السبب لكونه فعل الجارحة لا ينافى التوكل لكونه فعل القلب بل قد يجد السبب .

رجاءك لدخول بلد فيه أطعمة يحملك (١). اقطع رجاءك (٢) عن البلدان وتوكل وسمعت يقول سمعت محمد بن أحمد الفارسي يقول سمعت ابن عطاء وقد سئل عن حقيقة التوكل فقال أن لا يظهر فيك انزعاج إلى الأسباب مع شدة فافتك إليها ولا تزول عن حقيقة السكون إلى الحق مع وقوفك عليها . سمعت أبا حاتم السجستاني يقول سمعت أبا نصر السراج يقول شرط التوكل ما قاله أبو تراب النخشي وهو طرح البدن في العبودية وتعلق القلب بالربوبية والطمأنينة إلى الكفاية فإن أعطى شكر وإن منع صبر وكما قال ذو النون التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة وإنما يقوى العبد على التوكل إذا علم أن الله سبحانه يعلم ويرى ما هو فيه .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا الفرج الورثاني يقول سمعت أحمد بن محمد القرمسيني يقول سمعت الكتاني يقول سمعت أبا جعفر بن أبي الفرج يقول رأيت رجلاً يعرف بجمل عائشة من الشطار يضرب بالسياط فقلت له أي وقت يكون ألم الضرب عليك أسهل فقال إذا كان من ضررنا لأجله يرانا .. وسمعت يقول سمعت عبد الله بن محمد يقول قال الحسين بن منصور لإبراهيم الخواص ماذا صنعت في هذه الأسفار وقطع هذه المفاوز قال بقيت في التوكل أصح نفسي عليه فقال الحسين أفنيت عمرك في عمران باطنك فأين الفناء في التوحيد سمعت أبا حاتم السجستاني يقول سمعت أبا نصر السراج يقول التوكل ما قاله أبو بكر الدقاق وهو رد العيش إلى يوم واحد وإسقاط هم غد قال وهو كما قال سهل ابن عبد الله التوكل الاسترسال مع الله تعالى على ما يريد .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن جعفر بن محمد يقول سمعت أبا بكر البرزعى يقول سمعت أبا يعقوب النهرجورى يقول التوكل على الله تعالى بكمال الحقيقة ما وقع

(١) (يحملك) أى على الإقامة فيه .

(٢) (اقطع رجاءك .. إلخ) ليس المراد أن الأسباب تنافى التوكل على الله بل المراد أنه ينبغي للعبد أن يمتحن نفسه في دعوى التوكل عليه والإعراض عن الأسباب في الأماكن التى يغلب فيها الانقطاع عن الأسباب بخلاف غيرها كالبلدان لأن النفس ساكنة فيه إلى المعتاد والمعارف فإن رأى نقصاكملها أو صحة شكر .

لإبراهيم (١) . عليه السلام فى الوقت الذى قال لجبريل عليه السلام أما إليك فلا لأنه غابت نفسه بالله تعالى فلم ير مع الله غير الله عز وجل . وسمعتة يقول سمعت سعيد ابن أحمد بن محمد يقول سمعت محمد بن أحمد بن سهل يقول سمعت سعيد بن عثمان الخياط يقول سمعت ذا النون المصرى سأل رجل فقال ما التوكل فقال خلع الأرياب (٢) وقطع الأسباب فقال السائل زدنى فقال إلقاء النفس فى العبودية وإخراجها من الربوبية . وسمعتة يقول سمعت عبد الله بن محمد المعلم يقول سمعت عبد الله بن المبارك يقول سمعت حمدون القصار وسئل عن التوكل فقال إن كان لك عشرة آلاف درهم وعليك دانيق دين لم تأمن أن تموت ويبقى ذلك فى عنقك ولو كان عليك عشرة آلاف درهم دين من غير أن تترك لها وفاء لا تياس من الله تعالى أن يقضيه عنك . وسئل أبو عبد الله القرشى عن التوكل فقال متعلق بالله تعالى فى كل حال فقال السائل زدنى فقال ترك كل سبب يوصل إلى سبب حتى يكون الحق هو المتولى لذلك وقال سهل بن عبد الله التوكل حال النبى صلى الله عليه وآله وسلم والكسب سنته فمن بقى على حاله فلا يترك سنته وقال أبو سعيد الخراز التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب وقيل التوكل أن يستوى عندك الإكثار والتقليل وقال ابن مسروق التوكل الاستسلام لجريان القضاء والأحكام . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله الرازى يقول سمعت أبا عثمان الحيرى يقول التوكل الاكتفاء بالله تعالى مع الاعتماد عليه وسمعت محمد بن محمد بن غالب يحكى عن الحسين بن منصور قال المتوكل المحق لا يأكل وفى البلد من هو أحق به منه وسمعتة يقول سمعت عبد الله بن على يقول سمعت منصور بن أحمد الحربى يقول حكى لنا ابن أبى شيخ قال سمعت عمر بن

(١) (ما وقع لإبراهيم .. إلخ) وهو مكتف مربوط فى كفة المنجنيق بين السماء والأرض يهوى إلى نار لم يتمكنوا من إيصاله إليها إلا بكفة المنجنيق من شدة حرها كما أشار إلى ذلك بقوله فى الوقت إلى ... إلخ .

(٢) (خلع الأرياب) وهو ما سوى الله تعالى لما يملك القلب عادة ويصير مسخرا له من درهم ودينار وغيرهما كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة ، تعس وانتكس وإن شيك فلا إن نقش فجعله عبدا وجعلها أرباً .

سنان يقول اجتاز بنا إبراهيم الخواص فقلنا له حدثنا بأعجب ما رأيته من أسفارك فقال لقيني الخضر عليه السلام فسألني الصلبة فخشيت أن يفسد على توكل بسكوني إليه ففارقته . وسئل سهل عن التوكل فقال هو قلب عاش مع الله تعالى بلا علاقة .. سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول التوكل ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض فالتوكل يسكن إلى وعده وصاحب التسليم يكتفى بعلمه وصاحب التفويض يرضى بحكمه . وسمعت يقول التوكل بداية والتسليم واسطة والتفويض نهاية . وسئل الدقاق عن التوكل فقال الأكل بلا طمع وقال يحيى بن معاذ لبس الصوف حانوت والكلام في الزهد حرفة وصحبة القوافل تعرض وهذه كلها علاقات . وجاء رجل إلى الشبلي يشكو إليه كثرة العيال فقال ارجع إلى بيتك فمن ليس رزقه على الله فاطرده عنك .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت عبد الله بن علي يقول سمعت أحمد بن عطاء يقول قرأت على محمد بن الحسين قال سهل بن عبد الله من طعن في الحركة فقد طعن في السنة ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان .. وسمعت يقول سمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول سمعت جعفر الخلدی يقول قال إبراهيم الخواص كنت في طريق مكة فرأيت شخصاً وحشياً فقلت جنى أو إنسى فقال جنى فقلت إلى أين فقال إلى مكة فقلت بلا زاد فقال نعم فينا أيضاً من يسافر على التوكل فقلت إيش التوكل فقال الأخذ من الله تعالى .. وسمعت يقول سمعت أبا العباس البغدادي يقول سمعت الفرغانى يقول كان إبراهيم الخواص مجرداً في التوكل يدقق فيه وكان لا تفارقه إبرة وخيوط وركوة ومقراض فقل له يا أبا إسحق لم تحمل هذا وأنت تمتنع من كل شيء فقال مثل هذا لا ينقض التوكل لأن الله تعالى علينا فرائض والفقير لا يكون عليه إلا ثوب واحد فربما يتخرق ثوبه فإن لم يكن معه إبرة وخيوط تبدو عورته فتفسد عليه صلاته^(١) . وإذا لم يكن معه ركوة تفسد عليه طهارته^(٢) . فإذا رأيت الفقير بلا ركوة ولا إبرة ولا خيوط فاتهمه في كمال

(١) (تفسد عليه صلاته) وإذا كان معه تدارك ذلك بهما .

(٢) (تفسد عليه طهارته) وإذا كانت معه تدارك ذلك وإذا لم يكن معه مقراض فيطول =

صلاته^(١) . وسمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول التوكل صفة المؤمنين والتسليم صفة الأولياء والتفويض صفة الموحدين فالتوكل صفة العوام والتسليم صفة الخواص والتفويض صفة خواص الخواص . . وسمعته يقول التوكل صفة الأنبياء والتسليم صفة إبراهيم عليه السلام والتفويض صفة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول سمعت محمد بن عبد الله الفرغانى يقول سمعت أبا جعفر الحداد يقول مكثت بضع عشر سنة أعتقد التوكل وأنا أعمل فى السوق وأخذ كل يوم أجرى ولا أنتفع منها بشربة ماء ولا بدخلة حمام ولكن أجيء بها إلى الفقراء فى الشونيزية وأكون على حالى . وسمعته يقول سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت الخواص يقول سمعت الحسين أخا سنان يقول حجبت أربع عشر حجة حافيا على التوكل فكان يدخل فى رجلي الشوك فأذكر أنى اعتقدت على نفسى التوكل فأحكها فى الأرض وأمشى وسمعته يقول سمعت محمد بن عبد الله الواعظ يقول سمعت خيرا النساج يقول سمعت أبا حمزة يقول إنى لأستحيى من الله تعالى أن أدخل البادية وأنا شعبان وقد اعتقدت التوكل لئلا يكون سعى على الشعب زاد أتزود به . وسئل حمدون عن التوكل فقال تلك درجة لم أبلغها بعد وكيف يتكلم فى التوكل من لم يصح له حال الإيمان وقيل المتوكل كالطفل لا يعرف شيئا يأوى إليه إلا ثدى أمه كذلك المتوكل لا يهتدى إلا إلى ربه تعالى (وعن بعضهم) قال كنت فى البادية فتقدمت القافلة فرأيت قدامى واحداً فتسارعت حتى أدركته فإذا هى امرأة بيدها عكاز تمشى على التؤدة فظننت أنها أعيت فأدخلت يدي فى جيبى فأخرجت عشرين درهماً فقلت خديها وامكثى حتى تلحقك القافلة فتكترى بها ثم اثنتين الليلة حتى أصلح أمرك فقالت بيدها هكذا فى الهواء فإذا فى كفها دنانير فقالت

= شاربہ فیفوت قصہ المأمور بہ فالأمور المذكورة محتاج إليها فى تحصیل العبادۃ المأمور بہا .

(١) (فاتهمہ فى کمال صلاتہ) صفة الموحدين لأن المتوكل يرى السبب ويعتمد على الله تعالى فى أموره والولى مسلم إلى الله تعالى فى سائر أموره والموحد صارت نفسه محلا لجريان قدر الله تعالى فيه لکمال تفويضه الأمور له سبحانه وتعالى .

أنت أخذت الدراهم من الجيب وأنا أخذت الدنانير من الغيب .. ورأى أبو سليمان الداراني رجلاً بمكة شرفها الله تعالى لا يتناول شيئاً إلا شربة من ماء زمزم فمضى عليه أيام فقال أبو سليمان يوماً أرأيت لو غارت زمزم إيش كنت تشرب فقام وقبل رأسه وقال جزاك الله تعالى خيراً حيث أرشدتني فإنني كنت أعبد زمزم منذ أيام ومضى . وقال إبراهيم الخواص رأيت في طريق الشام شاباً حدثاً حسن المراعاة فقال لي هل لك في الصحبة فقلت إنني أجوع فقال إن جعت جعت معك فبقينا أربعة أيام ففتح علينا بشيء فقلت لهم فقال اعتقدت أنني لا آخذ بواسطة فقلت يا غلام دقت فقال يا إبراهيم لا تتبهرج فإن الناقد بصير مالك والتوكل ثم قال أقل التوكل أن ترد عليك موارد الفاقات فلا تسمو نفسك إلا إلى من إليه الكفايات^(١) .. وقيل التوكل^(٢) . نفى الشكوك والتفويض إلى ملك الملوك .. وقيل دخل جماعة على الجنيد فقالوا أين نطلب الرزق فقال إن علمتم أي موضع هو فاطلبوه قالوا فنسأل الله تعالى ذلك فقال إن علمتم أنه ينساكم فذكروه فقالوا ندخل البيت فنتوكل فقال التجربة شك قالوا فما الحيلة فقال ترك الحيلة . وقال أبو سليمان الداراني لأحمد بن أبي الحواري يا أحمد إن طرق الآخرة كثيرة وشيخك عارف بكثير منها إلا هذا التوكل المبارك فإنني ما شممت منه رائحة . وقيل التوكل الثقة بما في يد الله تعالى واليأس عما في أيدي الناس وقيل التوكل فراغ السر عن التفكير في التقاضي في طلب الرزق .. وسئل الحارث المحاسبى عن المتوكل هل يلحقه طمع فقال يلحقه من طريق الطباع خطرات ولا يضره شيئاً ويقويه على إسقاط الطمع اليأس عما في أيدي الناس .. وقيل جاع النورى في البادية فهتف به هاتف أيما أحب إليك سبب أو كفاية فقال الكفاية فليس فوقها نهاية فبقى سبعة عشر يوماً لم يأكل . وقال أبو على الروذباري إذا قال الفقير بعد خمسة أيام أنا جائع فألزموه

(١) (إلا إلى من إليه الكفايات) وهو الله تعالى وفي ذلك دلالة على أن الله تعالى رأى إبراهيم مع كمال قوته ورفعة حاله أقوى من حاله ليتزايد في حاله ويتأدب مع ربه وفيه دلالة على أن الله أن يؤدب الكبار بالصغار في السن كما مر نظيره في حكاية المرأة .

(٢) (وقيل التوكل) على التفويض كما يطلق على التسليم وإن كان أعلى منه كما مر لأنهما من ثمراته واعتبر نفى الشك لأن التوكل إنما يكون عن قوة اليقين وهو بعيد عن الشك .

بالسوق ومروه بالعمل والكسب . وقيل نظر أبو تراب النخشبى إلى صوفى مد يده إلى قشر بطيخ ليأكله بعد ثلاثة أيام فقال له لا يصلح لك التصوف الزم السوق . وقال أبو يعقوب الأقطع البصرى جعت مرة بالحرم عشرة أيام فوجدت ضعفاً فحدثت نفسى فخرجت إلى الوادى لعلى أجد شيئاً يسكن ضعفى فرأيت سلجمة مطروحة فأخذتها فوجدت فى قلبى منها وحشة وكأن قائلاً يقول لى جعت عشرة أيام وآخره يكون حظك سلجمة متغيرة فرميت بها ودخلت المسجد فقعدت فإذا أنا برجل أعجمى جلس بين يدى ووضع قمطرة وقال هذا لك فقلت كيف خصصتنى بها فقال اعلم أنا كنا فى البحر منذ عشرة أيام وأشرفت السفينة على الغرق فنذر كل واحد منا إن خلصنا الله تعالى أن يتصدق بشيء ونذرت أنا إن خلصنى الله تعالى أن أتصدق بهذه على أول من يقع بصرى عليه من المجاهدين وأنت أول من لقيته فقلت افتحها ففتحها فإذا فيها كعك سميد مصرى ولوز مقشور وسكر كعاب فقبضت قبضة من ذا وقبضة من ذا وقبضة من ذا وقلت رد الباقي إلى صبيانك هو هدية منى لكم وقد قبلتها ثم قلت فى نفسى رزقك يسير إليك من عشرة أيام وأنت تطلبه من الوادى .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول كنت عند مشاد الدينورى فجرى حديث الدين فقال كان على دين فاشتغل قلبى فرأيت فى النوم كأن قائلاً يقول يا بخيل أخذت علينا هذا المقدار خذ عليك الأخذ وعلينا العطاء فما حاسبت بعد ذلك بقالا ولا قصاباً ولا غيرهم .. ويحكى عن بنان الحمال قال كنت فى طريق مكة حرسها الله تعالى أجيء من مصر ومعى زاد فجاءتنى امرأة وقالت لى يا بنان أنت حمال تحمل على ظهرك الزاد وتتوهم أنه لا يرزقك قال فرميت بزادى ثم أتى على ثلاث لم أكل فوجدت خلخالاً فى الطريق فقلت فى نفسى أحمله حتى يجيئ صاحبه فريماً يعطينى شيئاً فأرده عليه فإذا أنا بتلك المرأة فقالت لى أنت تاجر تقول حتى يجيئ صاحبه فأخذ منه شيئاً ثم رمت لى شيئاً من الدراهم وقالت أنفقها فاكتفيت بها إلى قريب من مكة ويحكى أن بناناً احتاج إلى جارية تخدمه فانبسط إلى إخوانه فجمعوا ثمنها وقالوا هو ذا يجيئ النفر فنشترى ما يوافقك فلما ورد

النفر اجتمع رأيهم على واحدة وقالوا إنها تصلح له فقالوا لصاحبها بكم هذه فقال إنها ليست للبيع فألحوا عليه فقال إنها لبنان الحمال أهدتها إليه امرأة من سمرقند فحملت إلى بنان وذكرت له القصة .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن الحسين المخزومي يقول حدثنا أحمد بن محمد بن صالح قال حدثنا محمد بن عبدون قال حدثنا الحسن الخياط قال كنت عند بشر الحافي فجاء نفر فسلموا عليه فقال من أين أنتم قالوا نحن من الشام جئنا نسلم عليك ونريد الحج فقال شكر الله تعالى لكم فقالوا تخرج معنا فقال بثلاث شرائط لا نحمل معنا شيئاً ولا نسأل أحداً شيئاً وإن أعطانا أحد شيئاً لا نقبل قالوا أما أن لا نحمل فنعم وأما أن لا نسأل فنعم وأما أن لا نقبل إن أعطينا فهذا لا نستطيعه فقال خرجتم متوكلين على زاد الحجيج^(١) ثم قال يا حسن الفقراء ثلاثة فقير لا يسأل وإن أعطى لا يأخذ فذاك من جملة الروحانيين^(٢) وفقير لا يسأل وإن أعطى قبل فذاك توضع له موائد في حظائر القدس^(٣) . وفقير يسأل وإن أعطى قبل قدر الكفاية فكفارته^(٤) . صدقه^(٥) . وقيل لحبيب العجمي لم تركت التجارة فقال وجدت الكفيل ثقة . وقيل كان في الزمن الأول رجل في سفر ومعه قرص فقال إن أكلته مت فوكل الله تعالى به ملكا وقال إن أكله فارزقه وإن لم يأكله فلا تعطه غيره فلم يزل القرص معه حتى مات ولم يأكله وبقي عنده القرص . وقيل من وقع في ميدان التفويض يزف إليه المراد كما تزف العروس إلى أهلها والفرق بين التضييع

(١) (متوكلين على زاد الحجيج) لأنهم إذا رأوكم لا تحملون زادا علموا حاجتكم فأعطوكم .

(٢) (الروحانيين) بضم الراء وهم من ارتفعت همتهم عن الخلق وعاشوا بدوام ذكرهم لمولاهم .

(٣) (القدس) أى الطهر فقلبه مطهر من التدنس بالأغيار ناظر الى ما يجريه الله عليه بحسن الاختيار .

(٤) (فكفارته) أى كفارة سؤاله .

(٥) (صدقه) بأن لا يسأل حتى يصدق فى جوعه واحتياجه وعلامة صدقه فيهما أن يأخذ ما تندفع به ضرورته فى وقته فقط وفيما قاله دليل على اختلاف مقامات المتوكلين .

والتفويض أن التضضيع في حق الله تعالى وذلك مذموم والتفويض في حقه وهو محمود . وقال عبد الله بن المبارك من أخذ فلساً من حرام فليس بمتوكل .. سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت نصر بن أبى نصر العطار يقول سمعت عليا ابن محمد المصرى يقول سمعت أبا سعيد الخراز يقول دخلت البادية مرة بغير زاد فأصابتنى فاقة فرأيت المرحلة من بعيد فسررت بأنى وصلت ثم فكرت فى نفسى أنى سكنت واتكلت على غيره فأليت أن لا أدخل المرحلة إلا أن أحمل إليها فحفرت لنفسى فى الرمل حفرة وواريت جسدى فيها إلى صدرى فسمعوا صوتا فى نصف الليل عالياً يا أهل المرحلة إن لله تعالى وليا حبس نفسه فى هذا الرمل فالحقوه فجاءنى جماعة فأخرجونى وحملونى إلى القرية .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن الحسين المخزومى يقول سمعت ابن المالكى يقول قال أبو حمزة الخراسانى حجبت سنة من السنين فبينما أنا أمشى فى الطريق إذ وقعت فى بئر فنزعتنى نفسى أن أستغيث فقلت لا والله لا أستغيث فما استممت هذا خاطر حتى مر برأس البئر رجلاً فقال أحدهما للآخر تعالى حتى نسد رأس هذا البئر لئلا يقع فيها أحد فأتوا بقصب وبارية وطمور رأس البئر فهممت أن أصبح ثم قلت فى نفسى أصيح إلى من هو أقرب منهما وسكنت فبينما أنا بعد ساعة إذا أنا بشيء جاء وكشف عن رأس البئر وأدلى رجله وكأنه يقول لى تعلق بى فى همهمة له كنت أعرف ذلك منه فتعلقت به فأخرجنى فإذا هو سبع فمر وهتف بى هاتف يا أبا حمزة أليس هذا أحسن نجيناك من التلف بالتلف فمشيت وأنا أقول :

أهابك أن أبدى إليك الذى أخفى	وسرى بىدى ما يقول له طرفى
نهانى حيائى منك أن أكتم الهوى	وأغيتنى بالفهم منك عن الكشف
تلطفت فى أمرى فأبديت شاهدى	إلى غائبى واللف يدرك باللف
ترأيت لى بالغيب حتى كأنما	تبشرنى بالغيب إنك فى الكف

أراك وبى من هيبتى لك وحشة فتؤنسنى باللفظ منك وبالعطف

وتحى محبا أنت فى الحب حشفه وذا عجب كون الحياة مع الحشف^(١)

سمعت محمد بن الحسن يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا سعدان التاهرتى يقول سمعت حذيفة المرعى يقول وقد خدم إبراهيم بن أدهم وصحبه فقل له ما أعجب ما رأيت منه فقال بقينا فى طريق مكة حرسها الله تعالى أياما لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة فأوينا إلى مسجد خراب فنظر إلى إبراهيم بن أدهم وقال يا حذيفة أرى بك أثر الجوع فقلت هو ما رأى الشيخ فقال على بدواة وقرطاس فجئت به فكتب بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود إليه بكل حال والمشار إليه بكل معنى :

أنا حامد أنا شاكرا أنا ذاكر أنا جائع أنا نائع أنا عارى

هى ستة وأنا الضمين لنصفها فكنا الضمين لنصفها يا بارى

مدحى لغيرك لهب نار خضتها فأجر عبيدك من دخول النار

والنار عندى كالسؤال فهل ترى أن لا تكلفنى دخول النار

ثم دفع إلى الرقعة وقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى وادفع الرقعة إلى أول من يلقاك قال فخرجت فأول من لقينى رجل كان على بغلة فدفعها إليه فأخذها وبكى وقال ما فعل صاحب هذه الرقعة فقلت فى المسجد الفلانى فدفعت إلى صرة بها ستمائة دينار ثم لقيت رجلا آخر فقلت من صاحب

(١) (الحشف) أى الموت فالعبد لا يعيش مع مولاه حتى يموت عن أغراض نفسه وهواه والغرض من جملة الأبيات أن الله تعالى يرى العبد من عجائب قدرته ولطفه ما يغنيه عن فكرته وكشفه ومن الحكاية السابقة أن المتوكل يرى أن الأفعال كلها من الله فإنه المحرك له والمسكن وقد كان قادرا على أن يحفظ هذا من الواقعة فى البئر لكنه أوقعه فيها ليظهر تحقيق توكله عليه ولهذا لم يصح فى البئر حين سد رأسها مع أنه كان متمكنا من إزالة البارية عن رأسها بلا كلفة إذ تعين عليه الطلوع .

هذه البلغة فقال نصراني فجئت إلى إبراهيم بن أدهم وأخبرته بالقصة فقال لا تمسها فإنه يجيء الساعة فلما كان بعد الساعة وافى النصراني وأكب على رأس إبراهيم بن أدهم وأسلم.



باب الشكر

قال الله عز وجل : ﴿ لَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ ..

(حدثنا) أبو الحسن على بن أحمد بن عبدان الأهوازي قال أخبرنا أبو الحسن الصفار قال حدثنا الإسقاطي قال حدثنا منجاب قال حدثنا يحيى بن على عن أبي خباب عن عطاء قال دخلت على عائشة رضى الله تعالى عنها مع عبيد بن عمير فقلت أخبرينا بأعجب ما رأيته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبكت وقالت وأى شأنه لم يكن عجباً إنه أتاني في ليلة فدخل معي في فراشي أو قالت في لحافى حتى مس جلدى جلده ثم قال يا بنت أبى بكر ذرينى أتعبد لربى قالت قلت إني أحب قريبك فأذنت له فقام إلى قرية من ماء فتوضأ وأكثر صب الماء ثم قام يصلى فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فأذنه بالصلاة فقلت يارسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال « أفلا أكون عبداً شكوراً ولم لا أفعل وقد أنزل على «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ .. الآية ..

(قال الأستاذ) حقيقة الشكر عند أهل التحقيق الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع وعلى القول بوصف الحق سبحانه بأنه شكور توسعاً ومعناه أنه يجازى

العباد على الشكر فسمى جزاء الشكر شكراً كما قال تعالى ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۚ ﴾ . وقيل شكره تعالى إعطائه الكثير من الثواب على العمل اليسير من قولهم دابة شكور إذا أظهرت من السمن فوق ما تعطى من العلف ويحتمل أن يقال حقيقة الشكر الثناء على المحسن بذكر إحسانه فشكر العباد لله تعالى ثناؤه عليه بذكر إحسانه إليه وشكر الحق سبحانه للعبد ثناؤه عليه بذكر إحسانه ثم إن إحسان العبد طاعته لله تعالى وإحسان الحق إنعامه على العبد بالتوفيق للشكر له وشكر العبد على الحقيقة إنما هو نطق اللسان وإقرار القلب بإنعام الرب تعالى والشكر ينقسم إلى شكر باللسان وهو اعترافه بالنعمة بنعت الاستكانة وشكر بالبدن والأركان وهو اتصاف بالوفاق والخدمة وشكر بالقلب وهو اعتكاف على بساط الشهود بإدامة حفظ الحرمة ويقال شكر هو شكر العالمين يكون من جملة أقوالهم وشكر هو نعت العابدين يكون نوعان من أفعالهم وشكر هو شكر العارفين يكون باستقامتهم له في عموم أحوالهم وقال أبو بكر الوراق شكر النعمة مشاهدة أن ترى نفسك فيه طفيليا وقال الجنيد الشكر فيه علة لأنه طالب لنفسه المزيد فهو واقف مع الله تعالى على حظ نفسه وقال أبو عثمان الشكر معرفة العجز عن الشكر ويقال الشكر على الشكر أتم من الشكر وذلك بأن ترى شركك بتوفيقه ويكون ذلك التوفيق من أجل النعم عليك فتشكره على الشكر ثم تشكره على شكر الشكر إلا ما يتناهى وقيل الشكر إضافة النعم إلى موليتها بنعت الاستكانة . وقال الجنيد الشكر أن لا ترى نفسك أهلاً للنعمة^(١) . وقال رويم الشكر استفراغ الطاقة . وقيل الشاكر الذى يشكر على الموجود والشكور الذى يشكر على المفقود . ويقال الشاكر الذى يشكر على الرشد والشكور الذى يشكر على الرد ويقال الشاكر الذى يشكر على النفع والشكور الذى يشكر على المنع ويقال الشاكر الذى يشكر على العطاء والشكور الذى يشكر على البلاء ويقال الشاكر الذى يشكر عند البذل والشكور الذى يشكر عند المطل . سمعت الشيخ أبا

(١) (لا ترى نفسك أهلاً للنعمة) لأن من يرى ذلك ورأى أن النعمة فضل من الله استحقا من الله أن يكون شكره جزاء عليها لأنه إذا لاحظ شكره نعمة أخرى احتاج إلى شكر فهو يتبرأ من أن يكون شاكراً أبداً .

عبد الرحمن السلمى يقول سمعت الأستاذ أبا سهل الصعلوكى يقول سمعت المرتعش يقول سمعت الجنيد يقول كنت بين يدى السرى أَلعب وأنا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون فى الشكر فقال لى يا غلام ما الشكر فقلت أن لا تعصى الله بنعمة فقال يوشك أن يكون حظك من الله تعالى لسانك قال الجنيد فلا أزال أبكى على هذه الكلمة التى قالها السرى وقال الشبلى الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة وقيل الشكر قيد الموجود^(١) . وصيد المفقود^(٢) . وقال أبو عثمان شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخواص على ما يرد على قلوبهم من المعانى وقيل قال داود عليه السلام إلهى كيف أشكرك وشكرى لك نعمة من عندك فأوحى الله إليه الآن قد شكرتنى وقيل قال موسى عليه السلام فى مناجاته إلهى خلقت آدم بيدك فعلت وفعلت فكيف شكرك فقال علم أن ذلك منى فكانت معرفته بذلك شكره لى . وقيل كان لبعضهم صديق فحبسه السلطان فأرسل إليه فقال له صاحبه اشكر الله تعالى فضرب الرجل فكتب إليه فقال اشكر الله تعالى فجاء بمجوسى مبطون وقيد وجعلت حلقة من قيده على رجل هذا وحلقة على رجل المجوسى فكان يقوم المجوسى بالليل مرات وهذا يحتاج أن يقوم على رأسه حتى يفرغ فكتب إلى صاحبه فقال اشكر الله تعالى فقال إلى متى تقول وأى بلاء فوق هذا فقال له صاحبه لو وضع الزنار الذى فى وسطه فى وسطك كما وضع القيد الذى فى رجله فى رجلك ماذا كنت تصنع وقيل دخل رجل على سهل بن عبد الله فقال إن اللص دخل دارى وأخذ متاعى فقال اشكر الله تعالى لو دخل اللص قلبك وهو الشيطان وأفسد التوحيد ماذا كنت تصنع . وقيل شكر العينين أن تستر عيباً تراه بصاحبك وشكر الأذنين أن تستر عيباً تسمعه فيه وقيل الشكر التلذذ بثنائه على ما لم يستوجب من عطائه . سمعت السلمى يقول سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفرأ يقول سمعت الجنيد يقول كان السرى إذا أراد أن

(١) (قيد الموجود) أى حفظه .

(٣) (وصيد المفقود) الممكن الموعود به من الزيادة فى قوله « لئن شكرتم لأزيدنكم » من توفيقى وطاعتى وهذا من ثمرات الشكر لا نفسه أما إن كفرتم فإن عذابى شديد .

ينفعنى يسألنى فقال لى يوماً يا أبا القاسم إيش الشكر فقلت ألا يستعان بشيء من نعم الله تعالى على معاصيه فقال من أين لك هذا فقلت من مجالستك وقيل التزم الحسن بن على الركن وقال إلهى نعمتنى^(١) . فلم تجدنى شاكرًا وابتليتنى فلم تجدنى صابراً فلا أنت سلبت النعمة بتركى الشكر ولا أدمت الشدة بتركى الصبر إلهى ما يكون من الكريم إلا الكرم . وقيل إذا قصرت يدك عن المكافأة^(٢) فليطل^(٣) لسانك بالشكر^(٤) . وقيل أربعة لا ثمرة لأعمالهم مسارة الأصم وواضع النعمة عند من لا يشكر والباذر فى السبخة والمسرج فى الشمس . وقيل لما بشر إدريس عليه السلام بالمغفرة سأل الحياة فقيل له فيه فقال لأشكره فإنى كنت أعمل قبله للمغفرة فبسط الملك جناحه وحمله عليه إلى السماء . وقيل مر بعض الأنبياء عليهم السلام بحجر صغير يخرج منه الماء الكثير فتعجب منه فأنطقه الله تعالى معه فقال مذ سمعت الله تعالى يقول ﴿ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ وأنا أبكى من خوفه قال فدعا ذلك النبى أن يجير الله ذلك الحجر فأوحى الله تعالى إليه أنى أجرته من النار فمر ذلك النبى فلما عاد وجد الماء يتفجر منه مثل ذلك فعجب منه فأنطق الله تعالى ذلك الحجر معه فقال له لم تبك وقد غفر الله تعالى لك فقال ذلك كان بكاء الحزن والخوف وهذا بكاء الشكر والسرور وقيل الشاكر مع المزيد لأنه فى شهود النعمة قال الله عز وجل ﴿ لَنِ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ والصابر مع الله تعالى لأنه بشهود المبتلى قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ وقيل قدم وفد على عمر بن عبد العزيز وكان فيهم شاب فأخذ يخطب فقال عمر الكبير الكبر فقال له الشاب يا أمير المؤمنين لو كان الأمر بالسن لكان

(١) (إلهى نعمتنى .. إلخ) ضمن لك كمال الثناء على الله حيث اعترف فيه بالنعمة وبالتقصير عن الشكر وبأنه غير صابر على البلاء وبأن الله لا غيره هو الفاعل للخير والشر ثم اعترف بفضل الله فى حالة نقصه فقال فلا أنت سلبت إلخ .

(٢) (عن المكافأة للناس) بأن عجزت عنها .

(٣) (فليطل) لسانك .

(٤) (بالشكر) لأنه الممكن والشكر الكامل عند الإمكان يكون بالثلاثة بالقلب واللسان والأفعال .

فى المسلمين من هو أسن منك فقال تكلم فقال لسنأ وفد الرغبة ولا وفد الرهبة أما الرغبة فقد أوصلها إلينا فضالك وأما الرهبة فقد أمنتأ منها عدلك فقال فمن أنتم فقال وفد الشرك جئنأك نشكرك وننصرف وأنشدوا :

ومن الرزية أن شكرى صامت عما فعلت وأن برك ناطق

وأرى الصنيعة منك ثم أسرها إنى إذا ليد الكرى لسارق

وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أرحم عبادى المبئلى والمعافى فقال ما بال المعافى فقال لقلة شكرهم على عافيتى إياهم وقيل الحمد لله على الأنفاس والشكر على نعم الحواس الحمد ابتداء منه والشكر اقتداء منك ، وفى الخبر الصحيح « أول من يدعى إلى الجنة الحامدون لله تعالى على كل حال » وقيل الحمد لله على مآدع والشكر على ما صنع . وحكى عن بعضهم أنه قال رأيت فى بعض الأسفار شيخا كبيرا قد طعن فى السن فسألته عن حاله فقال إنى كنت فى ابتداء عمرى أهوى ابنة عم لى وهى لى كذلك تهوانى فاتفق أنها تزوجت منى فليلة زفافها قلنا تعال حتى نحى هذه الليلة شكرا لله تعالى على ما جمعنا فصلينا تلك الليلة ولم يتفرغ أحدنا لصاحبه فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك فمئذ سبعين أو ثمانين سنة نحن على تلك الصفة كل ليلة أليس كذلك يا فلانة فقالت العجوز كما يقول الشيخ .



باب اليقين

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ .

(حدثنا) الأستاذ الإمام أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك قال حدثنا أبو بكر

أحمد بن محمود بن خرزاذ الأهوازي قال حدثنا أحمد بن سهل بن أيوب قال حدثنا خالد يعني ابن يزيد قال حدثنا سفيان الثوري وشريك بن عبد الله وسفيان بن عيينة عن سليمان التيمي عن خيثمة عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لا ترضين أحدا بسخط الله تعالى ولا تحمدن أحدا على فضل الله عز وجل ولا تذمن أحدا على ما لم يؤتك الله تعالى فإن رزق الله تعالى لا يسوقه إليك حرص حريص ولا يرده عنك كراهة كاره وإن الله تعالى بعدله وقسطه جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الهم والحزن في الشك والسخط .

(أخبرنا) الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن سعيد الرازي قال حدثنا عياش بن حمزة قال حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال قال أبو عبد الله الأنطاكي إن أثقل اليقين إذا وصل إلى القلب يملأ القلب نوراً^(١) . وينفى عنه كل ريب ويمتلئ القلب به شكراً ومن الله تعالى خوفاً . ويحكي عن أبي جعفر الحداد قال رآني أبو تراب النخشبى وأنا في البادية جالس على بركة ماء ولى ستة عشر يوماً لم أكل ولم أشرب فقال لى ما جلوسك فقلت أنا بين العلم واليقين أنتظر ما يغلب فأكون معه يعنى إن غلب العلم شربت وإن غلب اليقين مررت فقال لى سيكون لك شأن^(٢) . وقال أبو عثمان الحيرى اليقين قلة الاهتمام^(٣) لغد^(٤) . وقال سهل بن عبد الله اليقين من زيادة الإيمان ومن تحقيقه وقال سهل أيضاً اليقين شعبة من الإيمان وهو دون التصديق وقال بعضهم اليقين هو العلم المستودع فى القلوب يشير هذا القائل إلى أنه غير مكتسب وقال سهل ابتداء اليقين المكاشفة ولذلك قال بعض السلف لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً ثم المعاينة والمشاهدة وقال أبو عبد الله بن خفيف

(١) (يملأ القلب نوراً) أى يصير القلب به على بصيرة من الأمور بحيث يصير به المعلوم مشاهداً أو كالمشاهد بارتفاع الحجب الجسمانية وامتناع العلائق الطبيعية .

(٢) (شأن) أى ارتفاع ومن شأنه مواصلته ستة عشر يوماً ولم يأذن له فى الشرب بل انتظر ما يفعل الله به ليقوى يقينه بالخوارق من العادات .

(٣) (قلة الاهتمام) بالمطعم ونحوه .

(٤) (لغد) هذا من جملة اليقين وإلا فاليقين متعلقات كثيرة غيره .

اليقين تحقق الأسرار بإحكام المغيبات وقال أبو بكر بن طاهر العلم بمعارضة الشكوك واليقين لا شك فيه أشار إلى العلم الكسبي وما يجرى مجرى البديهي وكذلك علوم القوم في الابتداء كسبي وفي الانتهاء بديهي سمعت محمد بن الحسين يقول قال بعضهم أول المقامات المعرفة ثم اليقين ثم التصديق ثم الإخلاص ثم الشهادة ثم الطاعة والإيمان اسم يجمع هذا كله أشار هذا القائل إلى أن أول الواجبات هو المعرفة بالله سبحانه وتعالى والمعرفة لا تحصل إلا بتقديم شرائطها وهو النظر الصائب ثم إذا توالى الأدلة وحصل البيان صار بتوالي الأنوار وحصول الاستبصار كالمستغنى عن تأمل البرهان وهو حال اليقين ثم تصديق الحق سبحانه فيما أخبر عنه عند إصغائه إلى إجابة الداعي فيما يخبر من أفعاله سبحانه في المستأنف لأن التصديق إنما يكون في الإخبار ثم الإخلاص فيما يتعقبه من أداء الأوامر ثم بعد ذلك إظهار الإجابة بجميل الشهادة ثم أداء الطاعات بالتوحيد فيما أمر به والتجرد عما زجر عنه وإلى هذا المعنى أشار الإمام أبو بكر محمد بن فورك فيما سمعته يقول ذكر اللسان فضيلة يفيض بها القلب . وقال سهل بن عبد الله حرام على قلب أن يشم رائحة اليقين وفيه سكون إلى غير الله تعالى . وقال ذو النون المصري اليقين داع إلى قصر الأمل وقصر الأمل يدعو إلى الزهد والزهد يورث الحكمة والحكمة تورث النظر في العواقب . وسمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا العباس البغدادي يقول سمعت محمد بن أحمد بن سهل يقول سمعت سعيد بن عثمان يقول سمعت ذا النون المصري يقول ثلاثة من أعلام اليقين قلة مخالطة الناس في العشرة وترك المدح لهم في العطية^(١) والتنزه^(٢) عن ذمهم عند المنع وثلاثة من أعلام يقين اليقين النظر إلى الله تعالى في

(١) (وترك المدح لهم في العطية) وإن أمر الآخذ منهم بشكرهم والدعاء لهم ولا يلزم منهما المدح لأنهما يحصلان بنحو جزاك الله خيرا وأكرمك الله وأعاننا الله تعالى على مكافأتك والمدح ذكر المحاسن التي تقرن غالباً بدخول العجب على الممدوح .

(٢) (والتنزه .. إلخ) أي منعهم من الإعطاء لأن المانع في الحقيقة هنا غيرهم وهو الله تعالى ولا يليق الذم بغير الفاعل وذم الفاعل مجازاً يخشى منه ذم الفاعل حقيقة وبالجملة من يثق أن الله هو الرزاق في سائر أحواله حصلت له الثلاثة .

كل شيء والرجوع إليه في كل أمر والاستعانة به في كل حال وقال الجنيد اليقين هو استقرار العلم الذي لا ينقلب ولا يحول ولا يتغير في القلب وقال ابن عطاء على قدر قريبهم من التقوى أدركوا ما أدركوا من اليقين وأصل التقوى مباينة النهي ومباينة النهي مباينة النفس فعلى قدر مفارقتهم النفس وصلوا إلى اليقين وقال بعضهم اليقين هو المكاشفة والمكاشفة على ثلاثة أوجه مكاشفة بالإخبار ومكاشفة بإظهار القدرة ومكاشفة القلوب بحقائق الإيمان واعلم أن المكاشفة في كلامهم عبارة عن ظهور الشيء للقلب باستيلاء ذكره من غير بقاء للريب وربما أرادوا بالمكاشفة ما يقرب مما يراه الرائي بين اليقظة والنوم وكثيرا ما يعبر هؤلاء عن هذه الحالة بالثبات .. سمعت الإمام أبا بكر بن فورك يقول سألت أبا عثمان المغربي فقلت ما هذا الذي تقول قال الأشخاص أراهم كذا وكذا فقلت تراهم معاينة أو مكاشفة فقال مكاشفة وقال عامر بن عبد قيس لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وقيل اليقين رؤية العيان بقوة الإيمان وقيل اليقين زوال المعارضات وقال الجنيد اليقين ارتفاع الريب في مشهد الغيب . سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول في قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في عيسى ابن مريم عليه السلام لو ازداد يقيناً لمشى في الهواء قال رحمه الله تعالى أنه أشار بهذا إلى حال نفسه صلى الله عليه وآله وسلم ليلة المعراج لأن في لطائف المعراج أنه قال « رأيت البراق قد بقى ومشيت » .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول سمعت إبراهيم بن فاتك يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السري يقول وقد سئل عن اليقين فقال اليقين سكونك عند جولان الموارد في صدرك لتيقنك أن حركتك فيها لا تنفعك ولا ترد عنك مقضيا .. وسمعتة يقول سمعت عبد الله بن علي يقول سمعت أبا جعفر الأصبهاني يقول سمعت علي بن سهل يقول الحضور أفضل من اليقين لأن الحضور وطناً واليقين خطرات كأنه جعل اليقين ابتداء الحضور والحضور دوام ذلك فكأنه جوز حصول اليقين خالياً من الحضور وأحال جواز الحضور بلا يقين ولهذا قال النوري اليقين المشاهدة يعني أن في المشاهدة يقيناً لا شك فيه لأنه لا يشاهده تعالى من لا يثق بمأمنه وقال أبو بكر الوراق اليقين ملاك القلب وبه كمال

الإيمان واليقيين عرف الله تعالى وبالعقل عقل عن الله تعالى وقال الجنيد قد مشى رجال باليقيين على الماء ومات بالعطش أفضل منهم يقيناً .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفرأ يقول قال إبراهيم الخواص لقيت غلاماً فى التيه كأنه سبيكة فضة فقلت إلى أين يا غلام فقال إلى مكة حرسها الله تعالى فقلت بلا زاد ولا راحلة ولا نفقة فقال لى يا ضعيف اليقين الذى يقدر على حفظ السموات والأرضين لا يقدر على أن يوصلنى إلى مكة بلا علاقة قال فلما دخلت مكة حرسها الله تعالى إذا أنا به فى الطواف وهو يقول :

يا عين سحى أبدا يا نفس موتى كمدا
ولا تحبى أحدا إلا الجليل الصمدا

فلما رأتى قال ياشيخ أنت بعد على ذلك الضعف من اليقين . وسمعت يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت النهرجورى يقول إذا استكمل العبد حقائق اليقين صار البلاء عنده نعمة والرخاء مصيبة وقال أبو بكر الوراق اليقين على ثلاثة أوجه يقين خبر^(١) ويقين دلالة^(٢) . ويقين مشاهدة وقال أبو تراب رأيت غلاماً فى البادية يمشى بلا زاد فقلت إن لم يكن معه يقين فقد هلك فقلت يا غلام فى مثل هذا الموضع بلا زاد فقال يا شيخ ارفع رأسك هل ترى غير الله عز وجل فقلت الآن اذهب حيث شئت .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا نصر الأصبهانى يقول سمعت محمد بن عيسى يقول قال أبو سعيد الخراز العلم ما استعملك واليقين ما حملك^(٣) . وسمعت يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا عثمان الآدمى يقول

-
- (١) (خبر) وهو العلم الحاصل عن خبر الأنبياء بما غاب عن المشاهدة من الجنة والنار وغيرهما من أحوال يوم القيامة أو ما يسمى بالغيبات أو ما وراء الطبيعة .
(٢) (ويقين دلالة) وهو ماحدث بالنظر الدال على حدوث العالم وقدم محدثه وكماله وكمال صفاته .
(٣) (ما حملك) وهو العلم بأنه لافاعل إلا الله فلا معين إلا الله ولا معين سواه ولا يجرى =

سمعت إبراهيم الخواص يقول طلبت المعاش لأكل الحلال فاصطدت السمك فيوماً وقعت في الشبكة سمكة فأخرجتها وطرحت الشبكة في الماء فوقعت أخرى فيها فرميت بها ثم عدت فهتف بى هاتف لم تجد معاشاً إلا أن تأتى من يذكرنا فتقتلهم^(١) . قال فكسرت القصة وتركت الاصطياد .



باب الصبر (٢)

قال الله تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾

(أخبرنا) على بن أحمد الأهوازي قال أخبرنا أحمد بن عبيد البصري قال حدثنا أحمد بن علي الخراز قال حدثنا أسيد بن زيد قال حدثنا مسعود بن سعد عن الزيات عن أبي هريرة عن عائشة رضى الله عنها رفعتة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « إن الصبر عند الصدمة الأولى » .

(وأخبرنا) على بن أحمد قال أخبرنا أحمد بن عبيد الله قال حدثنا أحمد بن عمر قال حدثنا محمد بن مرداس قال حدثنا يوسف بن عطية عن عطاء بن أبي ميمونة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « الصبر عند الصدمة الأولى » . ثم الصبر على أقسام صبر على ما هو كسب للعبد وصبر على ما ليس بكسب له فالصبر على المكتسب على قسمين صبر على ما أمر الله تعالى به وصبر على ما نهى عنه وأما الصبر على ما ليس بمكتسب للعبد فصبره على مقاساة ما يتصل

= عليك إلا ما سبق لك عنده .

(١) (فتقتلهم) نزل السمك منزلة من يعقل فعبر عنه بما يعبر عن يعقل ولم يقل فتقتلها .

(٢) (الصبر) هو حبس النفس على كربه تتحملة أو لذيق تقارقه وهو ممدوح ومطلوب .

به من حكم الله فيما يناله فيه مشقة . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفر بن محمد يقول سمعت الجنيد يقول المسير من الدنيا إلى الآخرة سهل هين على المؤمن وهجران الخلق في جنب الله تعالى شديد والمسير من النفس إلى الله تعالى صعب شديد والصبر مع الله عز وجل أشد فسل عن الصبر ^(١) . فقال تجرع المرارة من غير تعبيس وقال على بن أبي طالب رضى الله عنه الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد وقال أبو القاسم الحكيم قوله تعالى واصبر أمر بالعبادة وقوله تعالى وما صبرك إلا بالله عبودية فمن ترقى من درجة لك إلى درجة بك فقد انتقل من درجة العبادة إلى درجة العبودية قال صلى الله عليه وآله وسلم « بك أحياء وبك أموت » . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت أبا جعفر الرازي يقول سمعت عياشاً يقول سمعت أحمد يقول سألت أبا سليمان عن الصبر فقال والله ما نصبر على ما نحب فكيف على ما نكره وقال ذو النون الصبر التباعد عن المخالقات والسكون عند تجرع غصص البلية وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة وقال ابن عطاء الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الأدب وقيل هو الفناء في البلوى بلا ظهور شكوى وقال أبو عثمان الصبار الذى عود نفسه الهجوم على المكاره وقيل الصبر المقام مع البلاء بحسن الصحبة كالمقام مع العافية وقال أبو عثمان أحسن الجزاء على عبادة الجزاء على الصبر ولا جزاء فوقه قال الله عز وجل ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ وقال عمرو بن عثمان الصبر هو الثبات مع الله سبحانه تعالى وتلقى بلائه بالرحب والدعة وقال الخواص الصبر الثبات على أحكام الكتاب والسنة وقال يحيى بن معاذ صبر المحبين أشد من صبر الزاهدين وأعجباً كيف يصبرون وأنشد :

الصبر يَجْمَلُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ لَا يَجْمَلُ

وقال رويم الصبر ترك الشكوى وقال ذو النون الصبر هو الاستعانة بالله تعالى .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول الصبر كإسمه وأنشدني الشيخ

(١) (الصبر) يعنى من قام به الصبر فى الكلام مجاز مرسل .

أبو عبد الرحمن السلمي قال أنشدني أبو بكر الرازي قال أنشدني ابن عطاء لنفسه :

صأصبركى ترضى وأتلف حسرة وحسبى أن ترضى ويتلفنى صبرى

وقال أبو عبد الله بن خفيف الصبر على ثلاثة أقسام متصبر وصابر وصبار
وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه الصبر مطية لا تكبو^(١) .. سمعت محمد
ابن الحسن يقول سمعت على بن عبد الله البصرى يقول وقف رجل على الشبلى
فقال أى صبر أشد على الصابرين فقال الصبر فى الله عز وجل فقال لا فقال الصبر لله
تعالى قال لا قال الصبر مع الله تعالى قال لا قال فأى شىء قال الصبر عن الله عز
وجل قال فصرخ الشبلى صرخة كادت روحه أن تتلف وسمعت يقول سمعت محمد
ابن عبد الله بن شاذان يقول سمعت أبا محمد الجريرى يقول الصبر أن لا يفرق بين
حال النعمة والمحنة مع سكون خاطر فيهما والتصبر هو السكون مع البلاء مع وجدان
أنقال المحنة وأنشد بعضهم:

صبرت ولم أطلع هواك على صبرى وأخفيت ما بى منك عن موضع الصبر

مخافة أن يشكو ضميرى صبابتى إلى دمعى سرا فتجرى ولا أدرى

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول فاز الصابرون بعز الدارين لأنهم نالوا
من الله تعالى معيته قال الله تعالى : ﴿ إِنِ اللّٰهُ مَعَ الصّٰبِرِينَ ﴾ وقيل فى معنى قوله
تعالى ﴿ اصْبِرُوا ﴾^(٢) وصابروا ورابطوا ﴿ الصبر دون المصابرة والمصابرة دون
المرابطة وقيل اصبروا بنفوسكم على طاعة الله وصابروا بقلوبكم عن البلوى فى الله
تعالى ورابطوا بأسراركم على الشوق إلى الله تعالى وقيل اصبروا فى الله تعالى وصابروا
بالله تعالى ورابطوا مع الله تعالى وقيل أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام تخلق

(١) (لا تكبو) لخبر من تأنى أصاب أكاد ولا يمكنه التأنى وترك العجلة إلا بالصبر فمن
جعل الصبر مطيته استقام فى سيره وبعد خطؤه فى علمه وعمله .

(٢) (اصبروا) وهو الصبر على تغيير الأخلاق المذمومة والاتصاف بالأخلاق المحمودة
والاشتغال بأنواع الطاعات .

بأخلاقى وإن من أخلاقى أننى أنا الصبور وقيل تجرع الصبر فإن قتلك قتلك شهيدا وإن أحياك أحياك عزيزا وقيل الصبر لله ^(١) تعالى عناء والصبر بالله تعالى بقاء والصبر فى الله تعالى بلاء والصبر مع الله ^(٢) تعالى وفاء والصبر عن الله تعالى جفاء وأنشدوا :

والصبر عنك فمذموم عواقبه والصبر فى سائر الأشياء محمود

وأنشدوا :

وكيف الصبر عن حل منى بمنزلة اليمين من الشمال

إذا لعب الرجال بكل شيء رأيت الحب يلعب بالرجال

وقيل الصبر على الطلب عنوان الظفر والصبر فى المحن عنوان الفرج سمعت منصور بن خلف المغربى يقول جرد واحد للسياط فلما رد إلى السجن دعا ببعض أصحابه فتفل على يده وألقى من فمه دقاق الفضة على يده فسئل فقال كان فى فمى درهمان وكان على حاشية الحلقة لى عين فلم أرد أن أصبح لرؤيته إياى فكنت أعض على الدرهمين فتكسرا فى فمى وقيل حالك التى أنت فيها رباطك وما دون الله تعالى أعداؤك فأحسن المrapطة فى رباط حالك . وقيل المصابرة هى الصبر على الصبر حتى يستغرق الصبر فى الصبر فيعجز الصبر عن الصبر كما قيل :

صابر الصبر فاستغاث به الصبر فصاح المحب بالصبر صبرا

وقيل حبس الشبلى وقتا فى المارستان فدخل عليه جماعة فقال من أنتم فقالوا أحباؤك جاءوك زائرين فأخذ يرميهم بالحجر وأخذوا يهربون فقال يا كذابون لو كنتم أحبائى لصبرتم على بلائى وفى بعض الأخبار بعينى ما يتحمل المتحملون من أجلى وقال الله تعالى : ﴿ **وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا** ﴾ وقال بعضهم كنت

(١) (الصبر لله) وهو الصبر على ما يرد على القلب من الله فكل منه تعالى وهو متأدب معه حال ما يرد منه راض بذلك

(٢) (الصبر مع الله) وهو الصبر على ذلك من التبرى من الحول والقوة فلا حول ولا قوة إلا بالله

بمكة حرسها الله تعالى فرأيت فقيرا طاف بالبيت وأخرج من جيبه رقعة ونظر فيها ومرفلا كان بالغد فعل مثل ذلك فترقبته أياما وهو يفعل مثله فيوما من الأيام طاف ونظر في الرقعة وتباعد قليلا وسقط ميتا فأخرجت الرقعة من جيبه فإذا فيها ﴿واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا﴾ وقيل روى حدث يضرب وجه شيخ بنعله فقيل له ألا تستحي تضرب حروجه شيخ مثل هذا فقال جرمة عظيم فقيل وما ذاك .. فقال هذا الشيخ يدعى أنه يهوانى ومنذ ثلاث ما رأتى وقال بعضهم دخلت بلاد الهند فرأيت رجلا بفرد عين يسمى فلانا الصبور فسألت عن حاله فقيل هذا فى عنفوان شبابه سافر صديق له فخرج فى وداعه فدمعت إحدى عينيه ولم تبك الأخرى فقال لعينه التى لم تدمع لم لم تدمعى على فراق صاحبنى لأحرمك النظر إلى الدنيا وغمض عينه فمئذ ستين سنة لم يفتح عينه وقيل فى قوله تعالى : ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ الصبر الجميل أن يكون صاحب المصيبة فى القوم لا يدرى من هو وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لو كان الصبر والشكر بعيرين لم أبال أيهما ركبت وكان ابن شبرمة إذا نزل به بلاء قال سحابة ثم تنقشع وفى الخبر أن النبى صلى الله عليه وآله سلم سئل عن الإيمان فقال الصبر والسماحة^(١).

(أخبرنا) الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى قال أخبرنا محمد بن أحمد بن طاهر الصوفى قال حدثنا محمد بن على التيجانى قال حدثنا محمد بن إسماعيل البخارى قال حدثنا موسى بن إسماعيل قال حدثنا سويد بن حاتم قال حدثنا عبد الله بن عبيد عن عمير عن أبيه عن جده قال سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الإيمان فقال الصبر والسماحة وسئل السرى عن الصبر فجعل يتكلم فيه فدب على رجله عقرب وهى تضربه بإبرتها ضربات كثيرة وهو ساكن فقيل له لم لم تنحها قال استحيت^(٢) من الله

(١) (والسماحة) بالقريات ولذلك قيل الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر فالصبر على البلايا والشكر على النعم وفيه دليل على أن الإيمان يطلق على أعمال الجوارح لا على الإيمان بالقلب فقط .

(٢) (قال استحيت .. إلخ) فيه أن العبد لا يتكلم فى شىء من علوم المقامات والأحوال =

تعالى أن أتكلم فى الصبر ولم أصبر. وفى بعض الأخبار الفقراء الصبر هم جلساء الله يوم القيامة وأوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه أنزلت بعبدى بلأى فدعانى فما طلته بالإجابة فشكأنى فقلت عبدى كيف أرحمك من شيء به أرحمك وقال ابن عيينة فى معنى قوله تعالى « وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا » قال لما أخذوا برأس الأمر جعلناهم رؤساء. سمعت الأستاذ أبا على يقول إن الصبر حده أن لا تعترض على التقدير فأما إظهار البلاء على غير وجه الشكوى فلا ينافى الصبر قال تعالى فى قصة أيوب: « إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ » مع ما أخبر عنه أنه قال « مَسْنِي الضَّرُّ » وسمعته يقول استخرج الله منه هذه المقالة يعنى قوله « مَسْنِي الضَّرُّ » لتكون متنفسا لضعفاء هذه الأمة وقال بعضهم إنا وجدناه صابراً ولم يقل صبوراً لأنه لم يكن جميع أحواله الصبر بل كان فى بعض أحواله يستلذ البلاء ويستعذبه فلم يكن فى حالة الاستلذاذ صابراً فلذلك لم يقل صبوراً . سمعت الأستاذ أبا على يقول حقيقة الصبر الخروج من البلاء على حسب الدخول فيه مثل أيوب عليه السلام قال فى آخر بلائه « مَسْنِي الضَّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ » فحفظ أدب الخطاب حيث عرض بقوله « وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ » ولم يصرح بقوله ارحمنى . واعلم أن الصبر على ضربين صبر العابدين وصبر المحبين فصبر العابدين أحسنه أن يكون محفوظاً وصبر المحبين أحسنه أن يكون مرفوضاً وفى معناه أنشدوا:

تبين يوم البين أن اعتزامه على الصبر من إحدى الظنون الكواذب

وفى هذا المعنى سمعت الأستاذ أبا على رحمه الله تعالى يقول أصبح يعقوب عليه السلام وقد وعد الصبر من نفسه فقال فصبر جميل أى فشأنى صبر جميل ثم لم يمس حتى قال « يَا أَسْفَى عَلَى يَوْسَفَ » .

= الصالحات حتى يكون متخلياً به ليسلم من الدخول فى ذم الله لمن يقول مالا يفعل فيسلم من مقتته كما قال تعالى « كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون » لكن هذا المقت إنما يكون للمرائى فى كلامه الذى يوهم الناس أنه متخلق بما يقول ليعظم قدره عندهم وللکذاب المستشبع بما لم ينل هو المدعى لمقام لم يبلغه .

باب المراقبة

قال الله تعالى : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴾ ..

(أخبرنا) أبو نعيم عبد الملك بن الحسين بن محمد بن إسحاق قال حدثنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق قال حدثنا يوسف بن سعيد بن مسلم قال حدثنا خالد بن يزيد قال حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله البجلي قال جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صورة رجل فقال يا محمد ما الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره وحلوه ومره قال صدقت قال فتعجبنا من تصديقه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يسأله ويصدقه قال فأخبرني ما الإسلام قال الإسلام أن تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت قال صدقت فأخبرني ما الإحسان قال الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال صدقت الحديث قال الشيخ هذا الذي قاله صلى الله عليه وآله وسلم فإن لم تكن تراه فإنه يراك إشارة إلى حال المراقبة لأن المراقبة علم العبد باطلاع الرب سبحانه وتعالى عليه واستدامته لهذا العلم مراقبة لربه وهذا أصل كل خير له لا يكاد يصل إلى هذه الرتبة إلا بعد فراغه من المحاسبة فإذا حاسب نفسه على ما سلف وأصلح حاله في الوقت ولازم طريق الحق أو أحسن بينه وبين الله تعالى مراعاة القلب وحفظ مع الله تعالى الأنفاس وراقب الله تعالى في عموم أحواله فيعلم أنه سبحانه عليه رقيب ومن قلبه قريب يعلم أحواله ويرى أفعاله ويسمع أقواله ومن تغافل عن هذه الجملة فهو بمعزل عن بداية الوصلة فكيف عن حقائق القرية . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت الجريري يقول من لم يحكم بينه وبين الله تعالى التقوى والمراقبة ^(١) . لم

(١) (المراقبة) في لغة دوام ملاحظة المقصود واصطلاحا في عرف السادة الصوفية دوام النظر بالقلب إلى الله تعالى ويراقب ما يبدو من أفعاله وأحكامه ويعبر عنه باستشعارك =

يصل إلى الكشف والمشاهدة . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول كان لبعض الأمراء وزير وكان بين يديه يوما فالتفت إلى بعض الغلمان الذين كانوا وقفا لا لريبة ولكن لحركة أو صوت أحس به منهم فاتفق أن ذلك الأمير نظر إلى هذا الوزير فى تلك الحالة فخاف الوزير أن يتوهم الأمير أنه نظر إليهم لريبة فجعل ينظر إليه كذلك فبعد ذلك اليوم كان هذا الوزير يدخل على هذا الأمير وهو أبدا ينظر إلى جانب حتى توهم الأمير أن ذلك خلقه وحول فيه فهذا مراقبة مخلوق لمخلوق فكيف مراقبة العبد لسيده . سمعت بعض الفقراء يقول كان أمير له غلام يقبل عليه أكثر من إقباله على غيره من غلمانه ولم يكن أكثرهم قيمة ولا أحسنهم صورة فقالوا له فى ذلك فأراد الأمير أن يبين لهم فضل الغلام فى الخدمة على غيره فيوما من الأيام كان راكبا ومعه الحشم وبالعبد منهم جبل عليه ثلج فنظر الأمير إلى ذلك الثلج وأطرق رأسه فركض الغلام فرسه ولم يعلم القوم لماذا ركض فلم يلبث إلا يسيرا حتى جاء ومعه شيء من الثلج فقال له الأمير ما أدراك إنى أردت الثلج فقال الغلام لأنك نظرت إليه ونظر السلطان إلى شيء لا يكون عن غير قصد صحيح فقال الأمير إنما أخصه بإكرامى وإقبالى لأن لكل أحد شغلا وشغله مراعاة لحظائى ومراقبة أحوالى وقال بعضهم من راقب الله تعالى فى خواطره عصمه الله تعالى فى جوارحه وسئل أبو الحسين ابن هند متى يهش الراعى غنمه بعصا الرعاية عن مراتع الهلكه فقال إذا علم أن عليه رقيبا وقيل كان ابن عمر فى سفر فرأى غلاما يرعى غنم فقال له تبيع من هذه الغنم واحدة فقال إنها ليست لى فقال قل لصاحبها إن الذئب أخذ منها واحدة فقال العبد فأين الله ^(١) فكان ابن عمر يقول بعد ذلك إلى مدة

= نظر الله إليك فى حركاتك وسكناتك وسببها معرفة الله بصفاته ومعرفة وعده ووعيده وأحكامه وثمرتها حسن الآداب والسلامة من شذائد الحساب والتحلى بحلية الأولياء ذوى الأبواب وهى ممدوحة مطلوبة .

(١) (فأين الله) فإنه يعلم ذلك ويؤاخذنى به .

قال ذلك العبد فأين الله ^(١) . وقال الجنيد من تحقق ^(٢) . فى المراقبة خاف على فوت حظه من ربه عز وجل لا غير ^(٣) . وكان بعض المشايخ له تلامذة فكان يخصص واحدا منهم بإقباله عليه أكثر مما يقبل على غيره فقالوا له فى ذلك فقال أبين لكم ذلك فدفع إلى كل واحد من تلامذته طائرا وقال له اذبحه بحيث لا يراه أحد ودفع إلى هذا أيضا فمضوا ورجع كل واحد منهم وقد ذبح طائره وجاء هذا بالطائر حيا فقال هلا ذبحته فقال أمرتنى أن أذبحه بحيث لا يراه أحد ولم أجد موضعا لا يراه فيه أحد فقال لهذا أخصه بإقبالى عليه وقال ذو النون علامة المراقبة إيثار ما آثر الله تعالى وتعظيم ما عظم الله تعالى وتصغير ما صغر الله تعالى وقال النصراباذى الرجاء يحركك إلى الطاعات والخوف يبعدك عن المعاصى والمراقبة تؤدبك إلى طرق الحقائق . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول سألت جعفر بن نصير عن المراقبة فقال مراعاة السر لملاحظة الحق سبحانه مع كل خطرة وسمعته يقول سمعت أبا الحسين الفارسى يقول سمعت الجريرى يقول أمرنا هذا مبنى على فصلين وهو أن تلزم نفسك المراقبة لله تعالى ويكون العلم عن ظاهرك قائما وسمعته يقول سمعت أبا القاسم البغدادى يقول سمعت المرتعش يقول المراقبة مراعاة السر بملاحظة الغيب مع كل لحظة ولفظة وسئل ابن عطاء ما أفضل الطاعات فقال مراقبة الحق على دوام الأوقات . وقال إبراهيم الخواص المراعاة تورث المراقبة والمراقبة تورث خلوص السر والعلانية لله تعالى . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا عثمان المغربى يقول أفضل ما يلزم به الإنسان نفسه فى هذه الطريقة المحاسبة والمراقبة

(١) (فأين الله) لأنه لما علم بذلك دينه ومراقبته لله أعجبه حاله وصار عبرة له يتذكر به زمانا وروى أنه سأل عن رب الغنم فاشتراه والغنم فأعتقه ووهبها له رضى الله تعالى عنه .
(٢) (تحقق) أى ثبت .

(٤) (لا غير) لأن المراقبة على درجات فقد يراقب العبد أحكام ربه ليسلم من العقاب وقد يراقبها لزيادة الثواب وقد يراقبها ليرفع عنه الحجاب وقد يراقبها ليكون من الأحباب فإذا وصل إلى هذا الحال الشريف راقب ربه ودام نظره لما يتفضل به عليه تعالى ليسلم من الغفلات التى يفوت بسببها حظه من مولاة تعالى .

وسياسة عمله بالعلم وسمعته يقول سمعت عبد الله الرازى يقول سمعت أبا عثمان يقول قال لى أبو حفص إذا جلست للناس فكن واعظا لقلبك ولنفسك ولا يغرنك اجتماعهم عليك فإنهم يراقبون ظاهرك والله تعالى يراقب باطنك وسمعته يقول سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت أبا جعفر الصيدلانى يقول سمعت أبا سعيد الخراز يقول قال لى بعض مشايخى عليك بمراعاة - شرك والمراقبة قال فبينما أنا يوما أسير فى البادية إذا أنا بخشخشة خلفى فهالنى ذلك وأردت أن ألتفت فلم ألتفت فرأيت شيئا واقفا على كتفى فأنصرف وأنا مراعى لسرى ثم التفت فإذا أنا بسبع عظيم وقال الواسطى أفضل الطاعات حفظ الأوقات وهو أن لا يطالع العبد غير حده ولا يراقب غير ربه ولا يقارن غير وقته .



باب الرضا

قال الله تعالى عز وجل : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ الآية ..
 (أخبرنا) على بن أحمد الأهوازى قال حدثنا أحمد بن عبيد البصرى قال حدثنا الكرىمى قال حدثنا يعقوب بن إسماعيل السلال قال حدثنا أبو عاصم العبادانى عن الفضل بن عيسى الرقاشى عن محمد بن المنكدر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « بينا أهل الجنة فى مجلس لهم إذ سطع لهم نور على باب الجنة فرفعوا رؤسهم فإذا الرب تعالى قال أشرف عليهم فقال يا أهل الجنة سلونى فقالوا نسألك الرضا عنا قال تعالى رضى قد أحلكم دارى وأنا لكم كرامتى هذا أوانها فاسألونى قالوا نسألك الزيادة قال فيؤتون بنجائب من ياقوت أحمر

أزمتها زمرد أخضر وياقوت أحمر فجاءوا عليها تضع حوافرها عند منتهى طرفها
 فيأمر الله عز وجل بأشجار عليها الثمار وتجيء جوار من الحور العين وهن يقلن نحن
 الناعمات فلا نبؤس^(١) ونحن الخالدات^(٢) فلا نموت أزواج قوم مؤمنين كرام ويأمر
 الله عز وجل بكثبان^(٣) من مسك أبيض أذفر^(٤) فتثير عليهم ريحا^(٥). يقال لها
 المثيرة حتى تنتهي بهم إلى جنة عدن وهي قصبة الجنة^(٦). فتقول الملائكة ياربنا
 قد جاء القوم فيقول مرحباً بالصادقين مرحباً بالطائعين قال فيكشف لهم الحجاب
 فينظرون إلى الله عز وجل فيتمتعون بنور الرحمن حتى لا يبصر بعضهم بعضا^(٧).
 يقول أرجعوههم إلى القصور بالتحف قال فيرجعون وقد أبصر بعضهم بعضا فقال
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذلك قوله : ﴿ نَزَلَا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ ﴾ وقد اختلف
 العراقيون والخراسيون في الرضا هل هو من الأحوال أو من المقامات فلأهل خراسان
 قالوا الرضا من المقامات وهو نهاية التوكل ومعناه أنه يؤول إلى أنه مما يتوصل إليه
 العبد باكتسابه أما العراقيون فإنهم قالوا الرضا من جملة الأحوال وليس ذلك كسبا للعبد
 بل هو نازلة تحل بالقلب كسائر الأحوال ويمكن الجمع بين اللسانين^(٨) فيقال بداية
 الرضا مكتسبة للعبد وهي من المقامات ونهايته من جملة الأحوال وليست مكتسبة^(٩).
 وتكلم الناس في الرضا فكل عبر عن حاله وشربه فهم في العبارة عنه مختلفون كما
 أنهم في الشرب والنصيب من ذلك متفاوتون فأما شرط العلم الذي هو لا بد منه

(١) (فلا نبؤس) أى فلا تجد عندنا شدة ، من بؤس الرجل يبؤس بأسا إذا كان شديد البأس
 أى الشدة .

(٢) (الخالدات) أى دائمات البقاء .

(٣) (بكثبان) أى تلال .

(٤) (أذفر) بالذال المنقوطة أى بين الذفر بفتح الفاء الرائحة الطيبة .

(٥) (ريحا) أى رائحة .

(٦) (قصبة الجنة) أى وسطها .

(٧) (لا يبصر بعضهم بعضا) لاشتغال كل بتمتعته بذلك

(٨) (اللسانين) أى قول الفريقين .

(٩) (بمكتسبة) له كالنوازل الضرورية كالعرشة والردة بالحمى .

فالراضي بالله تعالى هو الذي لا يعترض على تقديره .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول ليس الرضا أن لا تحس بالبلاء إنما الرضا أن لا تعترض على الحكم والقضاء . واعلم أن الواجب على العبد أن يرضى بالقضاء الذي أمر بالرضا به إذ ليس كل ما هو بقضائه يجوز للعبد أو يجب عليه الرضا به كالمعاصي وفتن محن المسلمين وقال المشايخ الرضا باب الله الأعظم يعنون أن من أكرم بالرضا فقد لقي بالترحاب الأوفى وأكرم بالتقريب الأعلى . سمعت محمد بن الحسين يقول أخبرنا أبو جعفر الرازي قال حدثنا العباس بن حمزة قال حدثنا بن أبي الحواري قال قال عبد الواحد ابن زيد الرضا باب الله الأعظم وجنة الدنيا واعلم أن العبد لا يكاد يرضى عن الحق سبحانه بعد أن يرضى عنه الحق سبحانه لأن الله عز وجل قال ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول قال تلميذ لأستاذه هل يعرف العبد أن الله تعالى راض عنه فقال لا كيف يعلم ذلك ورضاه غيب فقال التلميذ الولي يعلم ذلك فقال وكيف قال إذا وجدت قلبي راضيا عن الله تعالى علمت أنه راض عني فقال الأستاذ أحسنت يا غلام وقيل قال موسى عليه السلام إلهي دلني على عمل إذا عملته رضيت به عني فقال إنك لا تطيق ذلك فخر موسى عليه السلام ساجدا متضرعا فأوحى الله تعالى إليه يا ابن عمران إن رضاي في رضاك بقضائي ..

(أخبرنا) الشيخ عبد الرحمن السلمي رحمه الله قال أخبرنا أبو جعفر الرازي قال حدثنا العباس بن حمزة قال حدثنا ابن الحواري قال سمعت أبا سليمان الداراني يقول إذا سلا العبد عن الشهوات فهو راض وسمعته يقول سمعت النصراباذي يقول من أراد أن يبلغ محل الرضا فيلزم ما جعل الله رضاه فيه وقال محمد بن خفيف الرضا على قسمين : رضا به ورضا عنه فالرضا به أن يرضاه مدبراً والرضا عنه فيما يقضى .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول طريق السالكين أطول وهو طريق الرياضة وطريق الخواص أقرب لكنه أشق وهو أن يكون عملاً بالرضا ورضاك بالقضاء . وقال رويم الرضا أنه لو جعل الله جهنم على يمينه ما سأل أن يحولها إلى يساره وقال أبو بكر بن طاهر الرضا إخراج الكراهية من القلب حتى لا يكون فيه إلا فرح وسرور وقال

الواسطى استعمل الرضا جهداً ولا تداع الرضا يستعملك فتكون محجوباً بلذاته ورؤيته عن حقيقة ما تطالع . واعلم أن هذا الكلام الذى قاله الواسطى شىء عظيم وفيه تنبيه على مقطعة للقوم خفية فإن السكون عندهم إلى الأحوال حجاب عن محول الأحوال فإذا استلذ رضاه ووجد بقلبه راحة الرضا حجب بحاله عن شهود حقه^(١) . ولقد قال الواسطى أيضاً إياكم واستحلوا الطاعات فإنها سموم قاتلة وقال ابن خفيف الرضا سكون القلب إلى أحكامه وموافقة القلب بما رضى الله به واختاره له . وسئلت رابعة العدوية متى يكون العبد راضياً فقالت إذا سرته المصيبة كما سرته النعمة وقيل قال الشبلى بين يدي الجنيد لا حول ولا قوة إلا بالله فقال الجنيد قولك ذا ضيق صدر وضيق الصدر لترك الرضا بالقضاء فسكت الشبلى وقال أبو سليمان الداراني الرضا أن تسأل الله تعالى الجنة ولا تستعيز به من النار . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا العباس البغدادي يقول سمعت محمد بن أحمد بن سهل يقول سمعت سعيد بن عثمان يقول سمعت ذا النون المصري يقول ثلاثة من أعلام الرضا ترك الاختيار قبل القضاء وفقدان المرارة بعد القضاء وهيجان الحب في حشو البلاء^(٢) . وسمعت يقول سمعت محمد بن جعفر البغدادي يقول سمعت إسماعيل بن محمد الصفار يقول سمعت محمد ابن يزيد المبرد يقول قيل للحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنهما أن أبا ذر يقول الفقر أحب إلى من الغنى والسقم أحب إلى من الصحة فقال رحم الله تعالى أبا ذر أما أنا فأقول من اتكل على حسن اختيار الله تعالى له لم يتمن غير ما اختاره الله عز وجل له وقال الفضيل بن عياض لبشر الحافى الرضا أفضل من الزهد في الدنيا

(١) (شهود حقه) أى ربه تعالى أو حقه الذى فوق حاله فلا ينبغي للنفس أن تسكن إلى حال وتقف معه بل حقها أن تعرف النعم وتشكر عليها وترتقب المزيد من الحق ناظرة إليه فسكت الشبلى إما لما فهمه الجنيد أو لأنه كان راضياً ولكنه تبرأ من دعوى هذا المقام ورآه إنما هو بحول الله وقوته وعونه فإن كل مقام لا قوة للعبد على القيام به إلا بعون ربه تعالى .

(٢) (فى حشو البلاء) لأن الراضى بحسن ما يجريه الله عليه لا اختيار له وإنما هو مدعن لما اختاره الله له لعلمه بفضل ربه عليه وحسن اختياره له فيما يجريه عليه ومتى كان اختيار فى نفسه فهو مع نفسه راض بحكمها لا بحكم ربه .

لأن الراضى لا يتمنى فوق منزلته . وسئل أبو عثمان عن قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم « أسألك الرضا بعد القضاء » فقال لأن الرضا قبل القضاء عزم على الرضا والرضا بعد القضاء هو الرضا . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت عبد الله الرازى يقول سمعت ابن أبى حسان الأنماطى يقول سمعت أحمد بن أبى الحوارى يقول سمعت أبا سليمان يقول أرجو أن أكون عرفت طرفاً من الرضا لو أنه أدخلنى النار لكننى بذلك راضياً وقال أبو عمر الدمشقى الرضا ارتفاع الجزع فى أى حكم كان وقال الجنيد الرضا رفع الاختيار وقال ابن عطاء الرضا نظر القلب إلى قديم اختيار الله تعالى للعبد وهو ترك التسخط وقال رويم الرضا استقبال الأحكام بالفرح وقال المحاسبى الرضا سكون القلب تحت مجارى الأحكام وقال النورى الرضا سكون القلب بمر القضاء .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا الحسين الفارسى يقول سمعت الجريرى يقول من رضى بدون قدره رفعه الله تعالى فوق غايته وسمعته يقول سمعت أحمد بن على يقول سمعت الحسن بن علوية يقول قال أبو تراب النخشبى ليس ينال الرضا من للدنيا فى قلبه مقدار (أخبرنا) الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى قال أخبرنا أبو عمرو بن حمدان قال حدثنا عبد الله بن شثرويه قال حدثنا بشر بن الحكم قال حدثنا عبد العزيز ابن محمد عن يزيد بن الهادى عن محمد بن إبراهيم عن عامر بن سعد عن العباس ابن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ذاق طعم الإيمان من رضى بالله رباً » . وقيل كتب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه إلى أبى موسى الأشعرى أما بعد فإن الخير كله فى الرضا فإن استطعت أن ترضى وإلا فاصبر وقيل إن عتبة الغلام بات ليلة يقول إلى الصباح إن تعذبنى فأنا لك محب وإن ترحمنى فأنا لك محب .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول الإنسان خرف وليس للخرف من الخطر ما يعارض فيه حكم الحق تعالى وقال أبو عثمان الحيرى منذ أربعين سنة ما أقامنى الله عز وجل فى حال فكرهته وما نقلنى إلى غيره فسخطه . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول غضب رجل عبد له فاستشفع العبد إلى سيده إنساناً فغفا عنه فأخذ العبد يبكى فقال له الشفيع لم تبك وقد عفا عنك سيدك فقال له السيد إنه يطلب الرضا منى ولا سبيل إليه فإنما أبكى لأجله .

باب العبودية

قال الله عز وجل : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ ..

(أخبرنا) أبو الحسن الأهوازي قال أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار قال حدثنا عبيد بن شريك قال حدثنا يحيى قال حدثنا مالك عن حبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن عمر بن الخطاب عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادلة وشاب نشأ في عبادة الله تعالى ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل ذكر الله تعالى خالياً ففاضت عيناه ورجل دعت امرأته ذات حسن وجمال فقال إني أخاف الله رب العالمين ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول العبودية ^(١) أتم من العبادة فأولا عبادة ثم عبودية ثم عبودة فالعبادة للعوام من المؤمنين والعبودية للخواص والعبودة لخاص الخاص ^(٢) . وسمعت يقول العبادة لمن له علم اليقين والعبودية لمن له عين اليقين والعبودة لمن له حق اليقين وسمعت يقول العبادة لأصحاب المجاهدات والعبودية لأرباب المكابدات والعبودة صفة أهل المشاهدات فمن لم يدخر عنه نفسه فهو صاحب عبادة ومن لم يضمن عليه بقلبه فهو صاحب

(١) (العبودية) هي تذلل وتبرم من الحول والقوة في عبادته ويقال غير ذلك كما سيأتي وأصلها العبادة وهي القيام بالفعل المطلوب شرعا وهي ممدوحة ومطلوبة .

(٢) (والعبودة لخاص الخاص) لكمال معرفته بربه حيث أتى بما طلب منه ورأى نفسه محلا لجريان قضاء الله فيه ولتوقيعه له في فعل ما طلب منه فقلبه أقرب إلى مقام الجمع وهو إفراد الحق بالفعل من الثاني لأن الثاني شاهد لنفسه كسبا واختيارا وإن كان مفتقرا لعون ربه فيما يختاره والأول أقرب إلى مقام التفرقة لكونه يرى نفسه عابداً محسناً مطيعاً ويطلب الجزاء على عمله .

عبودية ومن لم يبخل عليه بروحه فهو صاحب عبودة ويقال العبودية القيام بحق الطاعات بشرط التوقير والنظر إلى ما منك بعين التقصير وشهود ما يحصل من مناقبك من التقدير ويقال العبودية ترك الاختيار فيما يبدو من الأقدار ويقال العبودية التبرؤ من الحول والقوة والإقرار بما يعطيك ويوليک من الطول والمنة ويقال العبودية معانقة ما أمرت به ومفارقة ما زجرت عنه . وسئل محمد بن خفيف متى تصح العبودية فقال إذا طرح كله على مولاه وصبر معه على بلواه .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت أبا العباس البغدادي يقول سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول سمعت ابن مسروق يقول سمعت سهل بن عبد الله يقول لا يصح التعبد لأحد حتى لا يجزع من أربعة أشياء من الجوع والعري والفقر والذل وقيل العبودية أن تسلم إليه كلك وتحمل عليه كلك وقيل من علامات العبودية ترك التدبير وشهود التقدير وقال ذو النون المصري العبودية أن تكون أنت عبده في كل حال كما أنه ربك في كل حال وقال الجريري عبيد النعم كثير عديدهم وعبيد المنعم عزيز وجودهم . سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول أنت عبد من أنت في رقة وأسرته فإن كنت في أسر نفسك فأنت عبد نفسك وإن كنت في أسر دنياك فأنت عبد دنياك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد الخميصة » ورأى أبو رزين رجلا فقال له ما حرفتك فقال خربندة فقال أمات الله تعالى حمارك لتكون عبد الله لا عبد الحمار . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت جدى أبا عمرو ابن نجيد يقول لا تصفو لأحد قدم في العبودية حتى يشاهد أعماله عنده رياء وأحواله دعاوى^(١) . وسمعته يقول : سمعت عبد الله المعلم يقول سمعت عبد الله بن منازل يقول العبد عبد ما لم يطلب لنفسه خادما فإذا طلب لنفسه خادما فقد سقط عن حد العبودية وترك آدابها وسمعته يقول سمعت محمد بن الحسين يقول

(١) (وأحواله دعاوى) مع سلامتهما في الواقع من ذلك بأن يتبرأ من إضافتهما إليه فإنه إن أضاف إليه الأعمال كان مرائيا لكونه نظر فيها لغير الله أو الأحوال مدعيا لما لا يملكه فإذا شاهد أعماله عنده رياء وأحواله دعاوى كان مخلصا بإضافته ذلك إلى الله كما مر .

سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت ابن مسروق يقول سمعت سهل بن عبد الله يقول لا يصلح للعبد التعبد حتى يكون بحيث لا يرى عليه أثر المسكنة في العدم ولا أثر الغنى في الوجود وقيل العبودية شهود الربوبية ^(١) .. سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول سمعت النصراباذي يقول قيمة العابد بمعبوده كما أن شرف العارف بمعروفه وقال أبو حفص العبودية زينة العبد فمن تركها تعطل من الزينة .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا جعفر الرازي يقول سمعت عباس بن حمزة يقول أخبرنا أحمد بن أبي الحواري قال سمعت النباجي يقول أصل العبادة في ثلاثة أشياء لا ترد من أحكامه شيئاً ولا تدخر عنه شيئاً ولا يسمعك تسأل غيره حاجة وسمعت يقول سمعت أبا الحسين الفارسي يقول سمعت ابن عطاء يقول العبودية في أربع خصال الوفاء بالعهود والحفظ للحدود والرضا بالموجود والصبر عن المفقود وسمعت يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت الكتاني يقول سمعت عمر بن عثمان المكي يقول ما رأيت أحداً من المتعبدین فی كثرة من لقيت بمكة حرسها الله تعالى وغيرها ولا أحداً ممن قدم علينا في المواسم أشد اجتهاداً ولا أدوم على العبادة من المزني رحمه الله تعالى ولا رأيت أحداً أشد تعظيماً لأوامر الله تعالى منه وما رأيت أحداً أشد تضيقاً على نفسه وتوسعة على الناس منه . سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول ليس شيء أشرف من العبودية ولا اسم أتم للمؤمن من الاسم له بالعبودية ولذلك قال سبحانه في وصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة المعراج وكان أشرف أوقاته في الدنيا ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ وقال تعالى: ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ فلو كان اسم أجل من العبودية لسماه به وفي معناه أنشدوا :

(١) (شهود الربوبية) وهو سبب عظيم في دوام العبودية لأن العبد إذا توالى عليه مراقبته لجلال مولاه ذل في نفسه بالنظر لما هي عليه من جهة طبعها هي لا بالنظر لما خصها به ربها من كرامته .

يا عمرو ثأرى عند زهرائى يعرفه السامع والرأى
لا تدعنى إلا بيا عبدهما فإنه أشرف أسمائى

وقال بعضهم إنما هو شيثان سكونك إلى اللذة واعتمادك على الحركة فإذا أسقطت عنك هذين فقد أديت العبودية حقها كما قال الواسطى احذروا لذة العطاء فإنها غطاء لأهل الصفاء قال أبو على الجوزجاني الرضا دار العبودية والصبر بابه والتفويض بيته فالصوت على الباب والفراغة فى الدار والراحة فى البيت . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول كما أن الربوبية نعت للحق سبحانه لا يزول فالعبودية صفة للعبد لا تفارقه مادام وأنشد بعضهم :

فإن تسألونى قلت ها أنا عبده وإن سألوه قال هناك مولايا

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت النصراباذى يقول العبادات إلى طلب الصفح والعفو عن تقصيرها أقرب منها إلى طلب الأعواض والجزاء عليها وسمعته يقول سمعت النصراباذى يقول العبودية إسقاط رؤية التعبد فى مشاهدة المعبود وسمعته يقول سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت الجريرى يقول سمعت الجنيد يقول العبودية ترك الأشغال والاشتغال بالشغل الذى هو أصل الفراغة .



باب الإرادة^(١).

قال الله عز وجل : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ ..

- (أخبرنا) على بن أحمد بن عبدان قال أخبرنا أحمد بن عبيد قال حدثنا هشام بن على قال حدثنا الحكم بن أسلم قال أخبرنا إسماعيل بن جعفر عن حميد عن أنس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله فقيل له كيف يستعمله يا رسول الله قال يوفقه لعمل صالح قبل الموت » والإرادة بدء طريق السالكين وهى اسم لأول منزلة القاصدين إلى الله تعالى وإنما سميت هذه الصفة إرادة لأن الإرادة مقدمة كل أمر فما لم يرد العبد شيئاً لم يفعله فلما كان أول الأمر لمن سلك طريق الله عز وجل سمي إرادة تشبيهاً بالقصد فى الأمور الذى هو مقدمتها والمؤيد على موجب الاشتقاق من له إرادة كما أن العالم من له علم لأنه من الأسماء المشتقة ولكن المريد فى عرف هذه الطائفة من لا إرادة له^(٢) . فمن لم يتجرد عن إرادته لا يكون مريداً كما أن من لا إرادة له على موجب الاشتقاق لا يكون مريداً وتكلم الناس فى معنى الإرادة فكل عبر على حسب ما لاح لقلبه فأكثر المشايخ قالوا الإرادة ترك ما عليه العادة^(٣) . وعادة الناس فى الغالب التعرّيج فى أوطان الغفلة والركون إلى اتباع الشهوة والإخلاذ إلى ما دعت إليه المنية والمريد منسلخ عن هذه الجملة^(٤) . فصار خروجه أماراً ودلالة على صحة الإرادة فسميت تلك الحالة
- (١) (الإرادة) هى عند السادة الصوفية التجرد لله فى السلوك إلى كمال التوحيد وهى مددوحة ومطلوبة .
- (٢) (من لا إرادة له) أى لا اختيار له فى نفسه ولا تمييز لمراده وإنها تجرد من مراده الحق تعالى .
- (٣) (ترك ما عليه العادة) لأن من اجتهد فى طلب الحق أعرض عن عاداته إذ هما لا يجتماعان .
- (٤) (هذه الجملة) أى التعرّيج الركون والإخلاذ إلى ما ذكر .

إرادة^(١) . وهى خروج عن العادة فإذا ترك العادة أماره الإرادة فأما حقيقتها فهى نهوض القلب فى طلب الحق سبحانه ولهذا يقال إنها لوعة تهون كل روعة . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول حاكيا عن ممشاد الدينورى أنه قال مذ علمت أن أحوال الفقراء جد كلها لم أمارح فقيراً وذلك أن فقيراً قدم على فقال أيها الشيخ أريد أن تتخذ لى عصيدة فجرى على لسانى إرادة وعصيدة فتأخر الفقير^(٢) . ولم أشعر به فأمرت باتخاذ عصيدة وطلبت الفقير فلم أجده فتعرفت خبره فقيل لى إنه انصرف من فوره وكان يقول فى نفسه إرادة وعصيدة إرادة وعصيدة وهام على وجهه حتى دخل البادية ولم يقول هذه الكلمة حتى مات وعن بعض المشايخ قال كنت بالبادية وحدى فضاق صدرى فقلت يا إنس كلمونى يا جن كلمونى فهتف بى هاتف إيش تريد فقلت أريد الله تعالى فقال متى تريد يعنى أن من قال للجن والإنس كلمونى متى يكون مريداً لله عز وجل . والمريد لا يفتر أثناء الليل والنهار فهو فى الظاهر ينعت المجاهدات وفى الباطن يوصف المكابدات فارق الفراش ولازم الانكماش وتحمل المصاعب وركب المتاعب وعالج الأخلاق ومارس المشاق وعانق الأهوال وفارق الأشكال كما قيل :

ثم قطعت الليل فى مهمه لا أسدا أخشى ولا ذيباً

يغلبنى شوقى فأطوى السرى ولم يزل ذو الشوق مغلوباً

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول الإرادة لوعة فى الفؤاد لدغة فى القلب غرام فى الضمير انزعاج فى الباطن نيران تتأجج فى القلوب . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت أبا بكر السباك يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول كان بين أبى سليمان وأحمد بن أبى الحوارى عقد لا يخالفه أحمد فى شىء يأمره به فجاء يوماً وهو يتكلم فى مجلسه فقال إن التنور قد سجر فما

(١) (إرادة) أى تشتهى إرادة .

(٢) (فتأخر الفقير) أى فلما سمع منه الفقير ذلك أخذته غيرة وقوى حاله وتأخر وانصرف .

تأمر فلم يجبه فقال مرتين أو ثلاثة فقال أبو سليمان اذهب فاقعد فيه كأنه ضاق به قلبه وتغافل عنه أبو سليمان ساعة ثم ذكر فقال أدركوا أحمد فإنه فى التنور لأنه آلى على نفسه أن لا يخالفنى فنظروا فإذا هو فى التنور لم تحترق منه شعرة ^(١) وسمعت الأستاذ أبا على يقول كنت فى ابتداء صباى محترقا فى الإرادة وكنت أول فى نفسى ليت شعرى ما معنى الإرادة وقيل من صفات المريدين التحبب إليه بالنوافل والخلوص فى نصيحة الأمة والأنس بالخلوة والصبر على مقاساة الأحكام والإيثار لأمره والحياء من نظره وبذل المجهود فى محبوبه والتعرض لكل سبب يوصل إليه والقناعة بالخمول ^(٢) . وعدم القرار بالقلب إلى أن يصل إلى الرب وقال أبو بكر الوراق آفة المريد ثلاثة أشياء التزويج وكتبة الحديث والأسفار وقيل له لم تركت كتابة الحديث فقال منعتنى عنها الإرادة ^(٣) وقال حاتم الأصم إذا رأيت المريد يريد غير مراده فاعلم أنه قد أظهر بذالته . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت الكتانى يقول من حكم المريد أن يكون فيه ثلاثة أشياء نومه غلبة وأكله فاقة وكلامه ضرورة وسمعته يقول سمعت الحسين بن أحمد بن جعفر يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت الجنيد يقول إذا أراد الله تعالى بالمريد خيرا أوقعه إلى الصوفية ومنعه صحبة الفقراء وسمعته يقول سمعت عبد الله بن على يقول سمعت الدقاق يقول سمعت الدقاق يقول نهاية الإرادة أن تشير إلى الله تعالى فتجده مع الإشارة قلت فأى شىء يستوعب الإرادة فقال أن تجد الله تعالى بلا إشارة . سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت عباس بن أبى الصحو يقول سمعت أبا بكر الدقاق يقول لا يكون المريد مريداً حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال عشرين سنة وقال أبو عثمان

(١) (لم تحترق منه شعرة) كأنه كان يعلم من حال أحمد أن العادة انخرقت له فى أن النار لا تؤثر فيه فأمره بذلك وامتنل أحمد وفائدة حكاية ذلك تعريف الناس منزلة أحمد ورفعة مقامه ليقتنى به من بعده وطلب كمال الحد والامتثال لأوامر المشايخ فى السلوك .

(٢) (والقناعة بالخمول) ليسلم من آفات الشهرة وما يدخل عليه من تشويش الخلق وتعلقهم به إذا عرفوا مقامه ورفعة منزلته عند ربه .

(٣) (منعتنى عنها الإرادة) لما بينهما من المنافاة فهما لا يجتمعان كما علم مما مر .

الحيرى من لم تصح إرادته بدارا لا يزيده مرور الأيام عليه إلا إدبارا وقال أبو عثمان المرید إذا سمع شيئا من علوم القوم فعمل به صار حكمة فى قلبه إلى آخر عمره ينتفع به ولو تكلم به انتفع به من سمعه ومن سمع شيئا من علومهم ولم يعمل به كان حكاية يحفظها أياما ثم ينساها وقال الواسطى أول مقام المرید إرادة الحق بإسقاط إرادته وقال يحيى بن معاذ أشد شىء على المریدین معاشرة الأضداد . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا القاسم الرازى يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول إذا رأيت المرید يشتغل بالرخص والكسب فليس يجىء منه شىء وسمعت يقول سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت جعفر الخلقى يقول سئل الجنيد ما للمریدین فى مجاراة الحكايات فقال الحكايات جند من جنود الله تعالى يقوى بها قلوب المریدین قيل له فهل لك فى ذلك شاهد فقال نعم قوله عز وجل ﴿ وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ . وسمعت يقول سمعت محمد بن خالد يقول سمعت جعفرا يقول سمعت الجنيد يقول المرید الصادق غنى عن علم العلماء فأما الفرق بين المرید والمراد فكل مرید على الحقيقة مراد إذ لو لم يكن مراد الله عز وجل بأن يريده لم يكن مریدا إذ لا يكون إلا ما أراده الله تعالى وكل مراد مرید لأنه إذا أراده الحق سبحانه بالخصوصية وفقه ولكن القوم فرقوا بين المرید والمراد فالمرید عندهم هو المبتدئ والمراد هو المنتهى والمرید الذى نصب بعين التعب وألقى فى مقاساة المشاق والمراد الذى كفى بالأمر من غير مشقة فالمرید متعن والمراد مرفوق به مرفه وسنة الله تعالى مع القاصدين مختلفة فأكثرهم يوافقون للمجاهدات ثم يصلون بعد مقاساة اللتيا والتى إلى سنى المعانى وكثير منهم يكشفون الابتداء بجليل المعانى ويصلون إلى ما لم يصل إليه كثير من أصحاب الرياضات إلا أن أكثرهم يردون إلى المجاهدات بعد هذه الأرفاق ليستوفى منها ما فاتهم من أحكام أهل الرياضة ^(١) . سمعت الأستاذ أبا

(١) (من أحكام أهل الرياضة) ليس مراده أنهم يردون إلى ما خرجوا منه من الأخلاق الذميمة والأعمال الشاقة بل مراده أنهم يلقون فى مقاماتهم العالية من المجاهدات وملازمة الآداب والامتحان فى ذلك ما لقيه أرباب البدايات فى بدايتهم فإن كل مقام عال لا بد له =

على الدقاق يقول المريد متحمل والمراد محمول . وسمعتة يقول كان موسى عليه السلام مريدا فقال ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ وكان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم مرادا فقال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ * ووضعتنا عنك وزرك * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ وكذلك قال موسى عليه الصلاة والسلام : ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي ﴾ وقال لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ وكان أبو على يقول إن المقصود قوله ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ ﴾ وقوله ﴿ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ ستر للقصة وتحصيل للحالة . وسئل الجنيد عن المريد والمراد فقال المريد تتولاه سياسة العلم ^(١) . والمراد تتولاه رعاية الحق سبحانه لأن المريد يسير والمراد يطير فمتى يلحق السائر الطائر وقيل أرسل ذو النون إلى أبي يزيد رجلا وقال له قل له إلى متى النوم والراحة وقد جازت القافلة فقال أبو يزيد قل لأخي ذي النون الرجل من ينام الليل كله ثم يصبح في المنزل قبل القافلة وقال ذو النون هنيئا له هذا كلام لا تبلغه أحوالنا .



باب الاستقامة

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ الآية ..

(أخبرنا) الإمام أبو بكر محمد بن الحسين بن فورك رحمه الله تعالى قال حدثنا عبد الله بن جعفر بن أحمد الأصبهاني قال أخبرنا أبو بشر يونس بن حبيب قال حدثنا أبو داود الطيالسي قال حدثنا شعبة عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن

= من مواضع تسد عنه .

(١) (سياسة العلم) بأن يجاهد نفسه ويروضها في أعمال قلبه وجوارحه بعلم الشريعة فيجمع بين الحسينيين وبذلك يكون محفوظاً عن الزيغ .

ثوبان مولى النبی صلی الله علیه وآله وسلم عن النبی صلی الله علیه وآله وسلم قال «استقيموا ولن تحصوا»^(١). واعلموا أن خير دينكم الصلاة ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن» (قال الأستاذ) الاستقامة درجة بها كمال الأمور وتمامها وبوجودها حصول الخيرات ونظامها ومن لم يكن مستقيماً في حالته ضاع سعيه وخاب جهده قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزْلَهُمَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا ﴾ ومن لم يكن مستقيماً في صفته لم يرتق من مقامه إلى غيره ولم يبين سلوكه على صحة فمن شرط المستأنف الاستقامة في أحكام البداية كما أن من حق العارف الاستقامة في آداب النهاية فمن أمارات استقامة أهل البداية أن لا تنشوب معاملتهم فترة ومن أمارات استقامة أهل الوسائط أن لا يصحب منازلهم وقفة ومن أمارات استقامة أهل النهاية أن لا تتداخل مواصلتهم حجة.. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول الاستقامة لها ثلاثة مدارج أولها التقويم ثم الإقامة ثم الاستقامة فالتقويم من حيث تأديب النفوس والإقامة من حيث تهذيب القلوب والاستقامة من حيث تقريب الأسرار وقال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه في معنى قوله ﴿ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ لم يشركوا وقال عمر رضي الله عنه لم يروغوا روغان الثعالب فقول الصديق محمول على مراعاة الوصول في التوحيد وقول عمر محمول على ترك طلب التأويل والقيام بشرط العهود وقال ابن عطاء استقاموا على انفراد القلب بالله تعالى وقال أبو على الجوزجاني كن صاحب الاستقامة لا طالب الكرامة فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة وربك عز وجل يطالبك بالاستقامة سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت أبا على الشبوي^(٢). يقول رأيت النبی صلی الله علیه وآله وسلم في المنام فقلت له روى عنك أنك قلت « شيبتنى هود » فما الذي شيبك منها قصص الأنبياء وهلاك الأمم فقال لا ولكن قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ ﴾ وقيل إن الاستقامة لا يطبقها إلا الأكابر لأنها الخروج عن المعهودات ومفارقة الرسول

(١) (ولن تحصوا) أى تستطيعوا الإقامة أى المخالفة للمعتاد .

(٢) (الشبوى) بفتح الشين المعجمة وبضم الباء الموحدة وكسر الواو المشددة .

والعادات^(١) . والقيام بين يدي الله تعالى على حقيقة الصدق ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم « استقيموا ولن تحصوا » وقال الواسطي الخصلة التي بها كملت المحاسن وبفقدتها قبحت المحاسن الاستقامة وحكى عن الشبلي أنه قال الاستقامة أن تشهد الوقت قياماً ويقال الاستقامة في الأقوال بترك الغيبة وفي الأفعال بنفى البدعة وفي الأعمال بنفى الفترة وفي الأحوال بنفى الحجة سمعت الأستاذ الإمام أبا بكر محمد بن الحسين بن فورك يقول السين في الاستقامة سين الطلب أى طلبوا من الحق أن يقيمهم على توحيدهم ثم على استدامة عهودهم وحفظ حدودهم (قال الأستاذ) واعلم أن الاستقامة توجب إدامة الكرامة قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴾ لم يقل سقيناهم بل قال أسقيناهم يقال أسقيته إذا جعلت له سقياً فهو يشير إلى الدوام^(٢) .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت الحسين بن أحمد يقول سمعت أبا العباس الفرغانى يقول قال الجنيد لقيت شاباً من المريدين فى البادية تحت شجرة من شجر أم غيلان فقلت ما أجلسك ههنا فقال مال افتقدته فمضيت وتركته فلما انصرفت من الحج إذا أنا بالشاب قد انتقل إلى موضع قريب من الشجرة فقلت ما جلوسك ههنا فقال وجدت ما كنت أطلبه فى هذا الموضع فلزمته قال الجنيد فلا أدري أيهما كان أشرف لزومه لافتقاده حاله أو لزومه للموضع الذى نال فيه مراده .



-
- (١) (العادات) من حظوظ النفس والقيام بين أيدي الله تعالى على حقيقة الصدق ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « استقيموا ولن تحصوا » وتقدم بيانه .
- (٢) (فهو يشير إلى الدوام) أى دوام الخير من المطر وما يترتب عليه وما قاله جارٍ على قول من فرق بين سقاه وأسقاه والمشهور أنهما بمعنى إلا أن أسقاه فيه زيادة فى حروف الكلمة ويقول أهل اللغة أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ويقال سقيته لنفسه وأسقيته لماشيته وأرضه إذا هنا فرق حسب هذا القول .

باب الإخلاص

قال الله تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ ..

(أخبرنا) على بن أحمد الأهوازي قال أخبرنا أحمد بن عبيد البصرى قال حدثنا جعفر بن محمد الفريابي قال حدثنا أبو طالوت قال حدثني هاني بن عبد الرحمن بن أبي عقبة عن إبراهيم بن أبي عبلة العقيلي قال حدثني عطية بن وشاح عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ثلاث لا يغفل (١) . عليهن قلب مسلم إخلاص العمل لله تعالى ومناصحة ولاة الأمر ولزوم جماعة المسلمين » (قال الأستاذ) والإخلاص أفراد الحق سبحانه في الطاعة بالقصد وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله سبحانه دون شيء آخر من تصنع لمخلوق أو اكتساب محمدة عند الناس أو محبة مدح من الخلق أو معنى من المعاني سوى التقرب به إلى الله تعالى ويصح أن يقال الإخلاص تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين ويصح أن يقال الإخلاص التوقي عن ملاحظة الأشخاص وقد ورد خبر مسند « أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبر عن جبريل عليه السلام عن الله سبحانه وتعالى أنه قال الإخلاص سر من سرى استودعته قلب من أحببته من عبادي ، .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول وقد سألته الإخلاص ماهو فقال سمعت على بن سعيد وأحمد بن محمد بن زكريا وقد سألتهما عن الإخلاص فقالا سمعنا على بن إبراهيم الشقيقى وقد سألتناه عن الإخلاص فقال سمعت محمد بن جعفر الخصاف وقد سألته عن الإخلاص فقال سألت أحمد بن بشار عن الإخلاص ماهو قال سألت أبا يعقوب الشريطى عن الإخلاص ماهو قال سألت أحمد بن غسان عن الإخلاص ماهو قال سألت عبد الواحد بن زيد عن الإخلاص ماهو قال سألت الحسن عن الإخلاص ماهو قال سألت حذيفة عن الإخلاص ماهو قال سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن

(١) (لا يغفل) بفتح الياء مع ضم الغين أى لا يخون ومع كسرهما أى لا يحقد .

الإخلاص ما هو قال « سألت جبريل عليه السلام عن الإخلاص ما هو قال سألت رب العزة عن الإخلاص ما هو قال سر من سرى استودعته قلب من أحببته من عبادى . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول الإخلاص التوقى عن ملاحظة الخلق^(١) . والصدق التنقى من مطالعة النفس فالمخلص لا رياء له والصادق لا إعجاب له وقال ذو النون المصرى الإخلاص لا يتم إلا بالصدق فيه والصبر عليه والصدق لا يتم إلا بالإخلاص فيه والمداومة عليه وقال أبو يعقوب السوسى متى شهدوا فى إخلاصهم الإخلاص احتاج إخلاصهم إلى إخلاص^(٢) . وقال ذو النون ثلاث من علامات الإخلاص استواء المدح والذم من العامة ونسيان رؤية الأعمال فى الأعمال ونسيان اقتضاء ثواب العمل فى الآخرة . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا عثمان المغربى يقول الإخلاص ما لا يكون للنفس فيه حظ بحال وهذا إخلاص العوام وأما إخلاص الخواص فهو ما يجرى عليهم لا بهم فتبدو منهم الطاعات وهم عنها بمعزل ولا يقع لهم عليها رؤية ولا بها اعتداد فذلك إخلاص الخواص وقال أبو بكر الدقاق نقصان كل مخلص فى إخلاصه رؤية إخلاصه فإذا أراد الله تعالى أن يخلص إخلاصه سقط عن إخلاصه رؤيته لإخلاصه فيكون مخلصاً لا مخلصاً وقال سهل لا يعرف الرياء إلا مخلص^(٣) . سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت عبد الله ابن على يقول سمعت الوجيهى يقول سمعت أبا على الروذبارى يقول قال لى رويم قال أبو سعيد الخراز رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين وقال ذو النون

(١) (عن ملاحظة الخلق) بأن لا يفرح برؤيتهم لما هو فيه من العمل ليمدحوه ويصلوه أو لئلا يستنقصوه فلا تحلية ولا تخلية .

(٢) (احتاج إخلاصهم إلى خلاص) فحق المخلص أن لا يرى إخلاصه ولا يسكن إليه فمتى خالف ذلك لم يكمل خلاصه بل سماه بعضهم رياء فقال رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين .

(٣) (لا يعرف الرياء إلا مخلص) لأن الإخلاص ضد الرياء فمن لم يشتغل به ولم يقصد تخليص عمله من الشوائب لم يسلم من الرياء لدخوله عليه وهو يشعر ومن اشتغل به اتقاه وسلم منه لمعرفته به .

الإخلاص ما حفظ من العدو أن يفسده وقال أبو عثمان الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق وقال حذيفة المرعشى الإخلاص أن تستوى أفعال العبد فى الظاهر والباطن وقيل الإخلاص ما أريد به الحق سبحانه وقصد به الصدق وقيل الإغماض عن رؤية الأعمال . سمعت محمد بن الحسين قول سمعت أبا الحسين الفارسي يقول سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت على بن عبد الحميد يقول سمعت السرى يقول من تزين للناس بما ليست فيه سقط من عين الله تعالى وسمعت يقول سمعت على بن بندار الصوفى يقول سمعت عبد الله بن محمود يقول سمعت محمد ابن عبد ربه يقول سمعت الفضيل يقول ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما وقال الجنيد الإخلاص سر بين الله وبين العبد لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيميله . وقال رويم الإخلاص من العمل هو الذى لا يريد صاحبه عليه عوضا من الدارين ولا حظا من الملكين وقيل لسهل بن عبد الله أى شىء أشد على النفس فقال الإخلاص لأنه ليس لها فيه نصيب . وسئل بعضهم عن الإخلاص فقال أن لا تشهد على عمك غير الله عز وجل .. وقال بعضهم دخلت على سهل بن عبد الله يوم الجمعة قبل الصلاة بيتا فرأيت فى البيت حية فجعلت أقدم رجلا وأؤخر أخرى فقال ادخل لا يبلغ أحد حقيقة الإيمان وعلى وجه الأرض شىء يخافه ثم قال هل لك فى صلاة الجمعة فقلت بيننا وبين المسجد مسيرة يوم وليلة فأخذ بيدي فما كان إلا قليل حتى رأيت المسجد فدخلنا وصلينا الجمعة ثم خرجنا فوقف ينظر إلى الناس وهم يخرجون فقال أهل لا إله إلا الله كثير والمخلصون منهم قليل .

(أخبرنا) حمزة بن يوسف الجرجاني قال حدثنا محمد بن محمد بن عبد الرحيم قال حدثنا أبو طالب محمد بن زكريا المقدسى قال حدثنا أبو قرصافة محمد بن عبد الوهاب العسقلانى قال حدثنا زكريا بن نافع قال حدثنا محمد بن يزيد القراطيسى عن إسماعيل بن أبى خالد عن مكحول قال ما أخلص عبد قط أربعين يوماً إلا ظهرت ينباع الحكمة من قلبه على لسانه . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن

السلمى يقول.. سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت عبد الرزاق يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول أعز شيء فى الدنيا الإخلاص وكم أجتهد فى إسقاط الرياء عن قلبى فكأنه ينبث على لون آخر وسمعت يقول سمعت النصراباذى يقول سمعت أبا الجهم يقول سمعت ابن أبى الحوارى يقول سمعت أبا سليمان يقول إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوسوس والرياء.



باب الصدق (١)

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (أخبرنا) الإمام أبو بكر محمد بن فورك رحمه الله قال أخبرنا عبد الله بن جعفر بن أحمد الأصبهانى قال حدثنا أبو بشر يونس بن حبيب قال حدثنا أبو داود الطيالسى قال حدثنا شعبة عن منصور عن أبى وائل عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « لا يزال العبد يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله تعالى صديقاً ولا يزال يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً » .

(قال الأستاذ) والصدق عماد الأمر وبه تمامه وفيه نظامه وهو تالى درجة النبوة قال الله تعالى ﴿ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ ﴾ الآية والصادق الاسم اللازم من الصدق والصديق المبالغة منه وهو الكثير الصدق الذى

(١) (الصدق) هو الحكم المطابق للواقع ويقال غير ذلك كما سيأتى ومحله اللسان والقلب والأفعال وكل منها يحتاج إلى لفظ يخصه فهو فى اللسان الإخبار عن الشيء على ما هو عليه وفى القلب العزم الأكيد وفى الأفعال إيقاعها على وجه النشاط والجِد وسببه الوثوق بخبر المتصف به وثمرته مدح الله والخلق للمتصف به .

الصدق غالبه كالسكير^(١). والخمير^(٢). وبابه وأقل الصدق استواء السر والعلانية والصادق من صدق فى أقواله والصادق من صدق فى جميع أقواله وأفعاله وأحواله وقال أحمد بن خضرويه من أراد أن يكون الله تعالى معه فليلزم الصدق فإن الله تعالى قال : ﴿إن الله مع الصادقين﴾^(٣). سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت الفرغانى يقول سمعت الجنيد يقول الصادق يتقلب فى اليوم أربعين مرة والمرأى يثبت على حالة واحدة أربعين سنة وقال أبو سليمان الدارانى لو أراد الصادق أن يصف ما فى قلبه مناطق به لسانه وقيل الصدق القول بالحق فى مواطن الهلكة وقيل الصدق موافقة السر النطق وقال القناد الصادق منع الحرام من الشدق وقال عبد الواحد بن زيد الصدق الوفاء لله عز وجل بالعمل . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت الجريرى يقول سمعت سهل بن عبد الله يقول لا يشم رائحة الصدق عبد مدامن نفسه أو غيره وقال أبو سعيد القرشى الصادق الذى يتهياً له أن يموت ولا يستحى من سره لو كشف قال الله تعالى : ﴿فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾ . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول كان أبو على الثقفى يتكلم يوماً فقال له عبد الله ابن منازل يا أبا على استعد للموت فلا بد منه فقال أبو على وأنت يا عبد الله استعد للموت فلا بد منه فتوسد عبد الله زراعه ووضع رأسه وقال قد مت فانقطع أبو على لأنه لم يمكنه أن يقابله بما فعل لأنه كان لأبى على علاقات وكان عبد الله مجرداً لاشغل له .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول كان أبو العباس الدينورى يتكلم فصاحت عجوز فى المجلس صيحة فقال لها أبو العباس موتى فقامت وخطت خطوات ثم التفتت إليه وقالت قدمت ووقعت ميتة .. وقال الواسطى الصدق صحة التوحيد مع القصد وقيل نظر عبد الواحد بن زيد إلى غلام من أصحابه قد نحل بدنه

(١) (كالسكير) الكثير السكر من شرب المسكر .

(٢) (والخمير) الكثير شرب الخمر .

(٣) (مع الصادقين) أى بالعون والحفظ لأنهم صدقوا فيه وفى القيام بحقه ومع هذا فالتلاوة إن الله مع الصابرين انظر الآية ١٥٣ من سورة البقرة .

فقال يا غلام أتديم الصوم فقال ولا أديم الإفطار فقال أتديم القيام بالليل فقال ولا أديم النوم فقال ما الذى أنحكك فقال هوى دائم وكتمان دائم عليه فقال عبد الواحد اسكت فما أجراك فقام الغلام وخطى خطوتين وقال إلهى إن كنت صادقاً فخذنى فخر ميتاً .. وحكى عن أبى عمرو الزجاجى أنه قال ماتت أمى فورثت منها داراً فبعتها بخمسين ديناراً وخرجت إلى الحج فلما بلغت بابل استقبلنى واحد من القناقرة^(١) . وقال إيش معك فقلت فى نفسى الصدق خير ثم قلت خمسون ديناراً فقال ناولنيها فناولته الصرة فعدها فإذا هى خمسون ديناراً فقال خذها فلقد أخذنى صدقك ثم نزل عن الدابة وقال اركبها فقلت لا أريد فقال لا بد وألح على فركبتها فقال وأنا على إثرك فلما كان للعام المستقبل لحق بى ولازمنى حتى مات . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت جعفر الخواص يقول سمعت إبراهيم الخواص يقول الصادق لا تراه إلا فى فرض يؤديه أو فضل يعمل لربه فيه وسمعت يقول سمعت أبا الحسين بن مقسم يقول سمعت جعفر الخواص يقول سمعت الجنيد يقول حقيقة الصدق أن تصدق فى مواطن لا ينجيك منها إلا الكذب وقيل ثلاثة لا تخطئ الصادق^(٢) الحلاوة^(٣) والهيبة^(٤) والملاحه^(٥) وقيل أوحى الله إلى داود عليه السلام يادود من صدقنى^(٦) . فى سريره صدقته عند المخلوقين فى علانيته .. (وقيل) دخل إبراهيم ابن دوحه مع إبراهيم بن ستنبة البادية فقال إبراهيم بن ستنبة اطرح ما معك من

(١) (القناقرة) جمع قنقن وهو الدليل الهادى .

(٢) (لاتخطئ الصادق) أى لا تتجاوز به إلى غيره كما جرت عادة الله تعالى به .

(٣) (الحلاوة) فى منطق لإتيانه بالحق فى رفق وسهولة .

(٤) (والهيبة) أى الحرمة له على الدوام توقفه عما يكرهه مولاه وإنكاره المنكر ولو كان فاعله إياه .

(٥) (والملاحه) له لضيء الطاعة على وجهه وقد قيل من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار .

(٦) (من صدقنى .. إلخ) لخبر من أسرَّ سريرة ألبسه الله رداءها والغالب على من يعمر باطنه بالصدق والإخلاص أن تجرى حركته وسكناته على حسب ما فى قلبه فيظهر الصدق فى أحواله وأفعاله والظاهر عنوان الباطن .

العلائق قال فطرحته كل شيء إلا دينارا فقال يا إبراهيم لا تشغل سرى اطرح ما معك من العلائق قال فطرحته الدينار ثم قال يا إبراهيم اطرح ما معك من العلائق فتذكرت أن معي شسوعا للنعل فطرحتها فما احتجت في الطريق إلى شسع إلا وجدته بين يدي فقال إبراهيم بن ستنبة هكذا من عامل الله تعالى بالصدق وقال ذو النون الصدق سيف الله ما وضع على شيء إلا قطعه وقال سهل بن عبد الله أول خيانة الصديقين حديثهم مع أنفسهم . وسئل فتح الموصلي عن الصدق فأدخل يده في كير الحديد وأخرج الحديد المحماة ووضعها على كفه وقال هذا هو الصدق وقال يوسف بن أسباط لأن أبيت ليلة أعامل الله تعالى بالصدق أحب إلى من أن أضرب بسيفي في سبيل الله تعالى .. سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول الصدق أن تكون مع الناس كما يرى من نفسك أو ترى أن من نفسك كما تكون . وسئل الحارث المحاسبي عن علامة الصدق فقال الصادق هو الذي لا يبالي لو خرج على قدر له في قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه ولا يحب اطلاع الناس على مثاقيل الذر من حسن عمله ولا يكره أن يطلع الناس على السئ من عمله فإن كراهته لذلك دليل على أنه يحب الزيادة عندهم وليس هذا من أخلاق الصديقين وقال بعضهم من لم يؤد الفرض الدائم لا يقبل منه الفرض المؤقت قيل ما الفرض الدائم قال الصدق وقيل إذا طلبت الله بالصدق أعطاك مرآة تبصر فيها كل شيء من عجائب الدنيا والآخرة وقيل عليك بالصدق حيث تخاف أن يضرك فإنه ينفعك ودع الكذب حيث ترى أنه ينفعك فإنه يضرك وقيل كل شيء شيء ومصادقة الكذاب لا شيء وقيل علامة الكذاب جوده باليمين بغير مستحلف وقال ابن سيرين الكلام أوسع من أن يكذب ظريف وقيل ما أملك تاجر صدوق .



باب الحياء (١)

قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾ ..

(أخبرنا) أبو بكر محمد بن أحمد عبدوس الحيرى المزكى قال أخبرنا أبو سهل أحمد بن زياد النحوى ببغداد قال حدثنا إبراهيم بن محمد بن الهيثم قال حدثنا موسى بن حيان قال حدثنا المقدسى عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « الحياء من الإيمان » ..

(أخبرنا) أبو سعيد محمد بن إبراهيم الإسماعيلي قال حدثنا أبو عثمان ابن عمرو بن عبد الله البصرى قال حدثنا أبو أحمد محمد بن عبد الوهاب قال حدثنا يعلى بن عبيد قال حدثنا أبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد عن مرة الهمداني عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ذات يوم لأصحابه « استحيوا من الله حق الحياء قالوا إنا نستحي يا نبي الله والحمد لله قال ليس ذلك ولكن من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى وليحفظ البطن وما حوى وليذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا فممن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء » .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول أخبرنا أبو نصر الوزير قال حدثنا محمد بن عبد الله بن محمد قال حدثنا الغلابى قال حدثنا محمد ابن مخلد عن أبيه قال قال بعض الحكماء أحيوا الحياء (٢) . بمجالسة من يستحيا منه

(١) (الحياء) هو ما يمنعك عما يضرك ويقال تعظيم يمنع من الانبساط ويقال غير ذلك كما سيأتى وسببه ملازمة من يستحيا منه كأهل العلم والأدب وثمرته الأمن من المقت والعذاب وخفة الحساب وعدم الدعوى وكثرة الثواب ويكفى فى ذلك خبر الحياء لا يأتى إلا بخير وهو ممدوح ومطلوب والحياء علامة من علامات الإيمان .

(٢) (أحيوا الحياء .. إلخ) واحذروا أن يمازجه رياء كأن يمر بأخيه وهو محتاج إلى من يساعده فى شغل له فيقف ليساعده حياء لحسن خلقه ثم يعزم على المضى فيقول له الشيطان الآن يذمك فى كونك لم تثبت معه حتى يفرغ من شغله فيساعده رياء بعد أن كان حياء .

وسمعتة يقول سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت ابن عطاء يقول العلم الأكبر الهيبة والحياء فإذا ذهبت الهيبة والحياء لم يبق فيها خير وسمعتة يقول سمعت أبا الفرج الورثاني يقول سمعت محمد بن أحمد بن يعقوب يقول حدثني محمد بن عبد الملك قال سمعت ذا النون المصري يقول الحياء وجود الهيبة في القلب مع وحشة ما سبق منك إلى ربك تعالى وقال ذو النون الحب ينطق والحياء يسكت والخوف يقلق وقال أبو عثمان من تكلم في الحياء ولا يستحي من الله عز وجل فيما يتكلم به فهو مستدرج .

سمعت أبا بكر بن شقيب يقول دخل الحسن الحداد على عبد الله بن منازل فقال من أين تجيء فقال من مجلس أبي القاسم المذكر فقال في ماذا كان يتكلم فقال في الحياء فقال عبد الله وأعجابه من لم يستح من الله تعالى كيف يتكلم في الحياء .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول سمعت أحمد بن صالح يقول سمعت محمد بن عبدون يقول سمعت أبا العباس المؤدب يقول قال السرى إن الحياء والأنس يطرقان القلب فإن وجدا فيه الزهد والورع حطا وإلا رحلا وسمعتة يقول سمعت محمد ابن عبد الله بن شاذان يقول سمعت الجريري يقول تعامل القرن الأول من الناس فيما بينهم بالدين حتى رق الدين ثم تعامل القرن الثاني بالوفاء حتى ذهب الوفاء ثم تعامل القرن الثالث بالمروءة حتى ذهبت المروءة ثم تعامل القرن الرابع بالحياء حتى ذهب الحياء ثم صار الناس يتعاملون بالمرغبة والرغبة وقيل في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ البرهان أنها ألفت ثوباً على وجه صنم في زاوية البيت فقال يوسف ماذا تفعلين فقالت أستحيى منه قال يوسف عليه السلام أنا أولى منك أن أستحيى من الله تعالى وقيل في قوله تعالى : ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ﴾ قيل إنما استحييت منه لأنها كانت تدعوه إلى الضيافة فاستحييت أن لا يجيب موسى عليه فصفا المضيف الاستحياء وذلك استحياء الكرم ، سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن الحسين يقول سمعت أبا محمد البلاذرى يقول سمعت أبا عبد الله العمرى يقول سمعت أحمد بن أبى الحوارى يقول سمعت أبا سليمان الدارانى يقول قال الله تعالى : عبدى إنك ما استحييت^(١) . منى

(١) (ما استحييت) ما مصدرية ظرفية أى مدة استحيائك .

أنسيت الناس عيوبك^(١) وأنسيت بقاع^(٢) الأرض ذنوبك ومحوت من أم الكتاب^(٣) .
 زلاتك^(٤) . ولا أناقشك الحساب يوم القيامة ، وقيل روى رجل يصلى خارج المسجد
 فقيل له لم لا تدخل المسجد فتصلى فيه فقال أستحيى منه أن أدخل بيته^(٥) . وقد
 عصيته وقيل من علامات المستحي أن لا يرى بموضع يستحيا منه وقال بعضهم
 خرجنا ليلة فمررنا بأجمة فإذا رجل نائم وفرس عند رأسه ترعى فحركناه وقلنا له ألا
 تخاف أن تنام فى مثل هذا الموضع المخوف وهو مسبع فرفع رأسه وقال وأنا أستحيى
 منه أن أخاف غيره ووضع رأسه ونام^(٦) . وأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام
 عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستح منى أن تعظ الناس وقيل الحياء على
 وجوه حياء الجناية^(٧) . كآدم عليه السلام لما قيل له أفراراً منا فقال لا بل حياء منك
 وحياء التقصير كالملائكة يقولون سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وحياء الإجلال
 كإسرافيل عليه السلام تسربل بجناحه حياء من الله عز وجل وحياء الكرم كالنبي صلى
 الله عليه وآله وسلم كان يستحي من أمته أن يقول اخرجوا فقال الله عز وجل : «وَلَا
 مُسْتَنْسِينَ حَدِيثٍ» وحياء حشمة^(٨) . كعلى رضى الله تعالى عنه حين سأل المقداد
 ابن الأسود حتى سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن حكم المذى لمكان فاطمة
 رضى الله تعالى عنهما وحياء الاستحقار كموسى عليه السلام قال إنى لتعرض لى
 الحاجة من الدنيا فأستحيى أن أسألك يارب فقال الله عز وجل سلنى حتى ملح عجبك
 وعلف شاتك وحياء الإنعام هو حياء الرب سبحانه يدفع إلى العبد كتاباً مختوماً بعدما

(١) (أنسيت الناس عيوبك) فسترتك لئلا يفضحوك .

(٢) (وأنسيت بقاع . إلخ) لئلا تشهد عليك يوم القيامة فهناك أشياء كثيرة تشهد على الخلق
 يوم القيامة .

(٣) (أم الكتاب) أى أصله وهو اللوح المحفوظ .

(٤) (زلاتك) ولم أطلع عليها أحداً من خلقى .

(٥) (أن أدخل بيته . إلخ) لأن العادة أن من كمل حياؤه من غيره لم يقرب له موضعاً

(٦) (ونام) فيه دلالة على كمال حيائه من ربه حيث لم يخامر قلبه خوف من غيره حتى
 من الأماكن التى يخشى منها الأذية .

(٧) (الجناية) بالإخلال بالأمر والنهى .

(٨) (وحياء حشمة) هو قد يرجع إلى إحياء الإجلال .

عبر الصراط وإذا فيه فعلت ما فعلت ولقد استحييت أن أظهره عليك فإني قد غفرت لك . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول في هذا الخبر إن يحيى بن معاذ قال سبحان من يذنب العبد فيستحي هو منه . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن أحمد بن جعفر يقول سمعت زنجويه اللباد يقول سمعت على بن الحسين الهلالى يقول سمعت إبراهيم بن الأشعث يقول سمعت الفضيل بن عياض يقول خمس من علامات الشقاء القسوة فى القلب وجمود العين وقلة الحياء والرغبة فى الدنيا وطول الأمل وفى بعض الكتب ما أنصفتى عبدى يدعونى فأستحي أن أردّه ويعصينى فلا يستحي منى وقال يحيى بن معاذ من استحيا من الله مطيعاً استحيا الله تعالى منه وهو مذنب ، قال الأستاذ واعلم أن الحياء يوجب التذويب فيقال الحياء ذوبان الحشا لاطلاع المولى ويقال الحياء انقباض القلب لتعظيم الرب وقيل إذا جلس الرجل ليعظ الناس ناداه ملكاه عظ نفسك بما تعظ به أخاك وإلا فاستحي من سيدك فإنه يراك وسئل الجنيد عن الحياء فقال رؤية الآلاء ورؤية التقصير فيتولد من بينهما حالة تسمى الحياء وقال الواسطى لم يذق لذعات الحياء من لابس خرق حد أو نقض عهد وقال الواسطى أيضاً المستحي يسيل منه العرق وهو الفضل الذى فيه وما دام فى النفس شيء فهو مصروف عن الحياء .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول الحياء ترك الدعوى بين يدي الله عز وجل سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت أبا العباس بن الوليد الزوزنى يقول سمعت محمد بن أحمد الجوزجاني يقول سمعت أبا بكر الوراق يقول ربما أصلى لله تعالى ركعتين فأنصرف عنهما وأنا بمنزلة من ينصرف عن السرقة عن الحياء .



باب الحرية (١)

قال الله عز وجل : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾
قال إنما آثروا على أنفسهم لتجردهم عما خرجوا منه (٢) وآثروا به (٣).

(أخبرنا) على بن أحمد الأهوازي قال أخبرنا أحمد بن عبيد البصري
قال حدثنا ابن أبي قماش قال حدثنا محمد بن صالح بن النطاح قال حدثنا نعيم بن
مورع بن توبة عن إسماعيل المكي عن عمرو بن دينار عن طاووس عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « إنما يكفي أحدكم ما قنعت به نفسه وإنما
يصير إلى أربعة أذرع وشبر (٤) . وإنما يرجع الأمر إلى آخره ، قال الأستاذ الحرية أن
لا يكون العبد تحت رق المخلوقات ولا يجرى عليه سلطان المكونات وعلامة صحته
سقوط التمييز عن قلبه بين الأشياء فيتساوى عنده أخطار الأعراض ، قال حارثة رضى
الله تعالى عنه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عزفت (٥) . نفسى عن الدنيا
فاستوى عندى حجرها وذهبها (٦) .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله تعالى
يقول من دخل الدنيا وهو عنها حر ارتحل إلى الآخرة وهو عنها حر .. سمعت محمد

(١) (الحرية) هى كما سيأتى أن لا يكون العبد تحت رق المخلوقات ويقال الإغراض عن
الكل والإقبال على الله تعالى ، من له الكل ويقال إن لا يدخل قلبك سوى الله وكلها متقاربة
وهى ممدوحة ومطلوبة .

(٢) (عما خرجوا منه) أى من الدنيا .

(٣) (وآثروا به) غيرهم .

(٤) (إلى أربعة أذرع وشبر) أى إلى قبر عمقه ذلك .

(٥) (عزفت) بالزاي المنقوطة أى زهدت .

(٦) (فاستوى عندى حجرها وذهبها) ويكفى فى الزهد عنها خبر تعس عبد الدينار
والدرهم والخميصة فمن تحرز عن رقتها شغلا بربه وإعراضاً عنها فهو الحر عن غير الله
والعبد فى الحقيقة لله .

ابن الحسين يقول سمعت أبا محمد المراغى يحكى عن الرقى عن الدقاق أنه كان يقول من كان فى الدنيا حراً منها كان فى الآخرة حراً منها قال الأستاذ واعلم أن حقيقة الحرية فى كمال العبودية فإذا صدقت لله تعالى عبوديته خلصت عن رق الأغيار حرية فأمّا من توهم أن العبد يسلم له أن يخلع وقتاً عذار العبودية ويحيد بلحظة عن حد الأمر والنهى وهو مميز فى دار التكليف فذلك إنسلاخ من الدين قال الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ يعنى الأجل وعليه أجمع المفسرون وأن الذى أشار إليه القوم من الحرية أن لا يكون العبد بقلبه تحت رق شىء من الخلوقات لا من أعراض الدنيا ولا من أعراض الآخرة فيكون فردا الفرد لم يسترقه عاجل دنيا ولا حاصل هوى ولا أجل منى ولا سؤال ولا قصد ولا أرب ولا حظ وقيل للشبلى ألا تعلم أنه تعالى رحمن فقال بلى ولكن منذ عرفت رحمته ما سألته أن يرحمنى ومقام الحرية عزيز .. سمعت الشيخ أبا على رحمه الله تعالى يقول كان أبو العباس اليسارى يقول لو صحت صلاة بغير قرآن لصحت بهذا البيت :

أتمنى على الزمان محالا أن ترى مقتلأى طلعة حر

أما أقاويل المشايخ فى الحرية فقال الحسين بن منصور من أراد الحرية فليصل العبودية وسئل الجنيد عن لم يبق عليه من الدنيا إلا مقدار مص نواة فقال المكاتب عبد ما بقى عليه درهم . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا عمر الأنماطى يقول سمعت الجنيد يقول إنك لا تصل إلى صريح الحرية عليك من حقيقة عبوديته بقية وقال بشر الحافى من أراد أن يذوق طعم الحرية ويستريح من العبودية فليظهر السريرة بينه وبين الله تعالى وقال الحسين ابن منصور إذا استوفى العبد مقامات العبودية كلها يصير حرا من تعب العبودية فيترسم بالعبودية بلا عناء ولا كلفة وذلك مقام الأنبياء والصديقين يعنى يصير محمولا لا يلحقه بقلبه مشقة وإن كان متحلياً بها شرعاً أنشدنا الشيخ أبو عبد الرحمن قال أنشدنا أبو بكر الرازى قال أنشدنى منصور الفقيه لنفسه :

ما بقى فى الإنس حر لا ولا فى الجن حر
قد مضى حر الفريقين فحلوا العيش مر

واعلم أن معظم الحرية فى خدمة الفقراء . سمعت الشيخ أبا على الدقاق يقول أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام إذا رأيت لى طالباً فكن له خادماً وقال صلى الله عليه وآله وسلم « سيد القوم خادمهم » . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن إبراهيم بن الفضل يقول سمعت محمد بن الرومى يقول سمعت يحيى بن معاذ يقول أبناء الدنيا تخدمهم الإماء والعبيد وأبناء الآخرة تخدمهم الأحرار والأبرار وسمعته يقول سمعت عبد الله بن عثمان بن يحيى يقول سمعت على بن محمد المصرى يقول سمعت يوسف بن موسى يقول سمعت ابن خبيق يقول سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت إبراهيم بن أدهم يقول إن الحر الكريم يخرج من الدنيا قبل أن يخرج منها ^(١) . وقال إبراهيم بن أدهم لا تصحب إلا حراً كريماً يسمع ولا يتكلم ^(٢) .



باب الذكر

قال الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ ..
(أخبرنا) أبو الحسين على بن محمد بن عبد الله بن بشرى ببغداد قال أخبرنا

(١) (قبل أن يخرج منها) عبارة عن المال والجاه وما يتبعهما فإن زهد فيها خلص من ضررها وخرج عنها وإن أقام معها وأحبها أخرج منها قهراً ما بالزوال أو بالموت الأول أشرف من الأخير .

(٢) (ولا يتكلم) أى يحمل الأذى ولا يكافئ عليه ولا يحقد ليجازى فى وقت آخر هذا كله مدح لمن حسنت أخلاقه وتحرز عن رق الشهوات .

أبو على الحسين بن صفوان البرعى قال حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا قال حدثنا هارون ابن معروف قال حدثنا أنس بن عياض قال حدثنا عبد الله بن سعيد بن أبي هند عن زياد بن أبي زياد عن أبي بحرية عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم (١) . وأرفعها في درجاتكم وخير من إعطاء الذهب والورق وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا ماذا يا رسول الله قال ذكر الله تعالى .. »

(أخبرنا) أبو نعيم عبد الملك بن الحسن قال حدثنا يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم قال حدثنا الديري عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لا تقوم الساعة على أحد يقول الله الله .. »

(أخبرنا) علي بن أحمد بن عبدان قال حدثنا أحمد بن عبيد قال حدثنا معاذ قال حدثنا أبي قال حدثنا حميد عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله .. » قال الأستاذ الذكر ركن قوى في طريق الحق سبحانه وتعالى بل هو العمدة في هذا الطريق ولا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بدوام الذكر والذكر على ضربين ذكر اللسان وذكر القلب (٢) . فذكر اللسان به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب والتأثير لذكر القلب فإذا كان العبد ذاكرةً بلسانه وقلبه فهو الكامل في وصفه في حال سلوكه .. سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول الذكر منشور الولاية فمن وفق للذكر فقد أعطى المنشور ومن سلب الذكر فقد عزل وقيل إن الشبلى كان في ابتداء أمره ينزل كل يوم سرياً ويحمل مع نفسه حزمة من القضببان فكان إذا دخل قلبه غفلة ضرب نفسه بتلك الخشب حتى يكسرها على نفسه فربما كانت الحزمة تفنى قبل أن يمسي فكان يضرب بيديه ورجليه على

(١) (مليكم) ملككم .

(٢) (ذكر اللسان وذكر القلب) فإن اقتصر على أحدهما فالثاني أفضل ثم لا ينبغي أن يترك الذكر باللسان مع القلب خوفاً من أن يظن به الرياء بل يذكر بهما جميعاً ويقصد وجه الله لا غير .

الحائط وقيل ذكر الله بالقلب سيف المريرين به يقاتلون أعداءهم وبه يدافعون الآفات التي تقصدهم وإن البلاء إذا أظلم العبد فإذا فزع بقلبه إلى الله تعالى يحيد عنه في الحال كل ما يكرهه ، وسئل الواسطي عن الذكر فقال الخروج من ميدان الغفلة إلى فضاء المشاهدة على غلبة الخوف وشدة الحب له . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت بعبد الله بن الحسين يقول سمعت أبا محمد البلاذري يقول سمعت عبد الرحمن بن بكر يقول سمعت ذا النون المصري يقول من ذكر الله تعالفاً ذكرنا على الحقيقة^(١) . نسي في جنب ذكره كل شيء وحفظ الله تعالى عليه كل شيء وكان له عوضاً عن كل شيء^(٢) . وسمعته يقول سمعت عبد الله المعلم يقول سمعت أحمد المسجدي يقول سئل أبو عثمان فقيلاً له نحن نذكر الله تعالى ولا نجد في قلوبنا حلاوة فقال احمداً الله تعالى على أن زين جارحة من جوارحك بطاعته^(٣) . وفي الخبر المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها فقيلاً له وما رياض الجنة فقال مجالس الذكر » .

(أخبرنا) أبو الحسن علي بن بشران ببغداد قال حدثنا أبو علي بن صفوان قال حدثنا الحسين بن أبي الدنيا قال حدثنا الهيثم بن خارجة قال حدثنا إسماعيل بن عياش عن عمر بن عبد الله أن خالد بن عبد الله بن صفوان أخبره عن جابر بن عبد الله قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال « يا أيها الناس ارتعوا في رياض الجنة قلنا يا رسول الله ما رياض الجنة قال مجالس الذكر قال اغدوا وروحوا واذكروا من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله تعالى فلينظر كيف منزلة الله تعالى عنده فإن الله تعالى ينزل العبد منه حيث أنزله من

(١) (على الحقيقة) أي الذكر الكامل وهو الاستغراق التام في المذكور .

(٢) (كل شيء) حتى كونه ذاكرة .

(٣) (بطاعته) أي بالذكر فإذا شكرتموه على ذلك نقلكم إلى ما هو أعلى في درجات الذكر وهو وجود اللذة به إلى ما هو أرفع من ثم وجودها وهذا إرشاد بالغ ، وفاء بقوله تعالى : ﴿ لَنْ شُكِّرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾

نفسه^(١) . وسمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمدا الفراء يقول سمعت الشبلى يقول أليس الله تعالى يقول أنا جليس من ذكرنى ما الذى استفدتم من مجالسة الحق سبحانه . وسمعت يقول سمعت عبد الله بن موسى السلامى يقول سمعت الشبلى ينشد فى مجلسه :

ذكرتك لا أنى نسيك لحظة وأيسر ما فى الذكر ذكر اللسان
وكدت بلا وجد أموت من الهوى وهام على القلب بالخفقان
فلما أرانى الوجد أنك حاضرى شهدتك موجوداً بكل مكان
فخاطبت موجوداً بغير تكلم ولاحظت معلوماً بغير عيان

ومن خصائص الذكر أنه غير مؤقت بل ما من وقت من الأوقات إلا والعبد مأمور بأن يذكر الله تعالى إما فرضاً وإما ندباً والصلاة وإن كانت أشرف العبادات فقد لا تجوز فى بعض الأوقات والذكر بالقلب مستدام فى عموم الحالات . قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ . سمعت الإمام أبا بكر بن فورك رحمه الله يقول قِيَامًا بحق الذكر وقُعُودًا عن الدعوى فيه . وسمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يسأل الأستاذ أبا على الدقاق قال الذكر أتم أم الفكر فقال الأستاذ أبو على ما الذى يقول للشيخ فيه فقال للشيخ أبو عبد الرحمن عندى الذكر أتم من الفكر لأن الحق سبحانه يوصف بالذكر ولا يوصف بالفكر وما وصف به الحق سبحانه أتم مما اختص به الخلق فاستحسنه الأستاذ أبو على رحمه الله تعالى .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت الكتانى يقول لولا أن ذكره فرض على لما ذكرته إجلالا له مثلى يذكره ولم يغسل فمه بألف

(١) (حيث أنزله من نفسه) قال تعالى ﴿ اذكرونى أكرم ﴾ وقال ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ والكل من فضله وفى صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم

توبة متقبلة عن ذكره . وسمعت الأستاذ أبا علي رحمه الله ينشد لبعضهم :

ما إن ذكرتك إلا هم يزجرني قلبي وسرى وروحي عند ذكراكا
حتى كأن رقيباً منك يهتف بي إياك ويحك والتذكّار إياك

ومن خصائص الذكر أنه جعل في مقابلة الذكر قال الله تعالى: ﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ وفي خبر « أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الله تعالى يقول أعطيت أمّتك ما لم أعط من الأمم فقال وماذاك يا جبريل فقال قوله تعالى ﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ لم يقل هذا لأحد غير هذه الأمة ، وقيل إن الملك يستأمر الذاكر في قبض روحه . وفي بعض الكتب أن موسى عليه السلام قال يارب أين تسكن^(١) . فأوحى الله تعالى في قلب عبدي المؤمن ومعناه سكون الذكر في القلب فإن الحق سبحانه وتعالى منزّه عن كل سكون وحلول وإنما هو إثبات ذكر وتحصيل . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد عبد الله بن علي يقول سمعت فارساً يقول سمعت الثوري يقول سمعت ذا النون المصري قد سأله عن الذكر فقال غيبة الذاكر عن الذاكر ثم أنشد يقول :

لا لأنى أنساك أكثر ذكرا لك ولكن بذاك يجرى لسانى^(٢)

وقال سهل بن عبد الله ما من يوم إلا والجليل سبحانه ينادى عبدي ما أنصفتني أذكرك وتنساني وأدعوك إلى وتذهب إلى غيرى وأذهب عنك البلايا وأنت معتكف على الخطايا يا ابن آدم ماتقول غدا إذا جئتني . وقال سليمان الداراني إن في الجنة قيعاناً فإذا أخذ الذاكر في الذكر أخذت الملائكة في غرس الأشجار فيها فربما

= = الله فيمن عنده صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) (أين تسكن) أى يسكن ذكرك فحذف المضاد .

(٢) (يجرى لسانى) أى لم يحملنى على كثرة الذكر بلسانى زوال غفلتى ونسيانى لك عن قلبى بل أنا ذاكرتك بقلبي بكل حال ولكل امتلاء قلبي بك جرى ذكرك على لسانى فإن من الطبيعى أن من أحب شيئاً أكثر من ذكره .

يقف بعض الملائكة فيقال له لم وقفت فيقول فتر صاحبي^(١) وقال الحسن تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء في الصلاة والذكر وقراءة القرآن فإن وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مغلق وقال حامد الأسود كنت مع إبراهيم الخواص في سفر فجننا إلى موضع فيه حيات كثيرة فوضع ركوته وجلس وجلست فلما كان برد الليل وبرد الهواء خرجت الحيات فصحت بالشيخ فقال اذكر الله تعالى فذكرت فرجعت ثم عادت فصحت به فقال مثل ذلك فلم أزل إلى الصباح في مثل تلك الحالة فلما أصبحنا قام ومشى ومشيت معه فسقطت من وطائه حية عظيمة وقد تطوقت به فقلت ما أحسست بها فقال لا منذ زمان ما بت ليلة أطيب من البارحة وقال أبو عثمان من لم يذق وحشة الغفلة لم يجد طعم أنس الذكر . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الرحمن بن عبد الله الذبياني يقول سمعت الجريري يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السري يقول مكتوب في بعض الكتب التي أنزلها الله تعالى إذا كان الغالب على عبدى ذكرى عشقنى وعشقته وبأسناده أنه أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام بى فافرحوا وبذكرى فتنعموا وقال الثورى لكل شيء عقوبة وعقوبة العارف بالله انقطاعه عن الذكر وفى الإنجيل اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب وارض بنصرتى لك فإن نصرتى لك خير لك من نصرتك لنفسك وقيل لراهب أنت صائم فقال صائم بذكره فإذا ذكرت غيره أفطرت وقيل إذا تمكن الذكر من القلب فإن دنا منه الشيطان صرع كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان فتجتمع عليه الشياطين فيقولون ما لهذا فيقال قد مسه الإنس وقال سهل ما أعرف معصية أقبح من نسيان الرب تعالى وقيل الذكر الخفى لا يرفعه الملك لأنه لا اطلاع له عليه فهو سر بين العبد وبين الله عز وجل وقال بعضهم وصف لى ذاكر فى أجمة فأتيته فبينما هو جالس إذا سبع عظيم ضربه ضربة

(١) (فتر صاحبي) عن العمل فجوزى بذلك لقوله تعالى : ﴿ إنما تجزون ما كنتم تعملون ﴾ ولخبر ، إنما هى أعمالكم ترد عليكم ، وهؤلاء الملائكة يحتمل أنهم يطلعون على أعمال العباد ويحتمل أن تكون الملائكة الموكلون بالعباد ينقلون إليهم أحوالهم والله أعلم أى الحاليين يكون .

واستلب منه قطعة فغشى عليه وعلى فلما أفاق قلت ما هذا فقال قبيض الله هذا السبع على فكلما دخلتني فترة عضنى عضه كما رأيت سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يقول السلمى سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت الجريري يقول كان بين أصحابنا رجل يكثر أن يقول الله الله فوقه يوماً على رأسه جذع فانشح رأسه وسقط الدم فاكتتب على الأرض الله الله ..



باب الفتوة

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ .

(قال الأستاذ) أصل الفتوة أن يكون العبد ساعياً أبداً في أمر غيره قال صلى الله عليه وآله وسلم « لا يزال الله تعالى في حاجة العبد مادام العبد في حاجة أخيه المسلم » ..

(أخبرنا) به على بن أحمد بن عبدان قال أخبرنا أحمد بن عبيد قال حدثنا إسماعيل بن الفضل قال حدثنا به يعقوب بن حميد بن كاسب قال حدثنا به ابن أبي حازم عن عبد الله بن عامر الأسلمى عن عبد الرحمن هرمز الأعرج عن أبي هريرة عن زيد بن ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « لا يزال الله تعالى في حاجة العبد مادام العبد في حاجة أخيه المسلم » .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول هذا الخلق لا يكون كماله إلا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإن كل أحد في القيامة يقول نفسى نفسى وهو صلى الله عليه وآله وسلم يقول أمتى أمتى .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا جعفر الفرغانى يقول سمعت الجنيد يقول الفتوة بالشام واللسان بالعراق والصدق بخراسان .. وسمعت يقول سمعت عبد الله بن محمد الرازى يقول سمعت محمد بن نصر بن منصور الصائغ يقول سمعت ابن مردويه الصائغ يقول سمعت الفضيل يقول

الفتوة الصفح عن عثرات الإخوان وقيل الفتوة أن لا ترى لنفسك فضلا على غيرك وقال أبو بكر الوراق الفتى من لا خصم له .. وقال محمد بن على الترمذى الفتوة أن تكون خصما لربك على نفسك ويقال الفتى من لا يكون خصما لأحد سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول سمعت النصراباذى يقول سُمى أصحاب الكهف^(١) فتية لأنهم آمنوا بالله تعالى بلا واسطة وقيل الفتى من كسر الصنم قال الله تعالى ﴿ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾ وقال تعالى : ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُودًا ﴾ وصنم كل إنسان نفسه فمن خالف هواه فهو فتى على الحقيقة وقال الحارث سبى الفتوة أن تنصف وتنتصف وقال عمرو بن عثمان المكى الفتوة حسن الخلق^(٢) وسئل الجنيد عن الفتوة فقال أن لا تنافر فقيرا ولا تعارض غنيا وقال النصراباذى المروءة شعبة من الفتوة وهو الإعراض عن الكونين والأنفة^(٣) منهما وقال محمد بن على الترمذى الفتوة أن يستوى عندك المقيم والطارئ .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت على بن عمر الحافظ يقول سمعت أبا سهل بن زياد يقول سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول سئل أبى ما الفتوة فقال ترك ما تهوى لما تخشى وقيل لبعضهم ما الفتوة فقال أن لا يميز بين أن يأكل عنده ولى أو كافر . سمعت بعض العلماء يقول استضاف مجوسى إبراهيم الخليل عليه السلام فقال بشرط أن تسلم فمر المجوسى فأوحى الله تعالى إليه منذ خمسين سنة نطعمه على كفره فلو ناولته لقمة من غير أن تطالبه بتغيير دينه فمضى إبراهيم عليه السلام على أثره حتى أدركه واعتذر إليه فسأله عن السبب فذكر ذلك له فأسلم المجوسى وقال الجنيد الفتوة كف الأذى وبذل الندى وقال سهل بن عبد الله الفتوة اتباع السنة وقيل الفتوة الوفاء والحفاظ^(٤) . وقيل الفتوة فضيلة تأتيها ولا

(١) (سمى أصحاب الكهف .. إلخ) وقيل لكونهم فتيانا فارقوا أهلهم وخرجوا إلى ربهم فارين إليه معرضين عن حظوظهم الدنيوية فمدحوا بكونهم تركوها لله ولذلك خرقت لهم العادة لكونهم أولياء لله تعالى فلبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا ولم يتغير لهم حال .

(٢) (حسن الخلق) لاشتماله على جميع الصفات الحميدة .

(٣) (والأنفة) أى الاستنكاف .

(٤) (والحفاظ) أى وحفظك الحدود بأن لا تتعدها ولا تتجاوزها .

ترى نفسك فيها وقيل الفتوة أن لا تهرب إذا أقبل السائل وقيل أن لا تحتجب من القاصدين وقيل أن لا تدخر ولا تعتذر وقيل إظهار النعمة وإسرار المحنة وقيل أن تدعو عشرة أنفس^(١). فلا تتغير إن جاء تسعة أو أحد عشر وقيل الفتوة ترك التمييز^(٢). سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول قال أحمد بن خضرويه لا مرأته أم على أريد أن أتخذ دعوة أدعو عيارا شاطرا كان في بلدهم رأس الفتيان فقالت امرأته إنك لا تهتدى إلى دعوة الفتيان فقال لا بد فقالت إن فعلت فاذبح الأغنام والبقر والحرر وألقها من باب دار الرجل إلى باب دارك فقال أما الأغنام والبقر فأعلم فما بال الحرر فقالت تدعوفتي إلى دارك فلا أقل من أن يكون لكلاهما المحلة خير وقيل اتخذ بعضهم دعوة وفيهم شيخ شيرازي فلما أكلوا وقع عليهم النوم في حال السماع فقال الشيخ الشيرازي لصاحب الدعوة إيش السبب في نومنا فقال لا أدري اجتهدت في جميع ما أطعمتكم إلا الباذنجان فلم أسأل عنه فلما أصبحوا سألو ببيع الباذنجان فقال لم يكن لى شيء فسرقت الباذنجان من الموضع الفلاني فبعته فحملوه إلى صاحب الأرض ليجعله في حل فقال تسألون منى ألف باذنجان قد وهبته تلك الأرض وهبته ثورين وحمارا وآلة الحرث لئلا يعود إلى مثل ما فعل . وقيل تزوج رجل بامرأة فقبل الدخول ظهر بالمرأة الجدرى فقال الرجل اشتكت عيني ثم قال عميت فزفت إليه المرأة ثم ماتت بعد عشرين سنة ففتح الرجل عينيه فقيل له ذلك فقال لم أعم ولكن تعاميت حذار أن تحزن فقيل له سبقت الفتيان وقال ذو النون المصري من أراد الظرف فعليه بسقاء الماء ببغداد فقيل له كيف هو فقال لما حملت إلى الخليفة فيما نسب إلى من الزندقة رأيت سقاء عليه عمامة وهو مترد بمنديل مصرى ويده كيزان خرف رفاق فقلت هذا ساقى السلطان فقالوا لا هذا ساقى العامة فأخذت الكوز وشربت وقلت لمن معى أعطه دينارا فلم يأخذه وقال أنت أسير وليس من الفتوة أن نأخذ منك شيئا وقيل ليس من الفتوة

(١) (عشرة أنفس) أى مثلا .

(٢) (ترك التمييز) فى طعامك بين آكله من حبيب ومبغض ومستحق وغيره لزهديك فى الدنيا وأنها لا تساوى عندك شيئا .

أن تريح على صديقك قاله بعض أصدقائنا رحمه الله تعالى كان فتى^(١) يسمى أحمد بن سهل التاجر وقد اشتريت منه خرقة بياض فأخذ الثمن رأس ماله فقلت ألا تأخذ ربحا فقال أما الثمن فأخذه ولا أحملك منه لأنه ليس له من الخطر ما أتخلق به معك ولكن لا آخذ الربح إذ ليس من الفتوة أن تريح على صديقك وقيل خرج إنسان يدعى الفتوة من نيسابور إلى نسا^(٢) . فاستضافه رجل ومعه جماعة من الفتيان فلما فرغوا من الطعام خرجت جارية تصب الماء على أيديهم فانقبض النيسابورى عن غسل اليد وقال ليس من الفتوة^(٣) . أن تصب النسوان الماء على أيدي الرجال فقال واحد منهم أنا منذ سنين أدخل هذه الدار لم أعلم أن امرأة تصب الماء على أيدينا أم رجلا .. سمعت منصورا المغربى يقول أراد واحد أن يمتحن نوحا العيار^(٤) . النيسابورى فباع منه جارية فى زى غلام وشرط إنه غلام وكانت وضيئة الوجه فاشتراها نوح على أنها غلام ولبثت عنده شهورا كثيرة فقيل للجارية هل علم أنك جارية فقالت لا إنه ما مسنى ويتوهم أنى غلام وقيل إن بعض الشطار طلب منه تسليم غلام كان يخدمه إلى السلطان فأبى فضرب ألف سوط فلم يسلم فاتفق أنه احتلم تلك الليلة وكان بردا شديدا فلما أصبح اغتسل بالماء البارد فقيل له خاطرت بروحك فقال استحيت من الله تعالى أن أصبر على ضرب ألف سوط لأجل مخلوق ولا أصبر على مقاساة برد الاغتسال لأجله وقيل قدم جماعة من الفتيان لزيارة واحد يدعى الفتوة فقال الرجل يا غلام قدم السفارة فلم يقدم فقال الرجل ثانيا وثالثا فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا ليس من الفتوة أن يستخدم الرجل من يتعاصى عليه فى تقديم السفارة كل هذا التعاصى^(٥) . فقال

(١) (وكان فتى) أى وكان هذا البعض فتى .. إلخ .

(٢) (نسا) اسم لبلدة .

(٣) (وقال ليس من الفتوة .. إلخ) كل منهما كلامه يقتضى أنه متصف بالفتوة وإن كان الثانى أكمل فيها لتركه فضول النظر لا حاجة إليه إذ من فضول تمييز العبد ما فى دار غيره من متاع وخادم وغيرهما مما لا حاجة به إليه .

(٤) (العيار) أى الشجاع .

(٥) (كل هذا التعاصى) إذ من أخلاق الخادم أنه يبادر لما لم يؤمر به من الخير فكيف =

الرجل لم أبطأت بالسفرة فقال الغلام كان عليها نمل فلم يكن من الأدب تقديم السفارة إلى الفتیان مع النمل ولم يكن من الفتوة إلقاء النمل من السفارة فلبثت حتى دب النمل فقالوا دقت يا غلام مثلك من يخدم الفتیان . وقيل إن رجلا نام بالمدينة من الحاج فتوهم أن هميانه^(١) . سرق فخرج فرأى جعفرا الصادق فتعلق به وقال له أنت أخذت همياني فقال إيش كان فيه فقال ألف دينار فأدخله داره ووزن له ألف دينار فرجع الرجل إلى منزله ودخل بيته فرأى هميانه في بيته وقد كان توهم أنه سرق فخرج إلى جعفر معتذرا^(٢) . ورد عليه الدنانير فأبى أن يقبلها وقال شيء أخرجه من يدى لا أسترده فقال الرجل من هذا فقيل جعفر الصادق . وقيل سأل شقيق البلخي جعفر بن محمد عن الفتوة فقال ما تقول أنت فقال شقيق إن أعطينا شكرنا وإن منعنا صبرنا قال جعفر الكلاب عندنا بالمدينة كذلك تفعل فقال شقيق يا ابن بنت رسول الله ما الفتوة عندكم فقال إن أعطينا آثرنا وإن منعنا شكرنا .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت الجريري يقول دعانا أبو العباس بن مسروق ليلة إلى بيته فاستقبلنا صديق لنا فقلنا له ارجع معنا فنحن في ضيافة الشيخ فقال إنه لم يدعنى فقلنا نحن نستثنى كما استثنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعائشة رضی الله تعالى عنها فرددناه فلما بلغ باب الشيخ أخبرنا بما قال وقلنا فقال جعلت موضعى من قلبك أن تجيء إلى منزلى من غير دعوة على كذا وكذا إن مشيت إلى الموضع الذى تقعد فيه إلا على خدى وألح عليه ووضع خده على الأرض وحمل الرجل فوضع قدمه على خده من غير أن يوجعه وسحب الشيخ وجهه على الأرض إلى أن بلغ موضع جلوسه (قال الأستاذ) واعلم أن من الفتوة الستر على عيوب الأصدقاء لاسيما إذا كان لهم فيه شماتة الأعداء .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول كان يقول النصراباذى كثيرا إن عليا القوال يشرب بالليل ويحضر

= لما أمر به .

(١) (هميانه) أى كيسه الذى يحفظ فيه نقوده .

(٢) (معتذرا) مستغفرا مما جرى منه .

مجلسك بالنهار وكان لا يسمع فيه ما يقال فاتفق أنه كان يمشى يوماً ومعه واحد ممن يذكر علياً بذلك فوجد علياً مطروحاً في موضع وقد ظهر عليه أثر السكر وصار بحيث يغسل فمه فقال الرجل إلى كم تقول للشيخ ولا يسمع هذا على الوصف الذى تقول فنظر إليه النصر ابادى وقال للعذول أحمله على رقبتك وانقله إلى منزله فلم يجد بدا من طاعته فيه . وسمعه يقول سمعت أبا على الفارسى يقول سمعت المرتعش يقول دخلنا مع أبى حفص على مريض نعوذه ونحن جماعة فقال للمريض أتحب أن تبرأ فقال نعم فقال لأصحابه تحملوا عنه فقام العليل وخرج معنا وأصبحنا كلنا أصحاب فراش نعاد .



باب الفراسة (١)

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ قيل للمتفرسين ..
 (أخبرنا) الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى رحمه الله تعالى قال أخبرنا أحمد ابن على بن الحسين الرازى قال أخبرنا محمد بن أحمد بن السكن قال حدثنا موسى بن داود قال حدثنا محمد بن كثير الكوفى قال حدثنا عمرو بن قيس عن عطية عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى ، قال الأستاذ الفراسة خاطر يهجم على القلب فينفى ما يضاده وله على القلب حكم اشتقاقاً من فريسة السبع وليس فى مقابلة الفراسة مجوزات للنفس وهى

(١) (الفراسة) بكسر الفاء من التفرس وهو التثبت والنظر يقال تفرست فيه الخير إذا تثبت فيه ونظرت إليه والتفرس يطلق أيضاً على التوسم من السمّة وهى العلامة والفراسة قد تكون عادة تعرف بقرائن الأحوال وقد تكون وهبية إلهامية يخلقها الله فى القلب وهى المراد غالباً عند السادة الصوفية وعرفت بأنها الاطلاع على ما فى ضمائر الناس وبغير ذلك كما سيأتى فى كلامه وهى ممدوحة وممن عرف بها سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه .

على حسب قوة الإيمان فكل من كان أقوى إيماناً كان أحد فراسة وقال أبو سعيد الخراز من نظر بنور الفراسة نظر بنور الحق وتكون مواد علمه من الحق بلا سهو ولا غفلة بل حكم حق جرى على لسان عبد وقوله^(١) . نظر بنور الحق يعنى بنور خصمه به الحق سبحانه وقال الواسطي إن الفراسة سواطع أنوار لمعت في القلوب وتمكين معرفة حملت السرائر في الغيوب من غيب إلى غيب حتى يشهد الأشياء من حيث أشهده الحق سبحانه إياها فيتكلم على ضمير الخلق . ويحكى عن أبي الحسن الديلمي أنه قال دخلت أنطاكية لأجل أسود قيل لي إنه يتكلم على الأسرار فأقمت فيها إلى أن خرج من جبل لكam ومعه شيء من المباح يبيعه وكنت جائعاً منذ يومين لم أكل شيئاً فقلت له بكم هذا وأوهمت أنى أشتري ما بين يديه فقال أقعد ثم حتى إذا بعناه نعطيك ما تشتري به شيئاً فتركته وسرت إلى غيره أوهمه أنى أساومه ثم رجعت إليه وقلت له إن كنت تبيع هذا فقل لي بكم فقال إنما جعت يومين أقعد ثم حتى إذا بعناه نعطيك ما تشتري به شيئاً فقعدت فلما باعه أعطاني شيئاً ومشى فتبعته فالتفت إلى وقال إذا عرض لك حاجة فأنزلها بالله تعالى إلا أن يكون لنفسك فيها حظ فتحجب عن الله تعالى . وسمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت الكتاني يقول الفراسة مكاشفة اليقين ومعينة الغيب وهى من مقامات الإيمان . وقيل كان الشافعي ومحمد بن الحسن رحمهما الله تعالى في المسجد الحرام فدخل رجل فقال محمد بن الحسن أتفرس أنه نجار وقال الشافعي أتفرس أنه حداد فسألاه فقال كنت قبل هذا حداداً والساعة أنجر وقال أبو سعيد الخراز المستنبط من يلاحظ الغيب أبداً ولا يغيب عنه ولا يخفى عليه شيء وهو الذى دل عليه قوله تعالى: ﴿ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ والمتوسم هو الذى يعرف الوسم وهو العارف بما في سويداء القلوب بالاستدلال والعلامات قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ أى للعارفين بالعلامات التى يبيدها على الفريقين من أوليائه وأعدائه والمتفرس ينظر بنور الله تعالى وذلك سواطع أنوار لمعت فى قلبه فأدرك بها المعانى وهو من

(١) (وقوله) أى أبى سعيد رضى الله تعالى عنه .

خواص الإيمان والذين هم أكثر منه حظا الربانيون قال الله تعالى ﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ﴾
يعنى علماء حكماء متخلفين بأخلاق الحق نظرا وخلقا وهم فارغون عن الإخبار عن
الخلق والنظر إليهم والاشتغال بهم وقيل كان أبو القاسم المنادى مريضاً وكان كبير الشأن
من مشايخ نيسابور فعاده أبو الحسن البوشنجى والحسن الحداد واشترى بنصف درهم
تفاحا فى الطريق نسيته وحمله إليه فلما قعدا قال أبو القاسم ماهذه الظلمة^(١) . فخرجا
وقالا إيش فعلنا وتفكرنا فقالا لعلنا لم نؤد ثمن التفاح فأعطياه الثمن وعادا إليه فلما وقع
بصره عليهما قال أيمن الإنسان أن يخرج من الظلمة بهذه السرعة أخبرانى عن
شأنكما فذكرا له القصة^(٢) . فقال نعم كان يعتمد كل واحد منكما على صاحبه
فى إعطاء الثمن والرجل يستحى منكما فى التقاضى فكان يتقى التبعة وأنا السبب
إنما رأيت ذلك فيكما وكان أبو القاسم المنادى هذا يدخل السوق كل يوم ينادى^(٣) . فإذا
وقع بيده ما فيه كفايته من دانق إلى نصف درهم خرج وعاد إلى رأس وقته
ومراعاة قلبه . وقال الحسين بن منصور الحق إذا استولى على سر ملكه الاسرار
فيعاينها ويخبر عنها . وسئل بعضهم عن الفراسة فقال أرواح^(٤) . تتقلب فى
الملكوت^(٥) فتشرف على معانى الغيوب فتنتطق^(٦) عن أسرار الخلق نطق
مشاهدة لا نطق ظن وحسبان . وقيل كان بين زكريا الشختنى^(٧) وبين امرأة
سبب قبل توبته فكان يوماً واقفاً على رأس أبى عثمان الحيرى بعد ما صار من
خواص تلامذته فتفكر فى شأنها فرفع أبو عثمان رأسه إليه وقال أما تستحيى ، قال
الأستاذ الإمام رحمه الله كنت فى ابتداء وصلتى بالأستاذ أبى على رضى الله تعالى

(١) ما هذه الظلمة (أى التى عليكم .

(٢) القصة (أى قصة شراء التفاح نسيته أى إلى أجل أو كيفية القضاء .

(٣) ينادى (أى يدلل على الأمتعة .

(٤) (أرواح) أى نفوس بمعنى خواطر .

(٥) (تتقلب فى الملكوت) أى لاشغل لأربابها إلا النظر فى كمال الله وجلاله وفى أمره

ونبيه ووعدته ومراقبته وكل ما يقرب إلى الله تعالى .

(٦) (فينطق) أى ينطق أربابها .

(٧) (الشختنى) نسبة إلى شختن قرية بنيسابور .

عنه عقد لى المجلس فى مسجد المطرز^(١) . فاستأذنته وقتاً للخروج إلى نسا فأذن لى فيه فكنت أمشى معه يوماً فى طريق مجلسه فخطر ببالى لئىة ينوب عنى فى مجالسى أيام غيبتى فالتفت إلى وقال أنوب عنك أيام غيبتك فى عقد المجالس فمشيت قليلاً فخطر ببالى أنه عليل يشق عليه أن ينوب عنى فى الأسبوع يومين فليته يقتصر على يوم واحد فى الأسبوع فالتفت إلى وقال إن لم يمكنى فى الأسبوع يومان أنوب عنك فى الأسبوع مرة واحدة فمشيت معه قليلاً فخطر ببالى شىء ثالث فالتفت إلى وصرح بالإخبار عنه على القطع . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت جدى أبا عمرو بن نجيد يقول كان شاه الكرمانى حاد الفراسة لا يخطئ ويقول من غض بصره عن المحارم وأمسك نفسه عن الشهوات وعمر باطنه بدوام المراقبة وظاهره باتباع السنة وتعود أكل الحلال لم تخطئ فراسته . وسئل أبو الحسن النورى من أين تولدت فراسة المتفرسين فقال من قوله تعالى : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ فمن كان حظه من ذلك النور أتم كانت مشاهدته أحكم وحكمه بالفراسة أصدق ألا ترى كيف أوجب نفخ الروح فيه السجود له بقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ ، قال الأستاذ وهذا الكلام من أبى الحسن النورى فيه أدنى غموض وإبهام بذكر نفخ الروح لا لتصويب من يقول بقدّم الأرواح ولا كمال يلوح لقلوب المستضعفين فإن الذى يصح عليه النفخ والاتصال والانفصال فهو قابل للتأثير والتغيير وذلك من سمات الحدوث وأن الله سبحانه وتعالى خص المؤمنين ببصائر وأنوار بها يتفرسون وهى فى الحقيقة معارف وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وآله وسلم « فإنه ينظر بنور الله » أى بعلم وبصيرة يخصه الله تعالى به ويفرده به من دون أشكاله وتسمية العلوم والبصائر أنوار غير مستبدع ولا يعدو صف ذلك بالنفخ والمراد منه الخلق . وقال الحسين بن منصور المتفرس هو المصيب^(٢) . بأول مرماه إلى

(١) (مسجد المطرز) بنيسابور .

(٢) (المتفرس هو المصيب .. إلخ) لأن الفراسة مما يخلقه الله فى قلب العبد من غير كسب منه وهو من ثمرات الإيمان الكامل فلا بد أن يكون متعلقه معلوماً لأن موهبه يدركه البعد قطعاً فأين هو من الظن والحسبان الذى من آثار المنجمين عياذاً بالله تعالى .

مقصده ولا يعرج على تأويل وظن وحسبان وقيل فراسة المرادين تكون ظنا يوجب تحقيقا وفراسة العارفين تحقيق يوجب حقيقة وقال أحمد بن عاصم الأنطاكي إذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق فإنهم جواسيس القلوب يدخلون في قلوبكم ويخرجون منها من حيث لا تحسون . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت منصور ابن عبد الله يقول سمعت الخلدی يقول سمعت أبا جعفر الحداد يقول الفراسة أول خاطر بلا معارض فإن عارض معارض من جنسه فهو خاطر وحديث نفس . ويحكى عن أبي عبد الله الرازي نزيل نيسابور قال كساني ابن الأنباري صوفاً ورأيت على رأس الشبلي قلنسوة ظريفة تليق بذلك الصوف فتمنيت في نفسي أن يكونا جميعا لي فلما قام الشبلي من مجلسه التفت إلي فتبعته وكان عادته إذا أراد أن أتبعه يلتفت إلي فلما دخل داره دخلت فقال انزع الصوف فزعتة فلفه وطرح القلنسوة عليه ودعا بنار فأحرقهما ، وقال أبو حفص النيسابوري ليس لأحد أن يدعى الفراسة ولكن يتقى الفراسة من الغير لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « اتقوا فراسة المؤمن » ولم يقل تفرسوا وكيف يصح دعوى الفراسة لمن هو في محل اتقاء الفراسه، وقال أبو العباس بن مسروق دخلت على شيخ من أصحابنا أدعوه فوجدته على حال رثة فقلت في نفسي من أين يرتزق هذا الشيخ فقال يا أبا العباس دع عنك هذه الخواطر^(١) الدنيئة فإن لله أطافاً خفية . ويحكى عن الزبيدي قال كنت في مسجد ببغداد مع جماعة من الفقراء فلم يفتح علينا بشيء أياماً فأتيت الخواص لأسأله شيئاً فلما وقع بصره علي قال الحاجة التي جئت لأجلها يعلمها الله تعالى أم لا فقلت بلى فقال اسكت ولا تبدها لمخلوق فرجعت ولم ألث إلا قليلا حتى فتح علينا بما فوق الكفاية وقيل كان سهل بن عبد الله يوماً في الجامع فوق حمام في المسجد من شدة ما لحقه من الحر والمشقة فقال سهل إن شاهها الكرمانى مات الساعة إن شاء الله تعالى فكتبوا ذلك فكان كما قال . وقيل خرج أبو عبد الله

(١) (دع عنك هذه الخواطر .. إلخ) أى فلا تنظر لظاهر الحال فقد تكون نعم الله على بعض عبده في قلوبهم وإن كانت خفية عن الخلق أعظم من نعمه الظاهرة .

التروغندى^(١). وكان كبير الوقت إلى طوس فلما بلغ خر وقال لصاحبه^(٢). اشتري الخبز فاشتري ما يكفيهما فقال اب اشتري أكثر فاشتري صاحبه ما يكفي عشرة أنفس تعمداً فكانه لم يجعل لقول ذلك الشيخ تحقيقاً قال فلما صعدنا إلى الجبل إذا بجماعة قيدتهم للصوص لم يأكلوا منذ مدة فسألونا الطعام فقال قدم إليهم السفرة وقال الأستاذ الإمام رضى الله تعالى عنه كنت بين يدي الأستاذ أبى على رحمه الله يوماً فجرى حديث الشيخ أبى عبد الرحمن السلمى رحمه الله وأنه يقوم فى السماع موافقة للفقراء فقال الأستاذ أبو على مثله فى حاله لعل السكون أولى به ثم قال فى ذلك المجلس امض إليه فتجده وهو قاعد فى بيت كتبه وعلى وجه الكتب مجلدة حمراء مربعة صغيرة فيها أسعار الحسين بن منصور فاحمل تلك المجلدة ولا تقل له شيئاً وجئنى بها وكان وقت الهاجرة فدخلت عليه وإذا هو فى بيت كتبه والمجلدة موضوعة بحيث ذكر فلما قعدت أخذ الشيخ أبو عبد الرحمن فى الحديث وقال كان بعض الناس ينكر على أحد من العلماء حركته فى السماع فرؤي ذلك الإنسان يوماً خالياً فى بيت وهو يدور كالمتواجد فسئل عن حاله فقال كانت مسألة مشكلة على فتبين لى معناها فلم أتمالك من السرور حتى قمت أدور فقليل له مثل هذا يكون حالهم فلما رأيت ما أمرنى به الأستاذ أبو على وما وصف لى على الوجه الذى قال وجرى على لسان الشيخ أبى عبد الرحمن ما كان قد ذكره به تحيرت وقلت كيف أفعل بينهما ثم فكرت فى نفسى وقلت لا وجه إلا الصدق فقلت إن الأستاذ أبى على وصف لى هذه المجلدة وقال لى احملها إلى من غير أن تستأذن الشيخ وأنا هو ذا أخافك وليس يمكننى مخالفتة فأى شئ تأمرنى به فأخرج مسدساً من كلام الحسين وفيه تصنيف له سماه كتاب الصهيور فى نقض الدهور وقال احمل هذا إليه وقل له إنى أطلع تلك المجلدة وأنقل منها أبياتاً إلى مصنفاتى فخرجت. ويحكى عن الحسن الحداد أنه قال كنت عند أبى القاسم المنادى وعنده جماعة من الفقراء فقال لى اخرج وانتهم بشئ فسررت

(١) (التروغندى) نسبة إلى تروغند بالغين والذال المعجمتين .

(٢) (لصاحبه) هو تلميذه .

حيث أذن لى فى التكلف للفقراء وأن آتيهم بشيء بعد ما علم فقرى قال فأخذت مكتلاً^(١) وخرجت فلما أتيت سكة سيار رأيت شخصاً بهياً فسلمت عليه وقلت جماعة من الفقراء^(٢) فى موضع فهل لك أن تتخلق معهم بشيء فأمر^(٣) حتى إذا خرج إلى شيئاً من الخبز واللحم والعنب فلما بلغت الباب نادانى أبو القاسم المنادى من وراء الباب رده إلى الموضع الذى أخذته منه فرجعت واعتذرت إلى الشيخ وقلت لم أجدهم وعرضت بأنهم تفرقوا فرددت السبب^(٤) عليه ثم جئت إلى السوق ففتح على بشيء فحملته فقال ادخل فقصصت عليه القصة فقال نعم ذاك ابن سيار رجل سلطانى^(٥) إذا جئت للفقراء بشيء فائتهم بمثل^(٦) هذا لا بمثل ذاك . قال أبو الحسين القرافى زرت أبا الخير التيناتى فلما ودعته خرج معى إلى باب المسجد فقال لى يا أبا الحسين أنا أعلم أنك لا تحمل معك معلوماً ولكن احمل هاتين التفاحتين فأخذتهما ووضعتهما فى جيبى وسرت فلم يفتح لى بشيء ثلاثة أيام فأخرجت واحدة منهما وأكلتها ثم أردت أن أخرج الثانية فإذا هما جميعاً فى جيبى فكنت أكل منهما ويعودان إلى باب الموصل فقلت فى نفسى إنهما يفسدان على حال توكلى إذ صارتا معلوماً لى فأخرجتهما من جيبى بمرة^(٧) . فنظرت فإذا فقير ملفوف فى عباءة يقول أشتهى تفاحة فناولتهما إياه فلما عبرت وقع لى أن الشيخ إنما بعثهما إليه وكنت فى رفقة فى الطريق فانصرفت إلى الفقير فلم أجده .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن على يقول سمعت أبا عمر بن علوان يقول كان شاب يصحب الجنيد وكان يتكلم عن خواطر الناس فذكر للجنيد فقال له الجنيد إيش هذا الذى ذكر عنك فقال للجنيد اعتقد شيئاً فقال

(١) (مكتلاً) هو شبه الزنبيل يسع خمسة عشر صاعاً .

(٢) (جماعة من الفقراء) محتاجون إلى طعام .

(٣) (فأمر) أى خادمه بإخراج ما عنده .

(٤) (السبب) يعنى الطعام .

(٥) (سلطانى) أى منسوب إلى السلطان وطعامه ليس بصاف .

(٦) (فائتهم بمثل .. إلخ) محل الاستدلال على الفراسة أمره له برد طعام ذلك الشيخ لما ذكر وأذنه له بالدخول بما أتى به ثانياً ولم يكن رآه فى الحالين ولا علم ما معه إلا بالفراسة .

(٧) (بمرة) أى بالكلية لأستريح منهما ولئلا يسكن قلبى لغير الله .

اعتقدت فقال الشباب اعتقدت كذا وكذا فقال الجنيد لا فقال اعتقد ثانياً ففعل فقال اعتقدت كذا وكذا فقال لا فقال ثالثاً فقال مثله فقال الشاب هذا عجب أنت صدوق وأنا أعرف قلبى فقال الجنيد صدقت فى الأول والثانى والثالث ولكن أردت أن أمتحنك هل يتغير قلبك .. وسمعتة يقول سمعت أبا عبد الله الرازى يقول اعتل ابن الرقى فحمل إليه دواء فى قدح فأخذه ثم قال وقع اليوم فى المملكة حدث لا آكل ولا أشرب حتى أعلم ما هو فورد الخبر بعده بأيام أن القرمطى دخل مكة فى ذلك اليوم وقتل بها تلك المقتلة العظيمة . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله تعالى يقول سمعت أبا عثمان المغربى يقول ذكر لابن الكاتب هذه الحكاية فقال هذا عجب فقلت ليس هذا بعجب فقال لى أبو على بن الكاتب إيش خبر مكة حرسها الله تعالى اليوم فقلت هو ذا تحارب الطلحيون وبنو الحسن ومقدم الطلحي (١) . أسود عليه عمامة حمراء وعلى مكة اليوم غيم على مقدار الحرم فكتب أبو على إلى مكة فكان كما ذكرت ، ويروى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال دخلت على عثمان رضى الله تعالى عنه وكنت رأيت فى الطريق امرأة تأملت محاسنها فقال عثمان رضى الله تعالى عنه يدخل على أحدكم وآثار الزنا ظاهرة على عينه فقلت أوحى بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لا ولكن تبصرة وبرهان وفراسة صادقة .. وقال أبو سعيد الخراز دخلت المسجد الحرام فرأيت فقيراً عليه خرقتان يسأل شيئاً فقلت فى نفسى مثل هذا كل (٢) . على الناس فنظر إلى وقال : « وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ » قال فاستغفرت فى سرى فنادانى وقال « وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ » . وحكى عن إبراهيم الخواص أنه قال كنت ببغداد فى جامع المدينة وهناك جماعة من الفقراء فأقبل شاب ظريف طيب الرائحة حسن الجملة (٣) . حسن الوجه فقلت لأصحابنا يقع لى أنه يهودى فكلهم كرهوا ذلك فخرجت وخرج الشاب ثم رجع

(١) (الطلحيون) أى نسبة إلى بنى طلحة .

(٢) (كُلُّ) أى ثقل .

(٣) (الجملة) فى نسخة الخدمة وفى أخرى الجملة والجملة وهى مجتمع شعر الرأس .

إليهم وقال إيش قال الشيخ في فاحتشموه فألح عليهم فقالوا قال إنك يهودى قال فجاءنى وأكب على يدى وأسلم فقليل له ما السبب قال نجد فى كتبنا أن الصديق لا تخطئ فراسته فقلت أمتحن المسلمين فتأملتهم فقلت إن كان فيهم صديق ففى هذه الطائفة لأنهم يقولون (١). حديثه (٢). سبحانه فلبست عليكم فلما أطلعت هذا الشيخ على وتفرس فى علمت أنه صديق وصار الشاب من كبار الصوفية . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت عبد الله بن إبراهيم بن العلاء يقول سمعت محمد بن داود يقول كنا عند الجريرى فقال هل فيكم من إذا أراد الحق سبحانه أن يحدث فى المملكة حدثاً أعلمه قبل أن يبدئه قلنا لا فقال ابكوا على قلوب (٣) لم تجد من الله تعالى شيئاً وقال أبو موسى الديلمى سألت عبد الرحمن بن يحيى عن التوكل فقال لو أدخلت يدك فى فم التنين (٤). حتى تبلغ الرسع لا تخاف مع الله تعالى شيئاً غيره قال فخرجت إلى أبى يزيد لأسأله عن التوكل فدققت الباب فقال أليس لك فى قول عبد الرحمن كفاية فقلت افتح الباب فقال مازرتنى (٥). أذاك الجواب من وراء الباب ولم يفتح لى الباب قال فمضيت ولبثت سنة ثم قصدته فقال مرحباً جئتني زائراً فكنت (٦) عنده شهراً فكان لا يخطر بقلبي شيء إلا حدثني عنه فعند وداعه لى قلت أفدنى فائدة فقال حدثتني أمى أنها كانت حاملاً بى فكانت إذا قدم لها طعام من حلال امتدت يدها إليه وإذا كان فيه شبهة انقبضت يدها عنه. وقال إبراهيم الخواص دخلت البادية فأصابتنى شدة فلما بلغت مكة داخلنى شيء من الإعجاب فنادتني

(١) (يقولون) فى نسخة يتلون .

(٢) (حديثه) أى كلامه .

(٣) (ابكوا على قلوب) لفقدنا الفراسة بفقد الاستقامة التى هى الإعراض عن الخلق وكمال الشغل بالله تعالى فلو أنصفت القلوب بذلك عاشت من موت الغفلة ووجد فيها الإلهام الصحيح والخواطر الصائبة .

(٤) (التنين) نوع من الحيات .

(٥) (ما زرتنى) أى ماجئتني زائراً بل سائلاً .

(٦) (فكنت عنده) أى فمكثت عنده .

عجوز يا إبراهيم كنت معك في البادية فلم أكلّمك لأنى لم أرد أن أشغل شرك أخرج
عنك هذا الوسواس . وحكى أن الفرغانى كان يخرج كل سنة إلى الحج ويمر بنيسابور
ولا يدخل على أبى عثمان الحيرى قال فدخلت عليه مرة وسلمت فلم يرد على السلام
فقلت فى نفسى مسلم يدخل عليه ويسلم عليه فلا يرد سلامه فقال أبو عثمان مثل هذا
يحج ويدع أمه لا يبرها قال فرجعت إلى فرغانة ولزمتها حتى ماتت ثم قصدت أبا
عثمان فلما دخلت استقبلنى وأجلسنى ثم إن الفرغانى لازمه وسأله سياسة دابته فولاه
ذلك حتى مات أبو عثمان وقال خير الناساج كنت جالسا فى بيتى فوقع لى أن الجنيد
بالباب فنفيت عن قلبى فوقع لى ثانيا وثالثا فخرجت فإذا بالجنيد فقال لم لم تخرج
مع الخاطر الأول وقال محمد بن الحسين البسطامى دخلت على أبى عثمان المغربى
فقلت فى نفسى لعله يتشهى على شىئا فقال أبو عثمان لا يكفى الناس أن آخذ منهم
حتى يريدوا مسألتى إياهم وقال بعض الفقراء كنت ببغداد فوقع لى أن المرتعش يأتينى
بخمسة عشر درهما لأشترى بها الركوة والحب والنعل وأدخل البادية قال فددق على
الباب ففتحت فإذا أنا بالمرتعش معه خريقة فقال خذها فقلت يا سيدى لا أريدها قال
فلم تؤذينا كما أردت فقلت خمسة عشر درهما فقال هى خمسة عشر درهما وقال
بعضهم فى قوله تعالى : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ أى ميت الذهن فأحياه الله
تعالى بنور الفراسة وجعل له نور التجلى والمشاهدة لا يكون كمن يمشى بين أهل الغفلة
غافلا وقيل إذا صحت الفراسة ارتقى صاحبها إلى المشاهدة ، سمعت الشيخ أبا عبد
الرحمن يقول سمعت محمد بن الحسين البغدادى يقول سمعت جعفر بن محمد بن
نصير يقول سمعت أبا العباس بن مسروق يقول قدم علينا شيخ فكان يتكلم علينا فى هذا
الشأن بكلام حسن وكان عذب اللسان جيد الخاطر فقال لنا فى بعض كلامه كل ما
وقع لكم فى خاطركم فقولوه لى فوقع فى قلبى أنه يهودى وكان الخاطر يقوى ولا
يزول فذكرت ذلك للجريرى فكبر عليه ذلك فقلت لابد أن أخبر الرجل بذلك فقلت له
تقول لنا ما وقع لكم فى خاطركم فقولوه لى إنه يقع لى أنك يهودى فأطرق ساعة ثم
رفع رأسه فقال صدقت أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وقال قد

مارست جميع المذاهب وكنت أقول إن كان مع قوم منهم شيء فمع هؤلاء فداخلكم لأختبركم فأنتم على الحق وحسن إسلامه . ويحكى عن الجنيد أنه كان يقول له السرى تكلم على الناس فقال الجنيد وكان في قلبى حشمة من الكلام على الناس فإنى كنت أتهم نفسى فى استحقاق ذلك فرأيت ليلة النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى المنام وكانت ليلة جمعة فقال لى تكلم على الناس فانتبهت وأتيت باب السرى قبل أن أصبح فدققت عليه الباب فقال لم تصدقنا حتى قيل لك فقعد الناس فى الجامع بالغد فانتشر فى الناس أن الجنيد قعد يتكلم على الناس فوقف عليه غلام نصرانى متنكرا وقال له أيها الشيخ ما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « اتقوا فراسة المؤمن فإن المؤمن يرى بنور الله تعالى » فأطرق الجنيد ثم رفع رأسه وقال أسلم فقد حان^(١) وقت إسلامك فأسلم الغلام .



باب الخلق^(٢)

قال الله تعالى^(٣): ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾
أخبرنا على بن أحمد الأهوازي قال أخبرنا أبو الحسن الصفار البصرى
قال حدثنا هشام^(٤) بن محمد بن غالب قال حدثنا معلى بن مهدي قال حدثنا بشار بن
إبراهيم النميرى قال حدثنا غيلان بن جرير عن أنس قال « قيل يارسول الله أى المؤمنين

(١) (حان) أى قرب .

(٢) (باب الخلق) هو بضم الخاء مع ضم اللام وإسكانها بسط الوجه وكف الأذى وبذل الندى أى الكرم ويقال غير ذلك كما سيأتى وهو ممدوح ومطلوب

(٣) (قال الله تعالى) أى فى حق النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

(٤) (هشام) وفى نسخة تمام .

أفضل إيماناً قال أحسنهم خلقاً ، قال الأستاذ الخلق الحسن أفضل مناقب العبد وبه يظهر جواهر الرجال والإنسان مستور بخلقه مشهود بخلقه . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول إن الله تعالى خص نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بما خصه به ثم لم يثن عليه بشيء من خصاله بمثل ما أثنى عليه بخلقه فقال عز من قائل ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ وقال الواسطي وصفه بالخلق العظيم لأنه جاد بالكونين واكتفى بالله تعالى وقال الواسطي أيضاً الخلق العظيم أن لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله تعالى وقال الحسين بن منصور معناه لم يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك الحق وقال أبو سعيد الخراز لم يكن لك همة غير الله تعالى . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت الحسين بن أحمد بن جعفر يقول سمعت الكتاني يقول التصوف خلق من زاد عليك بالخلق فقد زاد عليك في التصوف ويروى عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه قال إذا سمعتموني أقول لمملوك أخزاه الله تعالى فاشهدوا أنه حر وقال الفضيل لو أن العبد أحسن الإحسان كله وكان له دجاجة فأساء إليها لم يكن من المحسنين وقيل كان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما إذا رأى واحداً من عبده يحسن الصلاة يعتقه فعرفوا ذلك من خلقه فكانوا يحسنون الصلاة مراعاة وكان يعتقهم ف قيل له في ذلك فقال من خدعنا في الله انخدعنا له .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول سمعت أبا محمد بن الجريري يقول سمعت الجنيد يقول سمعت الحارث المحسابي يقول فقدنا ثلاثة أشياء حسن الوجه مع الصيانة^(١) وحسن القول مع الأمانة وحسن الإخاء^(٢) مع الوفاء وسمعته يقول سمعت عبد الله بن محمد الرازي يقول الخلق^(٣) . استصغار ما منك واستعظام ما منه إليك وقيل للأحنف ممن

(١) (الصيانة) أى العفاف والسلامة من العجب والكبر .

(٢) (الإخاء) أى المؤاخاة فى الله بأن تخلف أخاك فى غيبته وتقوم بحقوقه فى حضرته وتنصحه إن رأيت منه زللاً وتعينه إن رأيت منه خيراً ولا تبخل عليه بشيء وتتحمل ما يبدو منه المأخوذ ذلك من آية ﴿ خذ العفو ﴾ ونحوها مع الوفاء بالعهد المأمور به فى قوله ﴿ وأوفوا بالعهد ﴾ ونحوه .

(٣) (الخلق) أى الحسن .

تعلمت الخلق فقال من قيس بن عاصم المنقرى قيل وما بلغ من خلقه فقال بينما هو جالس فى داره إذ جاءت خادم^(١) له بسفود^(٢) . عليه شواء فسقط من يدها فوق على ابن له فمات فدهشت الجارية فقال لا روعة عليك أنت حرة لوجه الله تعالى وقال شاه الكرمانى علامة حسن الخلق كفى الأذى واحتمال المؤمن وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق » وقيل لذى النون المصرى من أكثر الناس هما قال أسوأهم خلقا وقال وهب ماتخلق عبد بخلق أربعين صباحا إلا جعله الله طبيعة فيه وقال الحسن البصرى فى قوله تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ أى وخلقك فحسن وقيل كان لبعض النساك شاة فرآه على ثلاث قوائم فقال من فعل هذا بها فقال غلام له أنا فقال لم قال لأعمك بها فقال لا بل لأغن من أمرك بذلك اذهب فأنت حر وقيل لإبراهيم بن أدهم هل فرحت فى الدنيا قط فقال نعم مرتين إحداهما كنت قاعداً ذات يوم فجاء إنسان وبال على والثانية كنت قاعداً فجاء إنسان وصفعنى . وقيل كان أويس القرنى إذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة فيقول إن كان لابد فارمونى بالصغار كيلا تدقوا ساقى فتمنعونى عن الصلاة وشم رجل الأحنف بن قيس وكان يتبعه فلما قرب من الحى وقف وقال يا فتى إن بقى فى قلبك شىء فقله كيلا يسمعك بعض سفهاء الحى فيجيبوك وقيل لحاتم الأصم أیحتمل الرجل^(٣) . من كل أحد فقال نعم إلا من نفسه وروى أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه دعا غلاما فلم يجبه فدعاه ثانياً وثالثاً فلم يجبه فقام إليه فرآه مضطجعا فقال أما تسمع يا غلام فقال نعم قال فما حملك على ترك جوابى فقال أمنت عقوبتك فتكاسلت فقال امض فأنت حر لوجه الله تعالى .. وقيل نزل معروف الكرخى الدجلة ليتوضأ ووضع مصحفه وملحفته فجاءت امرأة وحملتها فتبعها معروف وقال يا أختى أنا معروف ولا بأس عليك ألك ابن يقرأ قالت لا قال فزوج قالت

(١) (خادم) أى جارية واللفظ يطلق على المذكر والمؤنث .

(٢) (سفود) بتشديد الفاء حديد يشوى عليه اللحم .

(٣) (أیحتمل الرجل) أى الخطأ .

لا قال فهاتى المصحف وخذى الثوب ودخل اللصوص مرة دار الشيخ أبى عبد الرحمن السلمى بالمكابرة وحملوا ما وجدوا فسمعت بعض أصحابنا يقول سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يقول اجتزت بالسوق فرأيت جبتى على من يزيد فأعرضت ولم ألتفت إليه .. سمعت الشيخ أبا حاتم السجستاني يقول سمعت أبا نصر السراج الطوسى يقول سمعت الوجيهى يقول قال الجريرى قدمت من مكة حرسها الله تعالى فبدأت بالجديد لكيلا يتعنى إلىّ فسلمت عليه ثم مضيت إلى المنزل فلما صليت الصبح فى المسجد إذا أنا به خلفى فى الصف فقلت إنما جئتك أمس لئلا تتعنى فقال ذلك فضلك وهذا حقاك وسئل أبو حفص عن الخلق فقال ما اختار الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم فى قوله تعالى : ﴿ خذ العفو ﴾ الآية .. وقيل الخلق أن تكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا وقيل الخلق قبول ما يرد عليك من جفاء الخلق وقضاء الحق بلا ضجر ولا قلق وقيل كان أبو ذر على حوض يسقى إبلا له فأسرع بعض الناس إليه فانكسر الحوض فجلس ثم اضطجع ف قيل فى ذلك فقال إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرنا إذا غضب الرجل أن يجلس فإذا ذهب عنه وإلا فليضطجع وقيل مكتوب فى الإنجيل عبنى اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب وقالت امرأة لمالك بن دينار يا مرأتى فقال يا هذه وجدت اسمى الذى أضله أهل البصرة وقال لقمان لابنه لا تعرف ثلاثة إلا عند ثلاثة الحليم عند الغضب والشجاع عن الحرب والأخ عند الحاجة إليه ..

(وقال موسى) عليه السلام إلهى أسألك أن لا يقال لى ما ليس فى فأوحى الله تعالى إليه ما فعلت ذلك لنفسى^(١) . فكيف أفعله لك وقيل ليحيى بن زياد الحارثى وكان له غلام سوء لم تمسك هذا الغلام فقال لأتعلم عليه الحلم وقيل فى قوله تعالى :

(١) (ما فعلت ذلك لنفسى) ليس ذلك لقصور قدرته تعالى عن ذلك علوا كبيرا بل لأن ما سبق فى علم الله لا بد من وقوعه فذلك إنما هو إخبار منه عما سبق فى علمه لا غير وعليه يحمل قوله ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله ﴾ وقوله ﴿ ولو شاء ربك ما فعلوه ﴾ فلو أراد تعالى أن لا يكفر به أحد يصح ولا يقع كفر لكن لما سبق فى علمه أنه لا بد من الكلام فيه وفى رسوله ومن الكفر به ما استحال أن يقع خلافه ومحل الاستدلال أن موسى عليه السلام سأل ربه =

﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ الظاهرة تسوية الخلق والباطنة تصفية الخلق وقال الفضيل لأن يصحبنى فاجر حسن الخلق أحب إلى أن يصحبنى عابد سيئ الخلق وقيل الخلق الحسن احتمال المكروه بحسن المداراة وحكى أن إبراهيم بن أدهم خرج إلى بعض البرارى فاستقبله جندي فقال أين العمران فأشار إلى المقبرة فضرب رأسه وأوضحه فلما جازوه قيل له إنه إبراهيم بن أدهم زاهد خراسان فجاء يعتذر إليه فقال إنك لما ضربتني سألت الله تعالى لك الجنة فقال لم فقال علمت أنى أؤجر عليه فلم أرد أن يكون نصيبى منك الخير ونصيبك منى الشر . وحكى أن أبا عثمان الحيرى دعاه إنسان إلى ضيافة فلما وافى باب داره قال يا أستاذ ليس الآن وقت دخولك وقد ندمت فانصرف فرجع أبو عثمان فلما وافى منزله عاد إليه الرجل وقال يا أستاذ ندمت وأخذ يعتذر وقال احضر الساعة فقام أبو عثمان ومضى فلما وافى باب داره قال مثل ما قال فى الأولى ثم كذلك فعل فى الثالثة والرابعة وأبو عثمان ينصرف ويحضر فلما كان بعد مرات قال يا أستاذ أردت اختبارك وأخذ يعتذر ويمدحه فقال أبو عثمان لا تمدحنى على خلق تجد مثله مع الكلاب الكلب إذا دعى حضر وإذا زجر انزجر .. (وقيل) إن أبا عثمان اجتاز بسكة وقت الهاجرة فألقى عليه من سطح طست رماد فتغير أصحابه وبسطوا ألسنتهم فى الملقى فقال أبو عثمان لا تقولوا شيئاً من استحق أن يصب عليه النار فصولح على الرماد لم يجز له أن يغضب وقيل نزل بعض الفقراء على جعفر بن حنظلة فكان جعفر يخدمه جدا والفقير يقول نعم الرجل أنت لو لم تكن يهودياً فقال جعفر عقيدتى لا تقدح فيما تحتاج إليه من الخدمة فسل لنفسك الشفاء ولى الهداية قيل كان لعبد الله الخياط حريف مجوسى يخطط له ثيابا ويدفع إليه دراهم زيوفا وكان عبد الله يأخذها فاتفق أن قام من حانوته يوما لشغل فجاء المجوسى بالدراهم الزيوف فدفعها إلى تلميذه فلم يقبلها فدفع إليه الصحاح فلما رجع عبد الله قال لتلميذه أين قميص المجوسى فذكر له القصة فقال بئس ما عملت إنه مذ مدة يعاملنى بمثلها وأنا أصبر عليه وألقيها فى بئر لئلا يغر بها غيرى .. وقيل الخلق السيئ يضيق قلب

= تعالى أن يكون كامل الأخلاق حتى لا يتكلم فيه فأعلمه الله أنه قد سبق فى علمه أنه لا بد أن يتكلم فيك وإن كملت أخلاقك .

صاحبه لأنه لا يسع فيه غير مراده كالمكان الضيق لا يسع فيه غير صاحبه وقيل حسن الخلق أن لا تتغير ممن يقف في الصف بجبنك وقيل من سوء خلقك وقوع بصرك على سوء خلق غيرك . وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الشؤم فقال « سوء الخلق » ..

(أخبرنا) أبو الحسن على بن أحمد الأهوازي قال حدثنا أبو الحسن الصفار البصري قال حدثنا معاذ بن المثنى قال حدثنا يحيى بن معين قال حدثنا مروان الفزاري قال حدثنا يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قيل يا رسول الله « ادع الله تعالى على المشركين فقال إنما بعثت رحمة ولم أبعث عذابا » ..



باب الجود والسخاء (١)

قال الله عز وجل: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (٢).

(أخبرنا) على بن أحمد بن عبدان قال أخبرنا أحمد بن عبيد قال حدثنا الحسين بن العباس قال حدثنا سهل قال حدثنا سعيد بن مسلم عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم عن علقمة عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « السخى قريب من الله تعالى قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار والجاهل السخى أحب إلى الله تعالى من العابد البخل » . قال الأستاذ ولا فرق على لسان العلم بين الجود والسخاء ولا يوصف الحق سبحانه بالسخاء والسماحة لعدم التوقيف وحقيقة الجود أن لا يصعب عليه البذل وعند القوم السخاء هو الرتبة الأولى ثم الجود بعده ثم الإيثار فمن أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الأكثر وأبقى لنفسه شيئا فهو صاحب جود والذى قاسى الضرر وأثر غيره بالبلغة فهو صاحب إيثار . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رضى الله تعالى عنه يقول قال أسماء بن خارجة ما أحب أن أرد أحدا عن حاجة طلبها لأنه إن كان كريما أصون عرضه وإن كان لثيما أصون عنه عرضى وقيل كان مورك العجلى يتلطف فى إدخال الرفق على إخوانه يضع عندهم ألف درهم فيقول امسكوها عندكم حتى أعود إليكم ثم يرسل إليهم أنتم منها فى حل وقيل قابل رجل من أهل منبج رجلا من أهل المدينة فقال ممن

(١) (باب الجود والسخاء) هما عند كثير بمعنى واحد وفرق السادة الصوفية بينهما كما سيأتى بأن السخاء إخراج العبد بعض ما يملكه بسهولة والجود إخراجة أكثر ما يملكه بسهولة والإيثار المذكور فى الآية إخراجة جميع ما يملكه بسهولة مع حاجته إليه فحقيقته تقديمك غيرك على نفسك ومنه بل تؤثرون الحياة الدنيا أى تقدمون العمل بها على العمل للآخرة والآخرة خير وأبقى وقريب مما قاله السماحة والكرم وكل منهما ممدوح ومطلوب .

(٢) (خصاصة) أى حاجة شديدة .

الرجل فقال من أهل المدينة فقال لقد أتانا منكم رجل يقال له الحكم بن عبد المطلب فأغنانا فقال له المدنى فكيف وما أتاكم إلا فى جبة صوف فقال ما أغنانا بمال ولكنه علمنا الكرم فعاد بعضنا على بعض حتى استغنينا سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول لما سعى غلام الخليل بالصوفية إلى الخليفة أمر بضرب أعناقهم فأما الجنيد فإنه تستر بالفقه وكان يفتى على مذهب أبى ثور أما الشحام والرقام والنورى وجماعة فقبط عليهم فبسط النطع لضرب أعناقهم فتقدم النورى فقال السياف أتدرى إلى ماذا تبادر فقال نعم فقال وما يعجلك قال أؤثر على أصحابى بحياة ساعة فتحير السياف وأنهى الخبر إلى الخليفة فردهم إلى القاضى ليتعرف حالهم فألقى القاضى على أبى الحسين النورى مسائل فقهية فأجابه عن الكل ثم أخذ يقول وبعد فإن الله تعالى عباداً إذا قاموا قاموا بالله وإذا نطقوا نطقوا بالله وسرد ألفاظاً أبكى القاضى فأرسل القاضى إلى الخليفة وقال إن كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الأرض مسلم وقيل كان على بن الفضيل يشتري من باعة المحلة فقيل له لو دخلت السوق فاسترخصت فقال هؤلاء نزلوا بقربنا رجاء منفعتنا وقيل بعث رجل إلى جبلة تجارية وكان بين أصحابه فقال قبيح أن أتخذها لنفسى وأنتم حضور وأكره أن أخص بها واحداً وكلكم له حق وحرمة وهذه لا تحتل القسمة وكانوا ثمانين فأمر لكل واحد تجارية أو وصيف وقيل عطش عبد الله بن أبى بكرة يوماً فى طريقه فاستسقى من منزل امرأة فأخرجت كوزاً وقامت من خلف الباب وقالت تنحوا عن الباب وليأخذه بعض غلمانكم فإنى امرأة من العرب مات خادمى منذ أيام فشرب عبيد الله الماء وقال لغلامه حمل إليها عشرة آلاف درهم فقالت سبحان الله تسخر بى فقال حمل إليها عشرين ألف درهم فقالت أسأل الله تعالى العافية فقال يا غلام حمل إليها ثلاثين ألف درهم فردت الباب وقالت أف لك فحمل إليها ثلاثين ألف درهم فأخذتها فما أمست حتى كثر خطابها . وقيل الجود إجابة خاطر الأول^(١) سمعت بعض أصحاب أبى الحسن البوشنحى رحمه الله يقولون كان

(١) (إجابة خاطر الأول) لأنه لو لم يجب لخيف على صاحبه تغييره فيما عزم عليه .

أبو الحسن البوشنجى فى الخلاء^(١) فدعا تلميذ له وقال له انزع عنى هذا القميص وادفعه إلى فلان فقيل له هلا صبرت^(٢). حتى تخرج من الخلاء فقال لم آمن على نفسى أن يتغير على ما وقع لى من التخلف منه بذلك القميص وقيل لقيس بن سعد بن عبادة هل رأيت أحدا أسخى منك فقال نعم نزلنا بالبادية على امرأة فحضر زوجها فقالت إنه نزل بك ضيفان فجاء بناقة ونحرها وقال شأنكم بها فلما كان بالغد جاء بأخرى ونحرها وقال شأنكم بها فقلنا ما أكلنا من التى نحررت البارجة إلا اليسير فقال إنى لا أطعم أضيافى الغاب^(٣). فبقينا عنده يومين أو ثلاثة والسماء تمطر وهو يفعل كذلك فلما أردنا الرحيل وضعنا له مائة دينار فى بيته وقلنا للمرأة اعتذرى لنا إليه ومضينا فلما متع النهار^(٤). إذا نحن برجل يصيح خلفنا قفوا أيها الركب اللثام أعطيتمونى ثمن قرأى ثم إنه لحقنا وقال لتأخذنه وإلا طعنكم برمحي فأخذناه وانصرف فأنشد يقول :

وإذا أخذت ثواب ما أعطيته فكفى بذاك لائل تكديرا

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول دخل أبو عبد الله الروذبارى دار بعض أصحابه فوجده غائبا وباب بيت له مقفل فقال صوفى وله باب بيت مقفل اكسروا القفل فكسروا القفل وأمر بجميع ما وجد فى الدار والبيت وانفذه إلى السوق وباعوه وأصلحوا وقتنا من الثمن وقعدوا فى الدار فدخل صاحب المنزل ولم يمكنه أن يقول شيئا فدخلت امرأته^(٥) بعدهم الدار وعليها كساء فدخلت بيتا ورمت بالكساء وقالت يا أصحابنا هذا أيضا من جملة المتاع فبيعهوه فقال الزوج لها لم تكلفت هذا باختيارك فقالت اسكت مثل هذا الشيخ يأسطنا ويحكم علينا ويبقى لنا شيء ندخره عنه قال بشر بن الحارث النظر إلى البخيل يقسى القلب.. وقيل مرض قيس بن سعد

(١) (فى الخلاء) يقضى حاجته فوق فى خاطرة أن فقيرا يعرفه محتاج إلى قميص .

(٢) (هلا صبرت) إلى فراغك من قضاء حاجتك .

(٣) (الغاب) بالغين المعجمة وبالباء الموحدة المشددة أى البائت .

(٤) (متع النهار) بتخفيف التاء أى ارتفع وسرنا زما .

(٥) (فقالت له امرأته) ظنا منها أن بكاءه على كثرة الدراهم التى أخرجها .

ابن عبادة فاستبطأ إخوانه فسأل عنهم فقيل له إنهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال أخزى الله تعالى مالا يمنع الإخوان من الزيارة ثم أمر من ينادى من كان لقيس عليه دين فهو منه فى حل فكسرت عتبتة بالعشى لكثرة من عاده وقيل لعبد الله بن جعفر إنك تبذل الكثير إذا سئلت وتضن فى القليل إذا نوجزت فقال إني أبذل مالى وأضن بعقلى وقيل خرج عبد الله بن جعفر إلى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيها غلام أسود يعمل فيها إذ أتى الغلام بقوته فدخل كلب الحائط ودنا من الغلام فرمى إليه الغلام بقرص فأكله ثم رمى إليه الثانى والثالث فأكله وعبد الله ينظر إليه فقال له يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم آثرت هذا الكلب قال ماهى بأرض كلاب إنه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت رده قال فما أنت صانع اليوم قال أطوى يومى هذا فقال عبد الله بن جعفر ألام على السخاء إن هذا لأسخى منى فاشتري الحائط والغلام وما فيها من الآلات فاعتق الغلام ووهبها له . وقيل أتى رجل صديقا له ودق عليه الباب فلما خرج إليه قال لماذا جئتنى قال الأربعمئة درهم دين ركبتنى فدخل الدار ووزن له أربعمئة درهم وأخرجها إليه ودخل الدار باكيا فقالت له امرأته هلا تعللت حين شق عليه الإجابة فقال إنما أبكى لأنى لم أفقد حاله حتى احتاج إلى مفاتحتى به وقال مطرف بن الشخير إذا أراد أحدكم منى حاجة فلا يرفعها فى رقعة فإنى أكره أن أرى فى وجهه ذل الحاجة وقيل أراد رجل أن يضار عبد الله بن العباس فأتى وجوه البلد وقال لهم يقول لكم ابن العباس تغدوا عندى اليوم فأتوه فملؤوا الدار فقال ما هذا فأخبر الخبر فأمر بشراء الفواكه فى الوقت وأمر بالخبز والطبخ وأصلح أمراً فلما فرغوا قال لوكلائه أ موجود لنا كل يوم هذا فقالوا نعم فقال فليتغر هؤلاء كلهم عندنا كل يوم .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول كان الأستاذ أبوسهل الصعلوكى يتوضأ يوماً فى صحن داره فدخل إنسان وسأله شيئاً من الدنيا ولم يحضره شيء فقال اصبر حتى أفرغ فصبر فلما فرغ قال خذ القممة واخرج فأخذها وخرج ثم صبر حتى علم أنه بعد فصاح وقال دخل إنسان وأخذ القممة فمشوا خلفه فلم يدركوه وإنما فعل ذلك لأن أهل المنزل كانوا يلومونه على كثرة البذل . وسمعتة يقول وهب

الأستاذ أبو سهل جبته من إنسان فى الشتاء وكان يلبس جبة النساء حين يخرج إلى التدريس إذ لم تكن له جبة أخرى فقدم الوفد المعروفون من فارس فيهم من كل نوع إمام من الفقهاء والمتكلمين والنحويين فأرسل إليه صاحب الجيش أبو الحسن وأمره بأن يركب للاستقبال فلبس درعه فوق تلك الجبة التى للنساء وركب فقال صاحب الجيش إنه يستخف بى أمام البلد يركب فى جبة للنساء ثم إنه ناظرهم أجمعين فظهر كلامه على كلام جميعهم فى كل فن . وسمعتة يقول لم يناول^(١) الأستاذ أبو سهل أحدا شيئا بيده وكان يطرحه الأرض ليأخذه الآخذ من الأرض وكان يقول الدنيا أقل خطرا من أن أرى لأجلها يدي فوق يد أحد وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم « اليد العليا^(٢) . خير من اليد السفلى »^(٣) وقيل كان أبو مرثد رحمه الله أحد الكرام فمدحه بعض الشعراء فقال ما عندى ما أعطيك ولكن قدمنى إلى القاضى وأدع على عشرة آلاف درهم حتى أقر لك بها ثم احبسنى فإن أهلى لا يتركونى مسجوناً ففعل ذلك فلم يمس حتى دفع إليه عشرة آلاف درهم وخرج من السجن وقيل سأل رجل الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه شيئا فأعطاه خمسين ألف درهم وخمسمائة دينار وقال أنت بحمال يحمله لك فأتى بحمال فأعطاه طيلسانه وقال يكون كراء الحمال من قبلى وسألت امرأة الليث بن سعد سكرجة عسل فأمر لها بزق من عسل فقيل له فى ذلك فقال إنها سألت على قدر حاجتها ونحن نعطيها على قدر نعمنا وقال بعضهم صليت فى مسجد الأشعث بالكوفة الصبح أطلب غريما لى فلما سلمت وضع بين يدي كل واحد حلة ونعلين وكذا وضع بين يدي فقلت ما هذا فقالوا إن الأشعث قدم من مكة فأمر بهذا لأهل جماعة مسجده فقلت إنما جئت أطلب غريما لى ولست من جماعته فقالوا

(١) (لم يناول .. إلخ) أى على وجه الصدقة وإنما كان يطرحه على الأرض ليأخذه الآخذ لكمال زهده فى الدنيا وقلة قدرها فى عينه .

(٢) (العليا) هى المنفقة .

(٣) (السفلى) هى الآخذة فلم ير لنفسه قدرا فى كونه منقفا لحقارة الدنيا فى عينه ولم يهن عليه أن تكون يده فوق يد من يأخذ صدقته ويد الآخر أسفل من يده وفى ذلك دلالة على فضيلته وكمال جوده وسخائه وزهده فى الدنيا رضى الله تعالى عنه .

هو لكل من حضر وقيل لما قريت وفاة الشافعي رضى الله تعالى عنه قال مروا فلانا يغسلنى وكان الرجل غائبا فلما قدم أخبر بذلك فدعا بتذكرته فوجد عليه سبعين ألف درهم دينا وقال هذا غسلى إياه وقيل لما قدم الشافعي من صنعاء إلى مكة كان معه عشرة آلاف دينار فقيل له تشتري بها قينة فضرب خيمته خارج مكة وصب الدنانير فكل من دخل عليه كان يعطيه قبضة قبضة فلما جاء وقت الظهر قام ونفض الثوب ولم يبق شيء . وقيل خرج السرى يوم عيد فاستقبله رجل كبير الشأن فسلم السرى عليه سلاماً ناقصاً فقيل له هذا رجل كبير الشأن فقال قد عرفته ولكن روى مسنداً أنه إذا التقى المسلمان قسمت بينهما مائة رحمة تسعون لأبشهما فأردت أن يكون معه الأكثر وقيل بكى أمير المؤمنين على أبى طالب رضى الله تعالى عنه يوماً فقيل له ما يبكيك فقال لم يأتنى ضيف منذ سبعة أيام وأخاف أن يكون الله تعالى قد أهاننى .. وروى عن أنس بن مالك أنه قال زكاة الدار أن يتخذ فيها بيت للضيافة وقيل فى قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ قيل قيامه عليهم بنفسه وقيل لأن ضيف الكريم كريم وقال إبراهيم بن الجنيد كان يقال أربعة لا ينبغى للشرىف أن يأنف منهم وإن كان أميراً قيامه من مجلسه لأبيه وخدمته لضيفه وخدمته لعالم يتعلم منه والسؤال عما يعلم وقال ابن عباس فى قوله تعالى ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً ﴾ إنهم كانوا يتخرجون من أن يأكل أحدهم وحده فرخص لهم فى ذلك وقيل أضاف عبد الله بن عامر بن كريز رجلاً فأحسن قراه فلما أراد الرجل أن يرتحل عنه لم يعنه غلمانه فقيل له فى ذلك فقال عبد الله إنهم لا يعينون من يرتحل عنا .. أنشد عبد الله بن باكويه الصوفى قال أنشدنا المتنبى فى معناه :

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا أن لا تفارقهم فالراحلون هم

وقال عبد الله بن المبارك سخاء النفس عما فى أيدي الناس أفضل من سخاء النفس بالبذل وقال بعضهم دخلت على بشر بن الحارث فى يوم شديد البرد وقد

تعرى من الثياب وهو ينتفض فقلت يا أبا نصر الناس يزيدون فى الثياب فى مثل هذا اليوم وأنت قد نقصت فقال ذكرت الفقراء وما هم فيه ولم يكن لى ما أواسيهم به فأردت أن أوافقهم بنفسى فى مقاساة البرد ^(١) . . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت الدقاق يقول ليس السخاء أن يعطى الواجد المعدم إنما السخاء أن يعطى المعدم الواجد .



باب الغيرة ^(١)

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ (أخبرنا) أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس المزكى قال أخبرنا أبو أحمد حمزة بن العباس البزاز ببغداد قال حدثنا محمد بن غالب بن حرب حدثنا عبد الله بن مسلم قال حدثنا محمد بن الفرات عن إبراهيم الهجرى عن أبى الأحوص عن عبد الله ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ما أحد أغير من الله تعالى ومن غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن » .. (أخبرنا) على بن أحمد الأهوازى قال أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار قال حدثنا على بن الحسن بن بنان قال حدثنا عبد الله بن رجاء قال أخبرنا حرب بن شداد قال حدثنا يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة أن أبا هريرة حدثهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « إن الله يغار

(١) (فى مقاساة البرد) بأن أخرجت من ثيابى ما كان يدفع عنى ألم البرد لفقر ولم أقدر أن أعمهم فوافقتهم بأن قاسيت ألم البرد مثلهم وفيه دلالة على كمال إيثاره بما يحتاجه « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

(٢) (باب الغيرة) هى سقوط الاحتمال وضيق الصدر عن الصبر ويقال غير ذلك كما سيأتى وهى إن لم تكن فى مباح فهى مذمومة ولهذا قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وإن كانت فى مباح فهى ممدوحة ومطلوبة .

وإن المؤمن يغار وغيرة الله تعالى أن يأتي العبد المؤمن ما حرم الله عليه ، (قال الأستاذ) الغيرة كراهية مشاركة الغير وإذا وصف الحق سبحانه بالغيرة فمعناه أنه لا يرضى بمشاركة الغير معه فيم هو حق له من طاعة عبده له . حكى عن السري أنه قرئ بين يديه « وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا » فقال السري لأصحابه أتدرون ما هذا الحجاب هذا حجاب الغيرة ولا أحد أغير من الله تعالى ومعنى قوله هذا حجاب الغيرة يعنى أنه لم يجعل الكافرين أهلا لمعرفة صدق الدين . وكان الأستاذ أبو على الدقاق رحمه الله يقول إن أصحاب الكسل عن عبادته تعالى هم الذين ربط الحق بأقدامهم مثقلة الخذلان فاختار لهم البعد عنه وأخرهم عن محل القرب ولذلك تأخروا وفي معناه أنشدوا :

أنا صلب لمن هويت ولكن ما احتيالى بسوء رأى الموالى

وفي معناه أيضا قالوا سقيم ليس يعاد ومريد لا يراد .. سمعت الأستاذ أبا على رحمه الله يقول سمعت العباس الزوزنى يقول كان لى بداية حسنة وكنت أعرف كم بقى بينى وبين الوصول إلى مقصودى من الظفر بمرادى فرأيت ليلة من الليالى فى المنام كأننى أتهدده من حائق جبل فأردت الوصول إلى ذروته قال فحزنت فأخذنى النوم فرأيت قائلا ^(١) . يقول يا عباس الحق لم يرد منك أن تصل إلى ما كنت تطلب ولكنه فتح على لسانك الحكمة قال فأصبحت وقد ألهمت كلمات الحكمة . وسمعت الأستاذ أبا على يقول كان شيخ من الشيوخ له حال ووقت مع الله فخفى مدة لم ير بين الفقراء ثم ظهر بعد ذلك لا على ما كان عليه من الوقت فسئل عنه فقال آه

(١) (فرأيت قائلا .. إلخ) فى ذلك تحريض على رضا العبد بالمقام الذى أقامه الله فيه وإن علم أن فوقه أرفع منه لأنه تعالى عالم بما يصلح عبده وربما أهلهم لحمله ولا يمنعه ذلك من سؤال المقامات العالية فالممنوع إنما هو كراهة المقام هو فيه لاسؤال ما هو أرفع منه والرائى كانت نفسه متعلقة بذروة الجبل الذى رآه وهى حالة رفيعة فى الدين والقدر يمنعه من ذلك فحزن على تقصيره عن مطلوبه فرأى فى نومه ما دله على ما اختاره الله له من فتح الحكمة على لسانه كما تقرر.

وقع حجاب وكان الأستاذ أبو علي رحمه الله تعالى إذا وقع شيء في خلال المجلس يشوش قلوب الحاضرين ويقول هذا من غيرة الحق سبحانه يريد أن لا يجرى عليهم ما يجرى من صفاء هذا الوقت وأنشدوا في معناه :

همت يأتياننا حتى إذا نظرت إلى المرأة نهاها وجهها الحسن

وقيل لبعضهم تريد أن تراه فقال لا فليل لم فقال أنزه ذلك الجمال عن نظر مثلى وفي معناه أنشدوا :

**إني لأحسد ناظري عليكاً حتى أغض إذا نظرت إليكاً
وأراك تخطر في شمائك التي هي فتنتي فأغار منك عليكاً**

وسئل الشبلي متى تستريح فقال إذا لم أر له ذاكرة .. سمعت الأستاذ أبا علي يقول في قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مبايعته فرسا من أعرابي وأنه استقاله فأقاله فقال الأعرابي عمرك الله تعالى ممن أنت فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم « امرؤ من قريش » فقال بعض أصحابه من الحاضرين للأعرابي كفاك جفاء أن لا تعرف نبيك فكان رحمه الله تعالى يقول إنما قال امرؤ من قريش غيرة وإلا كان واجبا عليه التعرف إلى كل أحد أنه من هو ثم أن الله سبحانه أجرى على لسان ذلك الصحابي التعريف للأعرابي بقوله كفاك جفاء إن لا تعرف نبيك .. ومن الناس من قال أن الغيرة من صفات أهل البداية وإن الموحد لا يشهد الغيرة ولا يتصف بالاختيار وليس له فيما يجرى في المملكة تحكم بل الحق سبحانه أولى بالأشياء فيما يقضى على ما يقضى .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن رحمه الله يقول سمعت أبا عثمان المغربي يقول الغيرة عمل المريدين^(١) . فأما أهل

(١) (المريدين) هنا الذين لم يتمكنوا في التوحيد .

الحقائق فلا.. وسمعتة يقول سمعت أبا نصر الأصبهاني يقول سمعت الشبلي يقول
الغيرة غيرتان غيرة البشرية على النفوس وغيرة الإلهية على القلوب .. وقال الشبلي
أيضا غيرة الإلهية على الأنفاس أن تضع فيما سوى الله تعالى والواجب أن يقال
الغيرة غيرتان غيرة الحق سبحانه على العبد وهو أن لا يجعله للخلق فيضن به
عليهم وغيره العبد للحق وهو أن لا يجعل شيئا من أحواله وأنفاسه لغير الحق تعالى
فلا يقال أنا أغار على الله تعالى ولكن يقول أنا أغار الله تعالى فإذا الغيرة على الله
جهل وربما تؤدي إلى ترك الدين والغيرة لله تعالى توجب تعظيم حقوقه وتصفية
الأعمال له واعلموا أن من سنة الحق تعالى مع أوليائه أنهم إذا ساكنوا غيرا أو لاحظوا
شيئاً أو ضاجعوا بقلوبهم شيئاً شوش عليهم ذلك فيغار على قلوبهم بأن يعيدها خالصة
لنفسه فارغة عما ساكنوه . أو لا حظوه أو ضاجعوه كآدم عليه السلام لما وطن نفسه
على الخلود في الجنة أخرجه منها وإبراهيم عليه السلام لما أعجبه إسماعيل عليه
السلام أمره بذبحه حتى أخرجه من قلبه ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ وصفا سره
منه أمره بالفداء عنه .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت أبا زيد
الفقيه المروزي يقول سمعت إبراهيم بن شيبان يقول سمعت محمد بن حسان يقول بينا
أنا ادور في جبل لبنان إذ خرج علينا رجل شاب قد أحرقتة السموم والرياح فلما نظر
إليّ ولى هاربا فتبعته وقلت له تعظني بكلمة فقال لي احذر فإنه غيور لا يحب أن
يرى في قلب عبده سواه سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يقول قال النصراباذي الحق
تعالى غيور ومن غيرته أنه لم يجعل إليه طريقا سواه . وقيل أوحى الله تعالى إلى بعض
أنبيائه إن لفلان إلى حاجة ولى أيضاً إليه حاجة فإن قضى حاجتي قضيت
حاجته فقال ذلك النبي عليه السلام في مناجاته إلهي كيف يكون لك حاجة فقال
إنه ساكن بقلبه غيري فليفرغ قلبه عنه أقض حاجته .. وقيل إن أبا يزيد
البسطامي رأى جماعة من الحور العين في منامه فنظر إليهن فسلم وقته أياماً ثم
إنه رأى في منامه جماعة منهن فلم يلفت إليهن وقال إنكن شواغل وقيل مرضت
رابعة العدوية فقيل لها ما سبب علئك فقالت نظرت بقلبي إلى الجنة فأدبني فله

العتبي^(١) . لا أعود^(٢) ..

ويحكى عن السرى أنه قال كنت أطلب رجلا صديقا إلى مدة من الأوقات فمررت في بعض الجبال فإذا أنا بجماعة زمني وعميان ومرضى فسألت عن حالهم فقالوا ههنا رجل يخرج في السنة مرة يدعو لهم فيجدين الشفاء فصبرت حتى خرج ودعا لهم فوجدوا الشفاء فقفوت أثره وتعلقت به وقلت له بى علة باطنة فما دواؤها فقال ياسرى خل عني فإنه تعالى غيور لا يراك تساكُن غيره فتسقط من عينه .. قال الأستاذ ومنهم من غيرته حين يرى الناس يذكرونه تعالى بالغفلة فلا يمكنه رؤية ذلك ويشق عليه .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول لما دخل الأعرابي مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبال فيه وتبادر إليه الصحابة لإخراجه قال رحمه الله إنما أساء الأعرابي الأدب ولكن الخجل وقع على الصحابة والمشقة حصلت لهم حين رأوا من وضع حشمته كذلك العبد إذا عرف جلال قدره سبحانه شق عليه سماع ذكر من يذكره بالغفلة وطاعة من لا يعبد بالحرمة ، وحكى أن الشبلى مات له ابن كان اسمه أبا الحسن فجزعت أمه عليه وقطعت شعر رأسها فدخل الشبلى الحمام وتنور بلحيته فكل من أتاه معزيا قال إيش هذا يا أبا بكر فكان يقول موافقة لأهلى فقال له بعضهم أخبرنى يا أبا بكر لم فعلت هذا فقال علمت أنهم يعزوني على الغفلة ويقولون أجرك الله تعالى ففديت ذكرهم لله تعالى بالغفلة بلحيتى وسمع النورى رجلا يؤذن فقال طعنه وسم الموت وسمع كلباً ينبح فقال لبيك وسعديك فقيل له إن هذا ترك للدين فإنه يقول للمؤمنين فى تشهده طعنة وسم الموت ويلبى عند نباح الكلب فسئل عن ذلك فقال أما ذلك فكان ذكره لله على رأس الغفلة وأما الكلب فقال تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ وأذن الشبلى مرة فلما انتهى إلى الشهادتين قال لولا أنك

(١) (فله العتبي على) لكونه لا يرضى ذلك .

(٢) (لا أعود) أى لمثله وهذا يدل على شريف حالها فإنها لما زهدت فى الدنيا واشتغلت بالآخرة أعرضت عما سوى الله شغلا به فلما التفتت بقلبها إلى الجنة وما فيها أدبها الله تعالى بما شاء من الأدب فعرفت ذلك منه فنابت ورجعت إليه .

أمرتنى ما ذكرت معك غيرك وسمع رجل رجلاً يقول جل الله فقال له أحب أن تجله عن هذا .. سمعت بعض الفقهاء يقول سمعت أبا الحسن الخزفاني رحمه الله تعالى يقول لا إله إلا الله من داخل القلب محمد رسول الله من القرط .. ومن نظر إلى ظاهر هذا اللفظ توهم أنه استصغر الشرع ولا كما يخطر بالبال إذ الأخطار للأغيار بالإضافة إلى قدر الحق سبحانه متصاغرة في التحقيق .



باب الولاية

قال الله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ..

(أخبرنا) حمزة بن يوسف السهمي قال حدثنا عبد الله بن عدى الحافظ قال حدثنا أبو بكر محمد بن هرون بن حميد قال حدثنا محمد بن هرون المقرئ قال حدثنا حماد الخياط عن عبد الواحد بن ميمون مولى عروة عن عروة عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « يقول الله تعالى من آذى لي ولياً فقد استحل محاربتى وما تقرب إلى العبد بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه وما ترددت في شيء أنا فاعله كترددى في قبض روح عبدى المؤمن لأنه يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه » ..

(قال الأستاذ أبو القاسم) الولي له معنيان .. أحدهما فعيل بمعنى

مفعول وهو من يتولى الله سبحانه أمره قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ فلا يكله إلى نفسه لحظة بل يتولى الحق سبحانه رعايته والثاني فعيل مبالغة من الفاعل وهو الذى يتولى عبادة الله تعالى وطاعته فعبادته تجرى على التوالى من غير أن يتخللها عصيان وكلا الوصفين واجب حتى يكون الولى وليا يحب قيامه بحقوق الله تعالى على الاستقصاء والاستيفاء ودوام حفظ الله تعالى إياه فى السراء والضراء ومن شرط الولى أن يكون محفوظاً كما أن من شرط النبى أن يكون معصوماً فكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور مخدوع . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول قصد أبو يزيد البسطامى بعض من وصف بالولاية فلما وافى مسجده قعد ينتظر خروجه فخرج الرجل وتنخم فى المسجد فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه وقال هذا رجل غير مأمون على أدب من آداب الشريعة فكيف يكون أميناً على أسرار الحق (١) . واختلفوا فى أن الولى هل يجوز أن يعلم أنه ولى أو لا فمنهم من قال لا يجوز ذلك وقال إن الولى يلاحظ نفسه بعين التصغير وإن ظهر عليه شيء من الكرامات خاف أن يكون مكرهاً وهو يستشعر الخوف دائماً أبداً وإنما يخاف سقوطه عما هو فيه وأن تكون عاقبته بخلاف حاله وهؤلاء يجعلون من شرط الولاية وفاء المآل .. وقد ورد فى هذا الباب حكايات كثيرة عن الشيوخ وإليه ذهب من شيوخ هذه الطائفة جماعة لا يحصون ولو اشتغلنا بذكر ما قالوا لخرجنا عن حد الاختصار وإلى هذا كان يذهب من شيوخنا الذين لقيناهم الإمام أبو بكر بن فورك ومنهم من قال يجوز أن يعلم الولى أنه ولى وليس من شرط تحقيق الولاية فى الحال الوفاء فى المآل ثم إن كان ذلك من شرطه أيضاً فيجوز أن يكون هذا الولى خص بكرامة هى تعريف الحق إياه أنه مأمون

(١) (أسرار الحق) التى وهبها لأوليائه والغرض من ذلك تحذير الناس من الاغترار بجمال الأفعال وحسن المقال وجريان خوارق العادات وانتشار الثناء وشيوع الذكر فى الخلق من غير استقامة فلا يراعى فى الولى إلا الاستقامة على ما ثبت بالأدلة الصحيحة وجريان خوارق العادة على يد العبد لا يدل على ولايته بل قد يكون مذكوراً به وكذا ياعلى وبه يكفى فى ذلك دليلاً خروج الدجال فى آخر الزمان ومعه جنة ونار ويحيى ويميت وهو عدو الرحمن وكلم من ولى مستور لا يعلمه إلا الله تعالى .

العاقبة إذ القول بجواز كرامات الأولياء واجب وهو وإن فارقه خوف العاقبة فما هو عليه من الهيبة والتعظيم والإجلال في الحال أتم وأشد فإن اليسير من التعظيم والهيبة أهدأ للقلوب من كثير من الخوف ولما قال صلى الله عليه وآله وسلم « عشرة في الجنة من أصحابي ، فالعشرة لا محالة صدقوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعرفوا سلامة عاقبتهم ثم لم يقدح ذلك في حالهم ولأن من شرط صحة المعرفة بالنبوة الوقوف على حد المعجزة ويدخل في جملته العلم بحقيقة الكرامات فإذا رأى الكرامات ظاهرة عليه لا يمكنه أن لا يميز بينها وبين غيرها فإذا رأى شيئاً من ذلك علم أنه في الحال على الحق ثم يجوز أنه يعرف أنه في المآل يبقى على هذه الحالة ويكون هذا التعريف كرامة له والقول بكرامات الأولياء صحيح وكثير من حكايات القوم تدل على ذلك كما نذكر طرفاً من ذلك في باب كرامات الأولياء إن شاء الله تعالى وإلى هذا القول كان يذهب شيوخنا الذين لقيناهم الأستاذ أبو على الدقاق رحمه الله تعالى وقيل إن إبراهيم بن أدهم قال لرجل أتحب أن تكون لله ولياً فقال نعم فقال لا ترغب في شيء من الدنيا والآخرة وفرغ نفسك لله تعالى وأقبل بوجهك عليه ليقبل عليك ويؤايلك وقال يحيى بن معاذ في صفة الأولياء هم عباد تسربلوا بالأنس بالله تعالى بعد المكابدة واعتنقوا الروح بعد المجاهدة بوصولهم إلى مقام الولاية سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت عمي البسطامي يقول سمعت أبي يقول سمعت أبا يزيد يقول أولياء الله تعالى عرائس الله تعالى ولا ترى العرائس إلا المحرمون فهم مخدرون عنده في حجاب الأنس لا يراهم أحد في الدنيا ولا في الآخرة ، سمعت أبا بكر الصيدلاني وكان رجلاً صالحاً قال كنت أصلح اللوح في قبر أبي بكر الطمستاني أنقر فيه اسمه في مقبرة الحيرة كثيراً وكان يقام ذلك اللوح ويسرق ولم يقع مثله في غيره من القبور فكنت أتعجب منه فسألت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يوماً عن ذلك فقال الشيخ أثر الخفاء في الدنيا وأنت تريد أن تشهر قبره باللوح الذي تصلحه فيه وإن الحق سبحانه يأبى إلا إخفاء قبره كما آثره ستر نفسه وقال أبو عثمان المغربي الولي قد

يكون مشهوراً ولكن لا يكون مفتوناً^(١) .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت النصراباذى يقول ليس للأولياء^(٢) سؤال^(٣) إنما هو^(٤) الذبول والخمول^(٥) قال وسمعت يقول نهايات الأولياء بدايات الأنبياء وقال سهل بن عبد الله الذى تواليت أفعاله على الموافقه وقال يحيى بن معاذ الولى لا يرائى ولا ينافق وما أقل صديق من كان هذا خلقه وقال أبو على الجوزجاني الولى هو الفانى فى حاله الباقي فى مشاهدة الحق سبحانه تولى الله سياسته فتوالت عليه أنوار التولى لم يكن له عن نفسه أخبار ولا مع غير الله قرار وقال أبو يزيد حظوظ الأولياء مع تباينها من أربعة أسماء وقيام كل فريق منهم باسم منها وهو الأول والآخر والظاهر والباطن فمتى فنى عنها بعد ملابستها فهو الكامل التام فمن كان حظه من اسمه الظاهر لاحظ عجائب قدرته ومن كان حظه من اسمه الباطن لاحظ ما جرى فى السرائر من أنواره ومن كان حظه من اسمه الأول كان شغله بما سبق ومن كان حظه من اسمه الآخر كان مرتبطاً بما يستقبله وكل كوشف على قدر طاقته إلا من تولاه الحق سبحانه ببره وقام عنه بنفسه وهذا الذى قاله أبو يزيد يشير إلى أن الخواص من عباده ارتقوا عن هذه الأقسام فلا العواقب هم فى ذكرها ولا السوابق هم فى فكرها ولا الطوارق هم فى أسرها وكذا أصحاب الحقائق يكونوا محوياً عن نعوت الخلائق قال الله تعالى : ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ وقال يحيى بن معاذ الولى ربحان الله تعالى فى الأرض يشمه الصديقون فتصل رائحته إلى قلوبهم فيشتاقون به إلى مولاهم ويزدادون عبادة على

(١) (لا يكون مفتوناً) بأن تكون شهرته بركة عليه وعلى غيره بأن لا تشغله عن ربه فيسعد بها وتضاعف أعماله بكثرة من يقتدى به بخلاف من اشغله شهرته عن ربه فإنه يكون مفتوناً بها .

(٢) (ليس للأولياء) فى أغلب أحوالهم .

(٣) (سؤال) بالسنتهم .

(٤) (إنما هو) أى سؤالهم فى بواطنهم .

(٥) (الذبول والخمول) أيضاً التذلل تحت جريان المقادير والرضا بما يجريه الحق عليهم فأكثر أعمالهم بقلوبهم لأنها محل نظر ربهم ولأن أعمالها أشد من أعمال الجوارح .

تفاوت أخلاقهم.. وسئل الواسطي كيف يغذى الولي في ولايته فقال في بدايته بعبادته وفي كهولته بستره بلطافته ثم يجذبه إلى ما سبق له من نعوته وصفاته ثم يذيقه طعم قيامه به في أوقاته وقيل علامة الولي ثلاثة شغله بالله تعالى وفراره إلى الله تعالى وهمه إلى الله عز وجل قال الخراز إذا أراد الله تعالى أن يوالى عبدا من عبيده فتح عليه باب ذكره فإذا استلذ الذكر فتح عليه باب القرب ثم رفعه إلى مجالس الأنس به ثم أجلسه على كرسي التوحيد ثم رفع عنه الحجب وأدخله دار الفردانية وكشف له عن الجلال والعظمة فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقى بلا هوى فحينئذ صار العبد زمنا فانياً فوق في حفظه سبحانه وبرئ من دعاوى نفسه .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا علي الروذباري يقول قال أبو تراب النخشبى إذا ألف القلب الإعراض عن الله تعالى صحبتته الوقعة في أولياء الله تعالى ويقال صفة الولي أن لا يكون له خوف لأن الخوف ترقب مكروه يحل في المستقبل أو انتظار محبوب يفوت في المستأنف والولي ابن وقته ليس له مستقبل فيخاف شيئا وكما لا خوف له لا رجاء له لأن الرجاء انتظار محبوب يحصل أو مكروه يكشف وذلك في الثانى من الوقت وكذلك لا حزن له لأن الحزن من حزنه الوقت ومن كان في ضياء الرضا ويرد الموافقة فأنى يكون له حزن قال الله تعالى : ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ .



باب الدعاء

قال الله تعالى : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ وقال ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾

(أخبرنا) على بن أحمد بن عبدان قال أخبرنا أبو الحسن الصفار البصري قال حدثنا محمد بن أحمد العودي قال حدثنا كامل قال حدثنا ابن لهيعة قال حدثنا خالد يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « الدعاء مخ العبادة »^(١) .. (قال الأستاذ) والدعاء مفتاح الحاجة وهو مستروح أصحاب الفاقات وملجأ المضطرين ومتنفس ذوى المآرب وقد ذم الله تعالى قوما تركوا الدعاء فقال ﴿ ويقبضون أيديهم ﴾ قيل لا يمدونها إلينا فى السؤال . وقال سهل بن عبد الله خلق الله تعالى الخلق وقال ناجونى فإن لم تفعلوا فانظروا إلىّ فإن لم تفعلوا فاسمعوا منى فإن لم تفعلوا فكونوا ببابى فإن لم تفعلوا فأنزلوا حاجتكم بى .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول قال سهل بن عبد الله أقرب الدعاء إلى الإجابة دعاء الحال ودعاء الحال أن يكون صاحبه مضطراً لا بد له مما يدعو لأجله .. (أخبرنا) حمزة بن يوسف السهمى قال سمعت أبا عبد الله المكناسى يقول كنت عند الجنيد فأتت امرأة إليه وقالت أدع الله تعالى أن يرد على ابنى فإن ابنا لى ضاع فقال لها اذهبى واصبرى فمضت ثم عادت فقالت مثل ذلك فقال لها الجنيد اذهبى واصبرى فمضت ثم عادت ففعلت مثل ذلك مرات والجنيد يقول لها اصبرى (١) (مخ العبادة) أى خالصا لما فيها من التذلل والتضرع ولأنه تعالى أثنى على المتصف به فقال ﴿ ويدعوننا رغبا ورهبا ﴾ وكان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول : اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهزم وعذاب القبر .. اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها .. اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها .. وكان من دعائه : اللهم إنى أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجأة نقمتك وجميع سخطك .

فقالت له عيل صبرى ولم يبق لى طاقة عليه فادع لى فقال لها الجنيد إن كان الأمر كما قلت فاذهبى فقد رجع ابنك فمضت فوجدته ثم عادت تشكر له فقيل للجنيد بم عرفت ذلك فقال قال الله تعالى : ﴿ أَمَّنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ وقد اختلف الناس فى أن الأفضل الدعاء أم السكوت والرضا فمنهم من قال الدعاء فى نفسه عبادة .. قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم « الدعاء مخ العبادة » فالإتيان بما هو عبادة أولى من تركه ثم هو حق الحق سبحانه وتعالى فإن لم يستجب للعبد ولم يصل إلى حظ نفسه فلقد قام بحق ربه لأن الدعاء إظهار فاقة العبودية ولقد قال أبو حازم الأعرج لئن أحرم الدعاء أشد على من أن أحرم الإجابة وطائفة قالوا السكوت والخمول تحت جريان الحكم أتم والرضا بما سبق من اختيار الحق أولى ولهذا قال الواسطى اختيار ما جرى لك فى الأزل خير لك من معارضة الوقت وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم خبرا عن الله تعالى « من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين » وقال قوم يجب أن يكون العبد صاحب دعاء بلسانه وصاحب رضا بقلبه ليأتى بالأمرين جميعا والأولى أن يقال إن الأوقات مختلفة ففى بعض الأحوال الدعاء أفضل من السكوت وهو الأدب وفى بعض الأحوال السكوت أفضل من الدعاء وهو الأدب وإنما يعرف ذلك فى الوقت لأن علم الوقت إنما يحصل فى الوقت فإذا وجد بقلبه إشارة إلى الدعاء فالدعاء له أولى وإذا وجد إشارة إلى السكوت فالسكوت له أولى ويصح أن يقال ينبغى للعبد أن لا يكون ساهياً عن شهود ربه تعالى فى حال دعائه ثم يجب عليه أن يراعى حاله فإن وجد من الدعاء زيادة بسط فى وقته فالدعاء له أولى وإن عاد إلى قلبه فى وقت الدعاء شبه زجر ومثل قبض فالأولى ترك الدعاء وفى هذا الوقت وإن لم يجد فى قلبه زيادة بسط ولا حصول زجر فالدعاء وتركه ههنا سيان فإن كان الغالب عليه فى هذا الوقت العلم فالدعاء أولى لكونه عبادة وإن كان الغالب عليه فى هذا الوقت المعرفة والحال والسكوت فالسكوت أولى ويصح أن يقال ما كان للمسلمين فيه نصيب أو للحق سبحانه فيه حق فالدعاء أولى وما كان لنفسك فيه حظ فالسكوت أتم وفى الخبر المروى « إن العبد يدعو الله تعالى وهو يحبه فيقول

يا جبريل أخر حاجة عبدى فإنى أحب أن أسمع صوته وإن العبد ليدعو الله وهو يبغضه فيقول يا جبريل اقض لعبدى حاجته فإنى أكره أن أسمع صوته . ويحكى أن يحيى بن سعيد القطان رحمه الله تعالى رأى الحق سبحانه فى منامه فقال إلهى كم أدعوك ولا تجيبنى فقال يا يحيى لأنى أحب أن أسمع صوتك وقال صلى الله عليه وآله وسلم « والذى نفسى بيده إن العبد ليدعو الله وهو عليه غضبان فيعرض عنه ثم يدعوه فيعرض عنه ثم يدعوه فيقول الله تعالى لملائكته أبى عبدى أن يدعو غيرى فقد استجبت له » (١) .. (أخبرنا) أبو الحسين على بن محمد بن عبد الله بن بشران ببغداد قال حدثنا أبو عمرو وعثمان بن أحمد المعروف بابن السماك قال حدثنا محمد ابن عبد ربه الحضرمى قال حدثنا بشر بن عبد الملك قال حدثنا موسى بن الحجاج قال قال مالك بن دينار حدثنا الحسن بن أنس بن مالك قال كان رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتجر من بلاد الشام إلى المدينة ومن المدينة إلى بلاد الشام ولا يصحب القوافل توكلأ منه على الله عز وجل فقال بينا هو جاء من الشام يريد المدينة إذا عرض له لص على فرس فصاح بالتاجر قف فوقف له التاجر وقال له شأنك بمالى وخل سبيلى فقال له اللص المال مالى وإنما أريد نفسك فقال له التاجر ما ترجو بنفسى شأنك والمال وخل سبيلى فقال له اللص مثل المقالة الأولى فقال له التاجر أنظرنى حتى أتوضأ وأصلى وأدعو ربى عز وجل قال افعل ما بدا لك قال فقام التاجر وتوضأ وصلى أربع ركعات ثم رفع يديه إلى السماء فكان من دعائه أن قال : يا ودود يا ودود يا ذا العرش المجيد يا مبدئى يا معيد يا فعال لما يريد أسألك بنور وجهك الذى ملأ أركان عرشك وأسألك بقدرتك التى قدرت بها على خلقك وبرحمتك التى وسعت كل شىء لا إله إلا أنت يا مغيث أغثنى ثلاث مرات فلما فرغ من دعائه إذا

(١) (فقد استجبت له) وقد يدعو العبد فيعلم الحق تعالى أن مصلحته فى ضد ما دعا به فلا يخلقه له رحمة له فيظن لجبهله أن تأخير استجابة دعائه مضر له وهو نافع له وربما جرى على لسانه دعوت فلم تستجب لى فيكون سببا لمنع الإجابة كما قال صلى الله عليه وآله وسلم إنه يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لى وقد يرزقه الله فى الآخرة خيرا مما دعا به فى الدنيا حتى ليتمنى العبد ألا يكون استجاب الله له فى دعوة فى الدنيا .

بفارس على فرس أشهب عليه ثياب خضر بيده حرية من نور فلما نظر اللص إلى الفارس ترك التاجر ومروا نحو الفارس فلما دنا منه شد الفارس على اللص فطعنه طعنة أذراه^(١). عن فرسه ثم جاء إلى التاجر فقال له قم فاقتله فقال له التاجر من أنت فما قتلت أحدا قط ولا تطيب نفسي لقتله قال فرجع الفارس إلى اللص فقتله ثم جاء إلى التاجر وقال اعلم أني ملك من السماء الثالثة حين دعوت الأولى سمعنا لأبواب السماء قعقة فقلنا أمر حدث ثم دعوت الثانية ففتحت أبواب السماء ولها شرر كشرر النار ثم دعوت الثالثة فهبط جبريل عليه السلام علينا من قبل السماء وهو ينادي من لهذا المكروب فدعوت ربى عز وجل أن يوليني قتله واعلم يا عبد الله أنه من دعا بدعائك هذا في كل كربة وكل شدة وكل نازلة فرج الله تعالى عنه وأعانه .. قال وجاء التاجر سالما غانما حتى دخل المدينة وجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فخبّره بالقصة وأخبره بالدعاء فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم « لقد لقنك الله عز وجل أسماءه الحسنى التي إذا دعى بها أجاب وإذا سئل بها أعطى » ..

(ومن آداب الدعاء) حضور القلب وأن لا يكون ساهياً فقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « إن الله تعالى لا يستجيب دعاء عبد من قلب لاه » .. (ومن شرائطه) أن يكون مطعمه حلالا فلقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لسعد « أظب كسبك تستجيب دعوتك » وقد قيل الدعاء مفتاح الحاجة وأسنانها^(٢) لقم الحلال وكان يحيى بن معاذ يقول إلهي كيف أدعوك وأنا عاص وكيف لا أدعوك^(٣). وأنت كريم .. وقيل مرموسى عليه السلام برجل يدعو ويتضرع فقال موسى عليه السلام إلهي لو كانت حاجته بيدي قضيتها فأوحى الله تعالى إليه أنا أرحم به منك ولكنه يدعوني وله غنم وقلبه عند غنمه وإني لا أستجيب لعبد يدعوني وقلبه عند غيري فذكر موسى عليه السلام للرجل ذلك فانقطع إلى الله

(١) (أذراه) بمعجمة ساكنة وألف لينة أى ألقاه .

(٢) (وأسنانها) الأولى وأسنانها .

(٣) (أى مفتاح الحاجة كيف أدعوك .. إلخ) فتعارض عنده الأمران وبالجمله فشرط استجابة الدعاء طاعة العبد لربه .

تعالى بقلبه فقضيت حاجته، وقيل لجعفر الصادق عليه السلام ما بالنا ندعوا فلا يستجاب لنا فقال لأنكم تدعون من لا تعرفونه .. سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول ظهر بيعقوب^(١) بن الليث علة أعيت الأطباء فقالوا له في ولايتك رجل صالح يسمى سهل بن عبد الله لو دعا لك لعل الله تعالى يستجيب له فاستحضر سهلا وقال ادع الله عز وجل لي فقال سهل كيف يستجاب دعائي فيك وفي مجلسك مظلومون فأطلق كل من كان في حبسه فقال سهل اللهم كما أريته ذل المعصية فأره عز الطاعة وفرج عنه فعوفى فعرض مالا على سهل فأبى أن يقبله فقبل له لو قبلته ودفعته إلى الفقراء فنظر إلى الحصباء في الصحراء فإذا هي جواهر فقال لأصحابه من يعطى مثل هذا يحتاج إلى مال يعقوب بن الليث وقيل كان صالح^(٢) المرى يقول كثيرا من أدمن قرع باب يوشك أن يفتح له فقالت له رابعة إلى متى تقول هذا متى أغلق هذا الباب حتى يستفتح فقال صالح شيخ جهل وامرأة علمت ، سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يقول سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت أبا بكر الحريبي يقول سمعت السري يقول حضرت مجلس معروف الكرخي فقام إليه رجل فقال يا أبا محفوظ ادع الله تعالى أن يرد على كيسي فإنه سرق وفيه ألف دينار فسكت فأعاد ثم سكت فأعاد فقال معروف ماذا أقول أقول ما رويته عن أنبيائك وأصفيائك فردده عليه فقال الرجل فادع الله تعالى لي فقال اللهم خر له، وحكى عن الليث أنه قال رأيت عقبة بن نافع ضريرا ثم رأيت بصيرا فقلت له بم رد عليك بصرك فقال أتيت في منامي فقيل قل يا قريب يا مجيب يا سميع الدعاء يا لطيفا لما يشاء رد على بصري فقلت لها فرد الله عز وجل على بصري ..

(١) (ظل بيعقوب .. إلخ) فيه دلالة على أن من الكرب العظيمة ما لا يفرجها مال ولا جاه ولا سلطنة ولا طب وإنما يفرجها صحيح الافتقار والتوبة والالتجاء إلى من بيده النفع والضرر.

(٢) (كان صالح .. إلخ) تكلم صالح من مقام الكسب والعبودية فأشار إلى الدعاء والابتهاال إلى الله فإنه يجيب المضطر إذا دعاه وتكلمت رابعة من مقام التوحيد فأشارت إلى أن رحمته مبسطة كما في خبر أن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها أي يبسط رحمته وفضله على عباده وكل منهما على حق إلا أن صالحا عرف على درجة رابعة وما أشارت إليه فأقر لها بذلك .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول كان بى وجع العين ابتداء ما رجعت إلى نيسابور من مرو وكنت مدة أياما لم أجد النوم فتناعست صباحا فسمعت قائلا يقول لى ﴿ أليس الله بكاف عبده ﴾ فانتبهت وقد فارقتى الرمد وزال فى الوقت الوجع ولم يصبنى بعد ذلك وجع العين ، وحكى عن محمد بن خزيمة أنه قال لما مات أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى كنت بالإسكندرية فاغتممت فرأيت فى المنام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وهو يتبختر فقلت يا أبا عبد الله أى مشيئة هذه فقال مشيئة الخدام فى دار السلام فقلت ما فعل الله عز وجل بك فقال غفر لى وتوجنى وألبسنى نعلين من ذهب وقال يا أحمد هذا بقولك القرآن كلامى ثم قال ادعنى يا أحمد بتلك الدعوات التى بلغتك عن سفیان الثورى فكنت تدعوبها فى دار الدنيا فقلت يارب كل شىء بقدرتك على كل شىء اغفر لى كل شىء ولا تسألنى عن شىء فقال يا أحمد هذه الجنة فادخلها فدخلتها وقيل تعلق شاب بأستار الكعبة وقال إلهى^(١) لا شريك لك فيؤتى ولا وزير لك فيرشى إن أطعتك فبفضلك ولك الحمد وإن عصيتك فبجهلى فلك الحجة عليه فبإثبات حجتك على وانقطاع حجتى لديك إلا غفرت لى فسمع هاتفا يقول الفتى عتيق من النار وقيل فائدة الدعاء إظهار الفقة بين يديه تعالى وإلا فالرب عز وجل يفعل ما يشاء وقيل دعاء العامة بالأقوال ودعاء الزهاد بالأفعال ودعاء العارفين بالأحوال وقيل خير الدعاء ما هيجهته الأحزان وقال بعضهم إذا سألت الله تعالى حاجة فتسهلت فسل الله عز وجل عقب ذلك الجنة فلعل ذلك يوم إجابتك وقيل السنة المبتدئين منطلقة بالدعاء والسنة المتحققين خرست عن ذلك . وسئل الواسطى أن يدعو فقال أخشى إن دعوت أن يقال لى إن سألتنا ما لك عندنا فقد اتهمتنا وإن سألتنا ما ليس لك عندنا فقد أسأت الثناء علينا وإن رضيت أجرينا لك من الأمور ما قضينا لك به فى الدهور وروى عن عبد الله بن منازل أنه قال ما دعوت منذ خمسين سنة ولا أريد أن

(١) (وقال إلهى) هذا من أحسن الأسباب فى استدعاء الرحمة بالفعل والقول أما الفعل فالتعلق بالجنان وأما القول فحسن الخطاب لأن قوله فبإثبات حجتك على إقرار الله بلزوم الحق عليه كما قال فله الحجة البالغة وقوله وانقطاع حجتى لديك إقرار بالمعصية ومن تكون هذه حالته فهو المقتر على ما يشاء ويرغب إليه فى العفو عن الخطأ .

يدعو لى أحد وقيل الدعاء سلم المذنبين وقيل الدعاء المراسلة وما دامت المراسلة باقية فالأمر جميل بعده وقيل لسان المذنبين دعاؤهم .. وسمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول إذا بكى المذنب فقد راسل الله عز وجل وفى معناه أنشدوا :

دموع الفتى عما يجن^(١) تترجم وأنفاسه يبين ما القلب يكتم

وقال بعضهم الدعاء ترك الذنوب وقيل الدعاء لسان الاشتياق إلى الحبيب وقيل الإذن فى الدعاء خير للعبد من العطاء وقال الكتانى لم يفتح الله تعالى لسان المؤمن بالمعذرة إلا لفتح باب المغفرة وقيل الدعاء يوجب الحضور والعطاء يوجب الصرف والمقام على الباب أتم من الانصراف بالمثاب وقيل الدعاء مواجهة الحق تعالى بلسان الحياء وقيل شرط الدعاء الوقوف مع القضاء بوصف الرضا وقيل كيف تنتظر إجابة الدعوة وقد سددت طريقها بالهفوة وقيل لبعضهم ادع لى فقال كفاك من الأجنبية أن تجعل بينك وبينه واسطة سمعت حمزة بن يوسف السهمى يقول سمعت أبا الفتح نصر بن أحمد بن عبد الملك يقول سمعت عبد الرحمن بن أحمد يقول سمعت أبى يقول جاءت امرأة إلى تقى بن مخلد فقالت إن ابنى قد أسره الروم ولا أقدر على مال أكثر على من دويرة ولا أقدر على بيعها فلو أشرت إلى من يفديه بشىء فإنه ليس لى ليل ولا نهار ولا نوم ولا قرار فقال نعم انصرفى حتى أنظر فى أمره إن شاء الله تعالى قال وأطرق الشيخ وحرك شفثيه قال فلبثنا مدة فجاءت المرأة ومعها ابنها وأخذت تدعوه وتقول رجع سالماً وله حديث يحدثك به فقال الشاب كنت فى يدى بعض ملوك الروم مع جماعة من الأسارى وكان له إنسان يستخدمنا كل يوم يخرجنا إلى الصحراء للخدمة ثم يردنا وعلينا قيودنا فبينما نحن نجىء من العمل بعد المغرب مع صاحبه الذى الذى يحفظنا انفتح القيد من رجلى ووقع على الأرض ووصف اليوم والساعة فوافق الوقت الذى جاءت فيه المرأة ودعا الشيخ قال فنهض إلى الذى كان يحفظنى وصاح على وقال لى كسرت القيد قلت لا أنه سقط من رجلى قال فتحيروا أخبر صاحبه وأحضروا الحداد وقيدونى فلما مشيت خطوات سقط

(١) (يجن) أى يستر .

القيد من رجلى فتحيروا فى أمرى فدعوا رهبانهم فقالوا لى ألك والدة؟ قلت نعم فقالوا : وافق دعاؤها الإجابة وقد أطلقك الله عز وجل فلا يمكننا تقييدك فزودونى وأصحبونى بمن أوصلنى إلى ناحية المسلمين ..



باب الفقر (١)

قال الله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ ﴾ ..

(أخبرنا) أبو عبد الله الحسين بن الشجاع بن الحسن بن موسى البزار ببغداد قال أخبرنا أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن الهيثم الأنبارى قال حدثنا جعفر بن محمد الصائغ قال حدثنا قبيصة قال حدثنا سفيان عن محمد بن عمرو بن علقمة عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال، يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام نصف يوم . وأخبر أبو بكر محمد بن أحمد ابن عبدوس الحيرى ببغداد قال حدثنا أبو أحمد حمزة بن العباس البزار ببغداد قال حدثنا محمد بن غالب بن حرب قال حدثنا عبد الله بن مسلمة قال حدثنا محمد بن أبى الفرات عن إبراهيم الهجرى عن أبى الأحوص عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « إن المسكين ليس بالطواف الذى ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان قال فقيل من المسكين يارسول الله قال الذى لا يجد ما يغنيه ويستحى أن (باب الفقر) هو التبرى من رؤية الملكة ويقال هو إرسال النفس فى أحكام الله تعالى ويقال غير ذلك وسيأتى بعضه وهو على ثلاث درجات الأولى هو فقر الزهاد وهو التبرى من رؤية الفقر والثانية التبرى من رؤية الأعمال والأحوال والمقامات والثالثة التبرى من رؤية كونه متبريا وهو بكل حال ممدوح ومطلوب .

يسأل الناس ولا يظنن له فيتصدق عليه .. قال الأستاذ معنى قوله يستحى أن يسأل الناس أى يستحى من الله تعالى أن يسأل الناس لا أنه يستحى من الناس والفقير شعار الأولياء وحلية الأصفياء واختيار الحق سبحانه لخواصه من الأتقياء والأنبياء والفقراء صفوة الله عز وجل من عباده ومواضع أسرارهِ بين خلقه بهم يصون الخلق وبركاتهم يبسط عليهم الرزق والفقراء الصُّبْر^(١) . جلساء الله تعالى يوم القيامة بذلك ورد الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم .. (أخبرنا) الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال حدثنا إبراهيم بن أحمد بن محمد بن رجاء الفزارى قال حدثنا عبد الله ابن جعفر بن أحمد بن مشيش البغدادي قال حدثنا عثمان بن معبد قال حدثنا عمر ابن رشد عن نافع عن ابن عمر عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لكل شىء مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصُّبْر جلساء الله تعالى يوم القيامة » وقيل إن رجلا أتى إبراهيم بن أدهم بعشرة آلاف درهم فأبى أن يقبلها منه وقال تريد أن تمحو إسمى من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم لا أفعل وقال معاذ النفسى ما أهلك الله تعالى قوما وإن عملوا ما عملوا حتى أهانوا الفقراء وأذلّوهم وقيل لولم يكن للفقير إلى الله فضيلة غير إرادته وتمنيه سعة المسلمين ورخص أسعارهم لكفاه ذلك لأنه يحتاج إلى شرائها والغنى يحتاج إلى بيعها هذا لعوام الفقراء فكيف حال خواصهم . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت عبد الواحد بن بكر يقول سمعت أبا بكر بن سمعان يقول سمعت أبا بكر بن مسعود يقول سئل يحيى بن معاذ عن الفقر فقال حقيقته أن لا يستغنى العبد إلا بالله ورسمه عدم الأسباب كلها . وسمعت يوقل سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت إبراهيم القصار يقول الفقر لباس يورث الرضا إذا تحقق العبد فيه وقدم على الأستاذ أبى على الدقاق فقير فى سنة خمس أو أربع وتسعين وثلاثمائة من زوزن وعليه مسح وقلنسوة مسح فقال له بعض أصحابنا بكم اشتريت

(١) (الصُّبْر) بضم الصاد وتشديد الباء الصابرون .

هذا المسح على وجه المطايبه فقال اشتريته بالدنيا ^(١) وطلب منى بالآخرة ^(٢) فلم أبعه . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول قام فقير فى مجلس يطلب شيئاً وقال إنى جائع منذ ثلاث وكان هناك بعض المشايخ فصاح عليه وقال كذبت إن الفقر سر الله وهو لا يضع سره عند من يحمله إلى من يريد .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن الفراء يقول سمعت زكريا النخشبى يقول سمعت حمدون القصار يقول إذا اجتمع إبليس وجنوده لم يفرحوا بشيء كفرحهم بثلاثة أشياء : رجل مؤمن قتل مؤمناً ورجل يموت على الكفر وقلب فيه خوف الفقر . وسمعت يقول سمعت عبد الله بن عطاء يقول سمعت أبا جعفر الفرغانى يقول سمعت الجنيد يقول يا معشر الفقراء إنكم تعرفون بالله تعالى وتكرمون الله تعالى فانظروا كيف تكونون مع الله تعالى إذا خلوتكم به سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن الحسن البغدادى يقول سمعت محمد بن عبد الله الفرغانى يقول سمعت الجنيد وقد سئل عن الافتقار إلى الله سبحانه وتعالى أهو أتم أم الاستغناء بالله تعالى فقال إذا صح الافتقار إلى الله عز وجل فقد صح الاستغناء بالله تعالى وإذا صح الاستغناء بالله تعالى كمل الغنى به فلا يقال أيهما أتم الافتقار أم الغنى لأنهما حالتان لا تتم إحداهما إلا بالأخرى . وسمعت يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت جعفرًا يقول سمعت رويما يقول وقد سئل عن نعت الفقير فقال إرسال النفس فى أحكام الله تعالى وقيل نعت الفقير ثلاثة أشياء : حفظ سره وأداء فرضه وصيانة فقره وقيل لأبى سعيد الخراز لم تؤخر عن الفقراء رفق الأغنياء قال لثلاث خصال : لأن مافى أيديهم غير طيب ولأنهم غير موفقين ولأن

(١) (فقال اشتريته بالدنيا) أى بإعراضى عنها .

(٢) (وطلب منى .. إلخ) لأن حالى هذا هو شغلى بالله لا بغيره وسكونى إليه لا إلى غيره فلو ملت إلى آخر لكنت بعت حظاً بحظ وكل منهما حادث وحظى الذى أنا مشغول به هو الذى لم يزل ولم يتغير وهذا فقر العارفين ومن عداهم من الفقراء قد يتمسك بالفقر ليكون من السابقين إلى الجنة كما صحت به الأخبار إذ أن أسرع الناس دخولا إلى الجنة الفقراء خاصة فقراء المهاجرين والكل فى الجنة وإنما اختلفوا فى البواعث على الأعمال ففرق بين من عمل لوجهه وقربه ومن عمل لثوابه فى جنته وإن كان لا بد من الثواب .

الفقراء مرادون بالبلاء وقيل أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام إذا رأيت الفقراء فسائلهم كما تسائل الأغنياء فإن لم تفعل فاجعل كل شيء علمتك تحت التراب .. وروى عن أبي الدرداء قال لأن أقع من فوق قصر فأتحطم أحب إلي من مجالسة الغنى لأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول « إياكم ومجالسة الموتى قيل يارسول الله ومن الموتى قال الأغنياء » وقيل للربيع بن خيثم قد غلا السعر فقال نحن أهون على الله من أن يجيعنا إنما يجيع أوليائه وقال إبراهيم بن أدهم طلبنا الفقر فاستقبلنا الغنى وطلب الناس الغنى فاستقبلهم الفقر .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أحمد بن علي يقول سمعت الحسن بن علوية يقول قيل ليحيى بن معاذ ما الفقر قال خوف الفقر قيل فما الغنى قال الأمن بالله تعالى وسمعه يقول سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت الجريري يقول سمعت ابن الكرني يقول إن الفقير الصادق ليحترز من الغنى حذرا أن يدخله الغنى فيفسد عليه فقره كما أن الغنى يحترز من الفقر حذرا أن يدخل عليه فيفسد عليه غناه . وسئل أبو حفص بماذا يقدم الفقير على ربه عز وجل فقال وما للفقير أن يقدم به على ربه تعالى سوى فقره وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أتريد أن يكون لك يوم القيامة مثل حسنات الناس أجمع قال نعم قال عد المريض وكن لثياب الفقراء فاليا فجعل موسى عليه السلام على نفسه في كل شهر سبعة أيام يطوف على الفقراء يلقى ثيابهم ويعود المرضى^(١) . وقال سهل بن عبد الله خمسة أشياء من جوهر النفس فقير يظهر الغنى وجائع يظهر الشبع ومحزون يظهر الفرح ورجل بينه وبين رجل عداوة يظهر له المحبة ورجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يظهر ضعفا وقال بشر بن الحارث أفضل المقامات اعتقاد الصبر على الفقر إلى القبر وقال ذو النون علامة سخط الله على العبد خوفه من الفقر ، وقال الشبلي أدنى علامات الفقر أن لو كانت الدنيا بأسرها لأحد فأنفقها في يوم ثم خطر بباله أن لو أمسك منها قوت يوم ما صدق في فقره .. سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول تكلم

(١) (ويعود المرضى) في ذلك دلالة على شدة كرامة الفقراء على الله وشرف منزلتهم عنده وكمال رحمته بهم حيث أمر أنبياءه وأحبابه بأن يكرمهم .

الناس في الفقر والغنى أيهما أفضل وعندى أن الأفضل أن يعطى الرجل كفايته ثم يصاب فيه . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا عبد الرحمن الرازي يقول سمعت أبا محمد بن ياسين يقول سمعت ابن الجلاء يقول وقد سألته عن الفقر فسكت حتى خلا ثم ذهب ورجع عن قريب ثم قال كان عندى أربعة دوانيق فاستحييت من الله عز وجل أن أتكلم في الفقر فذهبت وأخرجتها ثم قعد وتكلم في الفقر . وسمعت يقول سمعت عبد الله بن محمد الدمشقي يقول سمعت إبراهيم بن المولد يقول سألت ابن الجلاء متى يستحق الفقير اسم الفقر فقال إذا لم يبق عليه بقية منه فقلت كيف ذاك فقال إذا كان له فليس له وإذا لم يكن له فهو له وقيل صحة الفقر أن لا يستغنى الفقير في فقره بشيء إلا بمن إليه فقره وقال عبد الله بن المبارك إظهار الغنى في الفقر أحسن من الفقر . سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول سمعت هلال بن محمد يقول سمعت النقاش يقول سمعت بنانا المصري يقول كنت بمكة قاعدا وشاب بين يدي فجاءه إنسان وحمل إليه كيسا فيه دراهم ووضعها بين يديه فقال لا حاجة لى فيه فقال فرقه على المساكين فلما كان العشاء رأيته فى الوادى يطلب شيئا لنفسه فقلت لو تركت لنفسك مما كان معك شيئا قال لم أعلم أنني أعيش إلى هذا الوقت^(١).. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت على بن بندار الصيرفى يقول سمعت محفوظا يقول سمعت أبا حفص يقول أحسن ما يتوسل به العبد إلى مولاه دوام الفقر إليه على جميع الأحوال وملازمة السنة فى جميع الأفعال وطلب القوت من وجه حلال^(٢) . وسمعت يقول سمعت الحسين بن أحمد يقول سمعت المرتعش يقول ينبغى للفقير أن لا تسبق همته حظوته^(٣) . وسمعت يقول سمعت أبا الفرج الورثانى يقول سمعت فاطمة أخت أبى على الروذبارى تقول سمعت أبا على الروذبارى يقول كان أربعة فى زمانهم واحدا كان لا يقبل من الإخوان ولا من السلطان

(١) (إلى هذا الوقت) فى ذلك دلالة على فقره وزهده وقصر أمله .

(٢) (القوت من وجه حلال) المشار إليه بخبر قد أفلح من أسلم وكان قوته حلالا وقنعه الله .

(٣) (حظوته) أى حالته التى هو فيها بأن لا يعلق قلبه من الدنيا بغير ما هو محتاج إليه فى الوقت .

شيئا وهو يوسف بن أسباط ورث من أبيه سبعين ألف درهم ولم يأخذ منها شيئا وكان يعمل الخوص بيده وآخر كان يقبل من الإخوان والسلطان جميعا وهو أبو إسحاق الفزاري فكان ما أخذه من الإخوان ينفقه في المستورين الذي لا يتحركون والذي كان يأخذه من السلطان كان يخرج به إلى أهل طرسوس والثالث كان يأخذ من الإخوان ولا يأخذ من السلطان وهو عبد الله بن المبارك يأخذ من الإخوان ويكافئ عليه والرابع كان يأخذ من السلطان ولا يأخذ من الإخوان وهو مخلد بن الحسين كان يقول السلطان لا يمن والإخوان يمنون^(١) سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول في الخبر « من تواضع لغنى لأجل غناه ذهب ثلثا دينه » إنما كان ذلك لأن المرء بقلبه ولسانه ونفسه فإذا تواضع لغنى بنفسه ولسانه ذهب ثلثا دينه فلو اعتقد فضله بقلبه كما تواضع له بلسانه ونفسه ذهب دينه كله^(٢) . وقيل أقل ما يلزم الفقير في فقره أربعة أشياء علم يسوسه وورع يحجزه ويقين يحمله وذكر يؤنسه وقيل من أراد الفقر لشرفه مات فقيرا ومن أراد الفقر لثلا يشتغل عن الله تعالى مات غنيا وقال المزين كانت الطرق إلى الله أكثر من نجوم السماء فما بقى منها طريق إلا طريق الفقر وهو أصح الطرق^(٣) .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت الحسين بن يوسف القزويني يقول سمعت إبراهيم بن المولود يقول سمعت الحسن بن علي يقول سمعت النوري يقول نعت الفقير السكون عند العدم والإيثار عند الوجود . وسمعته يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سئل الشبلي عن حقيقة الفقر فقال أن لا يستغنى بشيء دون الله عز وجل . وسمعته يقول سمعت منصور بن خلف المغربي يقول قال لي أبو سهل الخشاب الكبير الفقير فقر وذل فقلت لا بل فقر وعز فقال فقر وثرى^(٤) فقلت لا بل فقر وعرش .. سمعت الأستاذ أبا علي

(١) (والإخوان يمنون) فلا يقبل منهم شيئا وكل من الأربعة قصده جميل وإن تفاوتوا في الفضل .

(٢) (ذهب دينه كله) لأن الدنيا عند الله حقيرة فعلى العبد حقارتها فلا ينبغي له أن يتذلل بشيء من ذلك في طلبها .

(٣) (أصح الطرق) لسلامته من الآفات التي تدخل بقية الطرق لكونه تبريا من الاقتدار على الأعمال .

(٤) (وثرى) أى تواضع ونزول إلى العرش بالله وكرامته وكلاهما على حق لكن =

الدقاق يقول سئلت عن معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم « كاد الفقر أن يكون كفرا » قال فقلت آفة الشيء وضده على حسب فضيلته وقدره فكلما كان في نفسه أفضل فضده وآفته أنقص كالإيمان لما كان أشرف الخصال كان ضده الكفر فلما كان الخطر على الفقر الكفر بالله دل على أنه أشرف الأوصاف .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت أبا نصر الهروي يقول سمعت المرتعش يقول سمعت الجنيد يقول إذا لقيت الفقير فالقه بالرفق ولا تلقه بالعلم فإن الرفق يؤنسه والعلم يوحشه فقلت يا أبا القاسم وهل يكون فقير يوحشه العلم فقال نعم الفقير إذا كان صادقا في فقره فطرحت عليه علمك ذاب كما يذوب الرصاص في النار وسمعته يقول سمعت أبا عبد الله الرازي يقول سمعت مظفر القرمسيني يقول الفقير هو الذي لا يكون له إلى الله حاجة قال الأستاذ أبو القاسم وهذا اللفظ فيه أدنى غموض^(١) . لمن سمعه على وجه الغفلة عن مرمى القوم وإنما أشار قائله إلى سقوط المطالبات وانتفاء الاختيار والرضا بما يجريه الحق سبحانه وقال ابن خفيف الفقر عدم الإملاك والخروج من أحكام الصفات وقال أبو حفص لا يصح لأحد الفقر حتى يكون العطاء أحب إليه من الأخذ وليس السخاء أن يعطى الواجد المعدم إنما السخاء أن يعطى المعدم الواجد . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الواحد بن بكر يقول سمعت الدقي يقول سمعت ابن الجلاء يقول لولا شرف التواضع لكان حكم الفقير إذا مشى أن يتبختر وقال يوسف بن أسباط منذ أربعين سنة ما ملكت قميصين وقال بعضهم رأيت كأن القيامة قد قامت وقيل أدخلوا مالك بن دينار ومحمد بن واسع الجنة فنظرت أيهما يتقدم فتقدم محمد بن واسع فسألت عن سبب تقدمه فقيل لى إنه كان له قميص واحد ولمالك قميصان وقال محمد المسوحى الفقير الذى لا يرى لنفسه حاجة إلى شىء من الأسباب وسئل سهل بن عبد الله متى يستريح الفقير فقال إذا لم ير لنفسه غير الوقت الذى هو فيه وتذكروا

= الثانى أكرم همة من الأول .

(١) (أدنى غموض .. إلخ) لأن حقيقة الفقر الاحتياج إلى الله لا إلى غيره مع أن الغموض فيه على من سمعه إنما يكون على وجه الغفلة .. إلخ .

عند يحيى بن معاذ فى الفقر والغنى فقال لا يوزن غذا لا الفقر ولا الغنى وإنما يوزن الصبر والشكر فيقال يشكر ويصبر وقيل أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء عليهم السلام إن أردت أن تعرف رضى عنك فانظر كيف رضى الفقراء عنك وقال أبو بكر الزقاق من لم يصحبه التقى فى فقره أكل الحرام المحض وقيل كان الفقراء فى مجلس سفيان الثورى كأنهم الأمراء .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن أحمد الفراء يقول سمعت أبا بكر بن طاهر يقول من حكم الفقير أن لا يكون له رغبة فى الدنيا فإن كان ولا بد فلا تجاوز رغبته كفايلته (وأنشدنا) الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى قال أنشدنى عبد الله بن إبراهيم بن العلاء قال أنشدنى أحمد بن عطاء لبعضهم قال :

قالوا غذا العيد ماذا أنت لابسـه	فقلت خلعة ساق حبه جرعا
فقر وصبر هما ثوبى تحتهما	قلب يرى إلفه الأعياد والجمعا
أحرى الملابس أن تلقى الحبيب به	يوم التزاور فى الثوب الذى خلعا
الدهر لى ماتم إن غبت يا أملى	والعيد ما كنت لى مرأى ومستمعا

وقيل إن هذه الأبيات لأبى على الروذبارى وقال أبو بكر المصرى وقد سئل عن الفقير الصادق فقال الذى لا يملك ^(١) ولا يميل ^(٢) وقال ذو النون المصرى دوام الفقر إلى الله تعالى مع التخليط أحب إلى من دوام الصفاء مع العجب ^(٣) .. سمعت أبا عبد الله الشيرازى يقول سمعت عبد الواحد بن أحمد يقول سمعت أبا بكر الجوال يقول سمعت أبا عبد الله الحصرى يقول مكث أبو جعفر الحداد عشرين سنة يعمل كل يوم

(١) (لا يملك) شيئاً ولا يدعى شيئاً من الأحوال والمقامات .

(٢) (ولا يميل) لشيء من المشتبهات فلا يصير رفيقاً لشيء من المخلوقات .

(٣) (دوام الصفاء مع العجب) لأن المخطئ لكونه فقيراً إلى الله يتعرض للتوبة بخلاف من به العجب المحرم وشتان بين فقير متعرض للتوبة وعاص مقيم على معصيته بعيد من التوبة .

بدينار وينفقه على الفقراء ويصوم ويخرج بين العشاءين فيتصدق عليه من الأبواب .
سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا علي الحسين بن يوسف القزويني يقول
سمعت إبراهيم بن المولّد يقول سمعت الحسن بن علي يقول سمعت النوري يقول نعت
الفقير السكون عند العدم والبذل والإيثار عند الوجود ^(١) . وسمعت يقول سمعت
منصور بن عبد الله يقول سمعت محمد بن علي الكتاني يقول كان عندنا بمكة
حرسها الله تعالى فتى عليه أظمار رثة وكان لا يداخلنا ولا يجالسنا فوقعت محبته
في قلبي ففتح لي بمائتي درهم من وجه حلال فحملتها إليه ووضعتها على طرف
سجاده وقلت له إنه فتح لي ذلك من وجه حلال تصرفه في بعض أمورك فنظر إليّ
شزرا ثم كشف عما هو مستور عني وقال اشتريت هذه الجلسة مع الله تعالى على
الفراغ بسبعين ألف دينار غير الضياع والمشتغلات تريد أن تخذعني عنها بهذه
وقام وبددها وقعدت النقطة فما رأيت كعزه حين مر ولا كذلي حين كنت ألتقطها
وقال أبو عبد الله بن خفيف ما وجبت على زكاة الفطر أربعين سنة ولي قبول عظيم
بين الخاص والعام ، سمعت الشيخ أبو عبد الله بن باكويه الصوفي يقول سمعت أبا
عبد الله بن خفيف يقول ذلك وسمعت يقول سمعت أبا أحمد الصغير يقول سألت أبا
عبد الله بن خفيف عن فقير يجوع ثلاثة أيام وبعد ثلاثة يخرج ويسأل مقدار كفايته
إيش يقال فيه فقال يقال فيه مكد كلوا واسكتوا فلو دخل فقير من هذا الباب لفضحك
كلكم ، سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن علي الصوفي يقول
سمعت الدقي يقول وقد سئل عن سوء أدب الفقراء مع الله تعالى في أحوالهم فقال
هو انحطاطهم من الحقيقة إلى العلم .. وسمعت يقول سمعت محمد بن عبد الله
الطبري يقول سمعت خيرا النساج يقول دخلت بعض المساجد وإذا فيه فقير فلما رأيته
تعلق بي وقال أيها الشيخ تعطف عليّ فإن محنتي عظيمة فقلت وما هي فقال
فقدت البلاء وقويت بالعافية فنظرت فإذا قد فتح عليه بشيء من الدنيا ..

(١) (الإيثار عند الوجود) لأن الموجب لكونه عند العدم ثقته بضمان الله لرزقه والموجب
لإيثاره عند الوجود تحصيل رضا الله .

وسمعته يقول سمعت محمد بن محمد بن أحمد يقول سمعت أبا بكر الوراق يقول طوبى للفقير فى الدنيا والآخرة فسأله عنه فقال لا يطلب السلطان منه فى الدنيا الخراج ولا الجبار فى الآخرة الحساب .



باب التصوف (١)

قال الأستاذ الصفاء محمود بكل لسان وضده الكدورة وهى مذمومة ..

(أخبرنا) عبد الله بن يوسف الأصبهاني قال أخبرنا عبد الله بن يحيى الطلحي قال حدثنا الحسين بن جعفر قال حدثنا عبد الله بن نوفل قال حدثنا أبو بكر بن عياش عن يزيد بن أبي زياد عن أبي حنيفة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متغير اللون فقال « ذهب صفو الدنيا وبقي الكدر فالموت اليوم تحفة لكل مسلم ، (قال الأستاذ) هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة فيقال رجل صوفى وللجماعة صوفية (٢) ومن يتوصل (٣) إلى ذلك يقال له متصوف وللجماعة المتصوفة وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق والأظهر فيه أنه كاللقب فأما قول من قال إنه من الصوف ولهذا يقال وتصوف إذا لبس الصوف كما يقال تقمص إذا لبس القميص فذلك وجه ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف ومن قال إنهم منسوبون إلى

(١) (التصوف) هو ترك الاختيار ويقال هو حفظ حواسك ومراعاة أنفاسك ويقال هو الجد فى السلوك إلى ملك الملوك ويقال هو الإكباب على العمل والإعراض عن العلل ويقال غير ذلك وتقدم بعضه فى باب ذكر مشايخ هذه الطريقة وهو ممدوح ومطلوب لأنه مأخوذ من الصفاء وقد بينه بقوله الصفاء محمول .. إلخ وانظر تعريفاً له فى المقدمات .

(٢) (صوفية) لأن الحق صافاهم وأخلص لهم النعم بما أطلعهم عليه .

(٣) (ومن يتوصل إلى ذلك) بالاكتماب والتشبه بهم .

صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فالنسبة إلى الصفة لا تجيء على نحو الصوفى ومن قال إنه من الصفاء فاشتقاق الصوفى من الصفاء بعيد فى مقتضى اللغة وقول من قال إنه مشتق من الصف فكأنهم فى الصف الأول بقلوبهم من حيث المحاضرة من الله تعالى فالمعنى صحيح ولكن اللغة لا تقتضى هذه النسبة إلى الصف ثم إن هذه الطائفة أشهر من أن يحتاج فى تعيينهم إلى قياس لفظ واستحقاق اشتقاق وتكلم الناس فى التصوف مامعناه وفى الصوفى من هو فكل عبر بما وقع له واستقصاء جميعه يخرجنا عن المقصود من الإيجاز وسنذكر بعض مقالاتهم فيه على التلويح إن شاء الله تعالى . سمعت محمد بن أحمد بن يحيى الصوفى يقول سمعت عبد الله بن على التميمى يقول سئل أبو محمد الجريرى عن التصوف فقال الدخول فى كل خلق سنى والخروج من كل خلق دنى . سمعت عبد الرحمن بن يوسف الأصبهانى يقول سمعت أبى يقول سمعت أبا عبد الله محمد بن عمار الهمدانى يقول سمعت أبا محمد المرغنى يقول سئل شيخى عن التصوف فقال سمعت الجنيدى وقد سئل عنه فقال هو أن يملكك الحق عنك ويحييك به ، سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت عبد الرحمن بن محمد الفارسى يقول سمعت أبا الفاتك يقول سمعت الحسين بن منصور وقد سئل عن الصوفى فقال وحدانى الذات لا يقبله أحد ولا يقبل أحدا . وسمعه يقول سمعت عبد الله بن محمد يقول سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول سمعت أبا على الوراق يقول سمعت أبا حمزة البغدادى يقول علامة الصوفى الصادق أن يفتقر بعد الغنى ويذل بعد العز ويخفى بعد الشهرة وعلامة الصوفى الكاذب أن يستغنى بعد الفقر ويعز بعد الذل ويشتهر بعد الخفاء . وسئل عمرو بن عثمان المكى عن التصوف فقال أن يكون العبد فى كل وقت بما هو أولى به فى الوقت وقال محمد بن القصاب التصوف أخلاق كريمة ظهرت فى زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام . وسئل سمنون عن التصوف فقال أن تملك شيئا ولا يملكك شيء . وسئل رويم عن التصوف فقال استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد . وسئل الجنيد عن التصوف فقال هو أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة . سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهانى يقول سمعت أبا نصر

السراج الطوسي يقول أخبرني محمد بن الفضل قال سمعت على بن عبد الرحيم الواسطي يقول سمعت رويم بن أحمد البغدادي يقول التصوف مبنى على ثلاث خصال التمسك بالفقر والافتقار إلى الله والتحقق بالبذل والإيثار وترك التعرض والاختيار وقال معروف الكرخي التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق وقال حمدون القصار أصحاب الصوفية فإن للقبيح عندهم وجوها من المعاذير وليس للحسن عندهم كبير موقع يعظمونك به .. وسئل الخراز عن أهل التصوف فقال أقوام أعطوا حتى بسطوا^(١) ومنعوا^(٢) حتى فقدوا^(٣) ثم نودوا من أسرار قريبة^(٤) ألا فابكوا علينا^(٥) . وقال الجنيد التصوف عنوه لا صلح فيها وقال أيضا هم أهل بيت واحد لا يدخل فيهم غيرهم وقال أيضا التصوف ذكر مع اجتماع^(٦) ووجد مع استماع^(٧) وعمل مع اتباع وقال أيضا الصوفي كالأرض يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها إلا كل مليح وقال أيضا إنه كالأرض يطوها البر والفاجر وكالسحاب يظل كل شيء وكالقطر يسقي كل شيء وقال إذا رأيت الصوفي يعنى بظاهرة فأعلم أن باطنه خراب وقال سهل بن عبد الله الصوفي من يرى دمه هدرأ وملكه مباحا وقال النوري نعت الصوفي السكون عند العدم والإيثار عند الوجود وقال الكتاني التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في الصفاء وقال أبو على الروذباري التصوف الإنابة على باب الحبيب

(١) (بسطوا) أى والى عليهم الحق نعمه وخوارق عاداته حتى سكنوا إليه وانشرحت صدورهم إليه جل فى علاه .

(٢) (ومنعوا) عن الالتفات إلى غيره .

(٣) (حتى فقدوا) أى فنوا عن أنفسهم فلم يلتفتوا إليها .

(٤) (قريبة) أى لطيفة .

(٥) (ألا فابكوا علينا) لعدم وجداننا ذلك .

(٦) (مع اجتماع) للهمة مع الله بأن لا يحدث الذاكر نفسه بغير ما هو فيه لأن الذكر مع الغفلة مذموم إذ تاء الفائدة منه تكون معدومة .

(٧) (مع استماع) لأن الوجد الصحيح ماكان عن سماع صحيح محرك للقلوب ليكون سنده كتاب الله أو سنة رسوله أو نحوهما من المواعظ المؤثرة .

وإن طرد عنه وقال أيضا صفوة القرب بعد كدورة البعد وقيل أقبح من كل قبيح صوفى شحيح وقيل التصوف كف فارغ وقلب طيب وقال الشبلى التصوف الجلوس مع الله بلا هم وقال أبو منصور الصوفى هو المشير عن الله عز وجل فإن الخلق أشاروا إلى الله تعالى وقال الشبلى الصوفى منقطع عن الخلق متصل بالحق كقوله تعالى : « واصطنعتك لنفسى » قطعة عن كل غير ثم قال له : لن ترانى .. وقال أيضا الصوفية أطفال فى حجر الحق وقال أيضا التوصف برقة محرقة .. وقال أيضا العصمة عن رؤية الكون وقال رويم ما تزال الصوفية بخير ماتنافروا فإذا اصطلحوا فلا خير فيهم وقال الجريرى التصوف مراقبة الأحوال ولزوم الأدب وقال المزين التصوف الانقياد للحق وقال أبو تراب النخشبى الصوفى لا يكره شىء ويصفو به كل شىء وقيل الصوفى لا يتعبه طلب ولا يزعجه سبب سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول سئل ذو النون عن أهل التصوف فقال هم قوم آثروا الله عز وجل على كل شىء فآثروهم الله عز وجل على كل شىء وقال الواسطى كان للقوم إشارات ثم صارت حركات ثم لم يبق إلا حسرات وسئل النورى عن الصوفى فقال من سمع السماع وآثر الأسباب . سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول قلت للحصرى من الصوفى عندك فقال الذى لا تقله الأرض ولا تظله السماء .. (قال الأستاذ أبو القاسم) إنما أشار إلى حال المحو وقيل الصوفى من إذا استقبله حالان أو خلقان كلاهما حسن كان مع الأحسن ، وسئل الشبلى لم سموا بهذه التسمية فقال لبقية بقيت عليهم من نفوسهم ولولا ذلك لما تعلق بهم تسمية . سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول سئل ابن الجلاء ما معنى قولهم صوفى فقال ليس نعرفه فى شرط العلم ولكن نعرف أن من كان فقيراً مجرداً من الأسباب كان مع الله تعالى بلا مكان ولا يمنعه الحق سبحانه من علم كل مكان يسمى صوفياً وقال أبو يعقوب المزبلى التصوف إسقاط الجاه وسواد الوجه فى الدنيا والآخرة وقال أبو يعقوب المزبلى التصوف حال تضمحل فيها معالم الإنسانية وقال أبو الحسن السيروانى الصوفى يكون مع الواردات لامع الأوراد . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول أحسن ما قيل فى هذا

الباب قول من قال هذا طريق لا يصلح إلا لأقوام قد كنس الله بأرواحهم المزابل ولهذا قال رحمه الله تعالى يوما لو لم يكن للفقير إلا روح فعرضها على كلاب هذا الباب فلم ينظر كلب إليها وقال الأستاذ أبو سهل الصعلوكي رحمه الله تعالى التصوف الإعراض عن الاعتراض وقال الحصري الصوفي لا يوجد بعد عدمه ولا يعدم بعد وجوده (قال الأستاذ أبو القاسم القشيري) وهذا فيه إشكال ومعنى قوله لا يوجد بعد عدمه أى إذا فنيت آفاته لا تعود تلك الآفات وقوله ولا يعدم بعد وجوده يعنى إذا اشتغل بالحق لم يسقط بسقوط الخلق فالحادثات لا تؤثر فيه ويقال الصوفي المصظم عنه بما لاح له من الحق ويقال الصوفي مقهور بتصريف الربوبية مستور بتصريف العبودية ويقال الصوفي لا يتغير فإن تغير لا يتكرر .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يقول سمعت الحسين بن أحمد الرازى يقول سمعت أبا بكر المصري يقول سمعت الخراز يقول كنت فى جامع قىروان يوم جمعة فرأيت رجلا يدور فى الصف ويقول تصدقوا على فقد كنت صوفيا فضعفت فرففته بشىء فقال لى مر ويلك ليس من ذلك ولم يقبل الرفق .



باب الأدب (١)

قال الله عز وجل : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ (٢) وقيل حفظ (٣)
آداب الحضرة (٤). وقال تعالى : ﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ جاء فى التفسير
عن ابن عباس فقهوهم وأدبوهم ..

(أخبرنا) على بن أحمد الأهوازي قال أخبرنا أبو الحسن الصفار
البصرى قال حدثنا تمام قال حدثنا عبد الصمد بن النعمان قال حدثنا عبد الملك بن
الحسين عن عبد الملك بن عمير عن مصعب بن شيبة عن عائشة عن النبى صلى الله
عليه وآله وسلم أنه قال « حق الولد على والده أن يحسن اسمه ويحسن مرضعه ويحسن
أدبه » .. ويحكى عن سعيد بن المسيب أنه قال من لم يعرف ما لله عز وجل عليه فى
نفسه ولم يتأدب بأمره ونهيه كان من الأدب فى عزلة وروى عن النبى صلى الله
عليه وآله وسلم أنه قال « إن الله عز وجل أدبنى فأحسن أدبى »، وحقيقة الأدب اجتماع
خصال الخير فالأديب الذى اجتمع فيه خصال الخير ومنه المأدبة اسم للمجمع ..
سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول العبد يصل بطاعته إلى الجنة وبأدبه فى طاعته
إلى الله تعالى وسمعتة يقول رأيت من أراد يمد يده فى الصلاة بين يدي إلى أنفه ليزيل
ما به فيقبض على يده (قال الأستاذ) وإنما أشار إلى نفسه لأنه لا يمكن الإنسان أن
يعرف من غيره أنه قبض على يده وكان الأستاذ أبو على رحمه الله تعالى لا يستند

(١) (الأدب) هو ما يتولد من صفاء القلب وحضوره ويقال وضع الأشياء موضعها
ويقال حسن المعاملة ويتولد من الحياء والهيبة والشفقة ويقال مجالسة الخلق على
بساط الصدق ومطالعة الحقائق بقطع العلائق ويقال غير ذلك وسيأتى بعضه وهو ممدوح
ومطلوب .

(٢) (وما طغى) أى وما مال بصره عن مرئيه المقصود له فلم يلتفت عنه .

(٣) (قيل حفظ) النبى بذلك .

(٤) (آداب الحضرة) ما لله .. إلخ أى من الحقوق التى لزمته .

إلى شيء وكان يوما في مجمع فأردت أن أضع وسادة خلف ظهره لأنى رأيته غير مستند ففتحى عن الوسادة قليلا فتوهمت أنه توفى الوسادة لأنه لم يكن عليها خرقة أو سجادة فقال لا أريد الاستناد فتأملت بعده حاله فكان لا يستند إلى شيء .. سمعت أبا حاتم السجستاني يقول سمعت أبا نصر السراج يقول سمعت أحمد بن محمد البصرى يقول سمعت الجلاجلى البصرى يقول التوحيد موجب يوجب الإيمان فمن لا إيمان له فلا توحيد له والإيمان موجب يوجب الشريعة فمن لا شريعة له فلا إيمان له ولا توحيد والشريعة موجب توجب الأدب فمن لا أدب له لا شريعة له ولا إيمان ولا توحيد وقال ابن عطاء الأدب الوقوف مع المستحسنات فقل وما معناه قال أن تعامل الله تعالى بالأدب سرا وعلنا فإذا كنت كذلك كنت أديبا وإن كنت أعجميا ثم أنشد :

إذا نطقت جاءت بكل ملاحه وإن سكنت جاءت بكل ملبح

(أخبرنا) محمد بن الحسين قال سمعت عبد الله الرازى يقول سمعت عبد الله الجريرى يقول منذ عشرين سنة ما مددت رجلى وقت جلوسى فى الخلوة فإن حسن الأدب مع الله تعالى أولى .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله تعالى يقول من صاحب الملوك بغير أدب أسلمه الجهل إلى القتل (روى) عن ابن سيرين أنه سئل أى الآداب أقرب إلى الله تعالى فقال معرفة برئوبيته وعمل بطاعته والحمد لله على السراء والصبر على الضراء وقال يحيى بن معاذ إذا ترك العارف أدبه مع معرفته فقد هلك مع الهالكين سمعت الأستاذ أبا على يقول ترك الأدب موجب يوجب الطرد فمن أساء الأدب على البساط رد إلى الباب ومن أساء الأدب على الباب رد إلى سياسة الدواب ^(١) . وقيل للحسن البصرى قد أكثر الناس فى علم الآداب فما أنفعها عاجلا وأوصلها آجلا ، فقال : التفقه فى الدين والزهد فى الدنيا والمعرفة بما لله عز وجل

(١) (رد إلى سياسة الدواب) لاستحقاقه بذلك البعد والطرده وألم كل مطرود على حسب ما فارقه من منزلته التى كان فيها ولا منزلة أجل وأعلى من مراقبة مولاه مع كمال أدبه فإن أساء أدبه فيها طرده عنها عيادا بالله تعالى .

عليك وقال يحيى بن معاذ من تأدب بأدب الله تعالى صار من أهل محبة الله تعالى وقال سهل القوم الذين استعانوا بالله تعالى على أمر الله تعالى وصبروا لله تعالى على آداب الله تعالى . وروى عن ابن المبارك أنه قال نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن أحمد بن سعيد يقول سمعت العباس بن حمزة يقول حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال قال الوليد بن عتبة قال ابن المبارك طلبنا الأدب حين فاتنا المؤدبون وقيل ثلاث خصال ليس معهن غربة مجانبية أهل الريب وحسن الأدب وكف الأذى وأنشدنا الشيخ أبا عبد الله رضى الله عنه فى هذا المعنى :

يزين الغريب إذا ما اغترب ثلاث فمنهن حسن الأدب
وثانية حسن أخلاقه وثالثة اجتناب الريب

ولما دخل أبو حفص بغداد قال له الجنييد لقد أدبت أصحابك أدب السلاطين فقال أبو حفص حسن الأدب فى الظاهر^(١) عنوان الأدب فى الباطن . وعن عبد الله بن المبارك أنه قال الأدب للعارف كالتوبة للمستأنف . سمعت منصور بن خلف المغربى يقول قيل لبعضهم يأسىء الأدب فقال لست بسىء الأدب فقال له من أدبك فقال أدبنى الصوفية سمعت أبا حاتم السجستاني يقول سمعت أبا نصر الطوسى السراج يقول الناس فى الأدب على ثلاث طبقات^(٢) . أما أهل الدنيا فأكثر آدابهم فى الفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم وأسماء الملوك وأشعار العرب وأما أهل الدين فأكثر آدابهم فى رياضة النفوس وتأديب الجوارح وحفظ الحدود وترك الشهوات وأما أهل الخصوصية فأكثر آدابهم فى طهارة القلوب ومراعاة الأسرار والوفاء بالعهد وحفظ

(١) (حسن الأدب فى الظاهر .. إلخ) يعنى أن ما هم فيه من الأدب ليس تعليماً وتكلفاً ولكنهم لما عمرت قلوبهم بإجلال الحق من اختصه وعظمه جرت الآداب عليهم فى الظاهر بلا سبب ظاهر .

(٢) (ثلاث طبقات) أهل الدنيا وأهل الدين وأهل الخصوصية .

الوقت وقلة الالتفات إلى الخواطر وحسن الأدب في مواقف الطلب وأوقات الحضور ومقامات القرب . وحكى عن سهل بن عبد الله أنه قال من قهر نفسه بالأدب فهو يعبد الله تعالى بالإخلاص وقيل كمال الأدب لا يصفوا إلا للأنبياء عليهم السلام والصديقين وقال عبد الله بن المبارك قد أكثر الناس في الأدب ونحن نقول هو معرفة النفوس وقال الشبلى الانبساط بالقول مع الحق سبحانه ترك الأدب وقال ذو النون المصرى أدب العارف فوق كل أدب لأن معرفته مؤدب قلبه . وقال بعضهم يقول الحق سبحانه من ألزمته القيام مع أسمائى وصفاتى ألزمته الأدب ومن كشفت له عن حقيقة ذاتى ألزمته العطب فاختر أيهما شئت الأدب أو العطب وقيل مد ابن عطاء رجله يوما بين أصحابه وقال ترك الأدب بين أهل الأدب أدب ويشهد لهذه الحكاية الخبر الذى روى « أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان عنده أبو بكر وعمر فدخل عثمان فغطى فخذته وقال ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة » نبه صلى الله عليه وآله وسلم أن حشمة عثمان رضى الله عنه وإن عظمت عنده فالحالة التى بينه وبين أبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما كانت أصفى وفى قريب من معناه أنشدوا :

فى انقباض وحشمه فإذا صادفت أهل الوفاء والكرم

أرسلت نفسى على سجيتهما وقلت ما قلت غير محتشم

وقال الجنيد إذا صحت المحبة سقطت شروط الأدب^(١) . وقال أبو عثمان إذا صحت المحبة تأكدت على المحب ملازمة الأدب وقال النورى من لم يتأدب للوقت فوقته مقت وقال ذو النون المصرى إذا خرج المرید عن استعمال الأدب فإنه يرجع من حيث جاء .. سمعت الأستاذ أبا على يقول فى قوله عز وجل : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ قال لم يقل إرحمني لأنه حفظ آداب الخطاب وكذلك عيسى عليه السلام حيث قال ﴿ إِن تَعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ ﴾ وقال :

(١) (سقطت شروط الأدب) يعنى سقط تكلف الأدب وإن كانت المحبة توجب كمال الأدب فالأدب مع الأحباب جارٍ على أكمل وجوه الصواب من غير تكلف فيسقط الأدب تكلفا لا وجودا .

﴿ إِن كُنْتَ قُلْتَهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ﴾ ولم يقل لم أقل رعاية لآداب الحضرة .. سمعت محمد ابن عبد الله الصوفى يقول سمعت أبا الطيب الفرغان يقول سمعت أبا الطيب الفرغان يقول سمعت الجنيد يقول جاءنى بعض الصالحين يوم جمعة فقال لى ابعث معى فقيراً يدخل على سرورا ويأكل معى شيئاً فالتفت فإذا أنا بفقير شهدت فيه الفاقة فدعوته وقلت له امض مع هذا الشيخ وأدخل عليه سروراً فمضى فلم ألبث أن جاءنى الرجل وقال لى يا أبا القاسم لم يأكل ذلك الرجل الفقير إلا لقمة وخرج فقلت لعائك قلت كلمة جفاء عليه فقال لى لم أقل له شيئاً فالتفت فإذا أنا بالفقير جالس فقلت له لم لم تتم عليه السرور فقال يا سيدى خرجت من الكوفة وقدمت بغداد ولم أكل شيئاً وكرهت أن يبدو سوء أدب منى من جهة الفاقة فى حضرتك فلما دعوتنى سررت إذ جرى ذلك ابتداء منك فمضيت وأنا لا أرضى له الجنان^(١) فلما جلست على مائدته سوى لقمة وقال كل فهذا^(٢) أحب إلى من عشرة آلاف درهم فلما سمعت هذا منه علمت أنه دنىء الهمة^(٣) . فتطرفت أن أكل طعامه فقال الجنيد ألم أقل لك إنك أسأت أدبك معه فقال يا أبا القاسم التوبة فسأله أن يمضى معه ويفرحه .



-
- (١) (الجنان) بل أعلى منها .
 (٢) (فهذا) أى أكلك لها أو هذا القدر الذى سويته لك .
 (٣) (دنىء الهمة) لأنه إنما ذكر فضل ذلك على الدراهم التى هى من الدنيا ولم يذكر الآخرة فحق الفقير أن يكون مشغولاً بالله زاهداً فى الدنيا كهذا الفقير بل ربما يكون مشغولاً عن ذكر الآخرة وما أعد الله فيها لأوليائه لكمال شغله بمولاه ومن الناس من لا يطلب لاجنة ولا نعيماً وإنما يطلب رؤية وجه الله تعالى فى الآخرة ..

باب أحكامهم في السفر

قال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ ..

(أخبرنا) على بن أحمد بن عبدان قال أخبرنا أحمد بن عبيد البصرى قال حدثنا محمد بن الفرج الأزرق قال أخبرنا حجاج قال قال ابن جريج أخبرني أبو الزبير أن علياً الأزدى أخبره أن ابن عمر علمهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا استوى على البعير خارجاً إلى سفر كبر ثلاثاً ثم قال : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقَرَّنِينَ ﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴾ ثم يقول : اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون علينا سفرنا اللهم أنت صاحب في السفر والخليفة في الأهل والمال .. اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في المال والأهل فإذا رجع قالهن وزاد فيهن آيئون تائبون لرينا حامدون ، .. (قال الأستاذ) لما كان رأى كثير من هذه الطائفة اختيار السفر أفردها لذكر السفر في هذه الرسالة باباً لكونه من أعظم شأنهم وهذه الطائفة مختلفون فمنهم من أثر الإقامة على السفر ولم يسافر إلا لفرض كحجة الإسلام والغالب عليهم الإقامة مثل الجنيد وسهل بن عبد الله وأبى يزيد البسطامي وأبى حفص وغيرهم ومنهم من أثر السفر وكانوا على ذلك إلى أن خرجوا من الدنيا مثل أبى عبد الله المغربي وإبراهيم ابن أدهم وغيرهم منهم سافروا في ابتداء أمورهم في حال ابتداء شبابهم أسفاراً كثيرة ثم قعدوا عن السفر في آخر أحوالهم . مثل أبى عثمان الحيرى والشبلى وغيرهم ولكل منهم أصول بنوا عليها طريقتهم واعلم أن السفر على قسمين سفر بالبدن وهو الانتقال من بقعة إلى بقعة وسفر بالقلب وهو الارتقاء من صفة إلى صفة فترى ألفاً يسافر بنفسه وقليل من يسافر بقلبه .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله تعالى يقول كان بفرخك قرية بظاهر نيسابور شيخ من شيوخ هذه الطائفة وله على هذا اللسان تصانيف سأله بعض الناس هل سافرت أيها الشيخ فقال سفر الأرض أم سفر السماء سفر الأرض لا وسفر السماء بلى ، وسمعت رحمه الله تعالى يقول جاءنى بعض الفقراء يوماً وأنا

بمرو فقال لى قطعت إليك شقة بعيدة والمقصود لقاءك فقلت له كان يكفيك خطوة واحدة لو سافرت عن نفسك وحكاياتهم فى السفر تختلف على ماذكرنا من أقسامهم فى أحوالهم . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول محمد بن على سمعت بن العلوى يقول سمعت جعفر بن محمد يقول سمعت أحنف الهمذانى يقول كنت فى البادية وحدى فأعيتت فرفعت يدى وقلت يارب إنى ضعيف زمن وقد جئت إلى ضيافتك فوقع فى قلبى أن يقال لى من دعاك فقلت يارب هى مملكة تحتل الطفيلى فإذا أنا بهاتف من ورائى فالتفت إليه فإذا أعرابى على راحلة فقال يا أعجمى إلى أين قلت إلى مكة حرسها الله تعالى قال أو دعاك قلت لا أدرى فقال أليس قال : ﴿ من استطاع إليه سبيلاً ﴾ فقلت المملكة واسعة تحتل الطفيلى فقال أطفيلى أنت يمكنك أن تخدم الجمل قلت نعم فنزل عن راحلته وأعطانيها وقال سر عليها ^(١) . سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت محمد بن أحمد النجار يقول سمعت الكتانى يقول وقد قال له بعض الفقراء أوصنى قال اجتهد أن تكون كل ليلة ضيف مسجد وأن لا تموت إلا بين منزلين . ويحكى عن الحصرى أنه كان يقول جلسة خير من ألف حجة وإنما أراد جلسة تجمع الهم على نعمة الشهود ولعمرى أنها أتم من ألف حجة على وصف الغيبة عنه . سمعت محمد بن أحمد الصوفى يقول سمعت على بن عبد الله بن التميمى يقول حكى عن محمد بن إسماعيل الفرغانى أنه قال كنا نسافر مقدار عشرين سنة أنا وأبو بكر الزقاق والكتانى لا نختلط بأحد ولا نعاشر أحدا فإذا قدمنا بلدا فإن كان فيه شيخ سلمنا عليه وجالسناه إلى الليل ثم نرجع إلى مسجد فيصلى الكتانى فى أول الليل إلى آخره ويختم القرآن ويجلس الزقاق مستقبل القبلة وكنت أستلقى متفكرا ثم نصبح ونصلى صلاة الفجر على ضوء العتمة فإذا وقع معنا إنسان ينام كنا نراه أفضلنا . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن على يقول سمعت عيسى

(١) (وقال سر عليها) ذلك دلالة على أن المسافر لا يسافر فى الصحراء بلا زاد ولا راحلة إلا إذا عوده الله القوة على ذلك وقد يعود إياها لكن يطرأ له أثناء سفره ما يوجب له العجز عن ذلك فلا يضره والأحنف كان الأغلب عليه بحسب ما خطر له من السفر بلا زاد ولا راحلة أن الله يقويه على ذلك فلما طرأ عليه العجز فى السفر سأل الله واستغاث به فوقع فى قلبه خاطر من دعاك فوقع فى قلبه جوابه بما مر .

القصار يقول سئل رويم عن أدب السفر فقال أن لا يجاوز همه قدمه وحيثما وقف قلبه يكون منزله.. وحكى عن مالك بن دينار أنه أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام اتخذ نعلين من حديد وعصا من حديد ثم سح في الأرض واطلب الآثار والعبر حتى تنخرق النعلان وتنكسر العصا وقيل كان أبو عبد الله المغربي يسافر أبداً ومعه أصحابه وكان يكون محرماً فإذا تحلل من إحرامه أحرم ثانياً ولم يتسج له ثوب ولا طال له ظفر ولا شعر وكان يمشى مع أصحابه بالليل وراءه فكان إذا حاد أحدهم عن الطريق يقول يمينك يا فلان يسارك يا فلان وكان لا يمد يده إلى ما وصلت إليه يد الأدميين وكان طعامه أصل شيء من النبات يؤخذ فيقلع لأجله وقيل كل صاحب تقول له قم فيقول إلى أين فليس بصاحب وفي معناه أنشدوا :

إذا استجدوا لم يسألوا من دعاهم لآية حرب أم لآي مكان

وحكى عن أبي على الرباطي قال صحبت عبد الله المروزي وكان يدخل البادية قبل أن أصحابه بلازاد ولا راحلة فلما صحبتته قال لي أيما أحب إليك تكون أنت الأمير أم أنا فقلت لا بل أنت فقال وعليك الطاعة فقلت نعم فأخذ مخلاة ووضع فيها زادا وحملها على ظهره فإذا قلت أعطني حتى أحملها قال الأمير أنا وعليك الطاعة قال فأخذنا المطر ليلة فوقف إلى الصباح على رأسي وعليه كساء يمنع عني المطر فكنت أقول في نفسي ياليتني مت ولم أقل له أنت الأمير ثم قال لي إذا صحبت إنسانا فاصحبه كما رأيتني صحبتك .. وقدم شاب على أبي على الروذباري فلما أراد الخروج قال يقول الشيخ شيئاً فقال يا فتى كانوا لا يجتمعون عن موعد ولا يتفرقون عن مشورة وعن المزين الكبير قال كنت يوماً مع إبراهيم الخواص في بعض أسفاره فإذا عقرب تسعى على فخذه فقمتم لأقتلها فمنعني وقال دعها كل شيء مفتقر إلينا ولسنا مفقترين إلى شيء ^(١) . وقال أبو عبد الله النصيبيني سافرت ثلاثين سنة ما خطت قط خرقة على مرقعتي ولا عدلت إلى موضع علمت أن لي فيه رفيقا ولا

(١) (ولسنا مفقترين إلى شيء) غير الله في ذلك على أن الحيوانات يسخرها الله لأوليائه وتقرب منهم لتنتفع بهم ولا تؤذيهم وهذا من خوارق العوائد لأولياء الله تعالى لأن من كمل خوفه من الله لم يخف من غيره ومن اطمأن إلى الله واعتمد عليه اطمأنت إليه الحيوانات =

تركت أحدا يحمل معي شيئا وأعلموا أن القوم استوفوا آداب الحضور من المجاهدات ثم أرادوا أن يضيفوا إليها شيئا فأضافوا أحكام السفر إلى ذلك رياضة لنفوسهم حتى أخرجوها عن المعلومات وحملوها على مفارقة المعارف كي يعيشوا مع الله عز وجل بلا علاقة ولا واسطة فلم يتركوا شيئا من أورادهم في أسفارهم وقالوا الرخص لمن كان سفره ضرورة ونحن لا شغل لنا ولا ضرورة في أسفارنا علينا . سمعت أبا صادق ابن حبيب قال سمعت النضر اباذى يقول ضعفت في البادية مرة فأيست من نفسي فوق بصرى على القمر وكان ذلك بالنهار فرأيت مكتوبا عليه : ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ﴾ فاستقلت وفتح على من ذلك الوقت هذا الحديث وقال أبو يعقوب السوسى يحتاج المسافر إلى أربعة أشياء في سفره علم يسوسه وورع يحجزه ووجد يحمله وخلق يصونه وقيل سمى السفر سفرا لأنه يسفر عن أخلاق الرجال وكان الكتانى إذا سافر الفقير إلى اليمن ثم رجع إليه مرة أخرى يزمر بهجرانه وإنما كان يفعل ذلك لأنهم كانوا يسافرون إلى اليمن ذلك الوقت لأجل الفرق وقيل كان إبراهيم الخواص لا يحمل شيئا في السفر وكان لا يفارقه الإبرة والركوة أما الإبرة فلخياطه ثوبة إن تمزق سترا للعمرة وأما الركوة فللطهارة وكان لا يرى ذلك علاقة ولا معلوما .. وحكى عن أبى عبد الله الرازى قال خرجت من طرسوس حافيا وكان معي رفيق فدخلنا بعض قرى الشام فجاءنى فقير بحذاء فامتنعت من قبوله فقال لى رفيقى البس هذا فقد عيبت فإنه قد فتح عليك بهذا النعل بسببى فقلت مالك فقال نزعت نعلى موافقة لك ورعاية لحق الصحبة وقيل كان الخواص فى سفر ومعه ثلاثة نفر فبلغوا مسجدا فى بعض المفاوز وباتوا فيه ولم يكن عليه باب وكان برد شديد فقاموا فلما أصبحوا رأوه واقفا على الباب فقالوا له فى ذلك فقال خشيت أن تجدوا البرد وكان قد وقف طول ليلته وقيل إن الكتانى استأذن أمه فى الحج مره فأذنت فخرج فأصاب ثوبه البول فى البادية فقال إن هذا الخل فى حالى فانصرف فلما دق باب داره أجابته أمه ففتحت فراها جالسة

= وسكنت إليه ولم تنفر منه وأراد بقوله كل شىء .. إلخ - تعريف تلميذه بأنه محفوظ بالله وذو كرامات لينتفع بذلك ويقوى يقينه .

خلف الباب فسألها عن جلوسها فقالت له مذ خرجت اعتقدت أن لا أبرح عن هذا
الموضع حتى أراك .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن محمد
الدمشقي يقول سمعت إبراهيم بن المولد يقول سمعت إبراهيم القصار يقول سافرت
ثلاثين سنة أصلح قلوب الناس للفقراء وقيل زار رجل داود الطائي فقال له يا أبا سليمان
كانت نفسي تنازعني إلى لقائك منذ زمان فقال لا بأس إذا كانت الأبدان هادئة
والقلوب ساكنة فالتلأقى أيسر.. سمعت أبا نصر الصوفي وكان من أصحاب
النصرا بآذى رحمه الله يقول خرجت من البحر بعمان وقد أثر فيّ الجوع فكنت أمر في
السوق فبلغت حانوت حلاوى فرأيت فيه حملانا مشوية وحلواء فتعلقت برجل وقلت
اشترى لى من هذه الأشياء فقال لماذا ألك على شيء أو على دين فقلت لا بد أن
تشتري لى من هذا فرأنى رجل فقال خله يا فتى إن الذى يجب عليه أن يشتري لك
ما تريد أنا لا هو اقترح على واحكم بما تريد ثم اشترى لى ما أردت وممر .. وحكى
عن أبى الحسين المصرى قال اتفقت مع الشجرى فى السفر من طرابلس فسرنا أياما لم
نأكل شيئا فرأيت قرعاً مطروحا فأخذت آكله فالتفت إلى الشيخ ولم يقل شيئا فرميت
به وعلمت أنه كرهه ثم فتح علينا بخمسة دنانير فدخلنا قرية فقلت يشتري الشيخ لنا
شيئا لا محالة فمر ولم يفعل ثم قال لعلك تقول نمشى جياعاً ولم يشتري لنا شيئا هو ذا
فوافى اليهودية قرية على الطريق وثم رجل صاحب عيال إذا دخلناها يشتغل بنا
فادفعها إليه لينفقها علينا وعلى عياله فوصلنا إليه ودفع الدنانير إلى الرجل فأنفقها
فلما خرجنا قال لى إلى أين يا أبا الحسين فقلت أسير معك فقال لا إنك تخوننى فى
قرعة وتصحبنى لا تفعل وأبى أن أصحابه ^(١) .. سمعت محمد بن عبد الله الشيرازى

(١) (وأبى أن أصحابه) فيه دلالة على أنه ينبغي للتلميذ أن يحفظ قلوب المشايخ الذين يقتدى
بهم فلا يفعل شيئا بغير إذنه لئلا يكون سبباً لمفارقة لهم وفوت مقصوده منهم وعلى أنه إذا
رأى مع الشيخ مالا ولم يخرج له للفقراء أو أمسكه فلا يسرع بالاعتراض عليه وينسبه إلى حب
الدنيا فيهلك فإن إمساكها يختلف باختلاف المقاصد الصحيحة أو الفاسدة ومن المقاصد
الصحيحة حفظه هذه الدنانير ليصل بها إلى ذلك الرجل الصالح لينفقها على نفسه وعائلته
ومن يطرقة من الصالحين وفى كل ما يكون لوجه الله تعالى ما يعلمه الشيخ وقد يجهله غيره.

يقول سمعت أبا أحمد الصغير يقول سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول كنت في حال حدثتني استقبلني بعض الفقراء فرأى في أثر الضر والجوع فأدخلني داره وقدم إلى لحمًا طبخ بالكشك واللحم متغير فكنت آكل الثريد وأتجنب اللحم لتغيره فلقمني لقمة فأكلتها بجهد ثم لقمني ثانية فبلغتني مشقه فرأى ذلك فيّ وخجل وخجلت لأجله فخرجت وانزعجت في الحال للسفر فأرسلت إلى والدتي من يحمل إلى مرقعتي فلم تعارضني الوالدة ورضيت بخروجي فارتحلت من القادسة مع جماعة من الفقراء فتهنا ونفد ماكان معنا وأشرفنا على التلف فوصلنا إلى حى من أحياء العرب ولم نجد شيئاً واضررنا إلى أن اشترينا منهم كلبا بدنانير وشووه وأعطوني قطعة من لحمه فلما أردت أكله فكرت في حالى فوق لى أنه عقوبة خجل ذلك الفقير فثبت في نفسى وسكت فدلونا على الطريق فمضيت وحجبت ثم رجعت معذراً إلى الفقير .



باب الصبحة

قال الله عز وجل : ﴿ ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ .. قال الأستاذ الإمام أبو القاسم رضى الله تعالى عنه لما أثبت سبحانه للصديق رضى الله تعالى عنه الصبحة بين أنه أظهر عليه الشفقة فقال تعالى : ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ .. فالحر شفيق على من يصحبه ..

(أخبرنا) على بن أحمد الأهوازي قال حدثنا أحمد بن عبيد البصرى قال حدثنا يحيى بن محمد الجيانى قال حدثنا عثمان بن عبد الله القرشى عن نعيم بن

سالم عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : متى ألقى أحبابي فقال أصحابه بأبيننا أنت وأما أو لسنأ أحبابك فقال أنتم أصحابي أحبابي قوم لم يروني وآمنوا بي وأنا إليهم بالأشواق لأكثر ، والصحبة على ثلاثة أقسام صحبة مع من فوقك وهي في الحقيقة خدمة وصحبة مع من دونك وهي تقضى على المتبوع بالشفقة والرحمة وعلى التابع بالوفاق والحرمة وصحبة الأكفاء والنظراء وهي مبنية على الإيثار والفتوة فمن صحب شيخاً فوقه في الرتبة فأدبه ترك الاعتراض وحمل ما يبدو منه على وجه جميل وتلقى أحواله بالإيمان به . سمعت منصور بن خلف المغربي وسأله بعض أصحابنا كم سنة صحبت أبا عثمان المغربي فنظر إليه شزراً وقال إني لم أصحبه بل خدمته مدة وأما إذا صحبك من هو دونك فالخيانة منك في حق صحبتته أن لا تنبيهه على ما فيه من نقصان في حالته ولهذا كتب أبو الخير التيناتي إلى جعفر ابن محمد بن نصير وزر جهل الفقراء عليكم لأنكم اشتغلتم بنفوسكم عن تأديبهم فبقوا جهلة وأما إذا صحبت من هو في درجتك فسبيلك التعامى عن عيوبه وحمل ما ترى منه على وجه من التأويل جميل ما أمكنتك فإن لم تجد تأويلاً عدت إلى نفسك بالتهمة وإلى التزام اللائمة . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول قال أحمد بن أبي الحوارى قلت لأبى سليمان الداراني إن فلاناً لا يقع من قلبى فقال أبو سليمان وليس يقع أيضاً قلبى من ولكن يا أحمد لعلنا أتينا من قبلنا لسنا من جملة الصالحين فلسنا نحبه (١) . وقيل صحب رجل إبراهيم بن أدهم فلما أراد أن يفارقه قال له الرجل إن رأيت في عيباً فنبهني عليه فقال إبراهيم إني لم أربك عيباً لأنى لاحظتك بعين الوداد فأستحسن منك ما رأيت فسل غيرى عن عيبك وفي معناه أنشدوا :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدى المساويا

وحكى عن إبراهيم بن شيبان أنه قال كنا لا نصحب من يقول نعلى ..

(١) (فلسنا نحبه) أى حقناً أن نحبه وإن لم نكن منهم وفى ذلك دلالة على أنه ينبغي للعبد إذا وجد نقصاً في غيره أن يرده إلى نفسه وعلى أنه حق من المتكافئين أن ينبه كل صاحبه فيما يحتاج إلى التنبيه فيه برفق وحسن سياسة مخليا به .

سمعت أبا حاتم الصوفى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول قال أبو أحمد القلانسى وكان من أستاذى الجنيد صحبت أقواماً بالبصرة فأكرموني فقلت مرة لبعضهم أين إزارى فسقطت من أعينهم . وسمعت أبا حاتم يقول سمعت أبا نصر السراج يقول سمعت الدقى يقول سمعت الزقاق يقول منذ أربعين سنة أصبح هؤلاء فما رأيت رفقا لأصحابنا إلا من بعضهم لبعض أو ممن يحبهم ومن لم يصحبه التقوى والورع فى هذا الأمر^(١) . أكل الحرام النص .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول قال رجل لسهل بن عبد الله أريد أن أصحبك يا أبا محمد فقال إذا مات أحدنا فمن يصحبه الباقي فقال الله تعالى فقال فليصحبه الآن وصحب رجل رجلا مدة ثم بدا لأحدهما المفارقة فاستأذن صاحبه فقال بشرط أن لا تصحب أحدا إلا إذا كان فوقنا وإن كان أيضاً فوقنا فلا تصحبه لأنك صحبتنا أولاً فقال الرجل زال منى قلبى إرادة المفارقة .. سمعت أبا حاتم الصوفى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول سمعت الدقى يقول سمعت الكتانى يقول صحبنى رجل وكان على قلبى ثقيلاً فوهبت له شيئاً ليزول ما فى قلبى فلم يزل فحملته إلى بيتى وقلت له ضع رجلك على خدى فأبى فقلت لا بد ففعل واعتقدت أن لا يرفع رجله من خدى حتى يرفع الله تعالى من قلبى ما كنت أجده فلما زال عن قلبى ما كنت أجده قلت له ارفع رجلك الآن وكان إبراهيم بن أدهم يعمل الحصاد وحفظ البساتين وغيره وينفق على أصحابه وقيل كان مع جماعة من أصحابه فكان يعمل بالنهار وينفق عليهم ويجتمعون بالليل فى موضع وهم صيام فكان يبطل فى الرجوع من العمل فقالوا ليلة تعالوا نأكل فطورنا بدونه حتى يعود بعد هذا أسرع فأفطروا وناموا فلما رجع إبراهيم وجدهم نياماً فقال مساكين لعلهم لم يكن لهم طعام فعمد إلى شىء من الدقيق كان هناك فعبه وأوقد النار وطرح الملة فانتبهوا وهو ينفخ فى النار واضعاً محاسنه على التراب فقالوا له فى ذلك فقال قلت لعلكم لم تجدوا فطوراً فنمت فأحببت أن تستيقظوا والملة قد أدركت فقال بعضهم لبعض

(١) (فى هذا الأمر) أى الارتفاق بأن يأخذ العبد الأموال من الظلمة أو غيرهم ممن لا يتبعون الشريعة فى معاملتهم .

انظروا إيش الذى عملنا وما الذى به يعاملنا وقيل كان إبراهيم بن أدهم إذا صحبه أحد شارطه على ثلاثة أشياء أن تكون الخدمة والأذان له وأن تكون يده فى جميع ما يفتح الله تعالى عليهم من الدنيا كيدهم فقال له يوماً رجل من أصحابه أنا لا أقدر على هذا فقال أعجبني صدقك وقال يوسف بن الحسين قلت لذى النون مع من أصحب فقال مع من لا تكتمه شيئاً يعلمه الله تعالى منك وقال سهل بن عبد الله لرجل إن كنت ممن يخاف السباع فلا تصحبني .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن الحسن العلوى يقول حدثنا عبد الرحمن بن حمدان قال حدثنا أبو القاسم بن منبه قال سمعت بشر بن الحارث يقول صحبة الأشرار توجب سوء الظن بالأخيار .. وحكى الجنيد قال لما دخل أبو حفص بغداد كان معه إنسان أصلع لا يتكلم بشيء فسألت أصحاب أبى حفص عن حاله فقالوا هذا رجل أنفق عليه مائة ألف درهم واستدان مائة ألف درهم أنفقها عليه ولا يرخص له أبو حفص أن يتكلم بحرف^(١) . وقال ذو النون لا تصحب مع الله تعالى إلا بالموافقه ولا مع الخلق إلا بالمناصحة ولا مع النفس إلا بالمخالفة ولا مع الشيطان إلا بالعداوة وقال رجل لذى النون مع من أصحب فقال مع من إذا مرضت عادك وإذا أذنبت تاب عليك .. سمعت الأستاذ أبا على يقول الشجر إذا نبت بنفسه ولم يستنبت به أحد يورق ولكنه لا يثمر كذلك المرید إذا لم يكن له أستاذ يتخرج به لا يجيء منه شيء وكان الأستاذ أبو على يقول أخذت هذا الطريق عن النصراباذى والنصراباذى عن الشبلى والشبلى عن الجنيد والجنيد عن السرى والسرى عن معروف الكرخى ومعروف الكرخى عن داود الطائى وداود الطائى لقى التابعين .. وسمعت رحمته الله تعالى يقول لم أختلف إلى مجلس النصراباذى قط

(١) (ولا يرخص له أبو حفص أن يتكلم بحرف) لما رآه فى حقه من أن السكوت أفضل له وأجمع لهمه وأبعد من رؤية نفسه وخوفه عليه أن تبدو منه كلمة يشير بها إلى ما أنفقه فيسقط من عينه وربما كان الغالب عليه آفة لسانه فمنعه النطق بالكلمة وآفة اللسان أعظم الآفات لأن الكلمة إذا خرجت من بين الشفتين فلا راد لها فمن قوى على الخلاص منها قوى على ما هو دونها ويؤيده خبر (وهل يكب الناس على وجوههم وروى مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم) .

إلا اغتسلت قبله قال الأستاذ أبو القاسم القشيري ولم أدخل على الأستاذ أبي على في وقت بدايتي إلا صائماً وكنت أغتسل قبله وكنت أحضر باب مدرسته غير مرة فأرجع من الباب احتشاماً منه أن أدخل عليه فإذا تجاسرت مرة ودخلت المدرسة كنت إذا بلغت وسط المدرسة يصحبني شبه خدر حتى لو غرز في إبره مثلاً لعلى كنت لا أحس بها ثم إذا قعدت لواقعة وقعت لى لم أحتج أن أسأله بلسانى عن المسألة فكما كنت أجلس كان يبتدىء بشرح واقعتى وغير مرة رأيت منه هذا عياناً وكنت أفكر فى نفسى كثيراً أنه لو بعث الله عز وجل فى وقتى رسولا إلى الخلق هل يمكننى أن أزيد فى حشمته على قلبى فوق ما كان منه رحمه الله تعالى فكان لا يتصور لى أن ذلك ممكن ولا أذكر أنى فى طول اختلافى إلى مجلسه ثم كونى معه بعد حصول الوصلة أن جرى فى قلبى أو خطر ببالى عليه قط اعتراض إلى أن خرج رحمه الله تعالى من الدنيا ..

(أخبرنا) حمزة بن يوسف السهمى الجرجانى قال أخبرنا محمد بن أحمد العبدى قال حدثنا أبو عوانة قال حدثنا يونس قال حدثنا خلف بن تميم أبو الأحوص عن محمد بن النضر الحارثى قال أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام كن يقظاناً مرتاداً لنفسك أخداناً وكل خدن لا يؤاتيك على مسرة فأقصه ولا تصحبه فإنه يقسى قلبك وهو لك عدو وأكثر من ذكرى تستوجب على شكرى والمزيد من فضلى .. سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت عبد الله بن المعلم يقول سمعت أبا بكر الطمستانى يقول اصحبوا مع الله تعالى فإن لم تطيقوا فاصحبوا مع من يصحب مع الله تعالى لتوصلكم بركات صحبتهم إلى صحبة الله عز وجل .



باب التوحيد

قال الله عز وجل : ﴿ وَالْهَكْمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ ..

(أخبرنا) الإمام أبو بكر محمد بن الحسين بن فورك رحمه الله تعالى قال أخبرنا أحمد بن محمود بن خرزاد قال حدثنا مسيح بن حاتم العكلي قال حدثنا الحجبي عبد الله بن عبد الوهاب قال حدثنا حماد بن يزيد عن سعيد بن سعد بن حاتم العتكى عن ابن أبي صدقة عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « بينا رجل فيمن كان قبلكم لم يعمل خيراً قط إلا التوحيد فقال لأهله إذا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم ذروا نصفى فى البر ونصفى فى البحر فى يوم ريح ففعلوا فقال عز وجل للريح : أدى ما أخذت فإذا هو بين يديه فقال ما حملك على ما صنعت فقال استحياء منك فغفر له ، ^(١) . (قال الأستاذ) التوحيد هو الحكم بأن الله واحد والعلم بأن الشئ واحد أيضاً توحيد ويقال وحدته إذا وصفته بالوحدانية يقال فى اللغة وحد فهو واحد ووحد، ووحد كما يقال فرد فهو فارد وفرد وفريد وأصل أحد وحد فقلبت الواو همزة والواو المفتوحة قد تقلب همزة كما تقلب المكسورة والمضمومة ومنه امرأة أسماء بمعنى وسماء من الوسامة ومعنى كونه سبحانه واحد على لسان العلم قيل هو الذى لا يصح فى وصفه الوضع والرفع بخلاف قولك إنسان واحد لأنك تقول إنسان بلا يد ولا رجل فيصح رفع شئ منه والحق سبحانه أحدى الذات بخلاف اسم الجملة الحاملة وقال بعض أهل التحقيق فى معنى أنه ^(١) (فقال استحياء منك فغفر له) وعليه تحمل رواية الصحيحين قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله إذا مت فأحرقوني ثم ذروا نصفى فى البر ونصفى فى البحر فوالله لئن قدر الله على ضيق على فى المؤاخذة أو الحساب ليعذبنى عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين ؛ فلما مات الرجل فعلوا ما أمرهم به فأمر الله تعالى البر فجمع ما فيه وأمر البحر فجمع ما فيه ثم قال لم فعلت هذا قال من خشيتك وأنت أعلم فغفر الله له ،

واحد نفى القسم لذاته ونفى التشبيه عن حقه وصفاته ونفى الشريك معه فى أفعاله ومصنوعاته والتوحيد ثلاثة توحيد الحق للحق وهو علمه بأنه واحد وخبره عنه بأنه واحد والثانى توحيد الحق سبحانه للخلق وهو حكمه سبحانه بأن العبد موحد وخلق توحيد العبد والثالث توحيد الخلق للحق سبحانه وهو علم العبد بأن الله عز وجل واحد وحكمه وإخباره عنه بأنه واحد فهذه جملة فى معنى التوحيد على شرط الإيجاز والتحديد ، واختلفت عبارات الشيوخ عن معنى التوحيد سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت ذا النون المصرى يقول وقد سئل عن التوحيد فقال : أن تعلم أن قدرة الله تعالى فى الأشياء بلا مزاج وصنعه للأشياء بلا علاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه ومهما تصور فى نفسك شيء فالله عز وجل بخلافه . وسمعت يقول سمعت أحمد بن محمد بن زكريا يقول سمعت أحمد بن عطاء يقول سمعت عبد الله بن صالح يقول قال الجريرى : ليس لعلم التوحيد إلا لسان التوحيد وسئل الجنيد عن التوحيد فقال . أفراد الموحد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته أنه الواحد الذى لم يلد ولم يولد بنفى الأضداد والأنداد والأشباه بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصوير ولا تمثيل « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » وقال الجنيد : إذا تناهت عقول العقلاء فى التوحيد تناهت الحيرة .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول سمعت جعفر ابن محمد يقول : سمعت الجنيد يقول ذلك . وسئل الجنيد عن التوحيد فقال معنى تضمحل فيه الرسوم وتندرج فيه العلوم ويكون الله تعالى كما لم يزل .. وقال الحصرى أصولنا فى التوحيد خمسة أشياء : رفع الحدث ، وإفراد القدم ، وهجر الإخوان ومفارقة الأوطان ، ونسيان ما علم وجهل .. سمعت منصور بن خلف المغربى يقول : كنت فى صحن الجامع ببغداد يعنى جامع المنصور والحصرى يتكلم فى التوحيد فرأيت ملكين يعرجان إلى السماء ؛ فقال أحدهما لصاحبه الذى يقول هذا الرجل علم التوحيد والتوحيد غيره يعنى كنت بين اليقظة والنوم . وقال فارس : التوحيد هو إسقاط الوسائط عند غلبة الحال والرجوع إليها عند الأحكام ، وأن الحسنات لا تغير الأقسام من الشقاوة والسعادة

.. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر بن شاذان يقول سمعت الشبلى يقول :
التوحيد صفة الموحد حقيقة وحلية الموحد رسماً . وسئل الجنيد عن توحيد الخاص فقال
أن يكون العبد شبحاً بين يدي الله سبحانه تجرى عليه تصاريف تدبيره في مجارى
أحكام قدرته في لجج بحار توحيده بالفناء عن نفسه وعن دعوة الخلق له وعن
استجابته بحقائق وجوده ووحدانيته في حقيقة قرينة بذهاب حسه وحركته لقيام الحق
سبحانه له فيما أراد منه وهو أن يرجع آخر العبد إلى أوله فيكون كما كان قبل أن
يكون ^(١) . وسئل البوشنجى عن التوحيد فقال غير مشبه الذوات ولا منفى الصفات .
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا
الحسن العنبرى يقول سمعت سهل بن عبد الله يقول وقد سئل عن ذات الله عز وجل
فقال ذات الله تعالى موصوفة بالعلم غير مدركة بالإحاطة ولا مرئية بالأبصار في دار
الدنيا وهى موجودة بحقائق الإيمان من غير حد ولا إحاطة ولا حلول وتراه العيون في
العقبى ظاهراً في ملكه وقدرته ^(٢) . قد حجب الخلق عن معرفة كنه ذاته ودلهم عليه
بآياته فالقلوب تعرفه والعقول لا تدركه ^(٣) . ينظر إليه المؤمنون بالأبصار من غير
إحاطة ولا إدراك نهاية وقال الجنيد أشرف كلمة فى التوحيد ما قاله أبو بكر الصديق
رضى الله عنه سبحان من لم يجعل لخلقه سبيلاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته ..
(قال الأستاذ أبو القاسم) ليس يريد الصديق رضى الله تعالى عنه أنه لا يعرف لأن
عند المحققين العجز عن الموجود دون المعدوم كالمعقد عاجزاً عن قعوده إذ ليس
بكسب له ولا فعل والقعود موجود فيه كذلك العارف عاجز عن معرفته والمعرفة
موجودة فيه لأنها ضرورية وعند هذه الطائفة المعرفة به سبحانه فى الانتهاء

(١) (فيكون كما كان قبل أن يكون) فى أنه لا حركة ولا إرادة والمراد بما ذكره أن حق
العبد أن يكون راضياً بما يجريه الله عليه بما يرضاه له وتشهد بصحته الشريعة وربّه حينئذ
لكمال حفظه ومحبته له لا يجرى عليه ما لا ينفعه .

(٢) (ظاهراً فى ملكه وقدرته) لا بالإحاطة فلا يرى رؤية الأشباح وإنما يرى ماهو
عليه من جلاله وعظمته وتنزهه عن مشابهة الغير على قدر ما خلق الله فيها .

(٣) (والعقول لا تدركه) إدراك إحاطة بل إدراكاً بوجه ما .

ضرورية فالمعرفة الكسبية فى الابتداء وإن كانت معرفة على التحقيق فلم يعدها الصديق رضى الله تعالى عنه شيئاً بالإضافة إلى المعرفة الضرورية كالسراج عند طلوع الشمس وانبساط شعاعها عليه . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أحمد بن سعيد البصرى بالكوفة يقول سمعت ابن الأعرابى يقول قال الجنيد التوحيد الذى انفرد به الصوفية هو إفراذ القدم عن الحدث والخروج عن الأوطان وقطع المحارب وترك ما علم وجهل وأن يكون الحق سبحانه مكان الجميع وقال يوسف بن الحسين من وقع فى بحار التوحيد لا يزداد على ممر الأوقات إلا عطشا .. وقال الجنيد علم التوحيد مباين لوجوده ووجوده مفارق لعلمه .. وقال الجنيد علم التوحيد طوى بساطه منذ عشرين سنة والناس يتكلمون فى حواشيه .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن أحمد الأصبهانى يقول وقف رجل على الحسين بن منصور فقال من الحق الذى يشارون إليه فقال معل الأنام ولا يعتل وسمعت يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت الشبلى يقول من اطلع على ذرة من التوحيد ضعف عن حمل بقة لثقل ما حمله .. سمعت أبا حاتم السجستاني يقول سمعت أبا السراج يقول سئل الشبلى فقيل له أخبرنا عن توحيد مجرد بلسان حق مفرد فقال ويحك من أجاب عن التوحيد بالعبرة فهو ملحد ومن أشار إليه فهو ثنوى ومن أوماً إليه فهو عابد وثن ومن نطق فيه فهو غافل ومن سكت عنه فهو جاهل ومن وهم أنه واصل فليس له حاصل ومن رأى أنه قريب فهو بعيد ومن تواجد فهو فاقد وكل ما ميزتموه بأوهامكم وأدركتموه بعقولكم فى أتم معانيكم فهو مصروف مردود إليكم محدث مصنوع مثلكم وقال يوسف بن الحسين توحيد الخاصة أن يكون بسره ووجده وقلبه كأنه قائم بين يدي الله تعالى تجرى عليه تصاريف تدبيره وأحكام قدرته فى بحار توحيده بالفناء عن نفسه وذهاب حسه بقيام الحق سبحانه له فى مرادة منه فيكون كما هو قيل أن يكون فى جريان حكمه سبحانه عليه وقيل التوحيد للحق سبحانه والخلق طفيلي وقيل التوحيد إسقاط الياءات لا تقول لى وبى ومنى وإلى وقيل لأبى بكر الطمستانى ما التوحيد فقال توحيد وموحد وموحد هذه ثلاثة .. قال رويم التوحيد محو آثار

البشرية وتجرد الألوهية .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول في آخر عمره وكان قد اشتدت به العلة فقال من أمارات التأييد حفظ التوحيد في أوقات الحكم ثم قال كالمفسر لقوله مشيراً إلى ما كان فيه من حاله هو أن يقرضك بمقاريض القدرة في إمضاء الأحكام قطعة قطعة وأنت شاكر حامد وقال الشبلى ماشم روائح التوحيد من تصور عنده التوحيد ^(١) . وقال أبو سعيد الخراز أول مقام لمن وجد علم التوحيد وتحقق بذلك فناء ذكر الأشياء عن قلبه وانفراده بالله عز وجل وقال الشبلى لرجل أتدرى لم لا يصح توحيدك فقال لا ، قال لأنك تطلبه بك ^(٢) . وقال ابن عطاء علامة حقيقة التوحيد نسيان التوحيد وهو أن يكون القائم به واحداً ويقال من الناس من يكون في توحيده مكاشفاً بالأفعال يرى الحادثات بالله تعالى ومنهم من هو مكاشف بالحقيقة فيضمحل إحساسه بما سواه فهو يشاهد الجمع سرا بسر وظاهره بوصف التفرقة . سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت على بن محمد القزوينى يقول سمعت القناد يقول سئل الجنيد عن التوحيد فقال سمعت قائلاً يقول :

وغنى لى من قلبى وغنيت كما غنى

وكنا حيثما كانوا وكانوا حيثما كنا

فقال السائل أهلك القرآن والأخبار فقال لا ولكن الموحّد يأخذ أعلى التوحيد من أدنى الخطاب وأيسره .



-
- (١) (من تصور عنده التوحيد) لأن كمال التوحيد أن يشتغل العبد بالله شغلا ينسيه غير الله تعالى ومن جعلته توحيده فمتى تصوره لم يستغرق في كمال توحيده .
- (٢) (لأنك تطلبه بك) لا بالله فإن طلبته به صح توحيدك أصل كل خير وكل مقام رفيع أن يخلص فيه العبد لربه ويتبرأ من حوله وقوته فلا يلتفت لنفسه ولا لكسبه ولهذا قال تعالى ﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾ .

باب أحوالهم عند الخروج من الدنيا

قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾ يعنى طيبة نفوسهم ببذلهم مهجهم لا يثقل عليهم رجوعهم إلى مولاهم ..
(أخبرنا) عبد الله بن يوسف الأصبهاني قال أخبرنا أبو الحسن على بن محمد بن عقبة الشيباني بالكوفة قال حدثنا الخضر بن أبان الهاشمي قال حدثنا أبو هذبة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « إن العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول عليك السلام تفارقني وأفارقك إلى يوم القيامة » ..

(أخبرنا) الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال حدثنا أبو العباس الأصم قال حدثنا الخضر بن أبان الهاشمي قال حدثنا سوار قال حدثنا جعفر عن ثابت عن أنس « أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال كيف تجدك فقال أرجو الله تعالى وأخاف ذنوبى فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئان لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف ، (قال الأستاذ) اعلم أن أحوالهم في حال النزع مختلفة فبعضهم الغالب عليه الهيبة وبعضهم الغالب عليه الرجاء ومنهم من كشف له في تلك الحالة ما أوجب له السكون وجميل الثقة . حكى أبو محمد الجريري قال كنت عند الجنيد في حال نزعه وكان يوم الجمعة ويوم نيروز وهو يقرأ القرآن فختم فقلت في هذه الحالة يا أبا القاسم فقال ومن أولى منى بذلك وهو ذا تطوى صحيفتى . سمعت أبا حاتم السجستاني يقول سمعت أبا نصر السراج يقول بلغنى عن أبى محمد الهروى أنه قال مكثت عند الشبلى الليلة التى مات فيها فكان يقول طول ليله هذين البيتين :

كل بيت أنت ساكنه غير محتاج إلى السرج

وجهك المأمول حجتنا يوم يأتى الناس بالحجج

وحكى عن عبد الله بن منزل أنه قال إن حمدون القصار أوصى أصحابه أن

لا يتركوه فى حال الموت بين النسوان^(١) . وقال لبشر الحافى وقد احتضر كأنك يا أبا نصر تحب الحياة فقال القدم على الله عز وجل شديد وقيل كان سفيان الثورى إذا قال له بعض أصحابه إذا سافر تأمر بشغل يقول إن وجدت الموت فاشتره لى فلما قربت وفاته كان يقول كنا نتمناه فإذا هو شديد . وقيل لما حضرت الحسن بن على بن أبى طالب الوفاة بكى فقليل له ما يبكيك فقالى أقدم على سيد لم أره ولما حضرت بلال الوفاة قالت امرأته واحزنه فقال بل واطرباه غداً نلقى الأحبه محمداً وحزبه وقيل فتح عبد الله بن المبارك عينيه عند الوفاة وضحك وقال لمثل هذا فليعمل العاملون وقيل كان مكحول الشامى الغالب عليه الحزن فدخلوا عليه فى مرض موته وهو يضحك فقليل له فى ذلك فقال ولم لا أضحك وقد دنا فراق من كنت أحذره وسرعة القدم على من كنت أرجوه وآمله . وقال رويم حضرت وفاة أبى سعيد الخراز وهو يقول فى آخر نفسه :

حنين قلوب العارفين إلى الذكر وتذكّارهم وقت المناجاة للسر
أديرت كؤوس للمنايا عليهم فأغفوا عن الدنيا كإغفاء ذى السكر
همومهم جوالاة بمعسكر به أهل ود الله كالأنجم الزهر
فأجسامهم فى الأرض قتلى بحبه وأرواحهم فى الحجب نحو العلا تسرى
فما عرسوا إلا بقرب حبيبهم وما عرجوا عن مس يؤس ولا ضر

وقيل للجنيّد إن أبا سعيد الخراز كان كثير التواجد عند الموت فقال لم يكن بعجيب أن تطير روحه اشتياقاً وقال بعضهم وقد قرئت وفاته يا غلام اشدّد كتافى وعفر

(١) (أن لا يتركوه بين النسوان) لتشويشهن عليه بالصياح والعيول ونحوهما وهذا من كمال تثبته ومراقبته وبعده عن المشوشات وقت الحاجة إلى التثبّت فإن العبد إذا حضره الموت عنده من يذكره الخيرات ويحسن ظنه بالله ويتلو عنده القرآن مات على أحسن الأحوال بخلافه مع حضور بعض النساء فإنهن كل ما اطلعن عليه من كرب وشدة نحن عليه بالويل والثبور ووقع منهن ما لا يرضى الرحيم الغفور .

خدى ثم قال دنا الرحيل ولا براءة لى من ذنب ولا عذر أعذر به ولا قوة أنتصر
 أنت لى أنت لى ثم صاح صيحة ومات فسمعوا صوتاً استكان العبد لمولاه فقبله وقيل
 لذى النون المصرى عند موته ما تشتهى قال أن أعرفه قبل موتى بلحظة وقيل لبعضهم
 وهو فى النزع قال الله فقال إلى متى تقولون قل الله وأنا محترق بالله تعالى وقال
 بعضهم كنت عند ممشاد الدينورى فقدم فقير وقال السلام عليكم فردوا عليه السلام
 فقال هل ههنا موضع نظيف يمكن الإنسان أن يموت فيه قال فأشاروا عليه بمكان
 وكان ثم عين ماء فجدد الفقير الوضوء وركع ما شاء الله عز وجل ومضى إلى المكان
 الذى أشاروا إليه ومد رجله ومات . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول كان
 أبو العباس الدينورى يتكلم يوماً فى مجلسه فصاحت امرأة تواجدا فقال لها موتى
 فقامت المرأة فلما بلغت باب الدار التفتت إليه وقالت قد مت ووقعت ميتة وقال
 بعضهم كنت عند ممشاد الدينورى عند وفاته فقيل له كيف تجد العلة فقال سلوا العلة
 عنى كيف تجدنى فقيل قل لا إله إلا الله فحول وجهه إلى الجدار وقال أفنيت كلى بكلك
 هذا جزاء من يحبك وقيل لأبى محمد الدببلى وقد حضرته الوفاة قل لا إله إلا الله فقال
 هذا شيء قد عرفناه وبه نفنى ثم أنشأ يقول :

تسريل ثوب التيه لما هويته وصد ولم يرض بأن ذاك عبده

وقيل للشبلى عند وفاته قل لا إله إلا الله فقال :

قال سلطان حبه أنا لا أقبل الرشا

فسلوه بحقه لم يقتلى تحرشا

سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفى يقول سمعت عبد الله بن على
 التميمى يقول سمعت أحمد بن عطاء يقول سمعت بعض الفقراء يقول لما مات يحيى
 الإصطخرى جلسنا حوله فقال له رجل منا قل أشهد أن لا إله إلا الله فجلس مستويا^(١) .
 ثم أخذ بيد واحد منا وقال له قل أشهد أن لا إله إلا الله ثم أخذ بيد آخر حتى عرض

(١) (فجلس مستويا .. إلخ) فهم رحمه الله من قول من قال منهم قل لا إله إلا الله أنهم =

الشهادة على جميع الحاضرين ثم مات . ويحكى عن فاطمة أخت أبى على الروذبارى أنها قالت لما قرب أجل أخى أبى على الروذبارى وكان رأسه فى حجرى ففتح عينيه وقال هذه أبواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زينت وهذا قائل يقول لى يا أبا على قد بلغناك الرتبة القصوى وإن لم تردها ثم أنشأ يقول :

وحقك لا نظرت إلى سواكا بعين مودة حتى أراكا
أراك معذبي بفطور لحظ وبالحظ المورد من جناكا

ثم قال يا فاطمة الأول ظاهر والثانى فيه إشكال^(١) سمعت بعض الفقهاء يقول لما قربت وفاة أحمد بن نصر رحمه الله تعالى قال له واحد قل أشهد أن لا إله إلا الله فنظر إليه وقال لا تترك الحرمة (بالفارسية بى حرمتى مكن) وقال بعضهم رأيت فقيراً يجود بنفسه غريباً والذباب على وجهه فجلست أذب الذباب عن وجهه ففتح عينيه وقال من هذا أنا منذ كذا سنة فى طلب وقت يصفولى فلم يتفق إلا الآن جئت أنت توقع نفسك فيه مر عافاك الله تعالى وقال عمران الإصطخرى رأيت أبا تراب فى البادية قائماً ميتاً لا يمسه شىء سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول إن سبب وفاه أبى الحسين النورى أنه سمع هذا البيت :

لا زلت أنزل من ودادك منزلاً تتحير الأبواب عند نزوله

فتواجد النورى وهام فى الصحراء فوقع فى أجمة قصب وقد قطعت وبقي أصولها مثل السيوف فكان يمشى عليها ويعيد هذا البيت إلى الغداة والدم يسيل من رجليه ثم وقع مثل السكران فتورمت قدماه ومات . وحكى أنه قيل له عند النزاع قل لا إله إلا الله فقال أليس إليه أعود وقيل مرض إبراهيم الخواص فى المسجد الجامع

= يعتقدون غفلته عن ربه لشغله بألمه فأخذ يذكرهم واحداً واحداً بذلك ويبين لهم أنه أشد منهم يقظة وحضوراً بذلك رضى الله تعالى عنه .
(١) (فيه إشكال) على من لم يعرف المراد به ويتوهم أنه راجع إلى ربه .

بالرى وكانت به علة الإسهال وكان إذا قام مجلسا يدخل الماء ويتوضأ فدخل الماء مرة فخرجت روحه . سمعت منصور المغربي يقول دخل عليه يوسف بن الحسين عائدا له بعدما أتى عليه^(١) . أيام لم يعده ولم يتعهده فلما رآه قال للخواص أتشتهى شيئا قال نعم قطعة كبد مشوى^(٢) . قال الأستاذ أبو القاسم لعل الإشارة فيه أنه أراد أشتهى قلباً يرق لفقير وكبدأ تشتوى وتحترق لغريب لأنه كالمستحى ليوسف بن الحسين حيث لم يتعهده . وقيل كان سبب موت ابن عطاء أنه دخل على الوزير فكلمه الوزير بكلام غليظ فقال ابن عطاء اهدأ يارجل فأمر فضرب بخفه على رأسه فمات منه . سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفى يقول سمعت عبد الله بن على التميمى يقول سمعت أبا بكر الدقى يقول كنا عند أبى بكر الزقاق بالغداة فقال إلهى تبقينى ههنا فما بلغ الغداة الأولى حتى مات .. وحكى عن أبى على الروذبارى أنه قال رأيت فى البادية حدثا فلما رآنى قال أما يكفيه أن شغفنى بحبه حتى علنى ثم رأيتـه وجود بنفسه فقلت له قل لا إله إلا الله فأنشد يقول :

أيا من ليس لى عنه وإن عذبنى بد

ويا من نال من قلبى مثالا ماله حد

وقيل للجنيـد قل لا إله إلا الله فقال ما نسيتـه فأذكره وقال :

حاضر فى القلب يعمره لست أنساه فأذكره

فهو مولـى ومعتدى ونصيبي منه أوفره

سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفى يقول سمعت عبد الله بن على التميمى يقول سألت جعفر بن نصير بكران الدينورى وكان يخدم الشبلى ما الذى رأيت منه فقال لى على درهم مظلمة وقد تصدقت عن صاحبه بألوف فما على قلبى شغل أعظم منه ثم قال وضئنى للصلاة ففعلت فنسيت تخليل لحيته وقد أمسك على

(١) (عليه) أى على الخواص فى مرضه .

(٢) (مشوى) فى نسخة مشوية .

لسانه فقبض على يدي وأدخلها في لحيته ثم مات فبكي جعفر وقال ما تقولون في رجل لم يفته حتى في آخر عمره أدب من آداب الشريعة . سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهاني يقول سمعت أبا الحسن بن عبد الله الطرسوسي يقول سمعت علوشاً الدينوري يقول سمعت المزين الكبير يقول كنت بمكة حرسها الله تعالى فوقع بي انزعاج^(١) . فخرجت أريد المدينة فلما وصلت إلى بئر ميمونة إذا أنا بشاب مطروح فعدلت إليه وهو ينزع فقلت له قل لا إله إلا الله ففتح عينيه وأنشد يقول :

أنا إن مت فالهوى حشو قلبي ويدا الهوى تموت الكرام

فشهق شهقة ثم مات فغسلته وكفنته وصليت عليه فلما فرغت من دفنه سكن ما كان بي^(٢) من إرادة السفر فرجعت إلى مكة حرسها الله تعالى وقيل لبعضهم أتحب الموت فقال القدوم على من يرجي خيره خير من البقاء مع من لا يؤمن شره . وحكى عن الجنيد أنه قال كنت عند أستاذي ابن الكرنبى وهو يجود بنفسه فنظرت إلى السماء فقال بعد^(٣) . ثم نظرت إلى الأرض فقال بعد يعنى أنه أقرب إليك من أن تنظر إلى السماء أو إلى الأرض بل هو وراء المكان^(٤) .. سمعت أبا حاتم السجستاني يقول سمعت أبا نصر الطوسي يقول سمعت بعض أصحابنا يقول قال أبو يزيد عند موته ما ذكرتك إلا عن غفلة ولا قبضتني إلا على فترة .. سمعت أبا حاتم السجستاني يقول سمعت أبا نصر السراج يقول سمعت الوجيهي يقول سمعت أبا على الروذباري يقول دخلت مصر فرأيت الناس مجتمعين فقالوا كنا في جنازة فتى سمع قائلاً :

(١) (انزعاج) أى تحرك .

(٢) (سكن ما كان بي .. إلخ) هذا من جملة اعتناء الله بالمزين حيث خلق له خاطر الانزعاج في السفر إلى المدينة وكان المراد منه أن يتولى أمر هذا الشاب الذى رآه وسمع منه ما قال حتى أعلمه الله أنه من محبيه فإن سبب قتله وضنى جسمه المحبة فعرف الله المزين فضله عليه حيث أزعه إلى أن واره التراب رحمهما الله تعالى .

(٣) (بعد) أى هذا بعد .

(٤) (وراء المكان) أى قبله .

كبرت همه عبد طمعت في أن تراكاً

فشهق شهقة ومات . وقال دخل جماعة على ممشاد الدينورى فى مرضة فقالوا ما فعل الله بك وما صنع فقال منذ ثلاثين سنة تعرض على الجنة بما فيها فما أعرتها طرفى وقالوا له عند النزع كيف تجد قلبك فقال منذ ثلاثين سنة فقدت قلبى .. سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفى يقول : سمعت عبد الله بن على التميمى يقول قال الوجيهى كان سبب موت ابن بنان أنه ورد على قلبه شىء فهم على وجهه فلحقوه فى وسط متاهة بنى إسرائيل فى الرمل ففتح عينيه وقال ارتع فهذا مرتع الأحباب وخرجت روحه وقال أبو يعقوب النهرجورى كنت بمكة حرسها الله تعالى فجاءنى فقير معه دينار فقال إذا كان غداً فأنا أموت فأصلح لى بنصف هذا قبراً والنصف الثانى لجهازى فقلت فى نفسى دوخل الشاب فإنه قد أصابه فاقة الحجاز فلما كان الغد جاء ودخل الطواف ثم مضى وامتد على الأرض فقلت هو ذا يتماوت فذهبت إليه فحركته فإذا هو ميت فدفنته كما أمر . وقيل لما تغيرت الحال على أبى عثمان الحيرى مزق ابنه أبو بكر قميصاً ففتح أبو عثمان عينيه وقال يا بنى إن خلاف السنة فى الظاهر من رياء فى الباطن . وقيل دخل ابن عطاء على الجنيد وهو يوجد بنفسه فسلم فأبطأ فى الجواب ثم رد وقال أعذرنى فلقد كنت فى وردى ثم مات .. وحكى أبو على الروذبارى قال قدم علينا فقير فمات فدفنته وكشفت عن وجهه لأضعه فى التراب ليرحم الله عز وجل غريته ففتح عينيه وقال يا أبا على أتدللنى بين يدى من دلتنى فقلت يا سيدى أحياة بعد موت فقال بل أنا حى وكل محب لله عز وجل حى لأنصرنك غداً بجاهى يا روذبارى .. ويحكى عن ابن سهل الأصفهانى أنه قال أترون أنى أموت كما يموت الناس مرض وعيادة إنما أدعى فيقال يا على فأجيب فكان يمشى يوماً فقال لبنيك ومات .. سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول سمعت أبا الحسن المزين قال لما مرض أبو يعقوب النهرجورى مرض وفاته قلت له وهو فى النزع قل لا إله إلا الله فتبسم إلى وقال إياى تعنى وعزة من لا يذوق الموت ما بينى وبينه إلا حجاب العزة وانطفاً من ساعته فكان

المزين يأخذ بلحيته ويقول حجام مثلى يلقي أولياء الله تعالى الشهادة واخجلناه منه وكان يبكى إذا ذكر هذه الحكاية وقال أبو الحسن المالكي كنت أصحب خيرا النساج سنين كثيرة فقال لى قبل^(١) موته بثمانية أيام أنا أموت يوم الخميس وقت المغرب وأدفن يوم الجمعة قبل الصلاة وستنسى هذا فلا تنس قال أبو الحسين فأنسيته إلى يوم الجمعة فلقيني من أخبرني بموته فخرجت لأحضر جنازته فوجدت الناس راجعين يقولون يدفن بعد الصلاة فلم انصرف وحضرت فوجدت الجنازة قد أخرجت قبل الصلاة كما قال فسألت من حضر وفاته فقال إنه غشى عليه ثم أفاق ثم التفت إلى ناحية البيت وقال قف عافاك الله فإنما أنت عبد مأمور وأنا عبد مأمور والذي أمرت به لا يفوتك والذي أمرت به يفوتنى فدعا بماء فجدد وضوءه وصلى ثم تمدد وغمض عينيه فرؤى فى المنام بعد موته فقيل له كيف حالك فقال لا تسل لكنى تخلصت من دنياكم الوضرة^(٢). (وذكر) أبو الحسين الحمصى مصنف كتاب بهجة الأسرار أنه لما مات سهل بن عبد الله انكب الناس على جنازته وكان فى البلد يهودى نيف على السبعين فسمع الضجة فخرج لينظر ما كان فلما نظر إلى الجنازة صاح وقال أترون ما أرى فقالوا لا إيش ترى فقال أرى أقواما ينزلون من السماء يتمسحون بالجنازة ثم إنه تشهد وأسلم وحسن إسلامه .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا جعفر بن قيس بمصر يقول سمعت أبا سعيد الخراز يقول كنت بمكة حرسها الله تعالى فجزت يوما بباب بنى شيبه فرأيت شابا حسن الوجه ميتا فنظرت فى وجهه فتبسم فى وجهى وقال لى يا أبا سعيد أما علمت أن الأحياء أحياء وإن ماتوا وإنما ينقلون من دار إلى دار .. وسمعت يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت الجريرى يقول بلغنى أنه قيل لذى النون المصرى عند النزع أوصنا فقال لا تشغلونى فإنى متعجب من محاسن لطفه وسمعت يقول سمعت عبد الله بن محمد

(١) (فقال لى قبل .. إلخ) هذا من خرق العوائد أيضاً أعنى الكلام بعد الموت وقد جرى مثله فى الصحابة وفائدة هذه الحكاية تعريف الروذبارى أن الأولياء مخفيون فى الفقراء

لنزداد رغبته فى مساعدتهم والقيام بحقوقهم .

(٢) (الوضرة) أى الفاسدة .

الرازي يقول سمعت أبا عثمان الحيري يقول سئل أبو حفص في حال وفاته ما الذي تعظنا به فقال لست أقوى على القول ثم رأى من نفسه قوة فقلت له قل حتى أحكى عنك فقال موعظتى الانكسار بكل القلب على التقصير ..



باب المعرفة بالله (١).

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ جاء في التفسير وما عرفوا الله حق معرفته ..

(أخبرنا) عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله العدل قال حدثنا محمد بن القاسم العتكي قال حدثني محمد بن أشرس قال حدثنا سليمان بن عيسى الشجري عن عباد بن كثير عن حنظلة بن أبي سفيان عن القاسم بن محمد عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « إن دعامة البيت أساسه ودعامة الدين المعرفة بالله تعالى واليقين والعقل القامع فقلت بأبى أنت وأمى ما العقل القامع قال الكف عن معاصي الله والحرص على طاعة الله عز وجل » (قال الأستاذ) المعرفة على لسان العلماء هو العلم فكل علم معرفة وكل معرفة علم وكل عالم بالله تعالى عارف وكل عارف عالم وعند هؤلاء القوم المعرفة صفة من عرف الحق سبحانه بأسمائه وصفاته ثم صدق الله تعالى في معاملاته ثم تنفى عن أخلاقه الرديئة وآفاته ثم طال بالباب وقوفه ودام بالقلب اعتكافه فحظى الله تعالى بجميل إقباله

(١) (باب المعرفة بالله) هى تحقيق العلم بإثبات الوجدانية ويقال نسيان غير الله ويقال غير ذلك وسيأتى بعضه وهى ممدوحة ومطلوبة.

وصدق الله تعالى في جميع أحواله وانقطع عنه هواجس نفسه ولم يصنع بقلبه إلى خاطر يدعوه إلى غيره فإذا صار من الخلق أجنبيا ومن آفات نفسه برياً ومن المساكنات والملاحظات نقياً ودام في السرمع الله تعالى مناجاته وحق في كل لحظة إليه رجوعه وصار محدثاً من قبل الحق سبحانه بتعريف أسرارهِ فيما يجريهِ من تصاريف أقداره يسمى عند ذلك عارفاً وتسمى حالته معرفة وفي الجملة فبمقدار أجنبيته عن نفسه (١) تحصل معرفته بربه عز وجل وقد تكلم المشايخ في المعرفة فكل نطق بما وقع له وأشار إلى ما وجده في وقته . سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله تعالى يقول من أمارات المعرفة بالله حصول الهيبة من الله تعالى فمن ازدادت معرفته ازدادت هيبته .. وسمعت يقول المعرفة توجب السكينة في القلب كما أن العلم يوجب السكون فمن ازدادت معرفته ازدادت سكينته .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أحمد بن محمد بن زيد يقول سمعت الشبلى يقول ليس لعارف علاقة ولا لمحِب شكوى ولا لعبد دعوى ولا لخائف قرار ولا لأحد من الله عز وجل قرار . وسمعت يقول سمعت محمد بن محمد بن عبد الوهاب يقول سمعت الشبلى يقول .. وقد سئل عن المعرفة فقال أولها الله تعالى وآخرها ما لا نهاية له . وسمعت يقول سمعت أبى يقول سمعت أبا العباس الدينورى يقول قال أبو حفص منذ عرفت الله تعالى ما دخل قلبى حق ولا باطل (قال الأستاذ أبو القاسم) وهذا الذى أطلقه أبو حفص فيه طرف من الإشكال (٢) . وأجل ما يحتمله أن عند القوم المعرفة توجب غيبة العبد عن نفسه لاستيلاء ذكر الحق سبحانه عليه فلا يشهد غير الله عز وجل ولا يرجع إلى غيره فكما أن العاقل يرجع إلى قلبه وتفكره وتذكره فيما

(١) (عن نفسه) وعن سائر المخلوقات فلا يطلقون العارف إلا على من توالى عليه العلم بالله وصفاته والنظر فى مصنوعاته وغلب عليه ذلك بحيث صار حالاً له حتى قالوا من عرف الله كل لسانه أى لم ينطق أى شغلته معرفته به عن ذكر غيره .

(٢) (طرف من الإشكال) لأن من عرف الله لا يستغنى عن النظر فى عبادته ليوقعها بحسب ما طلب وهذا حق ولا بد من دخوله قلبه والشيطان عدو له لا يسكت عنه وذلك باطل لا بد أن يدركه بقلبه ثم يتقيه .

يسنح له من أمر أو يستقبله من حال فالعارف رجوعه إلى ربه فإذا لم يكن مشغولاً إلا بربه تعالى لم يكن راجعاً إلى قلبه وكيف يدخل المعنى قلب من لا قلب له وفرق بين من عاش بقلبه وبين من عاش بربه عز وجل . وسئل أبو يزيد عن المعرفة فقال « إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَهْلَهَا أَذَلَّةً » (قال الأستاذ) هذا معنى ما أشار إليه أبو حفص وقال أبو يزيد للخلق أحوال ولا حال للعارف لأنه محيت رسومه وفنيت هويته بهوية غيره وغيبت آثاره بآثار غيره . وقال الواسطي لا تصح المعرفة وفي العبد استغناء بالله وافتقار إليه (قال الأستاذ) أراد الواسطي بهذا أن الافتقار والاستغناء من أمارات صحو العبد وبقاء رسومه لأنهما من صفاته والعارف محق في معرفته فكيف يصح له ذلك وهو لاستهلاكه في وجوده أو لاستغراقه في شهوده إن لم يبلغ الوجود مختطف عن إحساسه بكل وصف هو له ولهذا قال الواسطي أيضاً من عرف الله تعالى انقطع بل خرس وانقمع قال صلى الله عليه وآله وسلم « لا أحصى ثناء عليك » هذه صفات الذين بعد مرماهم فأما من نزلوا عن هذا الحد فقد تكلموا في المعرفة وأكثروا .. (أخبرنا) محمد بن الحسين قال حدثنا أبو جعفر محمد ابن أحمد بن سعيد الرازي قال حدثنا عباس بن حمزة قال سمعت أحمد بن أبي الحواري قال سمعت أحمد بن عاصم الأنطاكي يقول من كان بالله أعرف كان له أخوف وقال بعضهم من عرف الله تعالى تبرم بالبقاء وضافت عليه الدنيا بسعتها^(١) .. وقيل من عرف الله تعالى صفا له العيش وطابت له الحياة وهابه كل شيء وذهب عنه خوف المخلوقين وأنس بالله تعالى وقيل من عرف الله تعالى ذهب عنه رغبة الأشياء وكان بلا فصل ولا وصل، وقيل المعرفة توجب الحياء والتعظيم كما أن التوحيد يوجب الرضا والتسليم وقال رويم المعرفة للعارف مرآة إذا نظر فيها تجلى له

(١) (وضافت عليه الدنيا بسعتها) فقد حكى الله تعالى عن كعب بن مالك وأصحابه لما تخلفوا عن غزوة تبوك وهجروا إلى أن نزل فيهم قرآن أنهم ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضافت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه وذلك لمعرفتهم بالله وعظمته وعظمة رسوله وتخلفهم عن الجهاد مع رسوله فكل من عرف الجليل العظيم لا يحتمل قلبه الاشتغال بغيره ولا البعد عنه ..

مولاه وقال ذو النون المصرى ركضت أرواح الأنبياء فى ميدان المعرفة فسبقت روح نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أرواح الأنبياء عليهم السلام إلى روضة الوصال وقال ذو النون المصرى معاشره العارف كمعاشره الله تعالى يحتملك ويحلم عنك تخلقا بأخلاق الله عز وجل . وسئل ابن يزدانيار متى يشهد العارف الحق سبحانه فقال إذا بدا الشاهد وفنيت الشواهد وذهب الحواس واضمحل الإخلاص وقال الحسين بن منصور وإذا بلغ العبد إلى مقام المعرفة أوحى الله تعالى إليه بخواطره وحرس سره أن يسبح فيه غير خاطر الحق وقال علامة العارف أن يكون فارغا من الدنيا والآخرة وقال سهل بن عبد الله المعرفة غايتها شيثان الدهش والحيرة . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن أحمد بن سعيد يقول سمعت محمد بن أحمد بن سهل يقول سمعت سعيد بن عثمان يقول سمعت ذا النون المصرى يقول أعرف الناس بالله تعالى أشدهم تحيرا فيه .. وسمعت يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا عمر الأنطاكى يقول قال رجل للجنيد من أهل المعرفة أقوام يقولون إن ترك الحركات من باب البر والتقوى فقال الجنيد هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال وهو عندى عظيم والذى يسرق ويزنى أحسن حالا من الذى يقول هذا فإن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله تعالى وإلى الله تعالى رجعوا فيها ولو بقيت ألف عام ولم أنقص من أعمال البر ذرة وقيل لأبى يزيد بماذا وجدت هذه المعرفة فقال ببطن جائع وبدن عار وقال أبو يعقوب النهرجورى قلت لأبى يعقوب السوسى هل يتأسف العارف على شىء غير الله عز وجل فقال وهل يرى غيره فيتأسف عليه فبأى عين ينظر إلى الأشياء فقال بعين الغناء والزوال وقال أبو يزيد العارف طيار والزاهد سيار وقيل العارف تبكى عينه ويضحك قلبه وقال الجنيد لا يكون العارف عارفا حتى يكون كالأرض يطؤه البر والفاجر وكالسحاب يظل كل شىء وكالمطر يسقى ما يحب وما لا يحب وقال يحيى بن معاذ يخرج العارف من الدنيا ولا يقضى وطره من شيئين بكاؤه على نفسه وثناؤه على ربه عز وجل وقال أبو يزيد إنما نالوا المعرفة بتضييع ما لهم والوقوف مع ما له . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا الحسين الفارسى يقول سمعت يوسف بن على يقول لا

يكون العارف عارفا حقا حتى لو أعطى مثل ملك سليمان عليه السلام لم يشغله عن الله عز وجل طرفه عين ، وسمعته يقول سمعت أبا الحسين الفارسي يقول سمعت ابن عطاء يقول المعرفة على ثلاثة أركان الهيبة والحياء والأنس .. وسمعته يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول قيل لذي النون المصري بم عرفت ربك قال عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي وقيل العالم يقتدى به والعارف يهتدى به وقال الشبلي العارف لا يكون لغيره لاحظاً ولا بكلام غيره لافظاً ولا يرى لنفسه غير الله تعالى حافظاً وقيل العارف أنس بذكر الله تعالى فأوحشه من خلقه وافترق إلى الله تعالى فأغناه عن خلقه وذل الله تعالى فأعزه في خلقه وقال أبو الطيب السامري^(١) المعرفة طلوع الحق^(٢) على محل الأسرار^(٣) بمواصلة الأنوار^(٤) . وقيل العارف فوق ما يقول^(٥) . والعالم دون ما يقول وقال أبو سليمان الداراني إن الله تعالى يفتح للعارف وهو على فراشه ما لا يفتح لغيره وهو قائم يصلي وقال الجنيد العارف من نطق الحق عن سره وهو ساكت وقال ذو النون لكل شيء عقوبة وعقوبة العارف انقطاعه عن ذكر الله تعالى . سمعت أبا حاتم السجستاني يقول سمعت أبا نصر السراج يقول سمعت الوجهي يقول سمعت أبا علي الزوذباري يقول سمعت رويما يقول رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين وقال أبو بكر الوراق سكوت العارف أنفع وكلامه أشهى وأطيب وقال ذو النون الزهاد ملوك الآخرة وهم فقراء العارفين . وسئل الجنيد عن العارف فقال لون الماء إنائه يعني بحكم وقته .

(١) (السامري) بفتح الميم وتشديد الراء .

(٢) (طلوع الحق) أى ظهوره وغلبته .

(٣) (على محل الأسرار) وهو قلب العبد .

(٤) (بمواصلة الأنوار) أى بتوالي أنوار معرفته عليه حتى لا ينساه فى شيء من حالاته .

(٥) (فوق ما يقول) إذ لا قدرة له على تعبيره عن جميع مقاماته وأحواله لقصور العبارة

عنه كما تقصر عن الفرق بين روائح المحسوسات كرائحة الزيد ورائحة المسك وحلاوة

العسل وحلاوة السكر وحموضة النارنج وحموضة الليمون وإذا قصرت العبارة عن ذلك فعما

يواليه الله ويفتح به على قلوب العارفين أولى .

وسئل أبو يزيد عن العارف فقال لا يرى في نومه غير الله تعالى ولا في يقظته غير الله تعالى ولا يوافق غير الله تعالى ولا يطالع غير الله تعالى سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن محمد الدمشقي يقول سئل بعض المشايخ بم عرفتم الله تعالى فقال بيلمعة لمعت بلسان مأخوذ عن التمييز المعهود ولفظة جرت على هالك مفقود يشير إلى وجد ظاهر ويخبر عن سر سائر هو هو بما أظهره وغيره بما أشكله ثم أنشد:

نطقت بلا نطق هو النطق أنه لك النطق لفظاً أو يبين عن النطق

تراءيت كي أخفى وقد كنت خافيا وألمعت لي برقاً فأنطقت بالبرق

وسمعه يقول سمعت علي بن بشار الصيرفي يقول سمعت الجريري يقول سئل أبو تراب عن صفة العارف فقال الذي لا يكدره شيء ويصفو به كل شيء . وسمعه يقول سمعت أبا عثمان المغربي يقول العارف تضئ له أنوار العلم فيبصر به عجائب الغيب .. سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول العارف مستهلك في بحار التحقيق كما قال قائلهم المعرفة أمواج تغط وترفع وتحط .. وسئل يحيى بن معاذ عن العارف فقال رجل كائن بائن ومرة قال كان فبان وقال ذو النون علامة العارف ثلاثة لا يطفئ نور معرفته نور ورعه ولا يعتقد باطناً من العلم ينقض عليه ظاهراً من الحكم ولا تحمله كثرة نعم الله عز وجل عليه على هتك أستار محارم الله تعالى وقيل ليس العارف من وصف المعرفة عند أبناء الآخرة فكيف عند أبناء الدنيا وقال أبو سعيد الخراز المعرفة تأتي من عين الجود وبذل المجهود سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت جعفرًا يقول سئل الجنيد عن قول ذي النون المصري في صفة العارف كان ههنا فذهب فقال الجنيد العارف لا تحصره حال عن حال ولا يحجبه منزل عن التنقل في المنازل فهو مع أهل كل مكان بمثل الذي فيه يجد مثل الذي يجدون وينطق بمعالمها لينتفعوا بها . وسمعه يقول سمعت عبد الله الرازي يقول سمعت محمد بن الفضل يقول المعرفة حياة القلب مع الله تعالى . وسمعه يقول سمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول سمعت الكتاني يقول سئل

أبو سعيد الخراز هل يصير العارف إلى حال يجفو عليه البكاء فقال نعم إنما البكاء في أوقات سيرهم إلى الله تعالى فإذا نزلوا من حقائق القرب وذاقوا طعم الوصول من بره زال عنهم ذلك قال وسمعت يقول سمعت عبد الله الرازي يقول سمعت محمد بن الفضل يقول المعرفة حياة القلب مع الله تبارك وتعالى .



باب المحبة

قال الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ۖ ..

(أخبرنا) أبو نعيم عبد الملك بن الحسين قال حدثنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق قال حدثنا السلمي قال حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من أحب لقاء الله أحب لقاءه ومن لم يحب لقاء الله تعالى لم يحب الله تعالى لقاءه » .. (أخبرنا) أبو الحسين على ابن أحمد بن عبدان قال حدثنا أحمد بن عبيد الصفار البصري قال حدثنا عبد الله بن أيوب قال حدثنا الحكم بن موسى قال حدثنا الهيثم بن خارجة قال حدثنا الحسن بن يحيى عن صدقة الدمشقي عن هشام الكتابي عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن جبريل عليه السلام عن ربه سبحانه وتعالى قال « من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة وما ترددت في شيء كترددت في قبض نفس عبدی المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه وما تقرب إلى عبدی بشيء أحب إلي من أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدی يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ومن أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً » .. (أخبرنا) على بن أحمد بن عبدان قال

أخبرنا أحمد ابن عبيد قال حدثنا عبيد بن شريك قال أخبرنا يحيى قال حدثنا مالك عن سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « إذا أحب الله عز وجل العبد قال لجبريل يا جبريل إني أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادى جبريل في أهل السماء إن الله تعالى قد أحب فلاناً فأحبه فيحبه أهل السماء ثم يضع له القبول في الأرض وإذا أبغض الله عز وجل عبداً قال مالك لا أحسبه إلا قال في البغض مثل ذلك » .. (قال الأستاذ) المحبة حال شريفة شهد الحق سبحانه بها للعبد وأخبر عن محبته للعبد فالحق سبحانه يوصف بأنه يحب العبد والعبد يوصف بأنه يحب الحق سبحانه والمحبة على لسان العلماء هي الإرادة وليس مراد القوم بالمحبة الإرادة فإن الإرادة^(١) . لا تتعلق بالقديم^(٢) . اللهم إلا أن يحمل^(٣) . على إرادة التقرب إليه والتعظيم له ونحن نذكر من تحقيق هذه المسألة طرفان إن شاء الله تعالى فمحبة الحق سبحانه للعبد إرادته لإنعام مخصوص عليه^(٤) . كما أن رحمته « إرادة الإنعام فالرحمة أخص من الإرادة والمحبة أخص من الرحمة فإرادة الله تعالى لأن يوصل إلى العبد الثواب والإنعام تسمى رحمة وإرادته لأن يخصه بالقربة والأحوال العلية تسمى محبة فإرادته سبحانه صفة واحدة فبحسب تفاوت متعلقاتها تختلف أسماؤها فإذا تعلقت بالعقوبة تسمى غضبا وإذا تعلقت بعموم النعم تسمى رحمة وإذا تعلقت بخصوصها تسمى محبة وقوم قالوا محبة الحق سبحانه للعبد مدحه له وثناؤه عليه بالجميل فيعود معنى محبته له هذا القول إلى كلامه وكلامه قديم وقال قوم محبته للعبد من صفات فعله وهو إحسان مخصوص يلقي الله العبد به وحالة مخصوصه يرقيه إليها كما قال بعضهم إن رحمته بالعبد نعمه معه وقوم من السلف

(١) (فإن الإرادة) من العبد .

(٢) (لا تتعلق بالقديم) بناء على أن أثرها التخصيص فلا تتعلق بالقديم كما لا تتعلق بالمستحيل .

(٣) (اللهم إلا أن يحمل .. إلخ) فيتضح تفسيرها بالإرادة .

(٤) (لإنعام مخصوص عليه) أي لإنعام على العبد مخصوص بدرجة رفيعة كحفظه وتقريبه له وعداوته لمن عاداه .

قالوا محبته من الصفات الخيرية فأطلقوا اللفظ وتوقفوا عن التفسير فأما ما عدا هذه الجملة مما هو في المعقول من صفات محبة الخلق كالميل إلى الشيء والاستئناس بالشيء وكحالة يجدها المحب مع محبوبه من المخلوقين فالقديم سبحانه يتعالى عن ذلك وأما محبة العبد لله تعالى فحالة يجدها من قلبه تلتف عن العبارة وقد تحمله تلك الحالة على التعظيم له وإيثار رضاه وقلة الصبر عنه والاهتياج إليه وعدم القرار من دونه ووجود الاستئناس بدوام ذكره له بقلبه وليست محبة العبد له سبحانه متضمنة ميلا ولا اختطاطا كيف وحقيقة الصمدية مقدسة عن اللوح والدرك والإحاطة والمحب بوصف الاستهلاك في المحبوب أولى منه بأن يوصف بالاختطاط ولا توصف المحبة بوصف ولا تحد بحد أوضح ولا أقرب إلى الفهم من المحبة ^(١) والاستقصاء ^(٢) في المقال عند حصول الإشكال فإذا زال الاستعجاب والاستنبهام سقطت الحاجة إلى الاستغراق في شرح الكلام ^(٣) وعبارات الناس عن المحبة كثيرة وتكلموا في أصلها في اللغة فبعضهم قال الحب اسم لصفاء المودة لأن العرب تقول لصفاء بياض الأسنان ونضارتها حبيب الأسنان وقيل الحباب ما يعلو الماء عند المطر الشديد فعلى هذا المحبة غليان القلب وثورانه عند العطش والاهتياج إلى لقاء المحبوب المحبة غاية معظم مافي القلب من المهمات وقيل اشتقاقه من اللزوم والثبات يقول أحب البعير وهو أن يبرك فلا يقوم فكأن المحب لا يبرح بقلبه عن ذكر محبوبه وقيل الحب مأخوذ من الحب وهو القرط قال الشاعر :

تبيت الحية النضاض منه مكان الحب يستمع السرارا

- (١) (ولا أقرب إلى الفهم من المحبة) فعدم وصفها بذلك أو تحديدها إما لعسره أو لكونها ضرورية كما قيل به في تعريف العلم .
- (٢) (والاستقصاء) أى الاستغراق والإمعان .
- (٣) (فى شرح الكلام) على ذلك ومحبة العبد مختلفة فتارة تكون للحنو والشفقة كمحبة الوالد لولده وتارة تكون للنعم فيحب من أنعم الله عليه وتارة تكون للاتصاف بصفات جميلة كالعلم والكرم والشجاعة فيحب المتصف بها وإن لم يكن له عليه نعمة وإنما يحبه لاتصافه بتلك الصفات المحموده .

وسمى القرط حبا إما للزومه للأذن أو لقلقه وكلا المعنيين صحيح في الحب وقيل هو مأخوذ من الحب والحب جمع حبة وحبة القلب ما به قوامه فسمى الحب حبا باسم محله وقيل الحب والحب كالعمر والعمر وقيل مأخوذ من الحبة بكسر الحاء وهى بزور الصحراء فسمى الحب حبا لأنه لباب الحياة كما أن الحب لباب النبات وقيل الحب هى الخشبات الأربع التى توضع عليها الجرة فسميت المحبة حبا لأنه يتحمل عن محبوبه كل عز وذل وقيل هو من الحب الذى فيه الماء لأنه يمسك مافيه فلا يسع فيه غير ما امتلأ به كذلك إذا امتلأ القلب بالحب فلا مساغ فيه لغير محبوبه وأما أقاويل الشيوخ فيه فقال بعضهم المحبة الميل الدائم بالقلب الهائم وقيل المحبة إثارة المحبوب على جميع المصحوب وقيل موافقة الحبيب فى المشهد والمغيب وقيل محو المحب بصفاته وإثبات المحبوب بذاته وقيل مواطأة القلب لمرادات الرب وقيل خوف ترك الحرمة مع إقامة الخدمة وقال أبو يزيد البسطامى المحبة استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك وقال سهل الحب معانقة الطاعة ومباينة المخالفة . وسئل الجنيد عن المحبة فقال دخول صفات المحبوب على البذل من صفات المحب أشار بهذا إلى استيلاء ذكر المحبوب حتى لا يكون الغالب على قلب المحب إلا ذكر صفات المحبوب والتغافل بالكلية عن صفات نفسه والإحساس بها وقال أبو على الروذبارى المحبة الموافقة قال أبو عبد الله القرشى حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت فلا يبقى لك منك شيء وقال الشبلوى سميت المحبة محبة لأنها تمحو من القلب ماسوى المحبوب وقال ابن عطاء المحبة إقامة العتاب على الدوام^(١) . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق حرمة الله تعالى يقول المحبة لذة ومواضع الحقيقة دهش وسمعته يقول العشق مجاوزة الحد فى المحبة والحق سبحانه لا يوصف بأنه يجاوز الحد فلا يوصف بالعشق^(٢) . ولو جمع محاب الخلق كلهم لشخص واحد لم يبلغ ذلك استحقاق قدر

(١) (إقامة العتاب على الدوام) كلام من المحب لمحبوبه يؤلف منه ما خشيت فرقة ويحبر ملاحته قطيعته .

(٢) (فلا يوصف بالعشق) وإن وصف بالمحبة لعدم الإذن فيه ولأنه إنما يكون لغائب =

الحق سبحانه فلا يقال إن عبدا جاوز الحد في محبة الله تعالى فلا يوصف الحق سبحانه بأنه يعشق ولا العبد في صفته سبحانه بأنه يعشق فنفي العشق ولا سبيل له إلى وصف الحق سبحانه لا من الحق للعبد ولا من العبد للحق^(١) . سبحانه .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت الشبلي يقول المحبة أن تغار على المحبوب أن يحبه مثلك ، وسمعت يقول سمعت أبا الحسين الفارسي يقول سمعت ابن عطاء يقول وقد سئل عن المحبة فقال أغصان تغرس في القلب فتثمر على قدر العقول ، وسمعت يقول سمعت النصراباذي يقول محبه توجب حقن الدماء ومحبة توجب سفك الدماء . وسمعت يقول سمعت محمد بن العلوي يقول سمعت جعفرًا يقول سمعت سمنونا يقول ذهب المحبون لله تعالى بشرف الدنيا والآخرة لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « المرء مع من أحب » فهم مع الله تعالى وقال يحيى بن معاذ حقيقة المحبة مالا ينقص بالجفاء ولا يزيد بالبر وقال ليس بصادق من ادعى محبته ولم يحفظ حدوده وقال الجنيد إذا صحت المحبة سقطت شروط الأدب . وفي معناه سمعت الأستاذ أبا علي ينشد :

إذا صفت المودة بين قوم ودام ودادهم سمح الثناء

وكان يقول لا ترى أبا شفيقا يبجل ابنه في الخطاب والناس يتكلفون في مخاطبته والأب يقول يا فلان وقال الكتاني المحبة الإيثار للمحبيب .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا سعيد الأرجاني يقول سمعت بندار بن الحسين يقول روى مجنون بنى عامر في المنام ف قيل له ما فعل الله تعالى بك فقال غفر لي وجعلني حجة على المحبين وقال أبو يعقوب السوسي حقيقة المحبة أن ينسى العبد حظه من الله

= والله لا يغيب عنه شيء لأنه عالم بكل شيء ولا يؤثر في ذلك كون الوصف كما لا عادة فإننا نصفه تعالى بأنه حكيم وكريم وعالم لأنه وصف نفسه بها ولا نصفه بأنه مهندس وسخي أو فقيه أو نحوي أو أصولي صفات الله توقيفية ورد بها القرآن العظيم والسنة المشرفة .
(١) (ولا من العبد للحق) فلا الحق عشق عبده ولا العبد عشق الحق ولا يخفى ما في كلامه من التكرار .

عز وجل وينسى حوائجه إليه وقال الحسين بن منصور حقيقة المحبة قيامك مع محبوبك بخلع أوصافك .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول قيل النصراباذى ليس لك من المحبة شىء فقال صدقوا ولكن لى حسراتهم فهو ذا احترق فيه . وسمعتة يقول قال النصراباذى المحبة مجانبة السلو على كل حال ثم أنشد :

ومن كان فى طول الهوى ذاق سلوة فإنى من ليلى لها غير ذائق
وأكثر شىء نلته من وصالها أمانى لم تصدق كلمحة بارق

وقال محمد بن الفضل المحبة سقوط كل محبة من القلب إلا محبة الحبيب وقال الجنيد المحبة إفراط الميل بلا نيل ويقال المحبة تشويش فى القلوب يقع من المحبوب ويقال المحبة فتنة تقع فى الفؤاد من المراد وأنشد ابن عطاء :

غرت لأهل الحب غصنا من الهوى ولم يك يدرى ما الهوى أحد قبلى
فأورق أغصانا وأينع صبوة وأعقب لى مرا من الثمر المحلى
وكل جميع العاشقين هواهم إذا نسبوه كان من ذلك الأصلى

وقيل الحب أوله ختل ^(١) . وآخره قتل ^(٢) .. سمعت الأستاذ أبا على رحمه الله تعالى يقول فى معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم « حبك للشىء يعمى ويصم » فقال يعمى عن الغير غيره وعن المحبوب هيبة ثم أنشد :

إذا ما بدا لى تعاضته فأصدر فى حال من لم يرد

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أحمد بن على يقول سمعت

(١) (ختل) بالخاء المعجمة وإسكان التاء المثناة أى مخادعة يعنى معاملة الله عبده بالرفق وتوالى نعمه عليه .

(٢) (وآخره قتل) أى ألم وسقم لأن العبد إذا أحب الله ودامت معاملته له اطلع من صفاته تعالى على ما يحثه على طلب له ويشغله به عن غيره فإذا وجد اللذة فى كمال شغله ثم حجب عنها تألم وسقم .

إبراهيم بن فاتك يقول سمعت الجنيد يقول سمعت الحارث المحاسبى يقول المحبة
مليك إلى الشئ بكليتك ثم إثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سراً
وجهرًا (١) . ثم علمك بتقصيرك في حبه . وسمعتة يقول سمعت أحمد بن على يقول
سمعت عباس بن عصام يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السرى يقول لا تصلح المحبة
بين اثنين حتى يقول الواحد للآخر يا أنا وقال الشبلى المحب إذا سكت هلك (٢) .
والعارف إن لم يسكت هلك وقيل المحبة نار في القلب تحرق ماسوى مراد المحبوب
وقيل المحبة بذل المجهود والحبيب يفعل ما يشاء وقال النورى المحبة هتك الأستار
وكشف الأسرار وقال أبو يعقوب السوسى لا تصلح المحبة إلا بالخروج عن رؤية المحبة
إلى رؤية المحبوب بفناء علم المحبة وقال جعفر قال الجنيد دفع السرى إلى رقعة
وقال هذه لك خير من سبعمائة قصة أو حديث فإذا فيها :

ولما ادعيت الحب قالت كذبتنى فما لى أرى الأعضاء منك كواسيا

فما الحب حتى يلصق القلب بالحشا وتذبل حتى لا تجيب المناديا

وتنحل حتى لا يبقى لك الهوى سوى مقلة تبكى بها وتناجيا

وقال ابن مسروق رأيت سمنونا يتكلم في المحبة فتكسرت قناديل المسجد كلها .
سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أحمد بن على يقول سمعت إبراهيم بن فاتك يقول
سمعت سمنونا وهو جالس في المسجد يتكلم في المحبة إذ جاء طير صغير فقرب منه ثم
قرب فلم يزل يدنو حتى جلس على يده ثم ضرب بمنقاره الأرض حتى سالت منه الدم
ثم مات وقال الجنيد كل محبة كانت لغرض إذا زال الغرض زالت تلك المحبة وقيل
حبس الشبلى في المارستان فدخل عليه جماعة فقال من أنتم قالوا محبوبك يا أبا بكر
فأقبل يرميهم بالحجارة فقال إن ادعيتم محبتى فاصبروا على بلائى وأنشد الشبلى :

(١) (سرا وجهرًا) على ما أمرك به ونهاك عنه .

(٢) (هلك) غما لأنه لا يقدر على النطق بكل ما يخلقه الله في قلبه وربما نطق بما لا يفهم فكان فيه ضرورة .

يا أيها السيد الكريم حبك بين الحشا مقيم

يارافع النوم عن جفوني أنت بما مر بي عليم

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت النهرجورى يقول سمعت على بن عبيد يقول كتب يحيى بن معاذ إلى أبى يزيد سكرت من كثرة ما شربت من كأس محبته فكتب إليه أبو يزيد غيرك شرب بحور السموات الأرض وما روى بعد ولسانه خارج ويقول هل من مزيد وأنشدوا:

عجيب لمن يقول ذكرت إلفى وهل أنسى فأذكر مانسيت

أموت إذا ذكرتك ثم أحيا ولولا حسن ظنى ما حييت

فأحيا بالمنى وأموت شوقا فكم أحيا عليك وكم أموت

شربت الحب كأسا بعد كأس فما نفذ الشراب وما رويت

وقيل أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام إنى إذا اطلعت على قلب عبد فلم أجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبى^(١). ورأيت بخط الأستاذ أبى على الدقاق رحمه الله تعالى فى بعض الكتب المنزلة عبدى أنا وحقك لك محب فبحقى كن لى محباً وقال عبد الله بن المبارك من أعطى شيئاً من المحبة ولم يعط مثله من الخشية فهو مخدوع وقيل المحبة ما يمحو أثرك وقيل المحبة سكر لا يصحو صاحبه إلا بمشاهدة محبوه ثم السكر الذى يحصل عند الشهود لا يوصف^(٢). وأنشدوا:

فأسكر القوم دورَ كأس وكان سكرى من المدير

وكان الأستاذ أبو على الدقاق ينشد كثيرا :

(١) (ملأته من حبى) أى محبته لإعراضه عن المشغلات والشهوات.
(٢) (لا يوصف) لعظمه فشغلك بالله عن غيرك من المخلوقين وأنت مدرك لسلو سكره وشغلك به عن غيره حتى نفسك سكرة أخرى أعظم من تلك وهى محبة العارفين وتلك محبة العابدين والزاهدين.

لى سكرتان وللدنمان واحدة شىء خصصت به من بينهم وحدى

وقال ابن عطاء المحبة إقامة العتاب^(١) على الدوام وكان للأستاذ أبى على جارية تسمى فيروز وكان يحبها إذ كانت قد خدمته كثيراً فسمعه يقول كانت فيروز تؤذيني يوماً وتستطيل على بلسانها فقال لها أبو الحسن القارئ لم تؤذين هذا الشيخ فقالت لأنى أحبه وقال يحيى بن معاذ مثقال خردلة من الحب أحب إلى من عبادة سبعين سنة بلا حب وقيل إن شاباً أشرف على الناس فى يوم عيد وقال :

من مات عشقا فليمت هكذا لا خير فى عشق بلا موت

وألقى نفسه من سطح عال فوق ميثاً . وحكى أن بعض أهل الهند عشق جارية فرحلت الجارية فخرج الرجل فى وداعها فدمعت إحدى عينيه دون الأخرى فغمض التى لم تدمع أربعاً وثمانين سنة ولم يفتحها عقوبة لها لأنها لم تبك على فراق حبيبته وفى معناه أنشدوا :

بكت عيني غداة البين دمعاً وأخرى بالبكا بخلت علينا

فعاقبت التى بخلت بدمع بأن غمضتها يوم التقينا^(٢)

وقال بعضهم كنا عند ذى النون المصرى فتذاكرنا المحبة فقال ذو النون كفوا عن هذه المسألة لا تسمعها النفوس فتدعيها ثم أنشأ يقول :

الخوف أولى بالمسىء إذا تأله والحزن

والحب يجل بالتقى وبالتقى من الدرن

وقال يحيى بن معاذ من نشر المحبة عند غير أهلها فهو فى دعواه دعى

(١) (إقامة العتاب) أى الاعتذار لله تعالى من التقصير مع كمال الجد والتشمير.

(٢) (بأن غمضتها يوم التقينا) وفى نسخة بعد هذا وجازيت التى جادت بدمع . بأن أفرقتها بالحب عينا .

وقيل ادعى رجل الاستهلاك فى محبة شخص فقال له الشاب كيف هذا وهذا أخى أحسن منى وجها وأتم جمالا فرفع الرجل رأسه يلتفت وكانا على سطح فألقاه من السطح وقال هذا أجر من يدعى هوانا وينظر إلى سوانا وكان سمنون يقدم المحبة على المعرفة والأكثر من يقدمون المعرفة على المحبة وعند المحققين المحبة استهلاك فى لذة والمعرفة شهود فى حيرة وفناء فى هيبة وقال أبو بكر الكتانى جرت مسألة فى المحبة بمكة أيام الموسم فتكلم الشيوخ فيها وكان الجنيذ أصغرهم سنا فقالوا له هات ما عندك يا عراقى فأطرق رأسه ودمعت عيناه ثم قال عبد ذاهب عن نفسه متصل بذكر ربه قائم بأداء حقوقه ناظر إليه بقلبه أحرق قلبه أنوار هويته وصفا شربه من كأس وده وانكشف له الجبار من أستار غيبه فإن تكلم فبالله وإن نطق فعن الله وإن تحرك فبأمر الله وإن سكت فمع الله فهو بالله والله مع الله فبكى الشيوخ وقالوا ما على هذا مزيد جبرك الله تعالى يا تاج العارفين وقيل أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام يا داود إنى حرمت على القلوب أن يدخلها حبي وحب غيرى فيها .. (أخبرنا) حمزة بن يوسف السهمي قال أخبرنا محمد بن أحمد بن القاسم قال حدثنا همام بن محمد بن أخبرنا إبراهيم بن الحارث قال حدثنى عبد الرحمن بن عفان قال حدثنى محمد بن أيوب قال حدثنى أبو العباس خادم الفضيل بن عياض قال احتبس بول الفضيل فرفع يديه وقال اللهم بحبى لك إلا أطلقته عنى قال فما برحنا ^(١) حتى شفى ^(٢) وقال المحبة الإيثار كامرأة العزيز لما تناهت فى أمرها قالت «أَنَا رَأَوْدَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ» وفى الابتداء قالت «مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» فوركت الذنب فى الابتداء عليه وفى الانتهاء نادى على نفسها بالخيانة، سمعت الأستاذ أبا على يقول ذلك . وحكى عن أبى سعيد الخراز أنه قال رأيت

(١) (فما برحنا) أى فما زلنا .

(٢) (حتى شفى) استجاب الله دعاءه حيث تفضل عليه بإطلاق بوله كما تفضل عليه بما وهبه له من محبته العظمى فكان فضل الله عليه دنيا وأخرى .

النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى المنام فقلت يا رسول الله اعذرني فإن محبة الله تعالى شغلتنى عن محبتك فقال يا مبارك^(١) من أحب الله تعالى فقد أحببني^(٢) وقيل قالت رابعة فى مناجاتها إلهى أتحرق بالنار قلباً يحبك فهتف بها هاتف ما كنا نفعل هكذا فلا تظنى بنا ظن سوء^(٣) وقيل الحب حرفان حاء وباء فالإشارة فيه أن من أحب فليخرج عن روحه وبدنه وكالإجماع من إطلاقات القوم أن المحبة هى الموافقة وأشد الموافقات الموافقة بالقلب والمحبة توجب انتفاء المباينة فإن المحب أبداً مع محبوبه وبذلك ورد الخبر (حدثنا) الإمام أبو بكر بن فورك رحمه الله تعالى قال أخبرنا القاضى أحمد بن محمود بن حرزا قال حدثنا الحسين بن حماد بن فضالة قال حدثنا يحيى بن حبيب قال حدثنا مرحوم بن عبد العزيز عن سفيان الثورى عن الأعمش عن أبى وائل عن أبى موسى الأشعرى أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قيل له إن الرجل ليحب القوم ولما يخلق بهم فقال « المرء مع من أحب » . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت عبد الله الرازى يقول سمعت أبا عثمان الحيرى يقول سمعت أبا حفص يقول أكثر فساد الأحوال من ثلاثة فسق العارفين وخيانة المحبين وكذب المريدين قال أبو عثمان فسق العارفين إطلاق الطرف واللسان والسمع إلى أسباب الدنيا ومنافعها وخيانة المحبين اختيار هواهم على رضا الله عز وجل فيما يستقبلهم وكذب المريدين أن يكون ذكر الخلق ورؤيتهم تغلب عليهم على ذكر الله عز وجل ورؤيته . وسمعتة يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا القاسم الجوهري يقول سمعت أبا على ممشاد بن سعيد العبرى يقول راود خطاف خطافة فى قبة سليمان عليه السلام فامتنعت عليه فقال لها لم تمتنعين على وإن شئت قلبت القبة على سليمان فدعاه سليمان عليه السلام وقال له ما حملك على ما قلت فقال يا نبى الله إن

(١) (يا مبارك) لفظة تستعمل فيمن قصر نظره بعض القصور .

(٢) (فقد أحببني) لأن من أحب محبوباً وكمل حبه له أحب من أحبه المحبوب فلو كمل نظرك لأحببتنى أشد المحبة لأنى حبيب المحبوب .

(٣) (فلا تظنى بنا ظن سوء) فى ذلك تنبيه على طلب حسن الظن بالله فإنه لا يخلف الميعاد ولو أراد بالمحب العذاب لما خلق له المحبة .

العشاق لا يؤخذون بأقوالهم فقال صدقت .



باب الشوق

قال الله عز وجل : « مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ » ..
 (أخبرنا) على بن أحمد بن عبدان الأهوازي قال أخبرنا أحمد بن عبيد
 البصرى قال أخبرنا ابن أبي قماش قال أخبرنا إسماعيل بن زرارة عن حماد بن يزيد
 قال أخبرنا عطاء بن السائب عن أبيه قال صلى بنا عمار بن ياسر صلاة فأوجز فيها
 فقلت خفت أبا اليقظان فقال وما على من ذلك ولقد دعوت الله بدعوات سمعتها من
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما قام تبعه رجل من القوم فسأله عن الدعوات
 فقال « اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرا لى وتوفنى
 ما علمت الوفاء خيرا لى ، اللهم إنى أسألك خشيتك فى الغيب والشهادة وأسألك كلمة
 الحق فى الرضا والغضب وأسألك القصد فى الغنى والفقر وأسألك نعيما لا يبيد وقرة
 عين لا تنقطع وأسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت وأسألك النظر إلى
 وجهك الكريم وشوقا إلى لقائك فى غير ضراء مضرة^(١) . ولا فتنة مضلة .. اللهم زينا
 بزينة الإيمان .. اللهم اجعلنا هداة مهتدين ، .. قال الأستاذ : الشوق احتياج القلوب إلى
 لقاء المحبوب وعلى قدر المحبة يكون الشوق سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يفرق بين
 الشوق والاشتياق ويقول الشوق يسكن باللقاء والرؤية والاشتياق لا يزول باللقاء وفى
 معناه أنشدوا :

(١) (ضراء مضرة) بإضافة ضراء إلى مضرة وضم الميم .

ما يرجع الطرف عنه عند رؤيته حتى يعود إليه الطرف مشتاقا

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت النصراباذي يقول للخلق كلهم مقام الشوق^(١). وليس لهم مقام الاشتياق ومن دخل في حال الاشتياق هام فيه حتى لا يرى له أثر ولا قرار^(٢). وقيل جاء أحمد بن حامد الأسود إلى عبد الله بن منازل فقال : رأيت في المنام أنك تموت إلى سنة فلو استعددت للخروج فقال له عبد الله بن منازل لقد أجلتنا إلى أمد بعيدا أعيش أنا إلى سنة لقد كان لي أنس بهذا البيت الذي سمعته من هذا الثقفى يعنى أبا على :

يا من شكا شوقه من طول فرقته اصبر لملك تلقى من تحب غدا

وقال أبو عثمان علامة الشوق حب الموت مع الراحة وقال يحيى بن معاذ : علامة الشوق فطام الجوارح عن الشهوات^(٣). سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول خرج داود عليه السلام يوما إلى بعض الصحارى منفردا فأوحى الله تعالى إليه ما لى أراك يا داود وحدانيا فقال : يا إلهي استأثر الشوق إلى لقائك على قلبي فحال بيني وبين صحبة الخلق فأوحى الله تعالى إليه ارجع إليهم فإنك إن أتيتني بعدد آبق أثبتك في اللوح المحفوظ جهبذا وقيل كانت عجوز قدم بعض أقاربها من السفر فأظهر قومها السرور والعجوز تبكى فقيل لها ما يبكيك فقالت ذكرنى قدوم هذا الفتى يوم القدوم على الله تعالى . وسئل ابن عطاء عن الشوق فقال : احتراق الأحشاء وتلهب القلوب وتقطع الأكباد ، وسئل أيضا عن الشوق فقيل له الشوق أعلى أم المحب فقال : المحبة لأن الشوق منها يتولد ، وقال بعضهم الشوق لهيب ينشأ بين أثناء الحشى يسبح عن

(١) (يكون الشوق) لأنه ثمرتها ويؤخذ من كلامه أن الله تعالى لا يوصف بالشوق وإن وصف بالمحبة وهو كذلك لما مر بيانه .

(٢) (ولا قرار) لاشتغاله عن نفسه بالكلية بما هو مستغرق فيه من صفات الله العظيمة كالكمال والجلال .

(٣) (فطام الجوارح عن الشهوات) بأن يعرض العبد عنها شوقا إلى ربه كما يعرض الطفل عن اللبن حين يطيب له الطعام ويشتاق إليه .

الفرقة فإذا وقع اللقاء طفي وإذا كان الغالب على الأسرار مشاهدة المحبوب لم يطرقها الشوق وقيل لبعضهم هل تشنق فقال لا : إنما الشوق إلي غائب وهو حاضِر . سمعت الأستاذ أبا علي يقول في قوله عز وجل ﴿ وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾ قال معناه شوقاً إليك فستره بلفظ الرضا وسمعته رحمه الله تعالى يقول : من علامات الشوق تمنى الموت على بساط العوافي كيوسف عليه السلام لما أُلقي في الجب لم يقل توفني ولما أدخل السجن لم يقل توفني ولما دخل أبواه وخر له الإخوة له سجداً وتم له الملك والنعم قال ﴿ توفني مسلماً ﴾ وفي معناه أنشدوا :

نحن في أكمل السرور ولكن ليس إلا بكم يتم السرور
عيب ما نحن فيه يا أهل ودي أنكم غيب ونحن حضور
وفي معناه أنشدوا :

من سره العيد الجديد د فقد عدمت به السرور
كان السرور يتم لي لو كان أحبابي حضوراً

وقال ابن خفيف الشوق ارتياح القلوب بالوجد ومحبة اللقاء والقرب وقال أبو يزيد إن لله عباداً لو حببهم في الجنة عن رؤيته لاستغاثوا من الجنة كما يستغيث أهل النار من النار (أخبرنا) محمد بن عبد الله الصوفي قال أخبرنا أبو العباس الهاشمي بالبليضاء قال حدثنا محمد بن عبد الله الخزاعي قال حدثنا عبد الله الأنصاري قال سمعت الحسين الأنصاري يقول رأيت في النوم كأن القيامة قد قامت وشخص قائم تحت العرش فيقول الحق سبحانه يا ملائكتي من هذا فقالوا الله أعلم فقال هذا معروف الكرخي سكر من حبي فلا يفريق إلا بلقائي وفي بعض الحكايات في مثل هذا المقام أنه قيل هذا معروف الكرخي خرج من الدنيا مشتاقاً إلى الله فأباح الله عز وجل له النظر إليه وقال فارس قلوب المشتاقين منورة بنور الله تعالى فإذا تحرك اشتياقهم أضاء النور ما بين السماء والأرض فيعرضهم الله تعالى على الملائكة فيقول هؤلاء

المشتاقون إلى أشهدكم أنى إليهم أشوق^(١) . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول فى قوله صلى الله عليه وآله وسلم « أسألك الشوق إلى لقائك » قال كان الشوق مائة جزء تسعة وتسعون له وجزء متفرق فى الناس فأراد أن يكون ذلك الجزء له أيضاً فغار أن يكون شظية من الشوق لغيره وقيل شوق أهل القرب أتم من شوق المحبوبين^(٢) . ولهذا قيل :

وأبرح ما يكون الشوق يوماً إذا دنت الخيام من الخيام

وقيل إن المشتاقين يتحسسون حلاوة الموت عند وروده لما قد كشف لهم من روح الوصول أحلى من الشهد^(٣) . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله ابن على يقول سمعت جعفراً يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السرى يقول الشوق أجل مقام للعارف إذا تحقق فيه وإذا تحقق فى الشوق لها عن كل شيء يشغله عمن يشاق إليه وقال أبو عثمان الحيرى فى قوله عز وجل : ﴿ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ ﴾ هذا تعزية للمشتاقين معناه أنى أعلم أن اشتياقكم إلى غالب وأنا أجلت للقائكم أجلاً وعن قريب يكون وصولكم إلى من تشاقون إليه وقيل أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام قل لشبان بنى إسرائيل لم تشغلون أنفسكم بغيرى وأنا مشتاق إليكم ما هذا الجفاء . وقيل أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام لو يعلم المدبرون عنى كيف انتظاري لهم ورفقى بهم وشوقى إلى معاصيهم لماتوا شوقاً إلى وانقطعت أوصالهم من محبتى يا داود هذه إرادتى فى المدبرين عنى فكيف إرادتى فى المقبلين إلى .. وقيل مكتوب فى التوراة شوقناكم فلم تشاقوا وخوفناكم فلم تخافوا ونحن لكم فلم تنوحوا ..

(١) (إنى إليهم أشوق) أى أحب لما مر أنه تعالى لا يوصف بالشوق فوصفه به هنا مجاز على سبيل المشاكلة .

(٢) (المحبوبين) عنه لأن من نال شيئاً طلب الزيادة منه بخلاف المحبوب عنه فإنه إذا فتح الله عليه بشيء منه قنع به .

(٣) (أحلى من الشهد) لأن العبد إذا كمل اشتياقه للقاء ربه لم يبق لاشتياقه شيء ويؤيده خبر لا يجد الشهيد من ألم القتل فى سبيل الله إلا كما يجد من القرصة فإنه لما كمل شوقه من الحب للقاء حبه لم يجد من السيف ألماً إلا كما يجد من القرصة .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول بكى شعيب حتى عمى فرد الله عز وجل بصره عليه ثم بكى حتى عمى فرد الله عز وجل بصره إليه ثم بكى حتى عمى فأوحى الله تعالى إليه إن كان هذا البكاء لأجل الجنة فقد أبحتها لك وإن كان لأجل النار فقد أجرتك منها فقال : لا بل شوقاً إليك .. فأوحى الله عز وجل إليه لأجل ذلك أخدمتك نبي وكليمي عشر سنين وقيل من اشتاق إلى الله اشتاق إليه كل شيء وفي الخبر « اشتاقت الجنة إلى ثلاثة على وعمار وسلمان » .. سمعت الأستاذ أبا على يقول قال بعض المشايخ أنا أدخل الشوق والأشياء تشتاق إلى وأنا عن جميعها حر .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت عبد الله بن جعفر يقول : سمعت محمد ابن عمر الرملى يقول : حدثنا محمد بن جعفر الإمام قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا مرحوم قال : سمعت مالك بن دينار يقول : قرأت في التوراة شوقناكم فلم تشنقوا وزمرنا لكم^(١) . فلم ترقصوا^(٢) . سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت محمد بن فرحان يقول سمعت الجنيد وقد سئل من أى شيء يكون بكاء المحب إذا لقى المحبوب فقال إنما يكون ذلك سروراً به ووجداً من شدة الشوق إليه وقد بلغنى أن أخوين تعانقا فقال أحدهما واشوقاه وقال الآخر واوجداه .



(١) (وزمرنا لكم) أى خلقنا لكم على لسان داود عليه السلام من الأصوات الحسنة ما يحرك الجبال بل مات بوعظه للناس خلق كثير من الجن والإنس والطير والوحش .
 (٢) (فلم ترقصوا) لم تتحركوا وحاصله أن الله وعظهم وحركهم إلى الرجوع إليه .. وطلب مرضاته فلم يتحركوا نحوه بقلوبهم .

باب حفظ قلوب المشايخ وترك الخلاف عليهما (١).

قال الله تعالى فى قصة موسى مع الخضر عليهما السلام : ﴿ هَلْ أَتَّبَعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ قال الإمام لما أراد صحبة الخضر حفظ شرط الأدب فاستأذن أولاً فى الصحبة ثم شرط عليه الخضر أن لا يعارضه فى شىء ولا يعترض عليه فى حكم ثم لما خالفه موسى عليه السلام تجاوز عند المرة الأولى والثانية فلما صار إلى الثالثة والثلاث آخر حد القلة وأول حد الكثرة سامه الفرقة فقال ﴿ هَذَا فِرَاقٌ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ ..

(أخبرنا) أبو الحسين الأهوازي قال حدثنا أحمد بن عبيد البصرى قال حدثنا أبو سالم القزاز قال حدثنا يزيد بن بيان قال حدثنا أبو الرجال عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ما أكرم شاب شيخا لسنه إلا قيض الله تعالى من يكرمه عند سنه » .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول بدء كل فرقة المخالفة يعنى به أن من خالف شيخه لم يبق على طريقته وانقطعت العلاقة بينهما وإن جمعتهم البقعة فمن صحب شيخا من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه نقض عهد الصحبة ووجبت عليه التوبة على أن الشيوخ قالوا حقوق الأستاذين لا توبة عنها .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول خرجت إلى مرو فى حياة شيخى الأستاذ أبو سهل الصعلوكى وكان له قبل خروجى أيام الجمعة بالغدوات مجلس دور القرآن والختم فوجدته عند رجوعى قد رفع ذلك المجلس وعقد لأبى الغفانى فى ذلك الوقت مجلس القول فداخلى من ذلك شىء فكنت أقول فى نفسى قد استبدل مجلس الختم بمجلس القول فقال لى يوما يا أبا عبد الرحمن إيش يقول الناس فى فقلت يقولون رفع مجلس القرآن ووضع مجلس القول فقال من قال لأستاذه لم لا يفلح أبدا (ومن المعروف) أن الجنيد قال دخلت على

(١) (باب حفظ قلوب المشايخ .. إلخ) وذلك ممدوح ومطلوب لينتفع به تلاميذهم ولأن التقليد أمانة فمتى خالف فيه التلميذ فقد خان .

السرى يوماً فأمرنى شيئاً فقضيت حاجته سريعاً فلما رجعت إليه ناولنى رقعة وقال هذا المكان قضائك لحاجتى سريعاً فقرأت الرقعة فإذا فيها مكتوب سمعت حادياً يحدو فى البادية أبكى وهل يدرك ما يبكىنى أبكى حذار أن تفارقينى .. ونقطعى سبلى وتهجرينى .. ويحكى عن أبى الحسن الهمدانى العلوى قال كنت ليلة عند جعفر الخلدى وكانت أمر فى بيتى أن يعلق طير فى التنور وكان قلبى معه فقال لى جعفر أقم الليلة فتعللت بشيء ورجعت إلى منزلى فأخرج الطير من التنور ووضع بين يدى فدخل كلب من الباب وحمل الطير عند تغافل الحاضرين فأتى بالجوزاب الذى تحته فتعلق به ذيل الخادمة فانصب فلما أصبحت دخلت على جعفر فحين وقع بصره على قال من لم يحفظ قلوب المشايخ سلط عليه كلب يؤذيه .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت عبد الله بن على الطوسى يقول سمعت أبا عبد الله الدينورى يقول سمعت الحسن الدامغانى يقول سمعت عمى البسطامى يحكى عن أبيه أن شقيقا البلخى وأبا تراب النخشبى قدما على أبى يزيد فقدمت السفرة وشاب يخدم أبا يزيد فقالا له كل معنا يا فتى فقال أنا صائم فقال أبو تراب كل ولك أجر صوم شهر فأبى فقال شقيق كل ولك أجر صوم سنة فأبى فقال أبو يزيد تدعوا من سقط من عين الله تعالى فأخذ ذلك الشاب فى السرقة بعد سنة فقطعت يده .. سمعت الأستاذ أبا على يقول وصف سهل بن عبد الله رجلاً بالولاية خبازاً بالبصرة فسمع رجل من أصحاب سهل بن عبد الله ذلك فاشتاق إليه فخرج إلى البصرة فأتى حانوت الخباز فرآه يخبز وقد تنقب لمحاسنه على عادة الخبازين فقال فى نفسه لو كان هذا ولياً لم يحترق شعره بغير تقليب ثم إنه سلم عليه وسأله شيئاً فقال الرجل إنك استصغرتنى فلم تنتفع بكلامى وأبى أن يكلمه .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمع عبد الرحمن الرازى أبا عثمان الحيرى يصف محمد بن الفضل البلخى ويمدحه فاشتاق إليه فخرج إلى زيارته فلم يقع بقلبه من محمد بن الفضل ما اعتقد فرجع إلى أبى عثمان وسأله فقال كيف وجدته فقال لم أجده كما ظننت فقال لأنك استصغرتى وما استصغر أحد أحداً إلا حرم فائدته ارجع إليه بالحرمة فرجع إليه عبد الله فانتفع

بزيارته (ومن المشهور) أن عمر بن عثمان المكي رأى الحسين بن منصور يكتب شيئاً فقال ما هذا فقال هو ذا أعارض القرآن فدعا عليه وهجره قال الشيخ إن ما حل به^(١) بعد طول المدة كان لدعاء ذلك الشيخ عليه .. سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله تعالى يقول لما نفى أهل بلخ محمد بن الفضل من البلد دعا عليهم وقال اللهم امنعهم الصدق فلم يخرج من بلخ بعده صديق .. سمعت أحمد بن يحيى الأبيوردى رحمه الله تعالى يقول من رضى عنه شيخه لا يكافأ في حال حياته لئلا يزول عن قلبه تعظيم ذلك الشيخ فإذا مات الشيخ أظهر الله عز وجل عليه ما هو جزاء رضاه ومن تغير عليه قلب شيخه لا يكافأ في حال حياة ذلك الشيخ لئلا يرق له فإنهم مجبولون على الكرم فإذا مات ذلك الشيخ فحينئذ يجد المكافأة بعده .



باب السماع^(٢)

قال الله عز وجل : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ^(٣)

فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ^(٤) ﴾ اللام في قوله القول تقتضى التعميم والاستغراق والدليل عليه أنه مدحهم باتباع الأحسن وقال تعالى ﴿ فهم في روضة يحبرون ﴾ .. جاء في التفسير أنه السماع واعلم أن سماع الأشعار بالألحان الطيبة والنعمة المستلذذة إذا لم

(١) (إن ما حل .. إلخ) في ذلك تحذير من دعاء المشايخ وتغيير قلوبهم بما يطلعون عليه من فساد أحوال التلامذة .

(٢) (في السماع) هو الانتباه بالقلب إلى ما يحمد شرعا ويقال غير ذلك .

(٣) (يستمعون القول) الذى أثنى الله عليه وأمر باستماعه والتدبر له واتباعه .

(٤) (فيتبعون أحسنه) وهو فيه كمال فلاحهم .

يعتقد المستمع محظوراً^(١) ويسمع على مذموم فى الشرع^(٢) ولم يتجر فى زمام هواه ولم ينخرط فى سلك لهوه مباح فى الجملة ولا خلاف أن الأشعار أنشدت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنه سمعها^(٣) ولم ينكر عليهم فى إنشادها فإذا جاز استماعها بغير الألحان الطيبة فلا يتغير الحكم بأن يسمع بالألحان^(٤) هذا ظاهر من الأمر^(٥) ثم ما^(٦) يوجب للمستمع توفر الرغبة على الطاعات وتذكر ما أعد الله تعالى لعباده المتقين من الدرجات ويحملة على التحرز من الزلات ويؤدى إلى قلبه فى الحال صفاء الواردات مستحب فى الدين ومختار فى الشرع وقد جرى على لفظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما هو قريب من الشعر وإن لم يقصد أن يكون شعراً (أخبرنا أبو الحسن على بن أحمد الأهوازى قال أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار قال حدثنا الحارث بن أبى أسامة قال حدثنا أبو النضر قال حدثنا شعبة عن حميد قال : سمعت أنساً يقول كان الأنصار يحفرون الخندق فجعلوا يقولون :

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً

فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فأكرم الأنصار والمهاجرة » ليس هذا اللفظ منه صلى الله عليه وآله وسلم على وزن شعر لكنه قريب منه وقد سمع السلف والأكابر الأبيات بالألحان فمن قال بإباحته من السلف مالك بن أنس وأهل الحجاز كلهم يبيحون الغناء^(٧) وأما

(١) (محظوراً) أى ممنوعاً منه .

(٢) (مذموم فى الشرع) كمزمار وطنبور .

(٣) (سمعها) أى من منشديها .

(٤) (بالألحان) المطربة .

(٥) (من الأمر) أى الحال .

(٦) (ثم ما) أى السماع الذى .

(٧) (يبيحون الغناء) المنقول عن مالك والحجازيين كراهته فإن أريد بالإباحة مقابل الحرمة وبالكراهة كراهة التنزيه فلا منافاة وكراهة التنزيه ما كانت إلى الحلال أقرب عكس كراهة التحريم وهى ما كانت إلى الحرام أقرب .

الحداء^(١) فإجماع منهم على إجازته وقد وردت الأخبار واستفاضت الآثار في ذلك وروى عن ابن جريج أنه كان يرخص في السماع فقيل له إذا أتى بك يوم القيامة ويؤتى بحسناتك وسيئاتك ففي أي الجانبين سماعك فقال لا في الحسنات ولا في السيئات يعني أنه من المباحات^(٢) وأما الشافعي رحمه الله تعالى فإنه لا يحرمه ويجعله في العوام مكروها حتى لو احترف بالغناء أو اتصف على الدوام بسماعه على وجه التلهي ترد به الشهادة ويجعله مما يسقط المروءة ولا يلحقه بالمحرمات وليس كلامنا في هذا النوع من السماع فإن هذه الطائفة جلت رتبتهن عن أن يستمعوا بلهو أو يقعدوا للسماع بسهو أو يكونوا بقلوبهم مفكرين في مضمون لغو أو يستمعون على صفة غير كفاء وقد روى عن ابن عمر آثار في إباحة السماع وكذلك عن عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب وكذلك عن عمر رضي الله عنهم أجمعين وكذلك في الحداء وغيره وأنشد بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأشعار فلم ينه عنها وروى أنه صلى الله عليه وآله وسلم استنشد الأشعار ومن المشهور الظاهر أنه دخل بيت عائشة رضي الله تعالى عنها وفيه جاريستان تغنيان فلم ينههما (أخبرنا) الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال أخبرنا محمد بن جعفر بن محمد بن مطر قال حدثنا الحباب بن محمد التستري قال أخبرنا أبو الأشعث قال حدثنا محمد بن بكر البرساني قال حدثنا شعبة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه دخل عليها وعندها قينتان تغنيان بما تقاذفت به الأنصار يوم بعث فقال أبو بكر مزمار الشيطان مرتين فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم « دعهما يا أبا بكر فإن لكل قوم عيدا وعيدنا هذا اليوم » .. (أخبرنا) علي بن أحمد الأهوازي قال أخبرنا أحمد بن عبيد قال حدثنا عثمان بن عمر الضبي قال حدثنا أبو كامل قال حدثنا أبو عوانة عن الأجلح عن أبي الزبير عن جابر عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها

(١) (الحداء) بضم الحاء وكسرهما بالمد هو ما يقال خلف الإبل من رجز وغيره لتنشط على السير .

(٢) (من المباحات) قيل بل المشهور عند أبي جريج منعه .

أنكحت ذات قرابتها من الأنصار فجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال أهديتم الفتاة فقالت نعم قال فأرسلت من يغني قالت لا فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن الأنصار فيهم غزل^(١) فلو أرسلتكم من يقول أتيناكم أتيناكم فحيانا وحياكم^(٢) .. (أخبرنا) الأستاذ الإمام أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك رضى الله تعالى عنه قال حدثنا أحمد بن محمود بن خرز إذ قال حدثنا الحسين بن الحارث الأهوازي قال حدثنا سلمة بن سعيد عن صدقة بنت أبي عمران قالت حدثنا علقمة بن مرثد بن زاذان عن البراء بن عازب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول « حسنوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا ، دل هذا الخبر على فضيلة الصوت الحسن^(٣) .. (وأخبرنا) علي بن أحمد الأهوازي قال أخبرنا أحمد ابن عبيد قال حدثنا عثمان بن عمر الضبي قال حدثنا أبو ربيع قال حدثنا عبد السلام ابن هشام قال حدثنا عبد الله بن محرز عن قتادة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لكل شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن » .. (وأخبرنا) علي بن أحمد الأهوازي قال أخبرنا أحمد بن عبيد قال حدثنا محمد بن يونس الكريمي قال حدثنا الضحاك بن مخلد أبو عاصم قال حدثنا شبيب بن بشر بن البجلي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « صوتان ملعونان صوت ويل عند مصيبة وصوت مزمار عند نغمة » مفهوم الخطاب يقتضى إباحة غير هذا في غير هذه الأحوال وإبطال التخصيص والأخبار في هذا الباب تكثر والزيادة على هذا القدر من ذكر الروايات تخرجنا عن المقصود من الاختصار وقد روى أن رجلا أنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

(١) (غزل) أى رفع صوت بمحاسن العروس ليحببها لبعليها .

(٢) (وحياكم) وفى نسخة فحيونا نحييكم ويدل لجواز ذلك خبر أشهروا النكاح واضربوا عليه بالدف .

(٣) (فضيلة الصوت الحسن) لما فيه من زيادة والتأثير فى قلب السامع لكن قد يقال إنما دل على فضيلته فى كتاب الله لا فى الغناء .

أَقْبَلَتْ فَلَاحَ لَهَا عَارِضَانِ كَالسَّبَجِ
أَدْبَرَتْ فَقَلَّتْ لَهَا وَالْفَوَادِ فِي وَهَجِ
هَلْ عَلَى وَيَحْكُمَا إِنْ عَشَقْتَ مِنْ حَرَجِ

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَا وَإِنْ حَسَنَ الصَّوْتُ مِمَّا أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عَلَى صَاحِبِهِ مِنَ النَّاسِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ قِيلَ فِي التَّفْسِيرِ مِنْ ذَلِكَ الصَّوْتُ الْحَسَنُ وَذَمَّ اللَّهُ سَبْحَانَهُ الصَّوْتُ الْفَظِيعُ فَقَالَ ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ وَاسْتَلْذَازَ الْقُلُوبَ وَاشْتِيَاقَهَا إِلَى الْأَصْوَاتِ الطَّيِّبَةِ وَاسْتَرَوَّاحَهَا إِلَيْهَا مِمَّا لَا يُمْكِنُ جُحُودُهُ فَإِنَّ الطِّفْلَ يَسْكُنُ إِلَى الصَّوْتِ الطَّيِّبِ وَالْجَمَلَ يِقَاسِي تَعَبَ السَّيْرِ وَمَشَقَّةَ الْحُمُولَةِ فِيهِونَ عَلَيْهِ بِالْحَدَاءِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ . وَحَكَى إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَلَيْهِ قَالَ كُنْتُ أَمْشِي مَعَ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَقَدْ هَاجَرَ فَجَزْنَا بِمَوْضِعٍ يَقُولُ ^(١) فِيهِ أَحَدٌ ^(٢) شَيْئاً فَقَالَ مَلَّ بَنَّا إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أَيُّطَرِّبُكَ هَذَا فَقُلْتُ لَا فَقَالَ مَالِكُ حَسَّ ^(٣) وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ « مَا أَدْنَى اللَّهِ ^(٤) تَعَالَى لَشَيْءٍ كَأَدْنَى ^(٥) لِنَبِيٍّ يَتَغْنَى بِالْقُرْآنِ » ^(٦) .. (أَخْبَرْنَا) عَلَى بْنِ أَحْمَدَ الْأَهْوَازِيَّ قَالَ أَخْبَرْنَا أَحْمَدَ بْنَ عُبَيْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ مِلْحَانَ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بَكِيرٍ قَالَ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ عَقِيلٍ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ أَنَّهُ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ « لَمْ يَأْذَنْ اللَّهُ تَعَالَى لَشَيْءٍ مَا أَدْنَى لِنَبِيٍّ يَتَغْنَى بِالْقُرْآنِ » وَقِيلَ إِنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِهِ الْجَنِّ

(١) (يَقُولُ) أَيْ يَنْشُدُ .

(٢) (أَحَدٌ) الْأَوَّلَى وَاحِدٌ .

(٣) (مَالِكُ حَسَّ) لَعَلَّ إِطْرَابَهُ إِنَّمَا كَانَ لَتَضَمُّنِهِ مَعَانِي حَسَنَةً يَخْتَصُّ بِإِدْرَاكِهَا بَعْضُ النَّاسِ دُونَ بَعْضٍ لَا لِمَحْضِ الصَّوْتِ فَإِنَّ حَسَنَ الصَّوْتِ لَا يَنْكَرُهُ أَحَدٌ .

(٤) (مَا أَدْنَى اللَّهِ) أَيْ مَا اسْتَمَعَ لَشَيْءٍ .

(٥) (كَأَدْنَى) أَيْ كَاسْتِمَاعِهِ لِنَبِيٍّ حَسَنَ الصَّوْتِ

(٦) (يَتَغْنَى بِالْقُرْآنِ) أَيْ يَجْهَرُ بِهِ وَيَحْسَنُ بِهِ صَوْتَهُ وَالْمُرَادُ بِاسْتِمَاعِهِ لَهُ الرِّضَا وَالْقَبُولُ .

والإنس والطير والوحش إذا قرأ الزبور وكان يحمل من مجلسه أربعمائة جنازة ممن قد مات ممن سمعوا قراءته وقال صلى الله عليه وآله وسلم لأبى موسى الأشعرى « لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود » وقال معاذ بن جبل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لو علمت أنك تسمع لحبرته ^(١) لك تحبيراً (أخبرنا) أبو حاتم السجستاني قال أخبرنا عبد الله بن علي السراج قال حكى أبو بكر محمد بن داود الدينوري الرقي قال كنت في البادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب وأضافني رجل منهم فرأيت غلاماً أسود مقيداً هناك ورأيت جمالاً قد ماتت بفناء البيت فقال لى الغلام أنت الليلة ضيف وأنت على مولاي كريم ^(٢) فتشفع لى فإنه لا يردك فقلت لصاحب البيت لا آكل طعامك حتى تحل هذا العبد ^(٣) . فقال هذا الغلام قد أفقرنى وأتلف مالى فقلت فما فعل فقال له صوت طيب وكنت أعيش من ظهر هذه الجمال فحملها أحمالاً ثقيلة وحدا لها حتى قطعت مسيرة ثلاثة أيام فى يوم واحد فلما حط عنها ماتت كلها ولكن قد وهبته ^(٤) لك ^(٥) وحل عنه القيد فلما أصبحنا أحببت أن أسمع صوته فسألته ذلك فأمر الغلام أن يحدو على جمل كان على بئر هناك يستقى عليه فحدا الغلام فهام الجمل على وجهه وقطع حباله ولم أظن أنى سمعت صوتاً أطيّب منه ، فوقعت لوجهى حتى أشار إليه بالسكوت .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن عبد الله بن عبد العزيز يقول سمعت أبا عمر الأنماطى يقول سمعت الجنيد يقول وقد سئل ما بال الإنسان يكون هادئاً فإذا سمع السماع اضطرب فقال إن الله تعالى لما خاطب الذر فى الميثاق الأول بقوله : « أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى » استفرغت عذوبة سماع الكلام الأرواح فلما سمعوا السماع حركهم ذكر ذلك .. سمعت

(١) (لخبرته بالقرآن) أى لحسنه لك تحسيناً وزينته لك تزييناً فالمراد تحسين ما يتلوه بحسن إيراد .

(٢) (وأنت على مولاي كريم) لأنه يكرم الضيف .

(٣) (هذا العبد) أى تفكه عن قيده .

(٤) (وهبته) أى ذنبه .

(٥) (لك) وقبليت شفاعتك فيه .

الأستاذ أبا على الدقاق يقول السماع حرام على العوام لبقاء نفوسهم مباح للزهاد لحصول مجاهدتهم مستحب لأصحابنا لحياة قلوبهم .. سمعت أبا حاتم السجستاني يقول سمعت أبا نصر الصوفى يقول سمعت الوجيهى يقول سمعت أبا على الروذبارى يقول كان الحارث بن أسد المحاسبى يقول ثلاث إذا وجدن متع بهن وقد فقدناها حسن الوجه مع الصيانة وحسن الصوت مع الديانة وحسن الإخاء مع الوفاء . وسئل ذو النون المصرى عن الصوت الحسن فقال مخاطبات وإشارات أودعها الله تعالى كل طيب وطيبة . وسئل مرة أخرى عن السماع فقال وارد حق يزجج القلوب إلى الحق فمن أصغى إليه بحق تحقق ومن أصغى إليه بنفس تزندق . وحكى جعفر بن نصير عن الجنيد أنه قال تنزل الرحمة على الفقراء فى ثلاثة مواطن السماع^(١) . فإنهم لا يسمعون إلا عن حق ولا يقولون إلا عن وجد^(٢) . وعند أكل الطعام فإنهم لا يأكلون إلا عن فاقة^(٣) . وعند مجارة العلم فإنهم لا يذكرون^(٤) . إلا صفة الأولياء^(٥) .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت الحسين بن أحمد بن جعفر يقول سمعت أبا بكر بن ممشاد الدينورى يقول سمعت الجنيد يقول السماع فتنة^(٦) . لمن طلبه^(٧) ترويح لمن صادفه وحكى عن الجنيد أنه قال السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء الزمان والمكان والإخوان . وسئل الشبلى عن السماع فقال ظاهره فتنة وباطنه عبدة فمن عرف الإشارة حل له استماع العبدة وإلا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية وقيل لا يصلح السماع إلا لمن كانت له نفس ميتة وقلب حى فنفسه ذبحت بسيوف المجاهدة وقلبه

(١) (عند السماع) كما قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا غشيتهم الرحمة وتنزلت عليهم السكينة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده .

(٢) (وجد) صادق يستحيون من ربهم أن يطلع على قلوبهم وهم يتكلفون لغيره .
 (٣) (إلا عن فاقة) لينشطوا للعبادة . (٤) (لا يذكرون) مع صفات الله ورسله .
 (٥) (إلا صفة الأولياء) من أحوالهم ومقاماتهم . (٦) (فتنة) امتحان وابتلاء واختبار .
 (٧) (لمن طلبه) لأن من طلبه تكلف ومن تكلف له استجلبه بظاهره ومن استجلبه قارنه الرياء والتشبع بما لم ينل فليحذر من طلبه .

حتى بنور الموافقة . وسئل أبو يعقوب النهرجورى عن السماع فقال حال يبدى الرجوع إلى الأسرار من حيث الاحتراق وقيل السماع لطف عند الأرواح لأهل المعرفة . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول السماع طبع إلا عن شرع وخرق إلا عن حق وقتنة إلا عن عبدة ويقال السماع على قسمين سماع بشرط العلم والصحوف من بشرط صاحبه معرفة الأسامي والصفات وإلا وقع فى الكفر المحض وسماع بشرط الحال فمن شرط صاحبه الفناء عن أحوال البشرية والتتقى من آثار الحظوظ بظهور أحكام الحقيقة . وحكى عن أحمد بن أبى الحوارى أنه قال سألت أبا سليمان عن السماع فقال من اثنين أحب إلى من الواحد . وسئل أبو الحسن النورى عن الصوفى فقال من سمع السماع وآثر الأسباب وسئل أبو على الروذبارى عن السماع يوما فقال ليتنا تخلصنا منه رأسا برأس سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا عثمان المغربى يقول من ادعى السماع ولم يسمع صوت الطيور وصرير الباب وتصفيق الرياح فهو فقير مدع .. سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج الطوسى يقول سمعت أبا الطيب أحمد بن مقاتل العكى يقول قال جعفر كان ابن زيرى من أصحاب الجنيد شيخا فاضلا فريما كان يحضر موضع سماع فإن استطابه فرش إزاره وجلس وقال الصوفى مع قلبه وإن لم يستطبه قال السماع لأرباب القلوب ومر وأخذ نعله .. سمعت محمد ابن الحسين رحمه الله تعالى يقول سمعت عبد الواحد بن بكر يقول سمعت عبد الله بن عبد المجيد الصوفى يقول سئل رويم عن وجود الصوفية عند السماع فقال يشهدون المعانى التى تعذب عن غيرهم فتشير إليهم إلى فيتنعمون بذلك من الفرح ثم يقع الحجاب فيعود ذلك الفرح بكاء فمنهم من يخرق ثيابه ومنهم من يصيح ومنهم من يبكى كل إنسان على قدره ^(١) .. سمعت محمد بن أحمد بن محمد التميمى يقول سمعت عبد الله بن على يقول سمعت الحصرى يقول فى بعض كلامه إيش أعمل بسماع ينقطع إذا انقطع من يسمع منه ينبغى أن يكون سماعك متصلا غير منقطع قال وقال الحصرى ينبغى أن يكون ظمأ دائم وشرب دائم فكلما ازداد شربه ازداد

(١) (على قدره) أى قدر تعلقه بربه تعالى ورفعة مقامه وعظم بعده وحجبه .

ظمؤه^(١) وجاء عن مجاهد فى تفسير قوله تعالى ﴿ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ ﴾ يحبرون أنه السماع من الحور العين بأصوات شهية نحن الخالدات فلا نموت أبدا نحن الناعمات فلا نبؤس أبدا وقيل السماع نداء والوجد قصد . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا عثمان المغربى يقول قلوب أهل الحق قلوب حاضرة وأسماعهم أسمع مفتحة وسمعته يقول سمعت الأستاذ أبا سهل الصعلوكى يقول المستمع بين استتار وتجل فالاستتار يوجب التهليب والتجلى يورث الترويع والاستتار يتولد منه حركات المريدين وهو محل الضعف والعجز والتجلى يتولد منه سكون الواصلين وهو محل الاستقامة والتمكين وذلك صفة الحضرة وليس فيها إلا الذبول تحت موارد الهيبة قال الله تعالى ﴿ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا ﴾ وقال أبو عثمان الحيرى السماع على ثلاثة أوجه فوجه منها للمريدين والمبتدئين يستدعون بذلك الأحوال الشريفة ويخشى عليهم فى ذلك الفتنة والمرأت والثانى للصادقين يطلبون الزيادة فى أحوالهم ويستمعون من ذلك ما يوافق أوقاتهم والثالث لأهل الاستقامة من العارفين فهؤلاء لا يختارون على الله تعالى فيما يرد على قلوبهم من الحركة والسكون . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله تعالى يقول سمعت أبا الفرج الشيرازى يقول سمعت أبا على الروزبارى يقول قال أبو سعيد الخراز من ادعى أنه مغلوب عند الفهم يعنى فى السماع وأن الحركات مالكة له فعلامته تحسين المجلس الذى هو فيه بوجده قال الشيخ أبو عبد الرحمن فذكرت هذه الحكاية لأبى عثمان المغربى فقال هذا أدناه وعلامته الصحيحة أن لا يبقى فى المجلس محق إلا أنس به ولا يبقى فيه مبطل إلا استوحش منه وقال بNDAR بن الحسين السماع على ثلاثة أوجه منهم من يسمع بالطبع ومنهم من يسمع بالحال ومنهم من يسمع بالحق فالذى يسمع بالطبع يشترك

(١) (ازداد ظمؤه) وذلك بدوام معرفة الله ومحبته ومناجاته والاشتغال به حتى تنافس القلوب به وتنال من فضله وعطاياه وما يمنحه لها الله فإذا وصل العبد إلى هذا السماع لم يصبر عنه بحال وكلما ازداد شربه منه والانتفاع توالى عطشه عليه وتواردت على قلبه الأوجاع فعمل المؤمن دائم لا ينقطع قال الله تعالى : ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ يعنى الموت وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : أحب العمل ما داوم عليه صاحبه .

فيه الخاص والعام فإن جبلة البشرية استلذاذ الصوت الطيب والذي يسمع بالحال فهو يتأمل ما يرد عليه من ذكر عتاب أو خطاب أو وصل أو هجر أو قرب أو بعد أو تأسف على فائت أو تعطش إلى آت أو وفاء بعهد أو تصديق لوعده أو نقض لعهد أو ذكر قلق أو اشتياق أو خوف فراق أو فرح وصال أو حذر انفصال أو ما جرى مجراه وأما من يسمع بحق فيسمع بالله تعالى والله ولا يتصف بهذه الأحوال التي هي ممزوجة بالحفظ البشرية فإنها مبقاة مع العلل فيسمعون من حيث صفاء التوحيد بحق لا بحظ وقيل أهل السماع على ثلاث طبقات أبناء الحقائق يرجعون في سماعهم إلى مخاطبة الحق سبحانه لهم وضرب مخاطبون الله تعالى بقلوبهم بمعاني ما يسمعون فيهم مطالبون بالصدق فيما يشيرون به إلى الله تعالى وثالث هو فقير مجرد قطع العلاقات من الدنيا والآفات يسمعون بطيبة قلوبهم وهؤلاء أقربهم إلى السلامة. سمعت محمد ابن الحسين يقول سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت أبا علي الروذباري يقول وقد سئل عن السماع فقال مكاشفة الأسرار إلى مشاهدة المحبوب وقال الخواص وقد سئل ما بال الإنسان يتحرك عند سماع غير القرآن ولا يجد ذلك في سماع القرآن.. فقال : لأن سماع القرآن صدمة لا يمكن لأحد أن يتحرك فيه لشدة غلبته وسماع القول ترويح فيتحرك فيه سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الرازي يقول سمعت الجنيد يقول إذا رأيت المرید يحب السماع فاعلم أن فيه بقية من البطالة^(١). وسمعت يقول سمعت علي بن عبد الله البغدادي يقول سمعت أبا سعيد الرملي يقول قال سهل بن عبد الله السماع علم استأثر الله تعالى به لا يعلمه إلا هو . وحكى أحمد بن مقاتل العكي قال لما دخل ذو النون المصري بغداد اجتمع إليه الصوفية ومعهم قوال فاستأذنوه أن يقول بين يديه شيئاً فأذن فابتدأ يقول :

(١) (فيه بقية من البطالة) لأنه لم تكمل معرفته بمولاه ولا جاهد نفسه في مفارقة هواه بخلاف سماع من كملت معرفته فإنه إنما يكون بعد تقدم المجاهدات والرياضات والإعراض عن الشهوات شغلا بالله وطمعا في وجود الراحة العاجلة والآجلة فيكون سماعه من باب العون له على مقاصده الصحيحة وأحواله الرفيعة .

صغير هواك عذبنى فكيف به إذا احتنكا^(١)
 وأنت جمعت من قلبي هوى^(٢) قد كان مشتركا
 أما ترثى لمكتب إذا ضحك الخلى^(٣) بكى

قال فقام ذا النون وسقط على وجهه والدم يقطر من جبينه ولا يسقط على الأرض ثم قام رجل من القوم يتواجد فقال ذو النون الذى يراك حين تقوم فجلس الرجل .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول فى هذه الحكاية كان ذو النون صاحب إشراف على ذلك الرجل حيث نبهه أن ذلك ليس مقامه وكان ذلك الرجل صاحب إنصاف حيث قيل ذلك منه فرجع وقعد . سمعت محمد بن أحمد التميمي يقول سمعت عبد الله بن على الصوفى يقول سمعت الرقى يقول سمعت ابن الجلاء يقول كان بالمغرب شيخان لهما أصحاب وتلامذة يقال لأحدهما جبلة والثانى رزىق^(٤) فزار رزىق يوماً جبلة فى أصحابه فقراً رجل من أصحاب رزىق شيئاً فصاح واحد من أصحاب جبلة ومات^(٥) . فلما أصبحوا قال جبلة لرزىق أين الذى قرأ بالأمس فليقرأ فقراً آية فصاح جبلة صيحة فمات القارئ فقال جبلة واحد بواحد والبادى أظلم .. وسئل إبراهيم المارستانى عن الحركة عند السماع فقال بلغنى أن موسى عليه السلام قص فى بنى إسرائيل فمزق واحد منهم قميصه فأوحى الله تعالى إليه قل له مزق لى قلبك ولا تمزق ثيابك (وسأل) أبو على المغازلى الشبلى فقال ربما يطرق سمعى آية من كتاب الله عز وجل فتحدوى على ترك الأشياء والإعراض عن الدنيا ثم أرجع إلى أحوالى وإلى الناس فقال الشبلى ما اجتذبك إليه فهو عطف منه عليك ولطف وما رددت إلى نفسك فهو شفقة منه عليك لأنه لم يصح لك التبرى من الحول والقوة فى

(١) (احتنكا) استولى وقهر .

(٢) (هوى) حبا .

(٣) (الخلى) الخالى من الهم .

(٤) (رزىق) بتقديم الراء على الزاى .

(٥) (ومات) لقوة حاله عليه وفى ذلك دلالة على صدق القارئ والمستمع فى السماع .

التوجه إليه . سمعت أبا حاتم السجستاني يقول سمعت أبا نصر السراج يقول سمعت أحمد بن مقاتل العكي يقول كنت مع الشبلي في مسجد ليلة من شهر رمضان وهو يصلي خلف إمام له وأنا بجانبه فقرأ الإمام : ﴿ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ فزعم زعقة قلت طارت روحه وهو يرتعد ويقول بمثل هذا يخاطب الأحباب ويردد ذلك كثيراً . وحكى عن الجنيد أنه قال دخلت على السري يوماً فرأيت عنده رجلاً مغشياً عليه فقلت ماله فقال سمع آية من كتاب الله تعالى فقلت تقرأ عليه ثانياً فقرأ فأفاق فقال لي من أين علمت هذا فقلت إن قميص يوسف ذهب بسببه عين يعقوب عليهما السلام ثم عاد به بصره فاستحسن مني ذلك .. سمعت أبا حاتم السجستاني يقول سمعت أبا نصر السراج يقول سمعت عبد الواحد بن علوان يقول كان شاب يصحب الجنيد فكان إذا سمع شيئاً من الذكر يزعم فقال له الجنيد يوماً إن فعلت ذلك مرة أخرى لم تصحبني^(١) . فكان إذا سمع شيئاً يتغير ويضبط نفسه حتى كان يقطر كل شعرة من بدنه بقطرة فيوماً من الأيام صاح صيحة تلفت نفسه .. سمعت أبا حاتم السجستاني يقول سمعت أبا نصر السراج يقول حكى لي بعض إخواني عن أبي الحسين الدراج قال قصدت يوسف بن الحسين الرازي من بغداد فلما دخلت الري سألت عن منزله فكل من أسأل منه يقول لي إيش تفعل بذلك الزنديق فضيقوا صدري حتى عزمت على الانصراف فبت تلك الليلة في مسجد ثم قلت جئت هذه البلدة فلا أقل من زيارته فلم أزل أسأل عنه حتى دفعت إلى مسجده وهو قاعد في المحراب وبين يديه رجل وعليه مصحف يقرأ فيه وإذا هو شيخ بهي حسن الوجه واللحية فدنوت منه وسلمت عليه فرد السلام وقال من أين فقلت من بغداد قصدت زيارة الشيخ ، فقال لو أن في بعض البلدان قال لك إنسان أقم عندي حتى أشتري لك داراً أو جارية أكان يمنعك عن زيارتي فقلت ياسيدي ما امتحنتني الله تعالى بشيء من ذلك ولو كان لا أدرى كيف كنت أكون فقال تحسن أن تقول شيئاً فقلت نعم وقلت :

(١) (لم تصحبني) الأولى لا وذلك لأن إخفاء الأحوال عن غير الله أفضل لمن قدر عليه .

رأيتك تبني^(١) دائباً في قطيعتي ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني

فأطبق المصحف ولم يزل يبكي حتى ابتلت لحيته وثوبه حتى رحمته من كثرة بكائه ثم قال لى يا بنى^(٢) . لا تلم أهل الرى على قولهم يوسف بن الحسين زنديق ومن وقت الصلاة . هو ذا أقرأ القرآن فلم تقطر من عيني قطرة وقد قامت على القيامة بهذا البيت^(٣) . سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفى يقول سمعت عبد الله ابن على الطوسى يقول سمعت الرقى يقول سمعت الدراج يقول كنت أنا وابن القوطى مارين على الدجلة بين البصرة والأبلة وإذا نحن بقصر حسن له منظر وعليه رجل وبين يديه جارية تغنى وتقول :

فى سبيل الله ود كان منى لك يبذل كل يوم تتلون غير هذا بك أجمل

وإذا شاب تحت المنطرة ببده ركوة وعليه مرقعة يسمع فقال يا جارية بحياة مولاك أعيدى : كل يوم تتلون . غير هذا بك أجمل فأعادته . فقال الشاب قولى فأعادت فقال الفقير هذا والله تلونى مع الحق وشهق شهقة خرجت روحه فقال صاحب القصر للجارية أنت حرة لوجه الله تعالى وخرج أهل البصرة وفرغوا من دفنه والصلاة عليه فقام صاحب القصر وقال أليس تعرفونى أشهدكم أن كل شىء لى فى سبيل الله وكل مماليكى أحرار ثم اتزر بإزار وارتدى برداء وتصدق بالقصر ومرفلم ير له بعد ذلك وجه ولا سمع له أثر .. سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفى يقول سمعت

(١) (رأيتك تبني .. إلخ) أشار به إلى أن العبد يشغل فى أكثر عمره بغير ربه وما خلق له ﴿ وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون ﴾ .

(٢) (ثم قال لى يا بنى .. إلخ) أى ثم أراد أن يعرفنى أيضاً كمال حاله وأن زيارتى له لم تخب حيث قال يابنى .. إلخ .

(٣) (بهذا البيت) أى بسماعى له وهذا كله يدل على كماله لاشتغاله بكتاب الله من وقت الصلاة إلى وقت الاجتماع مع ما رأى وأين هذا من الزندقة وبالجملة فالغرض أن العبد لا يلتفت لمدح العوام ولا ذمهم لأنهم يوقعون ذلك بغير أصل ولو سمع هذا الزائر من كلامهم لفاتته هذه الخيرات .

عبد الله بن علي الطوسي يقول سمعت يحيى بن الرضا العلوي قال سمع أبو سليمان
الدمشقي طوافاً ينادي يا ستر برى^(١) . فسقط مغشياً عليه فلما أفاق سئل فقال حسبته
يقول اسع تر برى . وسمع عتبة الغلام رجلاً يقول سبحان رب السماء إن المحب لفي
عناء فقال عتبة صدقت وسمع رجل آخر ذلك القول فقال كذبت فكل واحد سمع من
حيث هو . سمعت أبا حاتم السجستاني يقول سمعت أبا نصر السراج يقول سمعت أبا
الحسن علي بن محمد الصوفي يقول سمعت رويما وقد سئل عن المشايخ الذين لقيهم
في السماع فقال كالقطع إذا وقع فيه الذنب وحكى عن أبي سعيد الخراز قال رأيت
علي بن الموفق في السماع يقول أقيموني فأقاموه فقام وتواجد ثم قال أنا الشيخ
الزفان وقيل قام الرقي ليلة إلى الصباح يقوم ويسقط على هذا البيت والناس قيام ويكون
والبيت :

بالله فاردد فؤاد مكثب^(٢) ليس له من حبيبه خلف

سمعت محمد بن أحمد التميمي يقول سمعت عبد الله بن علي الصوفي يقول
سمعت علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بالبصرة يقول سمعت أبي يقول خدمت
سهل بن عبد الله سنين كثيرة فما رأيته تغير عند سماع شيء كان يسمعه من الذكر
والقرآن وغيره فلما كان في آخر عمره قرئ بين يديه : ﴿ فَالْيَوْمَ لَا يُوْخَذُ مِنْكُمْ
فِدْيَةٌ ﴾ رأيته تغير وارتعد وكاد يسقط فلما رجع إلى حال صحوة سأله عن ذلك فقال
يا حبيبي ضعفنا^(٣) وحكى ابن سالم قال رأيته مرة أخرى قرئ بين يديه ﴿ الْمَلِكُ
يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ ﴾ فتغير وكاد يسقط فقلت له في ذلك فقال ضعفت .. وهذه

(١) (برى) أى إكرامى لك وسمع بعضهم منادياً ينادى في السوق على الخيار نوع من
الخيار أربعة برع فبكى وانتحب وقال إذا كان هذا قدر الخيار يقصد خيار الخلق فكيف يكون
قدر الشرار .

(٢) (مكثب) أى شديد الحزن .

(٣) (ضعفنا) أى عن كتم أحوالنا لما كبرنا واستشعرنا قرب الأجل والوقوف بين يدي الله
وأنه لا يؤخذ ممن عليه فدية .

صفة الأكابر لا يرد عليه وارد وإن كان قوياً إلا وهو أقوى منه سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول دخلت على أبى عثمان المغربى وواحد يستقى الماء من البئر على بكرة فقال يا أبا عبد الرحمن أتدرى إيش تقول البكرة فقلت لا فقال تقول الله .. سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت على بن طاهر يقول سمعت عبد الله بن سهل يقول سمعت رويما يقول روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه سمع صوت ناقوس فقال لأصحابه أتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال إنه يقول سبحان الله حقاً حقاً إن المولى صمد يبقى .. سمعت محمد بن أحمد التميمى يقول سمعت عبد الله بن على يقول سمعت أحمد بن على الكرخى الوجيهى يقول كان جماعة من الصوفية مستجمعين فى بيت الحسن القزاز ومعهم قوالون يقولون ويتواجدون فأشرف عليهم ممشاد الدينورى فسكتوا فقال ارجعوا إلى ما كنتم فيه فلو جمع ملاهى الدنيا فى أدنى ما شغل همى ولو شفى بعض ما بى (وبهذا الإسناد) عن الوجيهى قال سمعت أبا على الروذبارى يقول بلغنا فى هذا الأمر إلى مكان مثل حد السيف إن ملنا كذا ففى النار وقال خير النساج قص موسى بن عمران صلوات الله عليه على قوم قصة فزعق واحد منهم فانتهره موسى^(١) . فأوحى الله تعالى إليه ياموسى بطيبي فاحوا وبحبى باحوا وبوجدى صاحوا فلم تنكر على عبادى .. وقيل سمع الشبلى قائلاً يقول الخيار عشرة بدائق فصاح وقال إذا كان عشرة بدائق فكيف الشرار وقيل إذا تغنت الحور العين فى الجنة توردت الأشجار وقيل كان عون بن عبد الله يأمر جارية له حسنة الصوت فتغنى بصوت حزين حتى تبكى القوم . وسئل أبو سليمان الدارانى عن السماع فقال كل قلب يريد الصوت الحسن فهو ضعيف يداوى كما يداوى الصبى إذا أريد أن ينام ثم قال أبو سليمان إن الصوت الحسن لا يدخل فى القلب شيئاً إنما يحرك من القلب ما فيه قال ابن أبى الحوارى صدق والله أبو سليمان

(١) (فانتهره موسى) فيه دلالة على أن كتمان الأحوال أولى من إظهارها لكنها إن غلبت السماع عذر كما ذكره بقوله فأوحى إلى فلم تنكر على عبادى أى فإنى خلقت لهم من الوجد ما لا قدرة لهم على حمله فناجوا وباحوا وصاحوا .

وقال الحريري كونوا ريانيين أى سماعين من الله قائلين^(١) . بالله تعالى . وسئل بعضهم عن السماع فقال بروق تلمع ثم تخدم وأنوار تبدو ثم تخفى ما أحلاها لو بقيت مع صاحبها طرفة عين ثم أنشد يقول :

خطرة فى السر منه خطرت خطرة البرق ابتدى ثم اضمحل
أى زور لك لو قصدا أسرى ولم بك لو حقا فعل

وقيل السماع فيه نصيب لكل عضو فما يقع إلى العين تبكى وما يقع إلى اللسان يصيح وما يقع على اليد تمزق الثياب وتلطم وما يقع إلى الرجل ترقص وقيل مات بعض ملوك العجم وخلف ابناً صغيراً فأرادوا أن يبايعوه فقالوا كيف نصل إلى معرفة عقله وذكائه ثم توافقوا على أن يأتوا بقوال يقول شيئاً فإن أحسن الإصغاء علموا كياسته فأتوا بقوال فلما قال القوال شيئاً ضحك الرضيع فقبلوا الأرض بين يديه وبايعوه^(٢) .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول اجتمع أبو عمرو بن نجاد والنصراباذى والطبقة فى موضع فقال النصراباذى أنا أقول إذا اجتمع القوم فواحد يقول شيئاً ويسكت الباقيون خير من أن يغتابوا أحداً فقال أبو عمرو لأن تغتاب أنت ثلاثين سنة أنجى لك من أن تظهر فى السماع ما لست به .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول الناس فى السماع ثلاثة متسمع ومستمع وسامع فالمتسمع يسمع بوقت والمستمع يسمع بحال والسامع يسمع بالحق . وسألت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله تعالى غير مرة شبه

(١) (قائلين .. إلخ) لأن من كملت معرفته بالله كان سامعاً لله وبالله وناطقاً بالله والريانين هم العلماء العباد والأخبار هم العلماء خاصة .

(٢) (وبايعوه) لما علموا من تمييزه الحسن لما استحسنوه إذ من الصغار من إذا سمع زمراً أو نحوه فرح وضحك ومنهم من إذا سمع شيئاً مفزعاً بكى ومنهم من إذا طلب حاجة وشغل بأخرى أحسن منها سكوت وقبل الثانية فيدل ذلك عن حسن تمييزه ومنهم من إذا خطر بباله شيء أو غيب عنه شيء وشغل بغيره لم يرجع إليه ويدوم بكاؤه على ما خطر له وليس ذلك إلا لسوء خلقه وقوة رأسه ومن عنده أدنى تمييز يميل إلى السماع وهذه الإبل إذا حدا لها حاد حسن الصوت وما حملت الأثقال لا تنال بأحمالها وطاب لها سماع الحادى ومدت أعناقها وجدت فى سيرها وهان عليها المشارق .

طلب رخصة في السماع وكان يحيلني على ما يوجب الإمساك عنه ثم بعد طول
المعاودة قال إن المشايخ قالوا ما جمع قلبك إلى الله سبحانه وتعالى فلا بأس به ..
(أخبرنا) أبو الحسن علي بن أحمد الأهوازي قال أخبرنا أحمد بن عبيد البصري قال
حدثنا إسماعيل بن الفضل قال حدثنا يحيى بن يعلى الرازي قال حدثنا حفص بن عمر
العمري قال حدثنا أبو عمرو عثمان بن بدر قال حدثنا هرون بن حمزة عن العذافري
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أوحى الله سبحانه وتعالى إلى
موسى عليه السلام إنني جعلت فيك عشرة آلاف سمع حتى سمعت كلامي وعشرة
آلاف لسان حتى أجبته وأحب ما تكون إلى وأقره إذا أكثر الصلاة على محمد
صلى الله عليه وآله وسلم وقيل رأى بعضهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام
فقال الغلط في هذا أكثر يعني به السماع .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول
سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت أبو بكر النهاندي يقول سمعت عليا
السائح يقول سمعت أبا الحارث الأولاسي يقول رأيت إبليس لعنه الله في المنام على
بعض سطوح أولاس وأنا على سطح وعلى يمينه جماعة وعلى يساره جماعة وعليهم
ثياب نظاف فقال لطائفة منهم قولوا فقالوا وغنوا فاستفزعني طيبه حتى هممت أن
أطرح نفسي من السطح ثم قال ارقصوا فرقصوا أطيّب ما يكون ثم قال لي يا أبا
الحارث ما أصبت شيئا أدخل به عليكم إلا هذا . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت
عبد الله بن علي يقول اجتمعت ليلة مع الشبلي رحمه الله تعالى فقال القوال شيئا فصاح
الشبلي وتواجد قاعدا فقليل له يا أبا بكر ما لك من بين جماعة قاعدا فقام وتواجد
وقال :

لى سكرتان والتدمان واحدة شىء خصصت به من بينهم وحدى

وسمعتة يقول سمعت منصور بن عبد الله الأصبهاني يقول سمعت أبا علي
الروذباري يقول جزت بقصر فرأيت شابا حسن الوجه مطروحا وحوله ناس فسألت
عنه فقالوا إنه جاز بهذا القصر وفيه جارية تغنى :

كبرت همّة عبد طمعت في أن تراكا

أو ما حسب لعين أن ترى من قد رآكا

فشهق شهقة ومات



باب كرامات الأولياء

قال الأستاذ أبو القاسم ظهور الكرامات على الأولياء جائز والدليل على جوازه أنه أمر موهوم حدوثه في العقل لا يؤدي حصوله إلى رفع أصل من الأصول فواجب وصفه سبحانه بالقدرة على إيجاده وإذا وجب كونه مقدورا لله سبحانه فلا شيء يمنع جواز حصوله وظهور الكرامات علامة صدق من ظهرت عليه في أحواله فمن لم يكن صادقا فظهور مثلها عليه لا يجوز والذي يدل عليه أن تعريف القديم سبحانه إيانا حتى نفرق بين من كان صادقا في أحواله وبين من هو مبطل من طريق الاستدلال أمر موهوم ولا يكون ذلك إلا باختصاص الولي بما لا يوجد مع المفترى في دعواه ذلك الأمر هو الكرامة التي أشرنا إليها ولا بد أن تكون هذه الكرامة فعلا ناقضا للعادة في أيام التكليف ظاهرا على موصوف بالولاية في معنى تصديقه في حاله وتكلم الناس في الفرق بين الكرامة وبين المعجزات من أهل الحق ^(١). فكان الإمام أبو إسحاق الإسفرايني رحمه الله يقول المعجزات دلالات صدق الأنبياء ودليل النبوة لا يوجد مع غير النبي كما أن العقل المحكم لما كان دليلا للعالم في كونه عالما لم يوجد إلا ممن يكون عالما وكان يقول الأولياء لهم كرامات شبه

(١) (من أهل الحق) بيان للناس.

إجابة الدعاء ^(١) . فأما جنس ما هو معجزة للأنبياء فلا وأما الإمام أبو بكر بن فورك رحمه الله فكان يقول المعجزات دلالات الصدق ^(٢) . ثم إن ادعى صاحبها النبوة فالمعجزات تدل على صدقه في مقالته وإن أشار صاحبها إلى الولاية دلت المعجزة على صدقه في حالته فتسمى كرامة ولا تسمى معجزة وإن كانت من جنس المعجزات للفرق ^(٣) . وكان رحمه الله يقول من الفرق بين المعجزات والكرامات أن الأنبياء عليهم السلام مأمورون بإظهارها والولى يجب عليه سترها وإخفاؤها والنبى صلى الله عليه وآله وسلم يدعى ذلك ويقطع القول به والولى لا يدعيها ولا يقطع بكرامته لجواز أن يكون ذلك مكررا وقال أوحده وقته القاضى أبو بكر الأشعرى رضى الله تعالى عنه إن المعجزات تختص بالأنبياء والكرامات تكون للأولياء كما تكون للأنبياء ولا تكون للأولياء معجزة لأن من شرط المعجزة اقتران دعوى النبوة بها والمعجزة لم تكن معجزة لعينها وإنما كانت معجزة لحصولها على أوصاف كثيرة فمتى اختل شرط من تلك الشرائط لا تكون معجزة وأحد تلك الشرائط دعوى النبوة والولى لا يدعى النبوة فالذى يظهر عليه لا يكون معجزة وهو القول الذى نعتمده ونقول به بل ندين به فشرائط المعجزات كلها أو أكثرها توجد فى الكرامة إلا هذا الشرط الواحد والكرامة فعل لا محالة محدث لأن ما كان قديما لم يكن له اختصاص بأحد وهو ناقض للعادة وتحصل فى زمان التكليف وتظهر على عبد تخصيصا له وتفضيلا وقد تحصل باختياره ودعائه وقد لا تحصل وقد لا تكون بغير اختياره فى بعض الأوقات ولم يأمر الولى بدعاء الخلق إلى نفسه ولو أظهر شيئا من ذلك على من يكون أهلا له لجاز (واختلف) أهل الحق فى الولى هل يجوز أن يعلم أنه ولى أم لا فكان الإمام أبو بكر بن فورك رحمه الله يقول لا يجوز ذلك لأنه يسلبه الخوف ويوجب له الأمن

(١) (شبه إجابة الدعاء) كالأخبار بمجىء زيد من سفره وبعاقيته من مرضه .

(٢) (الصدق) أى صدق الأنبياء .

(٣) (للفرق) بينهما بأن المعجزة ما قارنها دعوى النبوة بخلاف الكرامة فعنده أن ما يكون من جنس المعجزات يكون للولى أيضا فإن كل كرامة لولى هى معجزة لنبيه وهو المختار الذى دل عليه كلام المصنف فيما يأتى ..

وكان الأستاذ أبو على الدقاق رحمه الله يقول بجوازه وهو الذى نؤثره ^(١) . ونقول به وليس ذلك بواجب فى جميع الأولياء حتى يكون كل ولى يعلم أنه ولى واجبا ولكن يجوز أن يعلم بعضهم كما يجوز أن لا يعلم بعضهم فإذا علم بعضهم أنه ولى كانت معرفته تلك كرامة له انفرد بها وليس كل كرامة لولى يجب أن تكون بعينها لجميع الأولياء بل لو لم يكن للمولى كرامة ظاهرة عليه فى الدنيا لم يقدح عدمها ^(٢) . فى كونه وليا بخلاف الأنبياء فإنه يجب أن تكون لهم معجزات لأن النبى مبعوث إلى الخلق فبالناس حاجة إلى معرفة صدقة ولا يعرف إلا بالمعجزة وبعكس ذلك حال الولى لأنه ليس بواجب على الخلق ولا على الولى أيضا العلم بأنه ولى والعشرة ^(٣) . من الصحابة صدقوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيما أخبرهم به أنهم من أهل الجنة وقول من قال لا يجوز ذلك لأنه يخرجهم من الخوف فلا بأس أن يخافوا تغيير العقابة والذى يجدونه فى قلوبهم من الهيبة والتعظيم والإجلال للحق سبحانه يزيد ويربو على كثير من الخوف . واعلم أنه ليس للولى مساكنة ^(٤) . إلى الكرامة التى تظهر عليه ولا له ملاحظة فربما يكون لهم ظهور جنسها قوة يقين وزيادة بصيرة لتحقيقهم أن ذلك فعل الله فيستدلون بها على صحه ما هم عليه من العقائد وبالجملة فالقول بجواز ظهورها على الأولياء واجب وعليه جمهور أهل المعرفة ولكثرة ماتواتر بأجناسها الأخبار والحكايات صار العلم بكونها ^(٥) . وظهورها على الأولياء فى الجملة علما قويا انتفى عنه الشكوك ومن توسط هذه الطائفة وتواتر عليه حكاياتهم وأخبارهم لم تبق له شبهه فى ذلك على الجملة . ومن دلائل هذه الجملة نص

(١) (نؤثره) أى ننقله .

(٢) (لم يقدح عدمها .. إلخ) بل قد يكون أفضل ممن ظهرت له كرامات لأن الأفضلية إنما بزيادة اليقين لا بظهور الكرامة .

(٣) (والعشرة .. إلخ) فقد علموا بذلك أنهم من أولياء الله وأجمعت الأمة على فضلهم .

(٤) (مساكنة) أى سكن .

(٥) (بكونها) أى وجودها .

القرآن فى قصة صاحب سليمان ^(١) . عليه السلام حيث قال: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ ولم يكن نبياً والأثر عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه صحيح أنه قال ^(٢) ياسارية الجبل ^(٣) فى حال خطبته يوم الجمعة وتبليغ صوت عمر إلى سارية فى ذلك الوقت حتى تحرزوا من مكامن العدو من الجبل فى تلك الساعة . فإن قيل كيف يجوز إظهار هذه الكرامات الرائدة فى المعانى على معجزات الرسل وهل يجوز تفضيل الأولياء على الأنبياء عليهم السلام . قيل هذه الكرامات لاحقة بمعجزات نبينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأن كل من لم يصادق فى الإسلام لا تظهر عليه الكرامة وكل نبى ظهرت كرامته على واحد من أمته فهى معدودة من جملة معجزاته إذ لو لم يكن ذلك الرسول صادقاً ولم تظهر على يد من تابعه الكرامة فأما رتبة الأولياء فلا تبلغ رتبة الأنبياء عليهم السلام للإجماع المنعقد على ذلك . وهذا أبو يزيد البسطامى سئل عن هذه المسألة فقال مثل ما حصل للأنبياء عليهم السلام كمثّل زق فيه عسل ترشح منه قطرة فتلك القطرة مثل ما لجميع الأولياء وما فى الظرف مثل لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم .

فصل .. ثم هذه الكرامات قد تكون إجابة دعوة وقد تكون إظهار طعام فى أوان فاقة من غير سبب ظاهر أو حصول ماء فى زمان عطش أو تسهيل قطع مسافة فى مدة قريبة أو تخلص من عدو أو سماع خطاب من هاتف أو غير ذلك من فنون الأفعال الناقضة ^(٤) للعادة .. واعلم أن كثيراً من المقدرات يعلم اليوم قطعاً أنه لا يجوز أن يظهر كرامة للأولياء وبضرورة أو شبه ضرورة يعلم ذلك فمنها ^(٥) . حصول إنسان لا من أبوين وقلب جماد بهيمة أو حيواناً وأمثال هذا كثير .

-
- (١) (صاحب سليمان) هو آصف بن برخيا .
 (٢) (أنه قال) على المنبر بالمدينة لسارية وكان بالشام أو بمصر يقاتل العدو وأراد العدو أن يكيد به ويسبقه إلى الجبل .
 (٣) (ياسارية الجبل) أى اصعده كشف الله له حال سارية مع العدو رأى سارية وسمعه سارية .
 (٤) (الناقضة) أى الخارقة .
 (٥) (فمنها) أى من تلك المقدورات .

فصل .. فإن قيل فما معنى الولي قيل يحتمل أمرين أحدهما أن يكون فعلا مبالغة من الفاعل كالعليم والقدير وغيره ويكون معناه من توالت طاعته من غير تخلل معصية ويجوز أن يكون فعلا بمعنى مفعول كقتيل بمعنى مقتول وجريح بمعنى مجروح وهو الذي يتولى الحق سبحانه حفظه وحراسته على الإدامة والتوالى فلا يخلق له الخذلان الذي هو قدرة العصيان وإنما يديم توفيقه الذي هو قدرة الطاعة قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ .

فصل .. فإن قيل فهل يكون الولي معصوما قيل أما وجوبا كما يقال في الأنبياء فلا وأما أن يكون محفوظا حتى لا يصير على الذنوب إن حصلت هنات أو آفات أو زلات فلا يمتنع ذلك فى وصفهم ولقد قيل للجنيـد العارف يزنى يا أبا القاسم فأطرق مليا ثم رفع رأسه وقال : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَّقْدُورًا ﴾ .

فصل .. فإن قيل فهل يسقط الخوف عن الأولياء قيل أما الغالب على الأكابر فكان الخوف وذلك الذى قلنا فيما تقدم على جهة الندرة غير ممتنع وهذا السرى السقطى يقول لو أن واحدا دخل بستانا فيه أشجار كثيرة وعلى كل شجرة طير يقول له بلسان فصيح السلام عليك ياولى الله فلو لم يخف أنه مكر لكان ممكورا وأمثال هذه من حكايتهم كثيرة .

فصل .. فإن قيل فهل تجوز رؤية الله بالأبصار اليوم فى الدنيا على جهة الكرامة فالجواب عنه أن الأقوى فيه أنه لا يجوز لحصول الإجماع عليه ولقد سمعت الإمام أبا بكر بن فورك رضى الله تعالى عنه يحكى عن أبى الحسن الأشعري أنه قال فى ذلك قولين فى كتاب الرؤية الكبير .

فصل .. فإن قيل فهل يجوز أن يكون وليا فى الحال ثم تتغير عاقبته قيل من جعل من شرط الولاية حسن الموافاة لا يجوز ذلك ومن قال إنه فى الحال مؤمن على الحقيقة وإن جاز أن يتغير حاله بعد لا يبعد أن يكون

وليا فى الحال صديقا ثم يتغير وهذا الذى نختاره^(١) . نحن ويجوز أن يكون من جملة كرامات ولى أن يعلم أنه مأمون العاقبة وأنه لا تتغير عاقبته فتلتحق هذه المسألة بما ذكرنا أن الولي يجوز أن يعلم أنه ولى .

فصل .. فإن قيل فهل يزايل الولي^(٢) خوف المكر^(٣) قيل إن كان مصطلما^(٤) عن شاهده مختطفا عن إحساسه بحاله فهو مستهلك عنه فيما استولى عليه^(٥) والخوف من صفات الحاضرين بهم^(٦) .

فصل .. فإن قيل فما الغالب على الولي فى حال صحوه قيل صدقه فى أداء حقوقه سبحانه ثم رفته وشفقته على الخلق فى جميع أحواله ثم انبساط رحمته لكافة الخلق ثم دوام تحمله عنهم بجميل الخلق وابتدائه لطلب الإحسان من الله عز وجل إليهم من غير التماس منهم وتعليق الهمة بنجاة الخلق وترك الانتقام منهم والتوفى عن استئثار حقد عليهم مع قصر اليد مع أموالهم وترك الطمع بكل وجه وقبض اللسان عن بسطه بالسوء فيهم والتصاون^(٧) . عن شهود مساويهم ولا يكون خصما لأحد فى الدنيا ولا فى الآخرة .. واعلم أن من أجل الكرامات التى تكون للأولياء دوام التوفيق للطاعات والعصمة عن المعاصي والمخالفات ومما يشهد من القرآن على إظهار الكرامات على الأولياء قوله سبحانه فى صفة مريم عليها السلام ولم تكن نبيا ولا رسولا : ﴿ كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ ،

(١) (وهذا الذى نختاره) ولا يورث احتمال التغير فى العاقبة شكا فى كونه وليا أو مؤمنا فى الحال وإلا لالتبس الأمر علينا فلا نشترط فى صدق ذلك دوامه إلى الممات .

(٢) (يزايل الولي) أى يزول عنه .

(٣) (خوف المكر) أى مكر الله به عياذا بالله تعالى .

(٤) (مصطلما) أى مستغرقا .

(٥) (فيما استولى عليه) من الأحوال التى طرقت فآين هو من الخوف الذى هو من صفة حاضر الحس .

(٦) (الحاضرين بهم) أى منهم .

(٧) (والتصاون) أى صون نفسه .

وكان يقول ﴿أَنْتَ لَكَ هَذَا﴾ ؟ فتقول مريم : ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ ، وقوله سبحانه : ﴿وَهَزَيَ إِلَيْكَ بَجَدْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقُطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾ وكان في غير أوان الرطب وكذلك قصة أصحاب الكهف والأعاجيب التي ظهرت عليهم من كلام الكلب معهم وغير ذلك .. ومن ذلك قصة ذى القرنين وتمكينه سبحانه له مما لم يمكن لغيره ومن ذلك ما أظهر على يد الخضر عليه السلام من إقامة الجدار وغيره من الأعاجيب وما كان يعرفه مما خفى على موسى عليه السلام كل ذلك أمور ناقضة للعادة اختص الخضر عليه السلام بها ولم يكن نبيا وإنما كان وليا . ومما روى من الأخبار في هذا الباب حديث جريج الراهب أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الإسفرايني قال أخبرنا أبو عوانة يعقوب بن إبراهيم بن إسحاق قال حدثنا عمار بن رجاء قال حدثنا وهب بن جرير قال حدثنا أبي قال سمعت محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أبو عوانة وحدثني الصنعاني وأبو أمية قالوا حدثنا الحسين بن محمد المروذي قال حدثنا جرير بن حازم عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة عيسى ابن مريم وصبي في زمن جريج وصبي آخر فأما عيسى فقد عرفتموه وأما جريج فكان رجلا عابداً في بني إسرائيل وكانت له أم فكان يوماً يصلي إذا اشتقات إليه أمه فقالت يا جريج فقال يارب الصلاة خير أم آتيها ثم صلى فدعته فقال مثل ذلك ثم صلى فاشتد على أمه فقالت : اللهم لاتمته حتى تريه وجوه المومسات^(١) . وكانت زانية في بني إسرائيل فقالت لهم أنا أفتن جريجا حتى يزني فأنته فلم تقدر على شيء وكان راع يأوى بالليل إلى أصل صومعته^(٢) . فلما أعيها^(٣) . راودت الراعى على نفسها فأتاها فولدت ثم قالت ولدى هذا من جريج فأثاء بنو إسرائيل وكسروا صومعته وشتموه ثم إنه صلى ودعا ثم نخس الغلام قال محمد^(٤) . قال أبو هريرة كأنى أنظر إلى النبي

(١) (المومسات) أى الزانيات المعلنات بالزنا .

(٢) (صومعته) أى صومعة جريج .

(٣) (فلما أعيها) جريج .

(٤) (قال محمد) هو ابن سيرين .

صلى الله عليه وآله وسلم حين قال بيده يا غلام من أبوك فقال الراعى فندموا على ما كان منهم واعتذروا إليه وقالوا نبني صومعتك من ذهب أو قال من فضة فأبى عليهم وبنّاها كما كانت وأما الصبى الآخر فإن امرأة كان معها صبى لها ترضعه إذ مر بها شاب جميل الوجه ذو إشارة^(١) . فقالت اللهم اجعل ابنى مثل هذا فقال الصبى اللهم لا تجعلنى مثله قال قال محمد قال أبو هريرة كأنى أنظر إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم حين كان يحكى الغلام وهو يرضع ثم مر أيضاً امرأه ذكروا أنها سرقت وزنت وعوقبت فقالت اللهم لا تجعل ابنى مثل هذه فقال اللهم اجعلنى مثلها فقالت له أمه فى ذلك^(٢) . فقال إن الشاب جبار من الجبابرة وأن هذه قيل إنها زنت ولم تزن وقيل سرقت ولم تسرق وهى تقول حسبى الله وهذا الخبر^(٣) . روى فى الصحيح ومن ذلك حديث الغار وهو مشهور مذكور فى الصحاح .

حديث الغار

أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الإسفرائينى قال حدثنا أبو عوانة يعقوب بن إبراهيم بن اسحاق قال حدثنا محمد بن عون ويزيد بن عبد الصمد الدمشقى وعبد الكريم بن القاسم الديرعاقلوى وأبو الخصيب بن المستنير المصيصى قالوا حدثنا أبو اليمان قال حدثنا شعيب عن الزهرى عن سالم عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم فأواهم المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا إنه والله لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم فقال رجل منهم إنه كان لى أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً فعاقنى طلب الشجر يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فجئتهما به فوجدتهما نائمين فخرجت أن أوقظهما وكرهت أن أغبق^(٤) . قبلهما أهلاً ولا مالاً فقامت والقذح على يدي أنتظر

(١) (إشارة) هيئة حسنة .
(٢) (فى ذلك) أى ما سببه .

(٣) (وهذا الخب .. إلخ) فهؤلاء الثلاثة تكلموا فى المهد وكلامهم خرق للعادة فكلام الأول كرامة لمريم وبراءة لها مما نسب إليها وكلام الثانى كرامة لجريج وبراءة له مما نسب إليه وكلام الثالث آية لوالدته وبراءة للمظلومة . (٤) (أغبق) بضم الباء أى أسقى .

استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقها .. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه .. فانفرجت انفراجا لا يستطيعون الخروج منه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال الآخر اللهم إنه كانت لى بنت عم وكانت أحب الناس إلى فراودتها عن نفسها فامتنعت حتى أمت بها سنة من السنين فجاءتنى فأعطيتهما عشرين ومائة دينار على أن تخلى بينى وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت لا يحل لك أن تفرض الخاتم إلا بحقه فتخرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهى أحب الناس إلى وتركت الذهب الذى أعطيتها .. اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال الثالث اللهم إنى استأجرت أجراً فأعطيتهما أجورهم غير رجل واحد منهم ترك الذى له وذهب فثمرت أجره فجاءنى بعد حين فقال يا عبد الله أد إلى أجرتى فقلت له كل ما ترى من أجرتك من الإبل والغنم والبقر والرقيق فقال يا عبد الله لا تستهزئ بى فقلت إنى لا أستهزئ بك فأخذ ذلك كله فاستاقه ولم يترك منه شيئاً .. اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا من الغار يمشون وهذا حديث صحيح^(١). متفق عليه ومن ذلك الحديث الذى قال صلى الله عليه وآله وسلم فيه إن البقرة كلمتهم .. (أخبرنا) أبو نعيم الإسفرائينى قال أخبرنا أبو عوانة قال حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال حدثنى سعيد بن المسيب عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال بينا رجل يسوق بقرة قد حمل عليها التفتت البقرة وقالت أما أنى لم أخلق لهذا إنما خلقت للحرث فقال الناس سبحان الله^(٢) فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم آمنت

(١) (وهذا حديث صحيح .. إلخ) كما مرت الإشارة إليه فى كلامه والكرامة فى ذلك استجابة دعائهم وإزالة الصخرة عنهم بقدرة الله خرقاً للعادة والظاهر أن أقومهم الثانى فإنه ترك شهوته مع تيسرها وكما محبته لابنة عمه وبذله لها ما بذله من المال الجزيل ثم تركه لها .

(٢) (سبحان الله) تعجبا .

بهذا (١) . أنا وأبو بكر وعمر ، . ومن ذلك حديث أويس القرني وما شهد به عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه من حاله وقصته ثم التقاؤه مع هرم بن حيان وتسليم أحدهما على صاحبه من غير معرفة تقدمت بينهما وكل ذلك أحوال ناقضة للعادة وتركنا حديث أويس لشهرته وقد ظهر على السلف من الصحابة والتابعين ثم على من بعدهم من الكرامات ما بلغ حد الاستفاضة وقد صنف في ذلك كتب كثيرة سنشير إلى طرف منها على وجه الإيجاز إن شاء الله عز وجل ..

(فمن ذلك) أن ابن عمر كان في بعض الأسفار فلقى جماعة وقفوا على الطريق من خوف السبع فطرد السبع من طريقهم ثم قال إنما يسلط على ابن آدم ما يخافه ولو أنه لم يخف غير الله لما سلط عليه شيء وهذا خبر معروف .. وروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث العلاء بن الحضرمي في غزاة فحال بينه وبين الموضع قطعة من البحر فدعا الله باسمه الأعظم ومشوا على الماء .. وروى أن عتاب بن بشير وأسيد بن حضير خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأضاء لهما رأس عصا أحدهما كالسراج .. وروى أنه كان بين يدي سلمان وأبي الدرداء قصعة فسبحت حتى سمعا التسبيح . وروى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره » ولم يفرق بين شيء وشيء فيما يقسم به على الله سبحانه وهذه الأخبار لشهرتها أضربنا عن ذكر أسانيدنا . وحكى عن سهل بن عبد الله أنه قال من زهد في الدنيا أربعين يوماً صادقاً من قلبه مخلصاً في ذلك ظهرت له الكرامات ومن لم تظهر له فعدم الصدق في زهده فقليل لسهل كيف تظهر له الكرامة فقال يأخذ ما يشاء كما يشاء من حيث يشاء .. (أخبرنا) علي بن أحمد بن عبدان قال حدثنا أحمد بن عبيد الصفار قال حدثنا أبو مسلم قال حدثنا عمرو بن مرزوق قال حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة

(١) (آمنت بهذا .. إلخ) أي بأنه حق وأنه تعالى قادر عليه وأنه يفعله، ووجه دخول ذلك في كرامات الأولياء نصح البقرة لصاحبها حتى لا يحملها ما لا تطيقه ولما لم تخلق له .

الماجشون قال حدثنا وهب بن كيسان عن ابن عمر عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « بينا رجل ذكر كلمة إذ سمع رعداً في السحاب فسمع صوتاً في السحاب أن اسق حديقة فلان فجاء ذلك السحاب إلى سرحة فأفرغ ماءه فيها فاتبع السحاب فإذا رجل قائم يصلى في حديقة فقال ما اسمك فقال فلان بن فلان باسمه قال فما تصنع بحديقتك هذه إذا صرمتها قال ولم تسأل عن ذلك قال إني سمعت صوتاً في السحاب أن اسق حديقة فلان .. قال : أما إذ قلت فإنني أجعلها أثلاثاً فأجعل لنفسى وأهلى ثلثاً وأرد عليها ثلثاً وأجعل للمساكين وابن السبيل ثلثاً .. سمعت أبا حاتم السجستاني يقول سمعت أبا نصر السراج يقول دخلنا تستر فرأينا في قصر سهل بن عبد الله بيتاً كان الناس يسمونه بيت السباع فسألنا الناس عن ذلك فقالوا كان السباع تجيء إلى سهل وكان يدخلهم هذا البيت ويضيفهم ويطعمهم اللحم ثم يخليهم قال أبو نصر ورأيت أهل تستر كلهم متقين على هذا لا ينكرونه وهم الجمع الكثير .. سمعت محمد بن أحمد بن محمد التميمي يقول سمعت عبد الله بن علي الصوفي يقول سمعت حمزة بن عبد الله العلوي يقول دخلت على أبي الخير التيناتي وكنت اعتقدت (١) . في نفسى أن أسلم عليه وأخرج ولا آكل عنده طعاماً فلما خرجت من عنده ومشيت قدراً فإذا به خلفي وقد حمل طبقاً عليه طعام فقال يا فتى كل هذا فقد خرجت الساعة من اعتقادك وأبو الخير التيناتي مشهور بالكرامات . وحكى عن إبراهيم الرقى أنه قال قصده (٢) مسلماً عليه فصلى صلاة المغرب فلم يقرأ الفاتحة مستوياً (٣) . فقلت في نفسى ضاعت سفرتي (٤) . فلما سلمت خرجت للطهارة فقصدني السبع فعدت إليه وقلت إن الأسد قصدني فخرج وصاح على الأسد وقال ألم أقل لك لا تتعرض لضيفاني وتنحى وتظهرت فلما رجعت قال اشتغلتم بتقويم الظواهر فخفتم الأسد واشتغلنا بتقويم

(١) (اعتقدت) أى قصدت .

(٢) (قصده) أى أبا الخير .

(٣) (مستوياً) لكن لا يضر في الصلاة كأن لحن لحناً لا يغير المعنى ، وكان به عجمة منعه من التعلم .

(٤) (ضاعت سفرتي) لمن لا يحسن قراءة الفاتحة .

القلب فخافنا الأسد . وقيل كان لجعفر الخلدی فص فوقع يوما في دجلة وكان عنده دعاء مجرب للضالة ترد فدعا به فوجد الفص (١) . في وسط أوراق كان يتصفحها . سمعت أبا حاتم السجستاني يقول سمعت أبا نصر السراج يقول إن ذلك الدعاء (٢) . يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع على ضالتي قال أبو نصر السراج أراني أبو الطيب العكي جزءا ذكر فيه من ذكر هذا الدعاء على ضالة وجدها وكان الجزء أوراقا كثيرة .. سألت أحمد الطابرائي السرخسي رحمه الله تعالى فقلت له هل ظهر لك شيء من الكرامات فقال في وقت إرادتي وابتداء أمرى ربما كنت أطلب حجرا أستنجي به فلم أجد فتناولت شيئا من الهواء فكان جوهرًا فاستنجيت به وطرحته ثم قال وأي خطر للكرامات إنما المقصود منه زيادة اليقين في التوحيد فمن لا يشهد وغيره موجدا في الكون فسواء أبصر فعلا معتادا أو ناقضا للعادة . سمعت محمد بن أحمد الصوفي يقول سمعت عبد الله بن علي يقول سمعت أبا الحسين البصري يقول كان بعبادان رجل أسود فقير يأوي إلى الخرابات فجعلت معي شيئا وطلبتة فلما وقعت عينه على تبسم وأشار بيده إلى الأرض فرأيت الأرض كلها ذهبًا يلمع ثم قال هات ما معك فتناولته وهالني أمره وهربت .. سمعت منصور المغربي يقول سمعت أحمد بن عطاء الروذباري يقول كان لي استقضاء في أمر الطهارة فضاق صدري ليلة لكثرة ما صببت من الماء ولم يسكن قلبي فقلت يارب عفوك فسمعت هاتفا يقول العفو في العلم فزال عني ذلك . سمعت منصور المغربي يقول فرأيت يومًا قعد على الأرض في الصحراء وكان عليها آثار الغنم بلا سجادة فقلت أيها الشيخ هذه آثار الغنم فقال اختلف الفقهاء فيه سمعت أبا حاتم السجستاني يقول سمعت أبا نصر السراج يقول سمعت الحسين بن أحمد الرازي يقول سمعت أبا سليمان الخواص يقول كنت راكبًا حمارًا يومًا وكان الذباب يؤذيه فيطأطئ رأسه فكنت أضرب رأسه بخشبة في يدي

(١) (فوجد الفص إلخ) الكرامة فيه وجوده الفص الذي سقط منه في البحر بين الأوراق التي كان يتصفحها ولم يعرف من أتى به .

(٢) (إن ذلك الدعاء) الذي دعا به جعفر هو يا جامع الناس ... إلخ .

فرفع الحمار رأسه وقال اضرب فإنك على رأسك هو ذا تضرب قال الحسين فقلت لأبى سليمان لك وقع هذا فقال نعم كما تسمعى . وذكر عن ابن عطاء أنه قال سمعت أبا الحسين النورى يقول كان فى نفسى شىء من هذه الكرامات فأخذت قصبه من الصبيان وقمت بين زورقين ثم قلت وعزتك لئن لم يخرج لى سمكة فيها ثلاثة أرتال لأغرقن نفسى قال فخرج لى سمكه فيها ثلاثة أرتال فبلغ ذلك الجنيد فقال كان حكمه أن تخرج له أفعى تلدغه .. سمعت الشيخ عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا الفتح يوسف بن عمر الزاهد القواس ببغداد قال حدثنا محمد بن عطية قال حدثنا عبد الكبير ابن أحمد قال سمعت أبا بكر الصائغ قال سمعت أبا جعفر الحداد أستاذ الجنيد قال كنت بمكة فطال شعرى ولم يكن معى قطعة من حديد آخذ بها شعرى فتقدمت إلى مزين توسمت فيه الخير فقلت تأخذ شعرى لله تعالى فقال نعم وكرامة وكان بين يديه رجل من أبناء الدنيا فصرفه وأجلسنى وحلق شعرى ثم دفع إلى قرطاسا فيه دراهم وقال استعن بها على بعض حوائجك فأخذتها واعتقدت أن أدفع إليه أول شىء يفتح على به قال فدخلت المسجد فاستقبلنى بعض إخوانى وقال لى جاء بعض إخوانك بصرة من البصرة من بعض إخوانك فيها ثلاثمائة دينار قال فأخذت الصرة وحملتها إلى المزين وقلت هذه ثلاثمائة دينار تصرفها فى بعض أمورك فقال لى ألا تستحى يا شيخ تقول لى احلق شعرى لله ثم آخذ عليه شيئا انصرف عافاك الله .. سمعت أبا حاتم السجستاني يقول سمعت أبا نصر السراج يقول سمعت ابن سالم يقول لما مات إسحاق بن أحمد دخل عليه سهل بن عبد الله صومعته فوجد فيها سبطاً^(١) . فيه قارورتان فى واحدة منهما شىء أحمر وفى الأخرى شىء أبيض ووجد شوشقة^(٢) . ذهب وشوشقة فضة قال فرمى بالشوشقتين فى الدجلة وخط مافى القارورتين بالتراب وكان على إسحاق دين قال ابن سالم قلت لسهل إيش كان فى القارورتين قال إحداهما لو طرح منها وزن درهم على مثاقيل من النحاس صار ذهباً والأخرى لو طرح منها مثقال على مثاقيل

(١) . (سبطا) بفتح الفاء شيئا كالقفة .

(٢) . (شوشقة) قطعة .

من الرصاص صار فضة فقلت وإيش عليه لو قضى منه دينه فقال أى دوست (١) خاف على إيمانه .. وحكى عن النورى أنه خرج ليله إلى شط دجلة فوجدها وقد التزق الشيطان فانصرف وقال وعزتك لا أجوزها إلا فى زورق . سمعت أبا حاتم السجستاني يقول سمعت أبا نصر السراج يقول أملى علينا الوجيهى حكاية عن محمد بن يوسف البناء قال كان أبو تراب النخشبى صاحب كرامات فسافرت معه سنة وكان معه أربعون نفساً ثم أصابتنا مرة فاقة فعدل أبو تراب عن الطريق وجاء بعدق موز فتناولنا وفينا شاب فلم يأكل فقال له أبو تراب كل فقال الحال الذى اعتقدته ترك المعلومات وصرت أنت معلومى فلا أصحبك بعد هذا فقال له أبو تراب كن مع (٢) ما وقع لك . وحكى أبو نصر السراج عن أبى يزيد قال دخل على أبو على السدى وكان أستاذه وبیده جراب فصبها فإذا هى جواهر فقلت من أين لك هذا فقال وافيت واديا ههنا فإذا هو يضىء كالسراج فحملت هذا فقلت فكيف كان وقتك الذى وردت فيه الوادى فقال وقت فترة عن الحال التى كنت فيها ، وقيل لأبى يزيد فلان يمشى فى ليلة إلى مكة فقال الشيطان يمشى فى ساعة من المشرق إلى المغرب فى لعنة الله . وقيل له فلان يمشى على الماء ويطير فى الهواء فقال الطير يطير فى الهواء والسمك يمر على وجه الماء وقال سهل بن عبد الله أكثر الكرامات أن تبدل خلقاً مذموماً من أخلاقك . سمعت محمد بن أحمد بن محمد التميمى يقول سمعت عبد الله بن على الصوفى يقول سمعت ابن سالم يقول سمعت أبى يقول كان رجل يقال له عبد الرحمن بن أحمد

(١) (أى دوست) بالعجمية أى يا صاحبى .

(٢) (كن معى) ما وقع لك واعتقدته أى ابق عليه ولا تأكل علم منه أن معه قوة وزيادة يقين ومن قبيل قول الشاب فلا أصحبك بعد هذا ما وقع للخواص مع الخضر لما لقيه فى سفره وطلب منه الخضر الصحبة فامتنع خوفاً من أن تسكن نفسه إليه فيفسد عليه تركه على ربه وقد قال أبو تراب لذلك الشاب ما يقول أصحابك فى الكرامات التى يكرم الله بها أوليائه فقال له ما أعرف أحداً ينكرها قال له أبو تراب من أنكرها فهو كافر ولكن بلغنى أن أصحابك يزعمون أنها خدع من الحق وليس الأمر كما ذكروه وإنما تكون خدعا لمن اختارها وسكن بقلبه إليها وأما من أعطيها ولم يسكن إليها فتلك مرتبة الريانيين .

يصحب سهل بن عبد الله فقال له يوماً ربما أتوضأ للصلاة فيسيل الماء بين يدي قضبان ذهب وفضة فقال سهل أما علمت أن الصبيان إذا بكوا يعطون خشخاشة ليشتغلوا بها .. سمعت أبا حاتم السجستاني يقول سمعت أبا نصر السراج يقول أخبرني جعفر بن محمد قال حدثني الجنيد قال دخلت على السري يوماً فقال لي عصفور كان يجيء في كل يوم فأفت له الخبز فيأكل من يدي فنزل وقتاً من الأوقات فلم يسقط على يدي فتذكرت في نفسي إيش السبب فذكرت أني أكلت ملحاً بأبزار فقلت في نفسي لا أكل بعدها وأنا تائب منه فسقط على يدي وأكل . وحكى أبو عمرو الأنماطي قال كنت مع أستاذي في البادية فأخذنا المطر فدخلنا مسجد نستكن فيه وكان السقف يكف فصعدنا السطح ومعنا خشبة نريد إصلاح السقف فقصر الخشب عن الجدار فقال أستاذي مدها فمددتها فركبت الحائط من ههنا ومن ههنا .. سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول سمعت محمد بن أحمد النجار يقول سمعت الرقي يقول سمعت أبا بكر الدقاق يقول كنت ماراً في تيه بني إسرائيل فخطر ببالي أن علم الحقيقة مباين للشرعة فهتف بي هاتف من تحت شجرة كل حقيقة لا تتبعها الشرعة فهي كفر^(١) . وقال بعضهم كنت عند خير النساج فجاءه رجل وقال أيها الشيخ رأيتك أمس وقد بعث الغزل بدرهمين فجئت خلفك فحلتتهما من طرف إزارك وقد صارت يدي منقبضة على كفي قال فضحك خير وأوماً بيده إلى يده ففتحها ثم قال امض واشتر بهما لعيالك شيئاً ولا تعد لمثله . وحكى عن أحمد بن محمد السلمي قال دخلت على ذي النون المصري يوماً فرأيت بين يديه طستا من ذهب وحوله الند^(٢) . والعنبر يسجر^(٣) . فقال لي أنت ممن يدخل على الملوك في حال بسطهم ثم أعطاني درهما فأنفقت منه إلى بلخ وحكى عن أبي سعيد الخراز قال كنت في بعض أسفاري وكان يظهر لي كل

(١) (فهي كفر) أو بدعة لأنه صلى الله عليه وآله وسلم رتب الحقيقة على الحق في خبر حارثة فإنه قال له كيف أصبحت فقال حارثة أصبحت مؤمناً حقاً قال له إن لكل حق حقيقة فرتبها على الحق والحق ما شهدت به الشرعة .

(٢) (الند) بفتح النون ما خلط من مسك وكافور .

(٣) (والعنبر يسجر) أي يولد في النار وفي نسخه يتبخر به أي بمجموع الأمرين .

ثلاثة أيام شيء فكنت آكله وأستقل به فمضى ثلاثة أيام وقتنا من الأوقات ولم يظهر شيء فضعفت وجلست فهتف بى هاتف . أيما أحب إليك سبب أو قوة فقلت القوة فقلت من وقتى ومشيت اثنى عشر يوما لم أذق شيئا ولم أضعف وعن المرتعش قال سمعت الخواص يقول تهت فى البادية أياما فجاءنى شخص وسلم على وقال لى تهت فقلت نعم فقال ألا أدلك على الطريق ومشى بين يدى خطوات ثم غاب عن عينى وإذا أنا على الجادة فبعد ذلك ما تهت ولا أصابنى فى سفر جوع ولا عطش . سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت عمر بن يحيى الأردبلى يقول سمعت الرقى يقول سمعت ابن الجلاء يقول لما مات أبى ضحك على المغتسل (١) . فلم يجسر أحد يغسله وقالوا إنه حى حتى جاء واحد من أقرانه وغسله . وسمعت محمد بن أحمد التميمى يقول سمعت عبد الله بن على يقول سمعت طلحة القصائرى يقول سمعت المنيحى صاحب سهل بن عبد الله يقول كان سهل يصبر عن الطعام سبعين يوما وكان إذا أكل ضعف وإذا جاع قوى وكان أبو عبيد البسرى إذا كان أول شهر رمضان يدخل بيتا ويقول لامرأته طينى على الباب وألقى إلى كل ليلة من الكوة رغيفا فإذا كان يوم العيد فتح الباب ودخلت امرأته البيت فإذا به ثلاثين رغيفا فى زاوية البيت فلا أكل ولا شرب ولا نام ولا فاتته ركعة من الصلاة وقال أبو الحارث الأوالاسى مكثت ثلاثين سنة ما يسمع لسانى إلا من سرى ثم تغيرت الحال فمكثت ثلاثين سنة لا يسمع سرى إلا من ربى (حدثنا) محمد بن عبد الله الصوفى قال حدثنا أبو الحسين غلام شعوانة قال سمعت على بن سالم يقول كان سهل بن عبد الله أصابته زمانة فى آخر عمره فكان إذا حضر وقت الصلاة انتشرت يده ورجلاه فإذا فرغ من الفرض عاد إلى حال الزمانه . وحكى عن أبى عمران الوسطى قال انكسرت السفينة وبقيت أنا وامراتى على لوح وقد ولدت فى تلك الحالة صبية فصاحت بى وقالت لى يقتلنى العطش فقلت هو ذا يرى حالنا فرفعت رأسى فإذا رجل فى الهواء جالس وفى يده سلسلة من ذهب

(١) (ضحك على المغتسل) لما رآه عند نزع روحه مما استبشر به وسر به فبقيت صورة ضحكة وتبسمه فى وجهه كما قال تعالى : ﴿ لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ﴾ وصدق الله العظيم .

وفيه كوز من ياقوت أحمر وقال هاك اشربا قال فأخذت الكوز وشربنا منه وإذا هو أطيب من المسك وأبرد من الثلج وأحلى من العسل فقلت من أنت رحمك الله فقال عبد لمولاي فقلت بم وصلت إلى هذا فقال تركت هواي لمرضاته فأجلسني في الهواء ثم غاب عني ولم أره (أخبرنا) محمد بن عبد الله الصوفى قال حدثنا بكر بن أحمد الجببلى قال سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت ذا النون المصرى يقول رأيت شابا عند الكعبة يكثر الركوع والسجود فدنوت منه وقلت إنك تكثر الصلاة فقال أنتظر الإذن من ربى فى الانصراف قال فرأيت رقعة سقطت عليه مكتوب فيها من العزيز الغفور إلى عبدى الصادق انصرف مغفورا لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقال بعضهم كنت بمدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى مسجده مع جماعة نتجارى الآيات ورجل ضرير بالقرب منا يسمع فتقدم إلينا وقال أنست بكلامكم اعلموا أنه كان لى صبية وعيال وكنت أخرج إلى البقيع أحتطب فخرجت يوما فرأيت شابا عليه قميص كتان ونعله فى أصبعه فتوهمت أنه تائه فقصدته أسلب ثوبه فقلت له انزع ما عليك فقال سرفى حفظ الله فقلت الثانية والثالثة فقال لا بد فقلت لا بد فأشار بإصبعيه من بعيد إلى عيني فسقطتا فقلت بالله عليك من أنت فقال (١) . إبراهيم الخواص (٢) وقال ذو النون المصرى كنت وقتنا فى السفينة فسرق قطيفة (٣) . فاتهموا بها رجلا فقلت دعوه حتى أرفق به وإذا الشاب نائم فى عباءة فأخرج رأسه من العبءة فقال له ذو النون فى ذلك المعنى فقال إلى تقول ذلك أقسمت عليك يارب أن لا تدع واحدا من الحيتان إلا جاء بجوهرة قال فرأينا وجه الماء حيتانا فى أفواههم الجواهر ثم

(١) (فقال) أنا .

(٢) (إبراهيم الخواص) ولم يوفق من سأله بالله أن يسأله بالله أن يدعو له ليرد الله عليه بصره وفيما ذكر إظهار الكرامة وتحذير العبد من أن يطلب ما تشتهيه نفسه من كل أحد من الناس ولا يخالف أحدا منهم مخالفة تؤديه إلى ضرر فريما جازاه الله بفعله من حيث لا يشعر وربما كان بسبب من كان خالفة .

(٣) (قطيفة) يقال إنها قلادة فيها جواهر والمراد أنه سرق منها جوهرة .

ألقي الفتى نفسه في البحر وتمر إلى الساحل وحكى عن إبراهيم الخواص قال دخلت البادية مرة فرأيت نصرانيا على وسطه زنار فسألني الصحبة فمشينا سبعة أيام فقال لي يا راهب الحنيفية هات ما عندك من الانبساط فقد جعنا فقلت إلهي لا تفضحني مع هذا الكافر فرأيت طبقا عليه خبز وشواء ورطب وكوزاء فأكلنا وشربنا ومشينا سبعة أيام ثم بادرت وقلت يا راهب النصراني هات ما عندك فقد انتهت النوبة إليك فاتكأ على عصاه ودعا فإذا بطبقين عليهما أضعاف ما كان على طبقى قال فتحيرت وتغيرت وأبيت أن أكل فألح على فلم أجبه فقال كل فإنى أبشرك ببشارتين إحداهما أنى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وحل الزنار والأخرى أنى قلت اللهم إن كان لهذا العبد خطر عندك فافتح على بهذا ففتح قال فأكلنا ومشينا وحج وأقمنا بمكة سنة ثم إنه مات ودفن بالبطحاء وقال محمد بن المبارك الصوري كنت مع إبراهيم بن أدهم في طريق بيت المقدس فنزلنا وقت القيلولة تحت شجرة رمان فصلينا ركعات فسمعت صوتاً من أصل الرمان يا أبا إسحق أكرمنا بأن تأكل منا شيئاً فطأطأ إبراهيم رأسه فقال ثلاث مرات ثم قال يا محمد كن شفيعاً إليه ليتناول منا شيئاً فقلت يا أبا إسحاق لقد سمعت فقام وأخذ رمانتين فأكل واحدة وناولنى الأخرى فأكلتها وهى حامضة وكانت شجرة قصيرة فلما رجعنا مررنا بها فإذا هى شجرة عالية رمانها حلو وهى تثمر فى كل عام مرتين وسموها رمان العابدين ويأوى إلى ظلها العابدون .. سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت محمد بن الفرحان يقول سمعت الجنيد يقول سمعت أبا جعفر الخصاص يقول حدثنى جابر الرحبي قال أكثر أهل الرحبة على الإنكار فى باب الكرامات فركبت السبع يوماً ودخلت الرحبة وقلت أين الذين يكذبون أولياء الله قال فكفوا بعد ذلك عنى . سمعت منصور المغربي يقول رأى بعضهم الخضر عليه السلام فقال له هل رأيت فوقك أحدا فقال نعم كان عبد الرزاق بن همام يروى الأحاديث بالمدينة والناس حوله يستمعون فرأيت شاباً بالبعد منهم رأسه على ركبتيه فقلت له هذا عبد الرزاق يروى أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم لا تسمع منه فقال إنه يروى عن ميت وأنا لست بغائب عن الله عز

وجل فقلت له إن كنت كما تقول فمن أنا فرفع رأسه وقال أنت أخى أبو العباس الخضر فعلمت أن الله عبادا لم أعرفهم (١) . وقيل كان لإبراهيم بن أدهم صاحب يقال له يحيى يتعبد فى غرفة ليس إليها سلم ولا درج فكان إذا أراد أن يتطهر يجرى إلى باب الغرفة ويقول لا حول ولا قوة إلا بالله ويمر فى الهواء كأنه طير ثم يتطهر فإذا فرغ يقول لا حول ولا قوة إلا بالله ويعود إلى غرفته .. (أخبرنا) محمد بن عبد الله الصوفى قال سمعت عمر بن محمد بن أحمد الشيرازى بالبصرة قال سمعت أبا محمد جعفر الحذاء بشيراز قال كنت أتأدب بأبى عمر الإصطخرى فكان إذا خطر لى خاطر أخرج إلى إصطخر فرميا أجابنى عما أحتاج إليه من غير أن أسأله وربما سألت فأجابنى ثم شغلت عن الذهاب فكان إذا خطر على سرى مسألة أجابنى من إصطخر فيخاطبني بما يرد على (٢) . وحكى بعضهم قال مات فقير فى بيت مظلم فلما أردنا غسله تكلفنا طلب سراج فوق من كوة ضوء فأضاء البيت فغسلناه فلما فرغنا ذهب الضوء كأنه لم يكن (٣) . وعن آدم بن إياس قال كنا بعسقلان وشاب يغشانا ويجالسنا ويتحدث معنا فإذا فرغنا قام إلى الصلاة يصلى قال فودعنى يوماً وقال أريد الإسكندرية فخرجت معه وناولته دريهمات فأبى أن يأخذها فألححت عليه فألقى كفاً من الرمل فى ركوته واستقى من ماء البحر وقال كله فنظرت فإذا هو سويق بسكر كثير فقال من كان حاله معه مثل هذا لا يحتاج إلى دراهمك ثم أنشأ يقول :

بحق الهوى يا أهل ودى تفهموا لسان وجود بالوجود غريب

(١) (لم أعرفهم) يؤخذ من ذلك أن الخضر ولى وأنه حى وأن الولى إنما يعرف من فى درجته أو دونه لا من فوقه وقد أخبر بحياته جمع كثير من الصالحين منهم إبراهيم الخواص وإبراهيم بن أدهم وغيرهما مما يؤخذ بكلامهم .

(٢) (فيخاطبني بما يرد على) فى ذلك دلالة على صحة الخواطر التى ينشئها الله فى قلوب أوليائه جواباً عما سألوا عنه أو علقوا همهم به .

(٣) (ذهب الضوء كأنه لم يكن) الكرامة فيه ظهور الضوء عليه ليستكملوا به تنظيفه وحسن تجهيزه .

حرام على قلب تعرض للهوى
ولغـيره :

ليس فى القلب والفؤاد جميعا
هو سؤلى ومنيتى وحبيبى
موضع فارغ يراه الحبيب
وبه ما حبيت عيشى يطيب
وإذا ما السقام حل بقلبى
لم أجد غيره لسقى طيب

وحكى عن إبراهيم الآجرى قال جاءنى يهودى يتقاضى على فى دين كان له على وأنا قاعد عند الأتون أوقد تحت الآجر فقال لى اليهودى يا إبراهيم أرنى آية أسلم عليها فقلت له تفعل قال نعم فقلت انزع ثوبك فزرع فلففته ولففت على ثوبه ثوبى وطرحته فى النار ثم دخلت الأتون وأخرجت الثوب من وسط النار وخرجت من الباب الآخر فإذا ثيابى بحالها لم يصبها شىء وثيابه فى وسطها صارت حراقة فأسلم اليهودى وقيل كان حبيب العجمى يرى بالبصرة يوم التروية ويوم عرفة بعرفات سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت أحمد بن محمد بن عبد الله الفرغانى يقول تزوج عباس بن المهتدى امرأة فلما كانت ليلة الدخول وقع عليه ندامة فلما أراد الدنو منها زجر عنها فامتنع من وطئها وخرج فبعد ثلاثة أيام ظهر لها زوج .. (قال الأستاذ) هذا هو الكرامة على الحقيقة حيث حفظ عليه العلم وقيل كان الفضيل على جبل من جبال منى فقال لو أن ولياً من أولياء الله تعالى أمر هذا الجبل أن يميد لماد قال فتحرك الجبل فقال اسكن لم أردك بهذا فسكن الجبل وقال عبد الواحد بن زيد لأبى عاصم البصرى كيف صنعت حين طلبك الحجاج قال كنت فى غرفتى فدقوا على الباب فدخلوا فدفعت بى دفعة فإذا أنا على أبى قبيس بمكة فقال لى عبد الواحد من أين كنت تأكل قال كانت تصعد إلى عجوز كل وقت إفطارى بالرغيفين اللذين كنت آكلهما بالبصرة فقال عبد الواحد تلك الدنيا أمرها

الله تعالى أن تخدم أبا عاصم^(١) . وقيل كان عامر بن عبد قيس يأخذ عطاءه ولا يستقبله أحد إلا أعطاه شيئاً وكان إذا أتى منزله رمى إليه بالدرهم فيكون بمقدار ما أخذه لم ينقص^(٢) . سمعت أبا عبد الله الشيرازي يقول سمعت أبا أحمد الكبير يقول سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول سمعت أبا عمرو الزجاجي يقول دخلت على الجنيد وكنت أريد أن أخرج إلى الحج فأعطاني درهما صحيحاً فشددته على مئزرى فلم أدخل منزلاً إلا وجدت رفقاء^(٣) . ولم احتج إلى الدرهم فلما حجبت ورجعت إلى بغداد دخلت على الجنيد فمد يده^(٤) . وقال^(٥) . هات^(٦) . فنأولته الدرهم فقال كيف كان فقلت كان الحتم^(٧) . نافذا . وحكى عن أبي جعفر الأعور قال كنت عند ذى النون المصري فتذاكرنا حديث طاعة الأشياء للأولياء فقال ذو النون من الطاعة أن أقول لهذا السرير يدور في أربع زوايا البيت ثم يرجع إلى مكانه فيفعل قال فدار السرير في أربع زوايا البيت وعاد إلى مكانه وكان هناك شاب فأخذ يبكي حتى مات في الوقت وقيل إن واصلاً الأحذب قرأ : ﴿ وفي السماء رزقكم وما توعدون ﴾ فقال رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض والله لا طلبته أبداً فدخل خربة ومكث يومين فلم يظهر له شيء فاشتد عليه فلما كان اليوم الثالث إذا بدوخلة من رطب وكان له أخ أحسن منه نية فصار معه فإذا قد صارتا دوختين فلم يزل ذلك حالهما حتى فرق بينهما الموت وقال بعضهم أشرفت على إبراهيم بن أدهم وهو في بستان يحفظه وقد أخذه النوم وإذا حية في فيها طاقة نرجس تروحه بها وقيل كان جماعة مع أيوب السجستاني في السفر فأعياهم طلب الماء فقال أيوب أتسترون على ما عشت فقالوا

- (١) (أن تخدم أبا عاصم) الكرامة فيه مع ما مر حصول الرغيفين له كل ليلة عند إفطاره من حيث لا يحتسب ﴿ ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ .
- (٢) (لم ينقص شيئاً) هذه كرامة نزول البركة في المال الحلال الذي مع الصالحين حيث لم ينقص شيئاً بالتصدق منه .
- (٣) (رفقاء) أى رفقة كما في نسخة ارتفق بهم فيما احتاجه من مأكل وغيره .
- (٤) (فمد يده) إلى .
- (٥) (وقال) لى مكاشفة بأن الدرهم معى ولم أحتج إليه .
- (٦) (هات) أى الدرهم الذى أعطيتكه .
- (٧) (الحتم) بالمهمله أى الأمر .

نعم فدور دائرة فنبع الماء فشرينا قال فلما قدموا البصرة أخبر به حماد بن زيد فقال عبد الواحد بن زيد شهدت معه ذلك اليوم وقال أبو بكر بن عبد الرحمن كنا مع ذى النون المصرى فى البادية فنزلنا تحت شجرة أم غيلان فقلنا ما أطيب هذا الموضع لو كان فيه رطب فتبسم ذو النون وقال أتشتهون الرطب وحرك الشجرة وقال أقسمت عليك بالذى ابتدأك وخلفك شجرة إلا نثرت علينا رطباً جنيئاً ثم حركها فنثرت رطباً فأكلنا وشبعنا ثم نمنا فانتبهنا وحركنا الشجرة فنثرت علينا شوكة .. وحكى عن أبى القاسم بن مروان النهاوندى قال كنت أنا وأبو بكر الوراق مع أبى سعيد الخراز نمشى على ساحل البحر نحو صيدا فرأى شخصاً من بعيد فقال اجلسوا لا يخلوا هذا الشخص أن يكون ولياً من أولياء الله قال فما لبثنا أن جاء شاب حسن الوجه وبيده ركوة ومعه محبرة وعليه مرقعة فالتفت أبو سعيد إليه منكرأ عليه لحمله المحبرة مع الركوة فقال له يا فتى كيف الطرق إلى الله تعالى فقال يا أبا سعيد أعرف إلى الله طريقين طريقاً خاصاً وطريقاً عاماً فأما الطريق العام فالذى أنت عليه وأما الطريق الخاص فهلم ثم مشى على الماء حتى غاب عن أعيننا فبقى أبو سعيد حيران مما رأى وقال الجنيد جئت مسجد الشونيزية فرأيت فيه جماعة من الفقراء يتكلمون فى الآيات فقال فقير منهم أعرف رجلاً لو قال لهذه الأسطوانة كونى ذهباً نصفك ونصفك فضة كانت قال الجنيد فنظرت فإذا الاسطوانة نصفها ذهب ونصفها فضة وقيل حج سفيان الثورى مع شيبان الراعى فعرض لهما سبع فقال سفيان لشيبيان أما ترى هذا السبع فقال لا تخف فأخذ شيبان أذنه فعركها فبصبص وحرك ذنبه فقال سفيان ماهذه الشهرة فقال لولا مخافة الشهرة لما وضعت زادى^(١) . إلا على ظهره حتى آتى مكة . حكى أن السرى لما ترك التجارة كانت أخته تنفق عليه من ثمن عزلها فأبطأت يوماً فقال لها السرى لم أبطأت فقالت لأن غزلى لم يشتر وذكروا أنه مخط فامتنع السرى عن

(١) (لما وضعت زادى .. إلخ) فيه دلالة على أن الكرامات إنما يظهرها الأولياء لأقرانهم ومن قاربهم ليقوى يقينهم وترتفع هماتهم ولا شهرة فى ذلك إنما الشهرة لمن لا يقتدى به ولا ينتفع بها بل قد يتضرر بإنكارها فيسئ إلى نفسه .

طعامها ثم إن أخته دخلت عليه يوماً فرأت عجوزاً تكنس بيته وتحمل كل يوم إليه رغيفين فحزنت أخته وشكت إلى أحمد بن حنبل فقال أحمد بن حنبل للسري فيه فقال لما امتنعت من أكل طعامها قيص الله لي الدنيا ^(١) . لتنفق على وتخدمني ^(٢) ...

(أخبرنا) محمد بن عبد الله الصوفي قال حدثنا علي بن هارون قال حدثنا علي بن أحمد التميمي قال حدثنا جعفر بن القاسم الخواص قال حدثنا أحمد بن محمد الطوسي قال حدثنا محمد بن منصور الطرسوسي قال كنت عند أبي محفوظ معروف الكرخي فدعا لي ورجعت إليه من الغدو في وجهه أثر فقال له إنسان يا أبا محفوظ كنا عندك بالأمس ولم يكن بوجهك هذا الأثر فما هذا فقال سل عما يعينك فقال الرجل بمعبودك أن تقول فقال صليت البارحة ههنا واشتهيت أن أطوف بالبيت فمضيت إلى مكة وطفقت ثم ملت إلى زمزم لأشرب من مائها فزلقت على الباب فأصاب وجهي ما تراه وقيل كان عتبة الغلام يقعد فيقول يا ورشان ^(٣) . إن كنت أطوع لله عز وجل مني فتعال واقعد على كفي فيجيء الورشان ويقعد على كفه .. وحكى عن أبي علي الرازي أنه قال مررت يوماً على الفرات فعرضت لنفسى شهوة السمك الطرى فإذا الماء قد قذف سمكة نحوى ^(٤) . وإذا رجل يعدو ويقول أشويها لك فقلت نعم فشواها فقعدت وأكلتها (وقيل) كان إبراهيم بن أدهم في رفقته فعرض لهم السبع فقالوا يا أبا إسحاق قد عرض لنا السبع فجاءني إبراهيم وقال يا أسد إن كنت أمرت فينا بشيء فامض وإلا فارجع فرجع الأسد ومضوا وقال حامد الأسود كنت مع الخواص في البرية فبتنا عند شجرة إذ جاء السبع فصعدت الشجرة إلى الصباح لا يأخذني النوم ونام إبراهيم الخواص والسبع يشم من رأسه إلى قدمه ثم مضى فلما

(١) (قيص الله لي الدنيا) أى جاءني بها على يد من شاء من أوليائه .

(٢) (تخدمني هي) وأظهر ذلك لأخته في صورة امرأة ليسكن قلبها وتطلع عليه وتعلم أنه تعالى لا يضيع أخاها .

(٣) (يا ورشان) بفتح الواو والراء نوع من الطيور .

(٤) (نحوى) أى جهتى .

كانت الليلة الثانية بتنا في مسجد في قرية فوقعت بقعة على وجهه فضربته فأن أنه فقلت هذا عجب البارحة لم تجزع من الأسد واللييلة تصيح من البوق فقال أما البارحة فتلك حالة كنت فيها بالله عز وجل وأما الليلة فهذه حالة أنا فيها بنفسى . وحكى عن عطاء الأزرق أنه دفعت إليه امرأته درهمين من ثمن غزلها ليشتري الدقيق فخرج من بيته فلقى جارية تبكى فقال لها ما بالك فقالت دفع إلى مولاي درهمين أشتري لهم شيئاً فسقطا منى فأخاف أن يضربنى فدفع عطاء الدرهمين إليها ومر وقعد على حانوت صديق له ممن يشق الساج وذكر له الحال وما يخاف من سوء خلق امرأته فقال له صاحبه خذ من هذه النشارة في هذا الجراب لعلكم تنتفعون بها في سجر التنور إذ ليس يساعدنى الإمكان فى شىء آخر فحمل النشارة وفتح باب داره ورمى بالجراب ورد الباب ودخل المسجد إلى ما بعد العتمة ليكون النوم أخذهم ولا تستطيل عليه المرأة فلما فتح الباب وجدهم يخبزون الخبز فقال من أين لكم هذا الخبز فقالوا من الدقيق الذى كان فى الجراب لا تشتتر غير هذا الدقيق قال أفعل إن شاء الله تعالى . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا جعفر بن بركات يقول كنت أجالس الفقراء ففتح على بدينار فأردت أن أدفعه إليهم ثم قلت فى نفسى لعلى أحتاج إليه فهاج بى وجع الضرر فقلعت سناً فوجعت الأخرى حتى قلعتها فهتف بى هاتف إن لم تدفع إليهم الدينار فلا يبقى فى فمك سنة واحدة (قال الأستاذ) وهذا فى باب الكرامة أتم من أن يفتح عليه دنائير كثيرة بنقض العادة . وحكى أبو سليمان الدارانى قال خرج عامر بن عبد قيس إلى الشام ومعه شكوة إذا شاء صب منها ماء يتوضأ للصلاة وإذا شاء صب منها لبناً يشربه وروى عثمان بن أبى العاتكة قال كنا فى غزاة فى أرض الروم فبعث الوالى سرية إلى موضع وجعل الميعاد يوم كذا قال فجاء الميعاد ولم تقدم السرية فبينما أبو مسلم يصلى إلى رمحه الذى ركزه فى الأرض جاء طير إلى رأس السنان وقال إن السرية قد سلمت وغنمت وسيردون عليكم يوم كذا فى وقت كذا فقال أبو مسلم للطير من أنت رحمك الله تعالى فقال أنا مذهب الحزن عن قلوب المؤمنين فجاء أبو مسلم إلى الوالى وأخبره فلما كان اليوم الذى

قال أنت السرية على الوجه الذى قال (وعن بعضهم) قال كنا فى مركب فمات رجل كان معنا عليل فأخذنا فى جهازه وأردنا أن نلقيه فى البحر فصار البحر جافاً ونزلت السفينة فخرجنا وحفرنا له قبراً ودفعناه فلما فرغنا^(١) استوى الماء^(٢) وارتفع المركب وسرنا وقيل إن الناس أصابتهم مجاعة بالبصرة فاشتري حبيب العجمى طعاماً بالنسيئة وفرقه على المساكين وأخذ كيسه فجعله تحت رأسه فلما جاءوا يتقاضونه أخذه وإذا هو مملوء دراهم فقضى منها ديونهم وقيل أراد إبراهيم بن أدهم أن يركب السفينة فأبوا إلا أن يعطيهم ديناراً فصلى على الشط ركعتين وقال اللهم إنهم قد سألوني ما ليس عندي فصار الرمل بين يده دنانيـــــر (حدثنا) محمد بن عبد الله الصوفى قال حدثنا عبد العزيز بن الفضل قال حدثنا محمد بن أحمد المروزى قال حدثنا عبد الله بن سليمان قال قال أبو حمزة نصر بن الفرج خادم أبى معاوية الأسود قال كان أبو معاوية ذهب بصره فإذا أراد أن يقرأ نشر المصحف فيرد الله عليه بصره^(٣) . فاذا أطبق المصحف ذهب بصره وقال أحمد بن الهيثم المتطيب قال لى بشر الحافى قل لمعروف الكرخى إذا صليت جئتكَ قال فأديت الرسالة وانتظرتة فصلينا الظهر ولم يجرى ثم صلينا العصر ثم المغرب ثم العشاء فقلت فى نفسى سبحان الله مثل بشر يقول شيئاً ثم لا يفعل لا يجوز أن لا يفعل وانتظرتة وأنا فوق مسجد على مشرعة فجاء بشر بعد هوى من الليل وعلى رأسه سجادة فتقدم إلى دجلة ومشى على الماء فرميت بنفسى من السطح وقبلت يديه ورجليه وقلت ادع الله لى فدعا لى وقال استره على قال فلم أتكلم بهذا حتى مات^(٤) .. (أخبرنا) أبو عبد الله الشيرازى قال حدثنا أبو الفرج الورثانى قال سمعت

(١) (فلما فرغنا) من دفنه وركبنا السفينة .

(٢) (استوى الماء) كما كان وارتفع المركب عليه وسرنا إلى مقصدنا .

(٣) (فيرد الله عليه بصره) إكراماً له فإن فى القراءة فى المصحف زيادة أجر على القراءة بالغائب لاستعمال أكثر الأعضاء فيها ولأنها أقوى تدبراً .

(٤) (حتى مات) رضى الله عنه الكرامة فيه مشيه على الماء وقوله إذا صليت أتيتك كأنه بنية صلاة العشاء ومع ما عادته أن يصليه بعدها وظن الرسول أنه إذا أراد عقب صلاة =

على بن يعقوب بدمشق قال سمعت أبا بكر محمد بن أحمد يقول سمعت قاسما الجرعى يقول رأيت رجلا فى الطواف لا يزيد على قوله إلهى قضيت حوائج الكل ولم تقض حاجتى فقلت مالك لا تزيد على هذا الدعاء فقال أحدثك اعلم أنا كنا سبعة أنفس من بلدان شتى فخرجنا إلى الجهاد فأسرنا الروم ومضوا بنا لنقتل فرأيت سبعة أبواب فتحت من السماء وعلى كل باب جارية حسناء من الحور العين فقدم واحد منا فضربت عنقه فرأيت جارية منهن هبطت إلى الأرض بيدها منديل فقبضت روحه حتى ضرب أعناق ستة منا فاستوهبني بعض رجالهم فقالت الجارية أى شىء فاتك يا محروم وغلقت الأبواب فأنا يا أخى متأسف متحسر على ما فاتنى قال قاسم الجرعى أراه أفضلهم لأنه رأى ما لم يروا وعمل على الشوق بعدهم . وسمعت يقول سمعت أبا النجم أحمد بن الحسين بخورستان يقول سمعت أبا بكر الكتانى يقول كنت فى طريق مكة فى وسط السنة فإذا أنا بهميان ملآن يلتمع دنائير فهممت أن أحمله لأفرقه بمكة على الفقراء فهتف بى هاتف إن أخذته سلبناك فقرك .. (حدثنا) محمد بن محمد بن عبد الله الصوفى قال حدثنا أحمد بن يوسف الخياط قال سمعت أبا على الروذبارى يقول سمعت أبا العباس الشرفى يقول كنا مع أبى تراب النخشبى فى طريق مكة فعدل عن الطريق إلى ناحية فقال له بعض أصحابه أنا عطشان فضرب برجله الأرض فإذا عين من ماء زلال فقال الفتى أحب أن أشربه فى قدح فضرب بيده إلى الأرض فناوله قدحا من زجاج أبيض كأحسن ما رأيت فشرب وسقانا وما زال القدح معنا إلى مكة فقال لى أبو تراب يوما ما يقول أصحابك فى هذه الأمور التى يكرم الله بها عباده فقلت ما رأيت أحدا إلا وهو يؤمن بها فقال من لم يؤمن بها فقد كفر إنما سألتك من طريق الأحوال فقلت ما أعرف لهم قولا فيه قال بلى قد زعم أصحابك أنها خدع من الحق وليس الأمر كذلك إنما الخدع فى حال السكون إليها فأما من لم يقترح ذلك ولم يساكنها فتلك مرتبة الريانيين (حدثنا) محمد بن عبلة الصوفى قال حدثنا أبو الفرج الورثانى قال سمعت محمد بن الحسين الخدى بطرسوس قال

سمعت أبا عبد الله بن الجلاء يقول كنا في غرفة سرى السقطى ببغداد فلما ذهب من الليل شيء لبس قميصا نظيفا وسراويل ورداء ونعلا وقام ليخرج فقلت إلى أين في هذا الوقت فقال أعود فتحا الموصلى فلما مشى في طرقات بغداد أخذه العسس وحسوه فلما كان من الغد أمر بضربه مع المحبوسين فلما رفع الجلاد يده ليضربه وقف يده فلم يقدر أن يحركها فقبل للجلاد اضرب فقال بحذائي شيخ واقف يقول لا تضربه فتقف يدي لا تتحرك فظفروا من الرجل فإذا هو فتح الموصلى فلم يضربه (أخبرنا) الشيخ عبد الرحمن السلمى قال حدثنا الحارث الخطابى قال حدثنا محمد بن الفضل قال حدثنا علي بن مسلم قال حدثنا سعيد بن يحيى البصرى قال كان أناس من قریش يجلسون إلى عبد الواحد بن زيد فأتوه يوما وقالوا إنا نخاف من الضيقة والحاجة فرفع رأسه إلى السماء وقال اللهم إني أسألك باسمك المرتفع الذى تكرم به من شئت من أوليائك وتلهمه الصبر من أحبابك أن تأتينا برزق من لدنك نقطع به علائق الشيطان من قلوبنا وقلوب أصحابنا هؤلاء فأنت الحنان المنان القديم الإحسان .. اللهم الساعة الساعة قال سمعت والله قعقة للسقف ثم تناثرت علينا دنانير ودراهم فقال عبد الواحد ابن زيد استغنوا بالله عز وجل عن غيره فأخذوا ذلك ولم يأخذ عبد الواحد بن زيد شيئا . سمعت أبا عبد الله الشيرازى يقول سمعت أبا عبد الله محمد بن على الجوزى بجند بنيسابور^(١) سمعت الكتانى رأيت بعض الصوفية وكان غريبا ما كنت أثبته قد تقدم إلى الكعبة وقال يارب ما أدرى ما يقول هؤلاء يعنى الطائفين فقيل له انظر ما فى هذه الرقعة قال فطارت الرقعة فى الهواء وغابت .. وسمعت يقول سمعت عبد الواحد ابن بكر الورتانى يقول سمعت محمد بن على بن الحسين المقرئ بطرسوس يقول سمعت أبا عبد الله بن الجلاء يقول اشتهدت والدتى على والدى يوما من الأيام سمكا فمضى والدى إلى السوق وأنامعه فاشتري سمكا وقف ينتظر من يحمله فرأى صبيا وقف بحذائه مع صبى فقال ياعم تريد من يحمله فقال نعم فحملة ومشى معنا فسمعنا

(١) (قوله بجند بنيسابور) قال شيخ الإسلام زكريا الأنصارى لعله اسم مكان اهـ وفى تقويم البلدان لأبى الفداء من اللباب بضم الجيم وسكون النون وفتح الدال المهملة بعدها مثناة من تحت وفتح السين المهملة وألف وباء وواو وراء مهملة مدينة خضبة كثيرة الخير وبها قبر الملك يعقوب الصفار وهما من خوزستان ومنها إلى تستر بلد التستريثمانية فراسخ وإلى مدينة السوس ستة فراسخ اهـ ويقال لها جنديسابور.

الأذان فقال الصبى أذن المؤذن وأحتاج أن أتطهر وأصلى فإن رضيت وإلا فاحمل السمك ووضع الصبى السمك ومرفق فقال أبى فنحن أولى أن نتوكل فى السمك فدخلنا المسجد فصلينا وجاء الصبى وصلى فلما خرجنا فإذا بالسمك موضوع مكانه فحمله الصبى ومضى معنا إلى دارنا فذكر والدى ذلك لوالدتى فقالت قل له حتى يقيم عندنا ويأكل معنا فقلنا له فقال إنى صائم فقلنا فتعود إلينا بالعشى فقال إذا حملت مرة فى اليوم لا أحمل ثانيا ولكنى سأدخل المسجد إلى المساء ثم أدخل عليكم فمضى فلما أمسينا دخل الصبى وأكلنا فلما فرغنا دللناه على موضع للطهارة ورأينا فيه أنه يؤثر الخلوة فتركناه فى بيت فلما كان فى بعض الليل كان لقریب لنا بنت زمرة فجاءت تمشى فساءلناها عن حالها فقالت قلت يارب بحرمة ضيفنا أن تعافينى فقامت قالت فمضينا لنطلب الصبى فإذا الأبواب مغلقة كما كانت ولم نجد الصبى فقال أبى فمنهم ^(١) . صغير ومنهم كبير ^(٢) . سمعت محمد بن الحسين يقول حدثنا أبو الحارث الخطابى قال حدثنا محمد بن الفضل قال حدثنا على بن مسلم قال حدثنا سعيد بن يحيى البصرى قال أتيت عبد الواحد بن زيد وهو جالس فى ظل فقلت له لو سألت الله أن يوسع عليك الرزق لرجوت أن يفعل فقال ربي أعلم بمصالح عبادته ثم أخذ حصى من الأرض ثم قال اللهم إن شئت أن تجعلها ذهباً فعلت فإذا هى والله فى يده ذهباً فألقاها إلى ^(٣) . وقال أنفقها أنت فلا خير فى الدنيا إلا للآخرة . سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت الحسين بن أحمد الفارسى يقول سمعت الرقى يقول سمعت أحمد بن منصور يقول قال لى أستاذى أبو يعقوب السوسى غسلت مريدا فأمسك إبهامى وهو على المغتسل فقلت يا بنى خل يدي أنا أدرى أنك لست بميت وإنما هى

(١) (فمنهم) أي الأولياء .

(٢) (صغير ومنهم كبير) فى ذلك كرامات لا تخفى ودلالة على أن هذا الصبى كان وليا وأنه كان يأكل من كسبه وإنه إذا حمل مرة لا يحمل ثانيا وأنه لما زهد فى أجرته وهان عليه تركها لأجل الصلاة لما أذن المؤذن أثر صدقه فى أصحاب السمك حتى تركوه وصلوا معه والسمك مكانه لم يصبه شيء .

(٣) (فألقاها إلى) ليعرفنى أن الله على كل شيء قدير .

نقطة من دار إلى دار فخلى يدي وسمعتة يقول سمعت أبا بكر أحمد بن محمد الطرسوسي يقول سمعت إبراهيم بن شيبان يقول صحبني شاب حسن الإرادة فمات فاشتغل قلبي به جدا وتوليت غسله فلما أردت غسل يديه بدأت بشماله من الدهشة فأخذها مني وناولني يمينه فقلت صدقت يا بني أنا غلظت^(١). وسمعتة يقول سمعت أبا النجم المقرئ البرذعي بشيراز يقول سمعت الرقي يقول سمعت أحمد بن منصور يقول سمعت أبا يعقوب السوسي يقول جاءني مريد بمكة فقال يا أستاذ أنا غدا أموت وقت الظهر فخذ هذا الدينار فاحفر لي بنصفه وكفني بنصفه الآخر ثم لما كان الغد جاء وطاف بالبيت ثم تباعد ومات فغسلته وكفنته ووضعت في اللحد ففتح عيني فقلت أحياء بعد موت فقال أنا حي وكل محب لله حي . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت محمد بن الحسين البغدادي يقول سمعت أبا علي بن وصيف المؤدب يقول تكلم سهل بن عبد الله يوما في الذكر فقال إن الذكر لله على الحقيقة لوهم أن يحيى الموتى لفعل ومسح يده على عليل بين يديه فبرئ وقام .. سمعت أبا عبد الرحمن الشيرازي يقول أخبرني علي بن إبراهيم بن أحمد قال حدثنا عثمان بن أحمد قال حدثنا الحسين بن عمر قال سمعت بشر بن الحارث يقول كان عمرو بن عتبة يصلي والغمام فوق رأسه وللسباع حوله تحرك أذنانها . وسمعتة يقول سمعت أبا عبد الله بن مفلح يقول سمعت المغازلي يقول سمعت الجنيد يقول كانت معي أربعة دراهم فدخلت على السرى وقلت هذه أربعة دراهم حملتها إليك فقال أبشر يا غلام بأنك تفلح كنت أحتاج إلى أربعة دراهم فقلت اللهم ابعثها على يد من يفلح عندك . وسمعتة يقول حدثني إبراهيم بن أحمد الطبري قال حدثنا أحمد بن يوسف قال حدثنا أحمد بن إبراهيم ابن يحيى قال حدثني أبي قال حدثني أبو إبراهيم اليماني قال خرجنا نسير على ساحل البحر مع إبراهيم بن أدهم فانتبهنا إلى غيضة فيها حطب يابس كثير بالقرب منه حصن فقلنا لإبراهيم بن أدهم لو أقمنا الليلة هنا وأوقدنا من هذا الحطب فقال افعلوا فطلبنا النار من الحصن فأوقدنا وكان معنا الخبز فأخرجنا نأكل فقال واحد منا ما أحسن هذا

(١) (أنا غلظت) الكرامة في ذلك ظاهرة وفيه حفظ الغاسل والمغسول .

الجمر لو كان لنا لحم نشويه عليه فقال إبراهيم بن أدهم إن الله تعالى لقادر على أن يطعمكموه قال فبينما نحن كذلك إذا بأسد يطرد أَيْلاً^(١) . فلما قرب منا وقع فاندقت^(٢) . عنقه فقام إبراهيم بن أدهم وقال اذبحوه فقد أطعمكم الله فذبحناه موشوينا من لحمه^(٣) . والأسد واقف ينظر إلينا .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا القاسم عبد الله بن علي الشجري يقول سمعت حامدا الأسود يقول كنت مع إبراهيم الخواص في البادية سبعة أيام على حالة واحدة فلما كان السابع ضعفت فجلست فالتفت إلى وقال مالك فقلت ضعفت فقال أيما أغلب عليك الماء أو الطعام فقلت الماء فقال الماء وراءك فالتفت فإذا عين ماء كاللبن الحليب فشرب وتطهرت وإبراهيم ينظر ولم يقربه فلما أردت القيام هممت أن أحمل منه فقال أمسك فإنه ليس مما يتزود منه . سمعت أبا عبد الله بن عبد الله يقول سمعت أبا عبد الله الدباس البغدادى يقول سمعت فاطمة أخت أبى على الروذبارى تقول سمعت زيتونة خادمة أبى الحسين النورى وكانت تخدمه وخدمت أبا حمزة والجنيد قالت كان يوم بارد فقلت للنورى أحمل إليك شيئا فقال نعم فقلت إيش تريد قال خبز ولبن فحملت وكان بين يديه فحم وكان يقبلها بيده وقد اشتغلت يده فأخذ يأكل الخبز واللبن يسيل على يديه وعليها سواد الفحم فقلت فى نفسى ما أقذر أولياءك يارب ما فيهم أحد نظيف قالت فخرجت من عنده فتعلقت بى امرأة وقالت سرقت لى رزمة ثياب وجرونى إلى الشرطى فأخبر النورى بذلك فخرج وقال للشرطى لا تتعرضوا لها فإنها ولىة من أولياء الله تعالى فقال الشرطى كيف أصنع والمرأة تدعى قال فجاءت جارية ومعها الرزمة المطلوبة فاسترد النورى المرأة وقال لها لا تقولين بعدها ما أقذر أولياءك قالت فقلت تبت إلى الله تعالى^(٤) سمعت محمد بن

(١) (أَيْلاً) بفتح الهمزة وكسرها وتشديد الياء لذكر من الأوعال قاله الجوهرى فى الصحاح .

(٢) (فاندقت عنقه) ولم يصل إلى حركة المذبوح وفى نسخة ومد عنقه فذبحناه .

(٣) (وشوينا من لحمه .. إلخ) الكرامة فى ذلك أنهم لما تمنوا من الله أن يأتيهم باللحم يشوونه ويأكلونه أتاهم الله به على الوجه المذكور .

(٤) (قالت فقلت تبت إلى الله تعالى) فى ذلك كرامة لها وله أما لها فتعجيل أدبها فى الدنيا على ما قالت له وأما له فمكاشفة لما قالت .

عبد الله الشيرازي يقول سمعت محمد بن فارس الفارسي يقول سمعت أبا الحسن خير النساج يقول سمعت الخواص يقول عطشت في بعض أسفاري وسقطت من العطش فإذا أنا بماء رش على وجهي ففتحت عيني فإذا أنا برجل حسن الوجه راكب دابة شهباء فسقاني الماء وقال كن رديفي وكنت بالحجاز فما لبثت إلا يسيرا فقال لي ماترى فقلت أرى المدينة فقال انزل وأقرئ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مني السلام وقل أخوك الخضر يقرئك السلام . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يقول سمعت محمد بن الحسن البغدادي يقول قال أبو الحديد سمعت المظفر الجصاص يقول كنت أنا ونصر الخراط ليلة في موضع فتذاكرنا شيئا من العلم فقال الخراط إن الذاكر لله تعالى فائدته في أول ذكره أن يعلم أن الله تعالى ذكره فبذكر الله ذكره قال فخالفته فقال لو كان الخضر عليه السلام ههنا لشهد بصحته قال فإذا نحن بشيء يجيء بين السماء والأرض حتى بلغ إلينا وسلم . وقد صدق الذاكر لله تعالى بفضل ذكر الله تعالى له ذكره فعلمنا أنه الخضر عليه السلام .. سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول جاء رجل إلى سهل بن عبد الله وقال إن الناس يقولون إنك تمشي على الماء فقال سل مؤذن المحلة فإنه رجل صالح لا يكذب قال فسألته فقال المؤذن لا أدري هذا ولكنه كان في بعض هذه الأيام نزل الحوض ليتطهر فوق في الماء فلولم أكن أنا لبقى فيه (قال الأستاذ أبو علي الدقاق) إن سهلا كان بتلك الحالة التي وصف ولكن الله تعالى يريد أن يستر أوليائه فأجرى ما وقع من حديث المؤذن والحوض سترًا لحال سهل وسهل كان صاحب الكرامات .. وفي قريب من هذا المعنى ما حكى عن أبي عثمان المغربي قال رأيته بخط أبي الحسين الجرجاني قال أردت مرة أن أمضي إلى مصر فخطر لي أن أركب السفينة ثم خطر ببالي أن أعرف هناك فخفت الشهرة فمر مركب فبدأ لي فمشيت على الماء ولحق بالمركب ودخلت السفينة والناس ينظرون ولم يقل أحد إن هذا ناقض للعادة أو غير ناقض فعرفت أن الولي مستور وإن كان مشهورا (ومما شاهدنا) من أحوال الأستاذ أبي علي الدقاق رضي الله عنه معاينة أنه كان به علة حرقه البول وكان يقوم في ساعة غير مرة حتى كاد يجدد الوضوء غير

مرة لركعتي فرض وكان يحمل معه قارورة في طريق المجلس وربما كان يحتاج إليها في الطريق مرات ذاهباً وجائياً وكان إذا قعد على رأس الكرسي يتكلم لا يحتاج إلى الطهارة ولو امتد به المجلس زماناً طويلاً وكنا نعاين ذلك منذ سنين ولم يقع لنا في حياته أن هذا شيء ناقض لعادته وإنما وقع لي هذا وفتح على علمه بعد وفاته (وفي قريب من هذا) ما يحكى عن سهل بن عبد الله أنه كان قد أصابته زمانة في آخر عمره وكان ترد عليه القوة في أوقات الفرض فيصلى قائماً ومن المشهور أن عبد الله الوزان كان مقعداً وكان في السماع إذا ظهر به وجد يقوم ويستمع^(١) .. (سمعت) محمد بن عبد الله الصوفى يقول حدثنا إبراهيم بن محمد المالكى قال حدثنا يوسف ابن أحمد البغدادي قال حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال حججت أنا وأبو سليمان الداراني فبينما نحن نسير إذ سقطت السطيحة^(٢) . منى فقلت لأبى سليمان فقدت السطيحة وبقينا بلا ماء وكان برد شديد فقال أبو سليمان ياراد الضالة وياهادياً من الضلالة اردد علينا الضالة فإذا واحد ينادى من ذهببت له سطيحة قال فقلت أنا فأخذتها^(٣) . فبينما نحن نسير وقد تدرعنا بالفراء لشدة البرد فإذا نحن بإنسان عليه طمران^(٤) . وهو يترشح عرقاً^(٥) . فقال أبو سليمان تعالى ندفع إليك شيئاً مما علينا من الثياب فقال يا أبا سليمان أتشير بالزهد وأنت تجد البرد أنا أسبح في هذه البرية منذ ثلاثين سنة ما انتفضت ولا ارتعدت يلبسنى الله في البرد فيحاً من محبته ويلبسنى في الصيف مذاق برد محبته ومر (وسمعت) يقول .. سمعت أبا بكر محمد بن على التكريتى يقول سمعت محمد بن على الكتانى بمكة يقول سمعت الخواص يقول كنت في البادية مرة فسرت في وسط النهار فوصلت إلى شجرة وبالقرب منها ماء

(١) (يقوم ويستمع) في كل من هذه الحكايات الثلاث كرامة وعون لصاحبها على مطلوبه ودلالة على صدقه في طاعة الله .

(٢) (السطيحة) أى القرية .

(٣) (قال فقلت أنا فأخذتها) منه هذه كرامة إجابة دعاء أبى سليمان رحمه الله تعالى .

(٤) (طمران) أى ثوبان خلقان .

(٥) (وهو يترشح عرقاً) هذه كرامة حيث لا يبالي بحر ولا برد لكمال شغله بربه فلا يحس بشيء مما يحس به البشر من أمور الدنيا .

فنزلت فإذا أنا بسبع عظيم أقبل فاستسلمت فلما قرب منى إذا هو يعرج فحمحم^(١) .
 وبرك بين يدي ووضع يده في حجرى^(٢) . فنظرت فإذا يده منتفخة فيها قيح ودم
 فأخذت خشبة وشققت الموضع الذى فيه القيح وشدت على يده خرقة ومضى فإذا أنا
 به بعد ساعة ومعه شبلان يبصبصان لى وحملا إلى رغيفا (وسمعت) يقول حدثنا
 أحمد بن على السائح قال حدثنا محمد بن عبد الله بن مطرف قال حدثنا محمد بن
 الحسن العسقلانى قال حدثنا أحمد بن الحوارى قال اشتكى محمد بن السماك فأخذنا
 ماءه وانطلقنا به إلى الطبيب وكان نصرانيا فبينما نحن بين الحيرة والكوفة استقبلنا
 رجل حسن الوجه طيب الرائحة نقى الثوب فقال لنا إلى أين تريدون فقلنا نريد فلانا
 الطبيب نريه ماء ابن السماك فقال سبحان الله تستعينون على ولى الله بعدو الله اضربوا
 به الأرض وارجعوا إلى ابن السماك وقولوا له ضع يدك على موضع الوجع وقل بالحق
 أنزلناه وبالحق نزل ثم غاب عنا فلم نره فرجعنا إلى ابن السماك فأخبرناه بذلك فوضع
 يده على موضع الوجع وقال ما قال الرجل فعوفى فى الوقت فقال ذلك كان الخضر
 عليه السلام .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الرحمن بن محمد الصوفى
 يقول سمعت عمى البسطامى يقول كنا قعودا فى مجلس أبى يزيد البسطامى فقال قوموا
 بنا نستقبل ولياً من أولياء الله تعالى فقمنا معه فلما بلغنا الدرب فإذا إبراهيم ابن شيبه
 الهروى فقال له أبو يزيد وقع فى خاطرى أن أستقبلك واشفع لك إلى ربى فقال إبراهيم
 ابن شيبه لو شفعتك فى جميع الخلق لم يكن بكثير إنما هم قطعة طين فتحير أبو يزيد من
 جوابه (قال الأستاذ) وكرامة إبراهيم فى استصغار ذلك أتم من كرامة أبى يزيد
 فيما حصل له من الفراسة وصدق له من الحالة فى باب الشفاعة^(٣) . سمعت الشيخ أبا
 عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول
 سمعت ذا النون المصرى يقول وقد سأله سالم المغربى عن أصل توبته فقال خرجت من

(١) (فحمحم) أى صوت لطلب ما ينفعه يقال حمحم الفرس إذا صوت لطلب علفه .

(٢) (ووضع يده فى حجرى) كأنه يشتكى ما به .

(٣) (فى باب الشفاعة) ولا يخفى أن الشفاعة فى جميع الخلق خاصة بنبينا عليه الصلاة والسلام .

مصر إلى بعض القرى فنمت في الطريق ثم انتبهت وفتحت عيني فإذا أنا بقنبرة عمياء سقطت من شجرة على الأرض فانشقت الأرض فخرج منها سكرتان إحداهما من ذهب والأخرى من فضة وفي إحداهما سمسم وفي الأخرى ماء ورد فأكلت من هذه وشربت من هذه^(١). فقلت حسبي^(٢). تبث ولزمت الباب إلى أن قبلني^(٣). وقيل أصاب عبد الواحد بن زيد فالج فدخل وقت الصلاة واحتاج إلى الوضوء فقال من ههنا فلم يجبه أحد فخاف فوت الوقت فقال يارب أحللني من وثاقي حتى أقضى طهارتي ثم شأنك وأمرك قال فصيح حتى أمل طهارته ثم عاد إلى فراشه وصار كما كان وقال أبو أيوب الحمال كان أبو عبد الله الديلمي إذا نزل منزلاً في سفر عمد إلى حماره وقال في أذنه كنت أريد أن أشدك فالآن لا أشدك وأرسلك في هذه الصحراء لتأكل الكلاً فإذا أردنا الرحيل فتعال فإذا كان وقت الرحيل يأتيه الحمار (وقيل) زوج أبو عبد الله الديلمي ابنته واحتاج إلى ما يجهزها به وكان له ثوب يخرج به كل وقت فيشتري بدينار فخرج له ثوب فقال له البياع إنه يساوي أكثر من دينار فلم يزلوا يزيدون في ثمنه حتى بلغ مائة دينار فجهزها وقال النضر بن شميل ابتعت إزاراً فوجدته قصيراً فسألت ربي تعالى أن يغط لي زرعاً ففعل قال الأستاذ أي يمد من مغط القوس وهو مده قال النضر ولو استزدته لزداني وقيل كان عامر بن عبد قيس سأل أن يهون عليه طهوره في الشتاء فكان يؤتى به وله بخار وسأل ربه أن ينزع شهوة النساء من قلبه فكان لا يبالي بهن وسأله أن يمنع الشيطان من قلبه وهو في صلاته فلم يجبه إليه وقال بشر بن الحارث دخلت الدار فإذا أنا برجل فقلت من أنت دخلت داري بغير إذني فقال أخوك الخضر فقلت ادع الله لي فقال هون الله عليك طاعته فقلت زدني فقال وسترها عليك وقال إبراهيم الخواص دخلت خربة في بعض الأسفار في طريق مكة بالليل فإذا فيها سبع عظيم فخفت فهتف بي هانف أثبت فإن

(١) (فأكلت من هذه وشربت من هذه) رزقها الله ذلك مع أنها لاتستطيع حيلة في الرزق
 (٢) (حسبي) أي كفاني .
 (٣) (قد تبث ولزمت الباب إلى أن قبلني) ربي أطلع ربه على هذه الخوارق تقوية ليقينه وتوكله وكما لا لشغله بربه وإعراضاً عما سواه

حولك سبعين ألف ملك يحفظونك .. (أخبرنا) محمد بن الحسين قال أخبرنا أبو الفرج الورثاني قال سمعت أبا الحسن على بن محمد الصوفي يقول سمعت جعفر الدبيلي يقول دخل النوري الماء فجاء لص فأخذ ثيابه ثم إنه جاء ومعه الثياب وقد جفت يده فقال النوري قد رد علينا الثياب فرد عليه يده فعوفى وقال الشبلي اعتقدت وقتاً أن لا آكل إلا من الحلال فكنت أدور في البراري فرأيت شجرة تين فمددت يدي إليها لآكل فنادتني الشجرة احفظ عليك عقدك لا تأكل مني فإني ليهودي .. وقال أبو عبد الله بن خفيف دخلت بغداد قاصداً إلى الحج وفي رأسي نخوة الصوفية ولم أكل الخبز أربعين يوماً ولم أدخل على الجنيد وخرجت ولم أشرب الماء إلى زبالة وكنت على طهارتي فرأيت ظبياً عند رأس البئر وهو يشرب وكنت عطشاناً فلما دنوت من البئر ولي الظبي وإذا الماء في أسفله فمشيت وقلت ياسيدي ما لي محل هذا الظبي فسمعت من خلفي جريماً فلم تصبر ارجع وخذ الماء فرجعت فإذا البئر مملوء ماء فملأت ركوتي وكنت أشرب منه وأتطهر إلى المدينة ولم ينفد ولما استقيت سمعت هاتفاً يقول إن الظبي جاء بلا ركوة ولا حبل وأنت جئت مع الركوة والحبل فلما رجعت من الحج دخلت الجامع فلما وقع بصر الجنيد على قال لو صبرت لنبيع الماء من تحت رجلك لو صبرت صبر ساعة .. سمعت حمزة بن يوسف السهمي الجرجاني يقول سمعت أبا أحمد بن عدي الحافظ يقول سمعت أحمد بن حمزة بمصر يقول حدثني عبد الوهاب وكان من الصالحين قال قال محمد بن سعيد البصري بينا أنا أمشي في بعض طرق البصرة إذ رأيت أعرابياً يسوق جملاً فالتفت فإذا الجملة قد وقع ميتاً ووقع الرجل والقتب فمشيت ثم التفت فإذا الأعرابي يقول يا مسبب كل سبب ويامولى من طلب رد على ماذهب من جمل يحمل الرجل والقتب وإذا الجملة قائم والرجل والقتب فوقه وقيل إن شبلاً المروزي انتهى لحماً فأخذ بنصف درهم فاستقبلته منه حداً في الطريق فدخل شبل مسجداً ليصلي فلما رجع إلى منزله قدمت امرأته إليه لحماً فقال من أين هذا فقالت تنازعت حدأتان فسقط هذا منهما^(١) . فقال شبل الحمد

(١) (فسقط هذا منهما) في دارنا ووضعته له فعرف أنه لحمه وأن الحدأة لما رأتها =

لله الذى لم ينس شبلا وإن كان شبل كثيراً ينساه^(١) .. (أخبرنا) محمد بن عبد الله الصوفى قال حدثنا عبد الواحد بن بكر الورثانى قال سمعت محمد بن داود يقول سمعت أبا بكر بن معمر يقول سمعت ابن أبى عبيد البسرى يحدث عن أبيه أنه غزا سنة من السنين فخرج فى السرية فمات المهر الذى كان تحته وهو فى السرية فقال يارب أعرناه حتى نرجع إلى بسرى يعنى قريته فإذا المهر قائم فلما غزا ورجع إلى بسرى قال يا بنى خذ السرج عن المهر فقلت إنه عرق فإن أخذت السرج داخله الريح فقال يا بنى إنه عارية قال فلما أخذت السرج وقع المهر ميتاً .. (وقيل) كان بعضهم نباشاً فتوفيت امرأة فصلى الناس عليها وصلى هذا النباش ليعرف القبر^(٢) فلما جن عليه الليل^(٣) نبش قبرها^(٤) فقالت سبحان الله رجل مغفور له يأخذ كفن امرأة مغفور لها^(٥) . قال هبى أنك مغفور لك فأنا من أين فقالت إن الله تعالى غفر لى ولجميع من صلى على وأنت قد صليت على قال : فتركها ورددت التراب عليها ثم تاب الرجل وحسنت توبته .. سمعت حمزة بن يوسف يقول سمعت أبا الحسن إسماعيل بن عمرو بن كامل بمصر يقول سمعت أبا محمد نعمان بن موسى الحيرى بالحيرة يقول رأيت ذا النون المصرى وقد تقاتل اثنان أحدهما من أولياء السلطان والآخر من الرعية فعدا الذى من الرعية عليه فكسر ثنيته فتعلق الجندى بالرجل وقال بينى وبينك الأمير فجازوا بذى النون فقال لهم الناس اصعدوا إلى الشيخ فصعدوا إليه فعرفوه ما جرى فأخذ السن ثم بلها بريقه وردها إلى فم الرجل فى الموضع الذى كانت فيه وحرك شفتيه فتعلقت بإذن الله تعالى فبقى الرجل يفتح فاه فلم يجد الأسنان إلا سواء .. (حدثنا) أبو الحسن محمد

= حداة أخرى تنازعتا فسقط اللحم منهما إذ لو لم يعرف أنه لحمه لوجب تعريفه لكونه لقطة فله حكمها .

(١) (وإن كان شبل كثيراً ينساه) الكرامات فيه من حيث أن الله حفظ عليه قوته وقوت عياله عند الحاجة إليه .

(٢) (ليعرف القبر) فى أخذ كفن صاحبه . (٣) (جن عليه الليل) أى أظلم .

(٤) (نبش قبرها) لىأخذ كنفها .

(٥) (مغفورة) أى مغفور لها .

ابن الحسين القطان ببغداد قال حدثنا أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل الصفار قال حدثنا الحسين بن عرفة بن يزيد قال حدثنا عبد الله بن إدريس الأورى عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي سبرة النخعي قال أقبل رجل من اليمن فلما كان في بعض الطريق نفق حماره فقام فتوضأ ثم صلى ركعتين ثم قال اللهم إني جئت مجاهداً في سبيلك ابتغاء مرضاتك وأنا أشهد أنك تحيي الموتى وتبعث من في القبور لا تجعل لأحد على منة اليوم أطلب منك أن تبعث حمارى فقام الحمار ينفض أذنيه .. سمعت حمزة بن يوسف يقول سمعت أبا بكر النابلسي يقول سمعت أبا بكر الهمداني يقول بقيت في بركة الحجاز أياماً لم أكل شيئاً فاشتبهت باقلاً حاراً وخبزاً من باب الطاق فقلت أنا في البرية وبينى وبين العراق مسافة بعيدة فلم أتم خاطري إلا وأعرابي من بعيد ينادى باقلاً حاراً وخبزاً فتقدمت إليه فقلت عندك باقلاً حاراً وخبزاً فقال نعم ويسط مئزراً كان عليه وأخرج خبزاً وباقلاً وقال لي كل فأكلت ثم قال لي كل فأكلت ثم قال لي كل فأكلت فلما قال في الرابعة قلت بحق الذى بعثك إلى إلا ما قلت لي من أنت فقال الخضر وغاب عني فلم أره^(١) ... سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت أبا العباس بن الخشاب البغدادي يقول سمعت محمد بن عبد الله الفرغاني يقول سمعت أبا جعفر الحداد يقول جئت الثعلبية وهي خراب ولى سبعة أيام لم أكل شيئاً فدخلت القبة وجاء قوم خراسانيون أصابهم جهد فطرحوا أنفسهم على باب القبة فجاء أعرابي على راحلة وصب تمرًا بين أيديهم فاشتغلوا بالأكل ولم يقولوا لي شيئاً ولم يرني إلا أعرابي فلما كان بعد ساعة فإذا بالأعرابي جاء وقال لهم معكم غيركم فقالوا نعم هذا الرجل داخل القبة قال فدخل الأعرابي وقال لي من أنت لم تتكلم مضيت فعارضني إنسان فقال لي قد خلفت إنساناً لم تطعمه ولم يمكني أن أمضى وتطولت على الطريق لأنى رجعت عن أميال وصب بين يدي التمر الكثير ومضى فدعوتهم فأكلوا وأكلت^(٢) ..

(١) (وغاب عني فلم أره) في ذلك كرامتان رؤيته الخضر وإتيانه بما يحتاجه خارقاً للعادة لأنه كان بموضع خال عن ذلك .

(٢) (فأكلوا وأكلت) معهم في ذلك من الكرامة لأبى جعفر رجوع الأعرابي إليه بعد أميال وإيثاره مع الحاجة فإنه لما جعل التمر بين يديه دعا القوم فأكلوا معه ولم يأكل وحده =

سمعت حمزة بن يوسف يقول سمعت أبا طاهر الرقى يقول سمعت أحمد بن عطاء يقول
كلمنى جمل فى طريق مكة رأيت جمالا والمحاميل عليها وقد مدت أعناقها فى الليل
فقلت سبحان من يحمل عنها ما هى فيه فالتفت إلى جمل وقال لى قل جل الله فقلت
جل الله^(١) .. سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت الحسن بن أحمد الفارسى
يقول سمعت الرقى يقول سمعت أبا بكر بن معمر يقول سمعت أبا زرعة الجنبى يقول
مكرت بى امرأة فقالت ألا تدخل الدار فتعود مريضا فدخلت فأغلقت الباب ولم أر أحدا
فعلمت ما فعلت فقلت اللهم سودها فاسودت فتحيرت وفتحت الباب فخرجت فقلت
اللهم ردها إلى حالها فردها إلى ما كانت عليه . سمعت حمزة بن يوسف يقول سمعت
أبا محمد الغرطريفى يقول سمعت السراج يقول سمعت أبا سليمان الرومى يقول سمعت
خليل الصياد يقول غاب عنى ابنى محمد فوجدنا عليه وجدا شديدا فأتيت معروفا
الكرخى فقلت يا أبا محفوظ غاب ابنى وأمه ولم أجده فقال ماتشاء فقلت ادع الله أن
يرده فقال اللهم إن السماء سماؤك والأرض أرضك وما بينهما لك إئت بمحمد قال
خليل فأتيت باب الشام فاذا هو واقف فقلت يا محمد فقال يا أبت كنت الساعة بالأنبار
(قال الأستاذ) واعلم أن الحكايات فى هذا الباب تربو على الحصر والزيادة على ما
ذكرناه تخرجنا عن المقصود من الإيجاز وفيما ذكرناه مقتنع فى هذا الباب ...



= كما فعلوا به .

(١) (فقلت جل الله) الكرامة فيه كلام الحيوان الأعجم وتقدم مثلها .

رؤيا القوم

قال الله عز وجل : ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ قيل هي الرؤيا الحسنة يراها المرء أو ترى له (أخبر) أبو الحسن الأهوازي قال أخبرنا أحمد بن عبيد البصري قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم المنقري قال حدثنا منصور بن أبي مزاحم قال حدثنا أبو بكر بن عياش عان عاصم عن أبي صالح عن أبي الدرداء قال سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الآية ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ قال صلى الله عليه وآله وسلم « ما سألتني عنها أحد قبلك هي الرؤيا الحسنة يراها المرء أو ترى له » .. (أخبرنا) السيد أبو الحسن محمد بن الحسين العلوي قال أخبرنا أبو علي الحسن بن محمد زيد قال حدثنا علي بن الحسين قال حدثنا عبد الله بن الوليد عن سفيان عن يحيى بن سعيد عن أبي سلمة عن قتادة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « الرؤيا من الله والحلم من الشيطان فإذا رأى أحدكم رؤيا يكرها فليتفل عن يساره وليتعوذ فإنها لن تضره » (أخبرنا) أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس المزكي قال حدثنا أبو أحمد حمزة بن العباس البزار قال حدثنا عياش بن محمد بن حاتم قال حدثنا عبد الله بن موسى قال حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص وأبي عبيد عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل في صورتى » ومعنى الخبر أن تلك الرؤيا رؤيا صدق وتأويلها حق وأن الرؤيا نوع من أنواع الكرامات^(١) . وتحقيق الرؤيا خواطر ترد على القلب وأحوال تتصور في الوهم إذا

(١) (وإن الرؤيا نوع من أنواع الكرامات) وعلامة صحة رؤياه صلى الله عليه وآله وسلم أن من رآه لا يسمع منه ما يخالف ما جاءت به الشريعة بأن يكون له تأويل صحيح عند علماء هذا الفن وحقيقة الرؤيا الحسنة أن يخلق الله في قلب النائم أو في حواسه الأشياء كما يخلقها في اليقظان فربما يقع ذلك في اليقظة كما رآه وربما جعل ما رآه علماً لأمر آخر يخلقها في ثانی الحال أو كان قد خلقها فتقع تلك كما جعل الله الغيم علامة للمطر .

لم يستغرق النوم جميع الاستشعار فيبتوهم الإنسان عند اليقظة أنه كان رؤية في الحقيقة وإنما كان ذلك تصورا وأوهاماً تقرر في قلوبهم حين زال عنهم الإحساس الظاهر تجردت تلك الأوهام عن المعلومات بالحس والضرورة ففويت تلك الحالة عند صاحبها فإذا استيقظ ضعفت تلك الأحوال التي تصورها بالإضافة إلى حال إحساسه بالمشاهدات وحصول العلوم الضرورية ومثاله كالذى يكون في ضوء السراج ، عند اشتداد الظلمة فإذا طلعت الشمس عليه غلبت ضوء السراج فيتقاصر نور السراج بالإضافة إلى ضياء الشمس ، فمثال حال النوم كمن هو في ضوء السراج ومثال المستيقظ كمن تعالى عليه النهار فإن المستيقظ يتذكر ما كان مقصوراً له في حال نومه ثم إن تلك الأحاديث والخواطر التي كانت ترد على قلبه في حال نومه مرة تكون من قبل الشيطان ومرة من هواجس النفس ومرة بخواطر الملك ومرة تكون تعريفاً من الله عز وجل بخلق تلك الأحوال في قلبه ابتداء وفي الخبر : «أصدقكم رؤيا ، وأعلم أن النوم على أقسام نوم غفلة ونوم عادة وذلك غير محمود بل هو معلول لأنه أخو الموت وفي بعض الأخبار المروية : النوم أخو الموت ، وقال الله عز وجل : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ﴾ .. وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ .. وقيل لو كان في النوم خيراً لكان في الجنة نوم وقيل لما ألقى الله على آدم النوم في الجنة أخرج منه حواء وكل بلاء به إنما حصل حين حصلت حواء .. سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول لما قال إبراهيم لإسماعيل عليهما السلام يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك قال يا أبت هذا جزاء من نام عن حبيبه ولو لم تنم لما أمرت بذبح الولد وقيل زوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام كذب من ادعى محبتي فإذا جنه الليل نام عني والنوم ضد العلم ولهذا قال الشبلي نعمة في ألف سنة فضيحة وقال الشبلي اطلع الحق على الخلق فقال من نام غفل ومن غفل حجب فكان الشبلي يكتحل بالملح بعده حتى كان لا يأخذه النوم وفي معناه أنشدوا :

كل نوم على المحب حرام

عجباً للمحب كيف ينام

وقيل المرید أكله فاقة ونومه غلبة وكلامه ضرورة وقيل لما نام آدم عليه السلام بالحضرة قيل له هذه حواء لتسكن إليها هذا جزاء من نام بالحضرة وقيل إن كنت حاضرا فلا تنم فإن النوم بالحضرة سوء أدب وإن كنت غائبا فأنت من أهل الحسرة والمصيبة والمصائب لا يأخذها النوم وأما أهل المجاهدات فنومهم صدقة من الله عليهم وأن الله عز وجل يباهى بالعبد إذا نام فى سجوده يقول انظروا إلى عبدی روحه عندی وجسده بین یدی قال الأستاذ یعنی روحه فى محل النجوى وبدنه على بساط العبادة وقيل كل من نام عَلَى الطَّهَارَةِ يُوْذِنُ لِرُوحِهِ أَنْ تَطُوفَ بِالْعَرْشِ وتسجد لله عز وجل قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾ .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول شكا رجل إلى بعض المشايخ من كثرة النوم فقال اذهب واشكر الله تعالى على العافية فكم من مريض فى شهوة غمضة من النوم الذى تشكو منه وقيل لاشيء أشد على إبليس من نوم العاصى يقول متى ينتبه ويقوم حتى يعصى الله^(١) . وقيل أحسن أحوال العاصى أن ينام إن لم يكن الوقت له^(٢) . لم يكن عليه^(٣) .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول تعود شاه الكرمانى السهر فغلبه النوم مرة فرأى الحق فى النوم فكان يتكلف النوم بعد ذلك فقليل له فى ذلك فقال :

رَأَيْتُ سُرُورَ قَلْبِي فِي مَنَامِي فَأَحْبَبْتُ النَّعْسَ وَالْمَنَامَا

وقيل كان رجل له تلميذان فاختلفا فيما بينهما فقال أحدهما النوم خير لأن الإنسان لا يعصى فى تلك الحالة وقال الآخر اليقظة خير لأنه يعرف الله تعالى فى تلك الحالة فتحاكما إلى ذلك الشيخ فقال أما أنت فقلت بتفضيل النوم فالموت خير لك من الحياة وأما أنت الذى قلت بتفضيل اليقظة فالحياة خير لك من الموت^(٤) . وقيل

(١) (متى ينتبه ويقوم حتى يعصى الله) فنومه رحمة له لأنه لا يعصى فى نومه لأنه غير مكلف فيه ولذلك يقال فى المثل الشعبى نوم الظالم عبادة .

(٢) (إن لم يكن الوقت له) بأن يعمل فيه خيرا .

(٣) (لم يكن عليه) بأنه لم يعمل فيه شرا .

(٤) (فالحياة خير لك من الموت) فلا خلاف وإنما ذلك محمول على حالين بعد الإتيان بالواجب أو الرواتب فمن خاف خلا فى العمل فالنوم خير له وإلا فاليقظة خير له ولهذا لما ضعف عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وخشى على نفسه من ضعف العمل =

اشترى رجل مملوكة فلما دخل الليل قال افرشى فقالت المملوكة يا مولاي ألك مولى قال نعم فقالت ينام مولاك لا قال قالت ألا تستحى أن تنام ومولاك لم ينم وقيل قالت بنية لسعيد بن جبير لم لا تنام فقال إن جهنم لا تدعنى أن أنام وقيل قالت بنت لمالك بن دينار لم لا تنام فقال إن أباك يخاف البيات وقيل لما مات الربيع بن خيثم قالت بنية لأبيها من جيرانه يا أبت الأسطوانة التى كانت فى دار جارنا أين ذهبْتَ فقال إنه كان جارنا الصالح يقوم من أول الليل إلى آخره فتوهمت البنية أنه كان سارية لأنها كانت لا تصعد السطح إلا بالليل فتجده قائماً وقال بعضهم فى النوم معان ليست فى اليقظة منها أنه يرى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم والصحابه والسلف الماضين فى النوم ولا يراهم فى اليقظة وكذلك يرى الحق فى النوم وهذه مزية عظيمة وقيل رأى أبو بكر الآجرى الحق سبحانه فى النوم فقال له سل حاجتك فقال اللهم اغفر لجميع عصاة أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقال أنا أولى بهذا منك سل حاجتك وقال الكتانى رأيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى المنام فقال من تزين للناس بشيء يعلم الله تعالى منه خلافه شانه الله وقال الكتانى أيضاً رأيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى المنام فقلت ادع الله أن لا يميت قلبى فقال قل كل يوم أربعين مرة يا حى يا قيوم لا إله إلا أنت .. فإن الله يحيى قلبك .. ورأى الحسن بن على رضى الله عنهما عيسى ابن مريم عليهما السلام فى المنام فقال إنى أريد أن أتخذ خاتماً فما الذى أكتب عليه فقال اكتب عليه لا إله إلا الله الملك الحق المبين فإنه فى آخر الإنجيل .. وروى عن أبى يزيد أنه قال رأيت ربى عز وجل فى المنام فقلت كيف الطريق إليك فقال اترك نفسك وتعال وقيل رأى أحمد بن خضروية ربه فى المنام فقال يا أحمد كل الناس يطلبون منى إلا أباً يزيد فإنه يطلبنى وقال يحيى بن سعيد القطان رأيت ربى فى المنام فقلت يارب كم أدعوك تستجيب لى فقال تعالى يا يحيى إنى أحب أن أسمع صوتك وقال بشر بن الحارث رأيت أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فى المنام فقلت يا أمير المؤمنين عظمى فقال ما أحسن عطف الأغنياء على الفقراء طلباً

لثواب الله تعالى وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء ثقة بالله تعالى فقلت له يا أمير المؤمنين زدني فقال :

قد كنت ميتاً فصرت حياً وعن قريب تصير ميتاً
عز بدار الفناء بيت فابن بدار البقاء بيتاً

وقيل روى سفيان الثوري في المنام ف قيل له ما فعل الله تعالى بك فقال رحمنى ، ف قيل ما حال عبد الله بن المبارك فقال هو ممن يلج على ربه كل يوم مرتين .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول رأى الأستاذ أبو سهل الصعلوكى أبا سهل الزجاجى فى المنام وكان الزجاجى يقول له بوعيد الأبد فقال له ما فعل الله بك فقال الزجاجى الأمر ههنا ^(١) أسهل مما كنا نظنه ^(٢) .. ورؤى الحسن بن عاصم الشيبانى فى المنام ف قيل له ما فعل الله بك فقال وإيش يكون من الكريم إلا الكرم ورؤى بعضهم فى المنام فسئل عن حاله فقال:

حاسبونا فدققوا ثم منوا فأعتقوا

ورؤى حبيب العجمى فى المنام ف قيل له مت يا حبيب العجمى فقال هيهات ذهبت العجمة وبقيت النعمة وقيل دخل الحسن البصرى مسجدا ليصلى فيه المغرب فوجد إمامهم حبيبا العجمى فلم يصل خلفه لأنه خاف أن يلحن ^(٣) لعجمة فى لسانه فرأى فى المنام تلك الليلة قائلا يقول له لم لم تصل خلفه لو صليت خلفه لغفر لك ماتقدم من ذنبك . ورؤى مالك بن أنس فى المنام ف قيل له ما فعل الله تعالى بك فقال غفر لى بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه عند رؤية الجنازة سبحان الحى الذى لا يموت ورؤى الليلة التى مات فيها الحسن البصرى كأن أبواب

(١) (الأمر ههنا) أى فى الآخرة .

(٢) (أسهل مما كنا نظنه) أى فى الدنيا فوجد أن الحق خلاف ما كان يقول به وهو كذلك لأن الله تعالى قال « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » .

(٣) (لأنه خاف أن يلحن) لحناً يضر الصلاة وليس كذلك وإنما كان يلحن لحناً يسيراً .

السماء مفتحة وكأن مناديا ينادى ألا إن الحسن البصرى قدم على الله تعالى وهو عنه راض^(١) .. سمعت أبا بكر بن أشكيب يقول رأيت أبا سهل الصعلوكى فى المنام على حالة حسنة فقلت يا أستاذ بم وجدت هذا فقال بحسن ظنى برى وقيل روى الجاحظ فى المنام فقل له ما فعل الله بك فقال :

فلا تكذب بخطك غير شيء يسرك فى القيامة أن تراه

وقيل رأى الجنيد إبليس فى منامه عريانا فقال له ألا تستحى من الناس فقال هؤلاء لا ناس^(٢) إنما الناس أقوام فى مسجد الشونزيه أضنوا جسدى وأحرقوا كبدى قال الجنيد فلما انتبهت عدوت إلى المسجد فرأيت جماعة وضعوا رؤوسهم على ركبهم متفكرين^(٣) فلما رأونى قالوا لا يغرنك حديث الخبيث ورؤى النصراباذى بمكة بعد وفاته فى النوم فقل له ما فعل الله تعالى بك فقال عوتبت عتاب الأشراف ثم نوديت يا أبا القاسم أبعد الاتصال انفصال فقلت لا ياذا الجلال فما وضعت فى اللحد حتى لحقت بالأحد ورؤى ذا النون المصرى فى المنام فقل له ما فعل الله بك فقال كنت أسأله ثلاث حوائج فى الدنيا فأعطانى البعض وأرجو أن يعطينى الباقي كنت أسأله أن يعطينى من العشرة التى على يد رضوان واحدة ويعطينى بنفسه وأن يعذبنى عن الواحدة التى بيد مالك بعشرة ويتولى هو وأن يرزقنى أن أذكره بلسان الأبدية . وقيل رؤى الشبلى فى المنام بعد موته فقل له ما فعل الله تعالى بك فقال لم يطالبنى بالبراهين على الدعاوى إلا على شيء واحد قلت يوماً لا خسارة أعظم من خسران الجنة ودخول النار فقال لى وأى خسارة أعظم من خسارة لقاءى .. سمعت الأستاذ أبا على يقول رأى الجريرى الجنيد فى المنام فقال كيف حالك يا أبا القاسم فقال طاحت تلك الإشارات وبادت تلك العبارات وما نفعنا إلا تسبيحات كنا نقولها بالغدوات وقال

(١) (وهو عنه راضى) فيه دلالة على فضيلته وهى معلومة من حاله فى الدنيا .

(٢) (لا ناس) أى ليسوا بناس يستحى منهم .

(٣) (متفكرين) فى خلق السموات والأرض ويذكرون الله تعالى .

النباجى تشهيت يوماً شيئاً فرأيت فى المنام كأن قائلًا يقول أيجمل بالحر المريد أن يتدلل للعبيد وهو يجد من مولاه ما يريد . وقال ابن الجلاء دخلت المدينة وبى فاقة فتقدمت إلى القبر وقلت أنا ضيفك يا نبي الله فغفوت فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم وقد أعطانى رغيماً فأكلت نصفه وانتبهت وبى النصف الآخر وقال بعضهم رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى المنام يقول زوروا ابن عون فإنه يحب الله ورسوله ^(١) . وقيل رأى عتبة الغلام حوراء ^(٢) . فى المنام على صورة حسنة فقالت يا عتبة أنا لك عاشقة فانظر أن لا تعمل من الأعمال شيئاً يحال بينى وبينك فقال لها عتبة طلقت الدنيا ثلاثاً لا رجعة لى عليها حتى ألقاك ^(٣) ... سمعت منصوراً المغربى يقول رأيت شيخاً فى بلاد الشام كبير الشأن وكان الغالب عليه الانقباض فقيل لى إن أردت أن ينبسط هذا الشيخ معك فسلم عليه وقل رزقك الله الحور العين فإنه يرضى منك بهذا الدعاء فسألت عن سببه فقيل إنه رأى شيئاً من الحور فى منامه فبقى فى قلبه شىء من ذلك ^(٤) . فمضيت وسلمت عليه وقلت رزقك الله الحور العين فانبسط الشيخ معى وقيل رأى أيوب السختيانى جنازة عاص فدخل دهليزا لثلا يحتاج إلى الصلاة عليها فرأى بعضهم الميت فى المنام فقال له ما فعل الله بك فقال غفر لى وقال لى قل لأيوب السختيانى قل : ﴿ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّى إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ ﴾ .. وقيل رأى الليلة التى مات فيها مالك بن دينار كأن أبواب السماء قد فتحت وقائلًا يقول ألا إن مالك بن دينار أصبح من سكان الجنة وقال بعضهم رأيت الليلة التى مات فيها داود الطائى نورا وملائكة صعودا وملائكة نزولا فقلت أى ليلة هذه

(١) (فإنه يحب الله ورسوله) فيه كرامة لابن عون يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم زوروه وشهادة له بأنه يحب الله ورسوله .

(٢) (حوراء) من الحور وهو شدة بياض العين فى شدة سوادها .

(٣) (لا رجعة لى عليها حتى ألقاك) فيه دلالة على فضيلة عتبة بكمال زهده فى الدنيا واشتغاله بالآخرة .

(٤) (فبقى فى قلبه شىء من ذلك) فكان لا يزال مهموماً بأمر الآخرة حتى يذكر له الحور العين فينبسط وينشرح ويستبشر بلقائهن .

فقالوا ليلة مات فيها داود الطائي وقد زخرفت الجنة لقدوم روحه (قال الأستاذ أبو القاسم) رأيت الأستاذ أبا على الدقاق فى المنام فقلت له ما فعل الله بك فقال ليس للمغفرة ها هنا كبير خطر أقل من حضر ههنا خطراً فلان أعطى كذا وكذا ووقع لى فى المنام أن ذلك الإنسان الذى عناه قتل نفسا بغير حق . وقيل لما مات كرز بن وبرة روى فى المنام كأن أهل القبور خرجوا من قبورهم وعليهم ثياب جدد بيض فقليل ما هذا قيل إن أهل القبور كسوا ثيابا جددا لقدوم كرز عليهم وروى يوسف بن الحسين فى المنام فقليل له ما فعل الله بك فقال غفر لى فقليل بماذا فقال لأنى ما خلطت جدا بهزل قط وروى عبد الله الزراد فى المنام فقليل له ما فعل الله بك فقال أوقفنى وغفر لى كل ذنب أقررت به فى الدنيا إلا واحدا استحيت أن أقر به فوقفنى فى العرق حتى سقط لحم وجهى فقليل له وما ذاك فقال نظرت يوما إلى شخص جميل فاستحييت أن أذكره . سمعت أبا سعيد الشحام يقول رأيت الشيخ الإمام أبا الطيب سهلا الصعلوكى فى المنام فقلت له أيها الشيخ فقال دع الشيخ فقلت وتلك الأحوال التى شاهدها فقال لم تغن عنا شيئا فقلت ما فعل الله بك فقال غفر لى بمسائل كانت يسأل عنها العجز فأجبتهم عليها سمعت أبا بكر الرشيدى الفقيه يقول رأيت محمد الطوسى المعلم فى المنام فقال قل لأبى سعيد الصفار المؤدب :

وكنا على أن لا نحول عن الهوى فقد وحياء الحب حلتم وما حلنا

تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا وأظهرتم الهجران ما هكذا كنا

لعل الذى يقضى الأمور بعلمه سيجمعنا بعد الممات كما كنا

قال فانتبهت وقلت ذلك لأبى سعيد الصفار فقال كنت أزور قبره كل يوم جمعة فلم أزره هذه الجمعة . وحكى عن بعضهم أنه قال رأيت فى المنام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحوله جماعة من الفقراء فبينما هو كذلك إذ نزل من السماء ملكان وبیدا أحدهما طست وبیده الآخر إبريق فوضع الطست بين يدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فغسل يده ثم أمر الملكين حتى غسلوا أيديهم ثم وضع الطست بين

يدى فقال أحدهما للآخر لا تصب على يده فإنه ليس منهم فقلت يا رسول الله أليس قد روى عنك أنك قلت « المرء مع من أحب » فقال بلى فقلت وأنا أحبك وأحب هؤلاء الفقراء فقال صلى الله عليه وآله وسلم صب على يده فإنه منهم ^(١) وحكى عن بعضهم ^(٢) أنه كان يقول أبدا العافية العافية ففيل له ما معنى هذا الدعاء فقال كنت حمالا فى ابتداء أمرى وكنت حملت يوماً صدرأ من الدقيق فوضعت له لأستريح فكنت أقول يارب لو أعطيتنى كل يوم رغيفين من غير تعب لكنت أكتفى بهما ^(٣) . فإذا رجلا ن يختصمان فتقدمت أصلح بينهما فضرب أحدهما رأسى بشيء أراد أن يضرب به خصمه فدمى وجهى فجاء صاحب الربع ^(٤) فأخذهما فلما رأتى ملوثا بالدم أخذنى وظن أننى ممن تشاجر فأدخلنى السجن وبقيت فى السجن مدة أوتى كل يوم برغيفين فرأيت ليلة فى المنام قائلاً يقول لى إنك سألت الرغيفين كل يوم من غير نصب ولم تسأل العافية فأعطاك ما سألت فانتبهت وقلت العافية العافية فرأيت باب السجن يقرع وقيل أين عمر الحمال فأطلقونى وخلو سبيلى ^(٥) . وحكى عن الكتانى أنه قال كان عندنا رجل من أصحابنا هاجت عينه فقيل له ألا تعالجها فقال عزمت أن لا أعالجها حتى تبرأ قال فرأيت فى المنام كأن قائلاً يقول لو كان هذا العزم على أهل النار كلهم لأخرجناهم من النار .. وحكى عن الجنيد أنه قال رأيت فى المنام كأنى أتكلم على الناس فوقف على ملك فقال أقرب ماتقرب به المتقربون إلى الله تعالى ماذا فقلت عمل خفى بميزان وفى قال فولى الملك عنى وهو يقول كلام موفق والله وقال رجل للعلاء بن زياد رأيت فى النوم كأنك من أهل الجنة فقال لعل الشيطان أراد أمرا فعصمت منه

(١) (فإنه منهم) حكما فيه دلالة على أن صحبة العبد للأخيار تنفعه وإن لم يكن معهم فى المنزلة .

(٢) (بعضهم) وهو عمر الحمال كما يأتى .

(٣) (أكتفى بهما) ولم أعذب نفسى بهذا العمل .

(٤) (الربع) أى المحلة التى تجمع بعض الناس .

(٥) (وخلو سبيلى) فى ذلك دلالة على أنه ينبغى للعبد أن لا يختار لنفسه شيئاً كما فعل الحمال حيث كره ما كان فيه من الحل واختار غيره بل يرضى بكل ما يجزيه الله عليه وإن سأل فليسأل العافية فى الدين والدنيا والآخرة .

فأشخص إلى رجلا يعينه على مقصودي من إضلالي وقيل روى عطاء السلمي في النوم فقيل له لقد كنت طويل الحزن فما فعل الله تعالى بك فقال أما والله لقد أعقبني ذلك راحة طويلة وفرحا دائما فقيل له في أي الدرجات أنت فقال : ﴿ مع الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ ﴾ .. الآية وقيل روى الأوزاعي في المنام فقال ما رأيت ههنا درجة أرفع من درجة العلماء ثم درجة المحزونين وقال النباجي قيل لى في المنام من وثق بالله في رزقه زيد في حسن خلقه وسمحت نفسه في نفقته وقلت وسأوسه في صلاته وقيل رؤيت زبيدة في المنام فقيل لها ما فعل الله تعالى بك فقالت غفر لى فقيل بكثرة نفقتك في طريق مكة فقالت لا أما إن أجرها عاد إلى أربابها ولكن غفر لى بنيتى .. وروى سفيان الثوري في المنام فقيل له ما فعل الله تعالى بك قال وضعت أول قدمي على الصراط والثاني في الجنة وقال أحمد بن أبي الحواري رأيت في النوم جارية ما رأيت أحسن منها يتلألاً وجهها نورا فقلت ما أنور وجههك فقالت تذكر الليلة التي بكيت فيها فقلت نعم فقالت حملت إلى دمعتك فمسحت بها وجهي فصار وجهي هكذا وقيل رأى يزيد الرقاشي النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فقرأ عليه فقال له هذه القراءة فأين البكاء وقال الجنيد رأيت في المنام كأن ملكين نزلا من السماء فقال أحدهما لى ما الصدق فقلت الوفاء بالعهد فقال الآخر صدق ثم صعدا وروى بشر الحافي في المنام فقيل له ما فعل الله تعالى بك فقال غفر لى وقال أما استحييت يا بشر منى كنت تخافنى ذلك الخوف وقيل روى أبو سليمان الداراني في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لى وما كان شيء أضر على من إشارات القوم وقال على بن الموفق كنت أفكر يوما في سبب عيالى والفقر الذى بهم فرأيت في المنام رقعة فيها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم يا ابن الموفق أتخشى الفقر وأنا ربك فلما كان وقت الغسل أتانى رجل بكيس فيه خمسة آلاف دينار وقال خذها إليك يا ضعيف اليقين .. وقال الجنيد رأيت في المنام كأنى واقف بين يدى الله تعالى فقال لى يا أبا القاسم من أين لك هذا الكلام الذى تقول فقلت لا أقول إلا حقا فقال صدقت وقال أبو بكر الكتاني رأيت في المنام شابا لم أر أحسن

منه فقلت من أنت فقال التقوى قلت فأين تسكن قال فى كل قلب حزين ^(١) . ثم التفت إلى فإذا امرأة سوداء كأوحش ما يكون فقلت من أنت فقالت الضحك فقلت وأين تسكنين فقالت فى كل قلب فرح ^(٢) . مرح ^(٣) . قال فانتهبت واعتقدت أن لا أضحك إلا غلبة . وحكى عن أبى عبد الله بن خفيف أنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى المنام كأنه قال لى من عرف طريقا إلى الله تعالى سلكه ثم رجع عنه عذبه الله تعالى عذابا لم يعذبه أحدا من العالمين ^(٤) . ورؤى الشبلى فى المنام ف قيل له ما فعل الله تعالى بك فقال ناقشنى حتى أيسر فلما رأى بأسى تغمدنى برحمته وقال أبو عثمان المغربى رأيت فى النوم كأن قائلا يقول لى يا أبا عثمان اتق الله فى الفقر ولو فى قدر سمسة . وقيل كان لأبى سعيد الخراز ابن مات قبله فرآه فى المنام فقال له بنى أوصنى فقال يا أبت لا تعامل الله على الجبن فقال يا بنى زدنى فقال لا تخالف الله تعالى فيما يطالبك به فقال زدنى فقال لا تجعل بينك وبين الله قميصا قال فما لبس القميص ثلاثين سنة وقيل كان بعضهم يقول فى دعائه اللهم الشىء الذى لا يضرك وينفعنا لا تمنعه عنا فرأى فى المنام كأنه قيل له وأنت فالشىء الذى يضرك ولا ينفعك فدعه وحكى عن أبى الفضل الأصفهاني أنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى المنام فقلت يارسول الله سل الله أن لا يسلبنى الإيمان فقال صلى الله عليه وآله وسلم ذاك شىء قد فرغ الله تعالى منه . وحكى عن أبى سعيد الخراز قال رأيت إبليس فى المنام فأخذت عصاى لأضربه ف قيل لى أنه لا يفرع منها إنما يفرع هذا من نور يكون فى القلب وقال بعضهم كنت أدعو لرابعة العدوية فرأيتها فى النوم تقول هداياك تأتينا على

(١) (قلب حزين) على التقصير فى القيام بما ينبغى لرب العباد لدلالة التقوى على كمال الخشية من الله تعالى قال تعالى : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا ﴾ .

(٢) (فرح) أى مشروح .

(٣) (مرح) أى شديد الفرح لدلالتهما على كمال الغفلة وتمكن القسوة قال الله تعالى ﴿ إن الله لا يحب الفرحين ﴾ والمراد الفرح بالدنيا فرح بطر لا فرح شكر أما الفرح بنعم الله وما يرد منه من اللطف والبر فمحمود قال تعالى : ﴿ فرحين بما آتاهم الله من فضله ﴾ .

(٤) (لم يعذبه أحدا من العالمين) فيه دلالة على أن عذاب العالم أشد من عذاب الجاهل .

أطباق من نور مخمرة بمناديل من نور ويروى عن سماك بن حرب أنه قال كف بصرى فرأيت فى المنام كأن قائلاً يقول لى انت الفرات فانغمس فيه وافتح عينيك قال ففعلت فأبصرت وقيل روى بشر الحافى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال لما رأيت ربى عز وجل قال لى مرحبا يا بشر لقد توفيتك يوم توفيتك وما على الأرض أحب إلى منك .



الوصية للمريدين

قال الأستاذ لما أثبتنا طرفاً من سير القوم وضممنا إلى ذلك أبواباً من المقامات أردنا أن نختم هذه الرسالة بوصية للمريدين نرجو من الله تعالى حسن توفيقهم لاستعمالها وأن لا يحرمننا القيام بها ولا يجعلها حجة علينا فأول قدم للمريد فى هذه الطريقة ينبغى أن يكون على الصدق ليصح له البناء على أصل صحيح فإن الشيوخ قالوا إنما حرموا الوصول لتضييعهم الأصول كذلك سمعت الأستاذ أبا على يقول فتجب البداءة بتصحيح اعتقاد بينه وبين الله تعالى صاف عن الظنون والشبه خال من الضلال والبدع صادر عن البراهين والحجج ويقبح بالمريد أن ينتسب إلى مذهب من مذاهب من ليس من هذه الطريقة وليس انتساب الصوفى إلى مذهب من مذاهب المختلفين سوى طريقة الصوفية إلا نتيجة جهلهم بمذاهب أهل هذه الطريقة فإن هؤلاء حججهم فى مسائلهم أظهر من حجج كل أحد وقواعد مذاهبهم أقوى من قواعد كل مذهب والناس إما أصحاب النقل والأثر وإما أرباب العقل والفكر وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا^(١). عن هذه

(١) (ارتقوا) بعمارة باطنهم بالأخلاق الحميدة وبعدهم عن الأخلاق الذميمة ومراقبتهم لربهم فى أعمالهم .

الجملة^(١) . فالذى للناس غيب فهو لهم ظهور والذى للخلق من المعارف مقصود فلهم من الحق سبحانه موجود فهم من أهل الوصال والناس أهل الاستدلال وهم كما قال القائل :

لِئَلَىٰ بَوِّجْهِكَ مَشْرِقٌ وظلامه فى الناس سارى

فالناس فى سدف الظلا م ونحن فى ضوء النهار

ولم يكن عصر من الأعصار فى مدة الإسلام إلا وفيه شيخ من شيوخ هذه الطائفة ممن له علوم التوحيد وإمامة القوم إلا وأئمة ذلك الوقت من العلماء استسلموا^(٢) . لذلك الشيخ وتواضعوا له وتبركوا به ولولا مزية وخصوصية لهم وإلا كان الأمر بالعكس هذا أحمد بن حنبل كان عند الشافعى رضى الله تعالى عنهما فجاء شيبان الراعى فقال أحمد أريد يا أبا عبد الله أن أنبه هذا على نقصان علمه ليستغل بتحصيل بعض العلوم فقال الشافعى لا تفعل فلم يقنع فقال لشيبان ماتقول فيمن نسي صلاة من خمس صلوات فى اليوم والليلة ولا يدرى أى صلاة نسيها ما الواجب عليه يا شيبان فقال شيبان يا أحمد هذا قلب غفل عن الله تعالى فالواجب أن يؤدب حتى لا يغفل عن مولاه بعد فغشى على أحمد فلما أفاق قال له الشافعى رحمه الله ألم أقل لك لا تحرك هذا وشيبان الراعى كان أميا منهم^(٣) . فإذا كان الأمى منهم هكذا فما الظن بأئمتهم وقد حكى أن فقيها من أكابر الفقهاء كانت حلقة بجنب حلقة الشبلى فى جامع المنصور وكان يقال لذلك الفقيه أبو عمران وكان تتعطل عليهم^(٤) . حلقتهم لكلام الشبلى فسأل أصحاب أبى عمران يوما الشبلى عن مسألة فى الحيض وقصدوا إخجاله فذكر مقالات الناس فى تلك المسألة والخلاف فيها فقام أبو عمران وقبّل رأس الشبلى

(١) (عن هذه الجملة) أى جملة القسمين فى سدف الظلام بضم السين وفتح الدال جمع سدف بفتح السين وإسكان الدال وهى الظلمة .

(٢) (استسلموا) أى انقادوا بالعكس يعنى كانوا هم مستسلمين لأئمة ذلك الوقت .

(٣) (كان أميا منهم) وقد أجرى الله عن لسانه الحق حتى انتفع به العلماء .

(٤) (تتعطل عليهم) أى على أبى عمران وأصحابه .

وقال يا أبا بكر استفتدت في هذه المسألة عشر مقالات لم أسمعها وكان عندي من جملة ماقلت ثلاثة أقاويل وقيل اجتاز أبو العباس بن سريح الفقيه بمجلس الجنيد رحمهما الله تعالى فسمع كلامه فقليل له ماتقول في هذا الكلام فقال لا أدري مايقول ولكني أرى لهذا الكلام صولة ليست بصولة مبطل وقيل لعبد الله بن سعيد بن كلاب أنت تتكلم على كلام كل أحد وههنا رجل يقال له الجنيد فانظر هل تعترض عليه أم لا فحضر حلقته فسأل الجنيد عن التوحيد فأجابه فتحير عبد الله وقال أعد علي ماقلت فأعاد ولكن لا بتلك العبارة فقال عبد الله هذا شيء آخر لم أحفظه تعيده علي مرة أخرى فأعاد بعبارة أخرى فقال عبد الله ليس يمكنني حفظ ماتقول أمله علينا فقال إن كنت أجزته فأنا أمله فقام عبد الله وقال بفضله واعترف بعلو شأنه فإذا كان أصول هذه الطائفة أصح الأصول ومشايخهم أكبر الناس وعلمائهم أعلم الناس فالمريد الذي له إيمان بهم إن كان من أهل السلوك والتدرج إلى مقصدهم فهو يساهمهم فيما خصوا به من مكاشفات الغيب فلا يحتاج إلى التطفل على من هو خارج عن هذه الطائفة وإن كان يريد طريقة الاتباع وليس بمستقل بحاله ويريد أن يعرج في أوطان التقليد إلى أن يصل إلى التحقيق فليقلد سلفه وليجر على طريقة هذه الطبقة فإنهم أولى به من غيرهم ولقد سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت الشبلي يقول ما ظنك بعلم علم العلماء فيه تهمة (وسمعت) يقول سمعت محمد ابن أبي علي بن محمد المخزومي يقول سمعت محمد بن عبد الله الفرغانى يقول سمعت الجنيد يقول لو علمت أن الله علما تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم الذى نتكلم فيه مع أصحابنا وإخواننا لسعيت إليه ولقصده (١). وإذا أحكم (٢). المرید بينه وبين الله تعالى عقده فيجب أن يحصل من علم الشريعة إما بالتحقيق وإما بالسؤال عن الأئمة ما يودى به فرضه وإن اختلف عليه فتاوى الفقهاء يأخذ بالأحوط

(١) (ولقصده) لأنال فضيلته وبركته .

(٢) (أحكم) أى أتقن .

ويقصد أبدا الخروج^(١) من الاختلاف فإن الرخص في الشريعة للمستضعفين وأصحاب الحوائج والأشغال وهؤلاء الطائفة ليس لهم شغل سوى القيام بحقه سبحانه ولهذا قيل إذا انحط الفقير عن درجة إلى رخصة الشريعة فقد فسخ عقده مع الله تعالى ونقض عهده فيما بينه وبين الله تعالى ثم يجب على المريد أن يتأدب بشيخ فإن لم يكن له أستاذ فلا يفلح أبدا^(٢). هذا أبو يزيد يقول من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان . وسمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول الشجرة إذا نبتت بنفسها من غير غارس فإنها تورق لكن لا تثمر كذلك المريد إذا لم يكن له أستاذ يأخذ منه طريقته نفسا فنفسا فهو عابد هواه لا يجد نفادا ثم إذا أراد السلوك فبعد هذه الجملة يجب أن يتوب إلى الله سبحانه من كل زلة فيدع جميع الزلات سرها وجهرها وصغيرها وكبيرها ويجتهد في إرضاء الخصوم أولا ومن لم يرض خصومه لا يفتح له من هذه الطريقة بشيء وعلى هذا النحو جروا ثم بعد هذا يعمل في حذف العلائق والشواغل فإن بناء هذا الطريق على فراغ القلب وكان الشبلى يقول للحصرى في ابتداء أمره إن خطر ببالك من الجمعة إلى الجمعة الثانية التي تأتيني فيها غير الله تعالى فحرام عليك أن تحضرني وإذا أراد الخروج عن العلائق فأولها الخروج عن المال فإن ذلك الذي يميل به عن الحق ولم يوجد مريد دخل في هذا الأمر ومعه علاقة من الدنيا إلا جرت تلك العلاقة عن قريب إلى مامنه خرج فإذا خرج عن المال فالواجب عليه الخروج عن الجاه فإن ملاحظة حب الجاه مقطعة عظيمة وما لم يستو عند المريد قبول الخلق وردهم لا يجيء منه شيء بل أضرب الأشياء له ملاحظة الناس إياه بعين الإثبات والتبرك به لإفلاس الناس عن هذا الحديث وهو بعد لم يصحح الإرادة فكيف يصح أن يتبرك به فخروجهم من الجاه واجب عليهم لأن ذلك سم قاتل لهم فإذا خرج عن ما له وجاهه فيجب أن يصحح عقيدته بينه وبين

(١) (الخروج) من والاختلاف هل يجوز تقدير المفضل فقل نعم ورجحه ابن الحاجب وقيل لا والمختار عند التاج السبكي جوازه لمن اعتقده أفضل من غيره أو مساويا له بخلاف من اعتقده مفضولا ولا يتبع الرخص من المذاهب بأن يأخذ من كل منها ما هو الأسهل فيما يقع من المسائل كما لا يأخذ الصوفى إلا بالأحوط كما مر .

(٢) (لا يفلح أبدا) لعدم معرفته الأحكام .

الله تعالى وأن لا يخالف شيخه فى كل ما يشير عليه لأن الخلاف للمريد فى ابتداء أمره عظيم الضرر لأن ابتداء حاله دليل على جميع عمره ومن شرطه أن لا يكون له بقلبه اعتراض على شيخه فإذا خطر ببال المريد أن له فى الدنيا والآخرة قدرا أو قيمة أو على بسيط الأرض أحدا دونه لم يصح له فى الإرادة قدم لأنه يجب أن يجتهد ليعرف ربه لا ليحصل لنفسه قدرا وفرق بين من يريد الله تعالى وبين من يريد جاه نفسه من أنفاسه عن شيخه فقد خانه فى حق صحبته ولو وقع له مخالفة فيما أشار عليه شيخه فيجب أن يقر بذلك بين يديه فى الوقت ثم يستسلم لما يحكم به عليه شيخه عقوبة له على جنايته ومخالفته إما بسفر يكلفه أو أمر ما يراه ولا يصح للشيوخ التجاوز عن زلات المريدين لأن ذلك تضييع لحقوق الله تعالى وما لم يتجرد المريد عن كل علاقة لا يجوز لشيخه أن يلقيه شيئا من الأذكار بل يجب أن يقدم التجربة له فإذا شهد قلبه للمريد بصحة العزم فحينئذ يشترط عليه أن يرضى بما يستقبله فى هذه الطريقة من فنون تصاريف القضاء فيأخذ عليه العهد بأن لا ينصرف عن هذه الطريقة بما يستقبله من الضرر والذل والفقر والأسقام والآلام وأن لا يجنح بقلبه الى السهولة ولا يترخص عند هجوم الفاقات وحصول الضرورات ولا يؤثر الدعة ولا يستشعر الكسل فإن وقفة المريد شر من فترته والفرق بين الفترة والوقفة أن الفترة رجوع عن الإرادة وخروج منها والوقفة سكون عن السير باستحلاء حالات الكسل^(١). وكل مريد وقف فى ابتداء إرادته لا يجيء منه شيء^(٢). فإذا جربه شيخه فيجب عليه أن يلقيه ذكرا من الأذكار على ما يراه شيخه فيأمر أن يذكر ذلك الاسم بلسانه ثم يأمره أن يسوى قلبه مع لسانه ثم يقول له أثبت على استدامة هذا الذكر كأنك مع ربك أبدا بقلبك ولا يجرى على لسانك غير هذا الاسم ما أمكنك ثم يأمره أن يكون أبدا فى الظاهر على الطهارة وأن لا يكون نومه إلا غلبة وأن يقلل من غذائه

(١) (باستحلاء حالات الكسل) واستلذاذاها وإذا استلذاها لم ينتقل عنها لمحبتها لها بخلاف الفترة فإن صاحبها يرجى له الرجوع إلى ما كان عليه .

(٢) (لا يجيء منه شيء) يعتد به لأنه يعتد كمال نفسه واستحسان حاله فيبعد منه الانتقال إلى ما هو أعلى .

على التدريج شيئاً بعد شيء^(١) . حتى يقوى على ذلك^(٢) . ولا يأمره أن يترك عادته بمرة فإن في الخبر إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى ثم يأمره بإيثار الخلوة والعزلة ويجعل اجتهاده في هذه الحالة لا محالة في نفى الخواطر الدنية والهواجس الشاغلة للقلب واعلم أن في هذه الحالة قلما يخلو المريد في أوان خلوته في ابتداء إرادته من الوسوس في الاعتقاد لاسيما إذا كان في المريد كياسة قلب وكل مريد لا تستقبله هذه الحالة في ابتداء إرادته وهذه من الامتحانات التي تستقبل المريدين فالواجب على شيخه إن رأى فيه كياسة أن يحيله على الحجج العقلية فإن بالعلم يتخلص لا محالة المتعرف مما يعتريه من الوسوس وأن تفرس شيخه فيه القوة والثبات في الطريقة أمره بالصبر واستدامة الذكر حتى تسطع في قلبه أنوار القبول وتطلع في سره شمس الوصول وعن قريب يكون ذلك ولكن لا يكون هذا للأفراد المريدين فأما الغالب فإن تكون معالجتهم بالرد إلى النظر وتأمل الآيات بشرط تحصيل علم الأصول على قدر الحاجة الداعية للمريد .. واعلم أنه يكون للمريدين على الخصوص بلالاً من هذا الباب وذلك أنهم إذا خلوا في مواضع ذكرهم أو كانوا في مجالس سماع أو غير ذلك يهجم في نفوسهم ويخطر ببالهم أشياء منكرة يتحققون أن الله سبحانه منزّه عن ذلك وليس تعتريهم شبهة في أن ذلك باطل ولكن يدوم ذلك فيشتد تأذيتهم به حتى يبلغ ذلك حداً يكون أصعب شتم وأقبح قول وأشنع خاطر بحيث لا يمكن المريد إجراء ذلك على اللسان وإيدأوه لأحد وهذا أشد شيء يقع لهم فالواجب عند هذا ترك مبالاتهم بتلك الخواطر واستدامة الذكر والابتغال إلى الله عز وجل باستدفاع ذلك وتلك الخواطر ليست من وسوس الشيطان وإنما هي من هواجس النفس فإذا قابلها العبد بترك المبالاة بها ينقطع ذلك عنه ومن آداب المريد بل من فرائض حاله أن يلزم موضع إرادته وأن لا يسافر

(١) (شيئاً بعد شيء) لأن ينقصه كل يوم لقمة لقمة بل ينقصه لقمة ويستمر عليها أياماً ثم أخرى ويستمر عليها أياماً وهكذا فيتعود على ذلك والعادة هي الطبيعة الثانية .

(٢) (حتى يقوى على ذلك) الذي أمره به وخف نومه وينشط للعبادة وحد ذلك ما أشار إليه ثلث لطعامه وثلث لشربه وثلث لنفسه .

قبل أن تقبله الطريق وقبل الوصول بالقلب إلى الرب فإن السفر للمريد في غير وقته سم قاتل ولا يصل أحد منهم إلى ما كان يرجى له إذا سافر في غير وقته وإذا أراد الله بمريد خيرا ثبته في أول إرادته وإذا أراد الله بمريد شرا رده إلى ما خرج عنه من حرفته أو حالته وإذا أراد الله بمريد محنة شرده في مطارح غربته هذا إذا كان المريد يصلح للوصول فأما إذا كان شابا طريقته الخدمة في الظاهر بالنفس للفقراء وهو دونهم في هذه الطريقة رتبة فهو وأمثاله يكتفون بالترسم في الظاهر فينقطعون في الأسفار وغاية نصيبهم من هذه الطريقة حجات يحصلونها وزيادات لمواضع يرتحل إليها ولقاء شيوخ بظاهر سلام فيشاهدون الظواهر ويكتفون بما في هذا الباب من السير فهؤلاء الواجب لهم دوام السفر حتى لا تؤديهم الدعة إلى ارتكاب محذور فإن الشاب إذا وجد الراحة والدعة كان في معرض الفتنة^(١) . وإذا توسط المريد جميع الفقراء والأصحاب في بدايته فهو مضر له جداً^(٢) وإن امتحن واحد بذلك فليكن سبيله احترام الشيوخ والخدمة للأصحاب وترك الخلاف عليهم^(٣) والقيام بما فيه راحة فقير^(٤) . والجهد أن لا يستوحش منه قلب شيخ ويجب أن يكون في صحبته مع الفقراء أبدا خصمهم على نفسه ولا يكون خصم نفسه عليهم ويرى لكل واحد منهم عليه حقا واجبا ولا يرى لنفسه واجبا على أحد ويجب أن لا يخالف المريد أحدا وإن علم أن الحق معه يسكت ويظهر الوفاق لكل واحد وكل مريد يكون فيه ضحك ولجاج ومماراة فإنه لا يجيء منه شيء وإذا كان المريد في جمع من الفقراء إما في سفر أو حضر فينبغي أن لا يخالفهم في الظاهر لا في أكل ولا صوم ولا سكون ولا حركة بل يخالفهم بسر

(١) (كان في معرض الفتنة) وفي نسخة الفترة أى معرضا لها تميل نفسه إلى الترويج وشغل قلبه بالأهل والولد والشهوات الدنيوية فالسفر لهؤلاء أولى لهم لأنهم يباشرون في كل وقت من أحوال المشايخ على اختلاف آدابهم وعلومهم ومعاملتهم لربهم ما ينتفعون به .

(٢) (فهو مضر له جدا) لمنافاته ما مر من أنه مأمور بملازمة الخلوة إن كانت واشتغاله بكمال المناجاة فكما أنه لا يسافر لا يخالط الناس .

(٣) (وترك الخلاف عليهم) مع دوام الحذر منهم والخوف من فوات المطلوب .

(٤) (راحة فقير) بأن يوافقه في أغراضه الجائرة .

وقلبه فيحفظ قلبه مع الله عز وجل وإذا أشاروا عليه بالأكل مثلاً يأكل لقمة ولقمتين
 ولا يعطى النفس شهوتها وليس من آداب المريدين كثرة الأوراد بالظاهر فإن القوم في
 مكابدة إخلاء خواطرهم ومعالجة أخلاقهم ونفى الغفلة عن قلوبهم لا في تكثير أعمال
 البر الذي لا بد لهم منه إقامة الفرائض والسنن الراتبة فأما الزيادات من الصلوات
 النافلة فاستدامة الذكر بالقلب أتم لهم ورأس مال المريد الاحتمال عن كل أحد بطيبة
 النفس وتلقى ما يستقبله بالرضا والصبر على الضر والفقر وترك السؤال والمعارضة في
 القليل والكثير فيما هو حظ له ومن لم يصبر على ذلك فليدخل السوق فإن من اشتهى
 ما يشتهي الناس فالواجب أن يحصل شهوته من حيث يحصلها الناس من كد اليمين
 وعرق الجبين وإذا التزم المريد استدامة الذكر وآثر الخلوة فإن وجد في خلوته مالا
 يجده قلبه إما في النوم وإما في اليقظة أو بين اليقظة والنوم من خطاب يسمع أو معنى
 يشاهد مما يكون نقضاً للعادة فينبغى أن لا يشتغل بذلك البتة ولا يسكن إليه ولا ينبغى
 أن ينتظر حصول أمثال ذلك فإن ذلك كله شواغل عن الحق سبحانه ولا بد له في هذه
 الأحوال من وصف ذلك لشيخه حتى يصير قلبه فارغاً عن ذلك ويجب على شيخه أن
 يحفظ عليه سره فيحكم عن غيره أمره ويصغر ذلك في عينه فإن ذلك كله اختبارات
 والمساكنة إليها مكر فليحذر المريد عن ذلك وعن ملاحظتها وليجعل همهته فوق ذلك
 واعلم أن أضر الأشياء بالمريد استئناسه بما يلقي إليه في سره من تقريبات الحق
 سبحانه له ومنته بأنى خصصتك بهذا وأفردتك عن أشكالك فإنه لو قال بترك هذا
 فعن قريب سيختطف عن ذلك مما يبدو له من مكاشفات الحقيقة وشرح هذه الجملة
 بإثباته في الكتب معتذر ومن أحكام المريد إذا لم يجد من يتأدب به في موضعه أن
 يهاجر إلى من هو منصوب في وقته لإرشاد المريدين ثم يقيم عليه ولا يبرح عن سدة
 إلى وقت الإذن . واعلم أن تقديم معرفة رب البيت على زيارة البيت واجب فلولاً
 معرفة رب البيت ماوجبت زيارة البيت والشبان الذين يخرجون إلى الحج ثم زيارة
 البيت من هؤلاء القوم من غير إشارة لشيخوخة في بدالات نشاط النفوس فهم
 متوسمون بهذه الطريقة وليس سفرهم على أصل والذي يدل على ذلك أنه لا يزداد

سفرهم إلا وتزداد تفرقة قلوبهم فلو أنهم ارتحلوا من عند أنفسهم بخطوة لكان أحظى لهم من ألف سفرة ومن شرط المريد إذا زار شيخنا أن يدخل عليه بالحرمة وينظر إليه بالحشمة فإن أهله الشيخ لشيء من الخدمة عد ذلك من جزيل النعمة .

فصل .. ولا ينبغي للمريد أن يعتقد في المشايخ العصمة^(١) . بل الواجب أن يذرهم وأحوالهم فيحسن بهم الظن ويراعى مع الله تعالى حده فيما يتوجه عليه من الأمر والعلم كافية في التفرقة بين ماهو محمود وما هو معلول .

فصل .. وكل مريد بقى في قلبه لشيء من روض الدنيا مقدار وخطر فاسم الإرادة له مجاز وإذا بقى في قلبه اختبار فيما يخرج عنه من معلومه فيريد أن يخص به نوعا من أنواع البر أو شخصا دون شخص فهو متكلف في حاله وبالخطر أن يعود سريعا إلى الدنيا لأن قصد المريد في حذف العلائق الخروج منها لا السعى في أعمال البر وقبيح بالمريد أن يخرج من معلومه من رأس ماله وقنيتته ثم يكون أسير حرفة وينبغي أن يستوى عنده وجود ذلك وعدمه حتى لا ينافر لأجله فقيرا ولا يضايق به أحدا ولو مجوسياً .

فصل .. وقبول قلوب المشايخ للمريد أصدق شاهد لسعادته ومن رده قلب شيخ من الشيوخ فلا محالة يرى غب ذلك ولو بعد حين ومن خذل بترك حرمة الشيوخ فقد أظهر رقم شقاوته وذلك لا يخطئ ..

فصل .. ومن أصعب الآفات في هذه الطريقة صحبة الأحداث ومن

(١) فصل .. ولا ينبغي للمريد أن يعتقد في المشايخ العصمة (وإن كانوا محفوظين لأن ذلك يخالف الواقع ولأنه يؤدي إلى نفرتهم منهم وعدم انتفاعه بهم إذا صدر منهم ذنب إذ العصمة إنما تكون للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام والفرق بين العصمة والحفظ أن العصمة تمنع من جواز وقوع الذنب والحفظ لا يمنع منه ولأن الله تعالى يحفظ من يشاء ويترك من يشاء لأن الأولياء لا يقدح زللهم في قواعد الدين بخلاف الأنبياء فإن المعجزة دلت على عصمتهم فيما يخبرون به عن الله تعالى وفيما يفعلون بياناً للتكليف فعلم أنه ليس للمريد أن يعتقد العصمة في المشايخ اهـ .

ابتلاه الله تعالى بشيء من ذلك فبإجماع الشيوخ ذلك عبد أهانه الله عز وجل وخذله بل عن نفسه شغله ولو بألف ألف كرامه أهله وهب أنه بلغ رتبة الشهداء لما فى الخبر تلويح بذلك ليس قد شغل ذلك القلب بمخلوق وأصعب من ذلك تهوين ذلك على القلب حتى يعد ذلك يسيرا وقد قال الله تعالى : ﴿ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ وهذا الواسطى رحمه الله يقول إذا أراد الله هوان عبد ألقاه إلى هؤلاء الأنتان والجيف .. سمعت أبا عبد الله يقول سمعت محمد بن أحمد النجار يقول سمعت أبا عبد الله الحصرى يقول سمعت فتحا الموصلى يقول صحبت ثلاثين شيخا كانوا يعدون من الأبدال كلهم أوصونى عند فراقى إياهم وقالوا اتق معاشره الأحداث ومخالطتهم ومن ارتقى فى هذا الباب عن حالة الفسق وأشار إلى أن ذلك من بلاء الأرواح وأنه لا يضر وما قالوه من وساوس القائلين بالشاهد وإيراد حكايات عن بعض الشيوخ لما كان الأولى بهم إسبال الستر عن هناتهم وآفاتهم فذلك نظير الشرك وقرين الكفر فليحذر المريد من مجالسة الأحداث ومخالطتهم فإن اليسير منه فتح باب الخذلان وبدء حال الهجران ونعوذ بالله من قضاء السوء .

فصل .. ومن آفات المريد ما يتداخل النفس من خفى الحسد للإخوان والتأثر بما يفرد الله عز وجل به أشكاله من هذه الطريقة وحرمانه إياه ذلك وليعلم أن الأمور قسم وإنما يتخلص العبد عن هذا باكتفائه بوجود الحق وقدمه عن مقتضى جوده ونعمه فكل من رأى أيها المريد قدم الحق سبحانه رتبته فاحمل أنت غاشيته فإن الظرفاء من القاصدين على ذلك استمرت سنتهم .

فصل .. واعلم أن من حق المريد إذا اتفق وقوعه فى جمع إثارة الكل بالكل فيقدم الجائع والشبعان على نفسه ويتلمذ لكل من أظهر عليه التشيخ وإن كان هو أعلم منه ولا يصل إلى ذلك إلا بتبريه عن حوله وقوته وتوصله إلى ذلك بطول الحق ومنته .

فصل .. وأما آداب المريد فى السماع فالمرید لا تسلم له الحركة فى السماع

بالاختيار البتة فإن ورد عليه وارد حركة ولم يكن فيه فضل قوة فبمقدار الغلبة يعذر فإذا زالت الغلبة يجب عليه القعود والسكون فإن استدأمت الحركة مستجلبا للوجد من غير غلبة وضرورة لم يصح فإن تعود ذلك يبقى متخلفا لا يكشف بشيء من الحقائق فغاية أحواله حينئذ أن يطيب قلبه وفي الجملة أن الحركة تأخذ من كل متحرك وتنقص من حاله مريدا كان أو شيئا إلا أن نكون بإشارة من الوقت أو غلبة تأخذه عن التمييز فإن كان مريدا أشار عليه الشيخ بالحركة فتحرك على إشارته فلا بأس إذا كان الشيخ ممن له حكم على أمثاله وأما إذا أشار عليه الفقراء بالمساعدة في الحركة فيساعدتهم^(١). في القيام وفي أداء مالا يجد منه بدا مما يراعى عن الاستيحاش لقلوبهم ثم إن صدقه^(٢). في حاله يمنع قلوب الفقراء من سؤالهم عند المساعدة معهم وأما طرح الخرقه فحق المريد أن لا يرجع في شيء خرج منه البتة .. اللهم إلا أن يشير إليه شيخ بالرجوع فيه فيأخذه على نية العارية بقلبه ثم يخرج عنه بعده من غير أن يستوحش قلب ذلك الشيخ وإذا وقع بين قوم عاداتهم طرح الخرق وعلم أنهم يرجعون فيها فإن لم يكن فيهم شيخ تجب حشمتة وحرمتة وكان طريق هذا المريد أن لا يعود في الخرقه فالأحسن له أن يساعدهم في الطرح ثم يؤثر به القول إذا رجعوا هم فيها ولو لم يطرح فإنه يجوز إذا علم من عادة القوم أنهم يعودون فيما طرحوا فإن القبيح إنما هو سنتهم في العود إلى الخرق لا في مخالفتهم لهم على أن الأولى الطرح على الموافقة ثم ترك الرجوع فيه ولا يسلم للمريد البتة التقاضى عن القول لأن صدق حاله يحمل القول على التكرار ويحمل غيره على الاقتضاء ومن تبرك بمريد فقد جار عليه لأنه يضره لقلة قوته فالواجب على المريد ترك تربية الجاه عند من قال بتركه وإثباته .

فصل .. وإن ابتلى مريد بجاه أو معلوم أو صحبة حدث أو ميل إلى امرأة

-
- (١) (فيساعدهم) لأن أحوالهم تتزايد برؤية بعضهم بعضا وكل ذلك بشرط السلامة مما يخالف الشريعة من رياء وعجب ونحوهما .
- (٢) (ثم إن صدقه .. إلخ) يعنى إن صدقه لا يحوجهم لسؤال بل يحمله على مساعدتهم بغير سؤال منهم .

واستنامة^(١) إلى معلوم وليس هناك شيخ يدلّه على حاله يتخلص بها من ذلك فعند ذلك حل له السفر والتحول عن ذلك الموضع ليشوش على نفسه تلك الحالة ولا شيء أضر لقلوب المريدين من حصول الجاه لهم قبل خمود بشريتهم ومن آداب المريد أن لا يسبق علمه في هذه الطريقة منازلته فإنه إذا تعلم سير هذه الطائفة وتكلف الوقوف على معرفة مسائلهم وأحوالهم قبل تحققه بها بالمنازلة والمعاملة بعد وصوله إلى هذه المعاني ولهذا قال المشايخ إذا حدث العارف عن المعارف فجهلوه فإن الأخبار عن المنازل دون المعارف ومن غلب علمه منازلته فهو صاحب علم لا صاحب سلوك .

فصل .. ومن آداب المريدين أن لا يتعرضوا للتصدر^(٢) . وأن يكون لهم تلميذا ومريدا فإن المريد إذا صار مرادا قبل خمود بشريته وسقوط آفته فهو محجوب عن الحقيقة لا تنفع أحد إشارته وتعليمه^(٣) .

فصل .. وإذا خدم المريد الفقراء فخواطر الفقراء رسلهم إليه فلا ينبغي أن يخالف المريد ما حكم باطنه عليه من الخلوص في الخدمة وبذل الوسع والطاقة .

فصل .. ومن شأن المريد إذا كان طريقته خدمة الفقراء الصبر على جفاء القوم معه وأن يعتقد أنه يبذل روحه في خدمتهم ثم لا يجدون له أثرا فيعتذر من تقصيره ويقر بالجناية على نفسه تطيبيا لقلوبهم وإن علم أنه برىء الساحة وإذا زادوه في الجفاء فيجب أن يزيدهم في الخدمة والبر . سمعت الإمام أبا بكر بن فورك يقول إن في المثل إذا لم تصبر على المطرقة فلماذا كنت سنداناً وفي معناه أنشدوا :

ربما جئته لأسلفه العذ ر لبعض الذنوب قبل التجنى

(١) (استنامة) بناء فوقية ثم نون أى سكون .

(٢) (للتصدر) للتعلم وجذب القاصدين إلى الله تعالى لضعفهم فيخشى عليهم الهلاك لجهلهم بطريق الرياضة ولأنهم في مقام من يتعلم لا من يعلم .

(٣) (لا تنفع أحدا إشارته وتعليمه) لعدم أهليته لما دخل فيه ومن آدابه أن لا يتبع من المشايخ إلا من يقع له في قلبه هيبة وحرمة ويعلم أنه يؤدبه ويهديه وأنه أعلم منه بالطريق وليبتعد عن المدعين .

فصل .. وبناء هذا الأمر^(١) . وملاكه^(٢) على حفظ آداب الشريعة وصون اليد عن المد^(٣) . إلى الحرام والشبهة وحفظ الحواس عن المحظورات^(٤) . وعد الأنفاس مع الله تعالى عن الغفلات^(٥) وأن لا يستحل مثلاً سمسة فيها شبهة في أوان الضرورات فكيف عند الاختيار ووقت الراحة من شأن المريد دوام المجاهدة في ترك الشهوات فإن من وافق شهوته عدم صفوته وأقبح الخصال بالمريد رجوعه إلى شهوة تركها لله تعالى .

فصل .. ومن شأن المريد حفظ عهوده مع الله تعالى فإن نقض العهد في طريق الإرادة كالردة^(٦) عن الدين لأهل الظاهر ولا ينبغي للمريد أن يعاهد الله تعالى على شيء باختياره ما أمكنه فإن في لوازيم الشرع ما يستوفي منه كل وسع قال الله تعالى في صفة قوم « ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله » فما رعوها حق رعايتها .

فصل .. ومن شأن المريد قصر الأمل فإن الفقير ابن وقته^(٧) فإذا كان له تدبير في المستقبل وتطلع لغير ما هو فيه من الوقت وأمل فيما يستأنفه لا يجيء منه شيء .

فصل .. ومن شأن المريد أن لا يكون له معلوم وإن قل لاسيما إذا كان بين الفقراء فإن ظلمة المعلوم تطفئ نور الوقت .

(١) (هذا الأمر) أى التصوف .

(٢) (وملاكه) بفتح الميم وكسرها وهوما يقوم به .

(٣) (عن المد) أى مدها . (٤) (المحظورات) أى المحرمات .

(٥) (عن الغفلات) أى ليكيف عنها بأن يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن ير الله تعالى فإن الله جل في علاه يراه وهو مقام الإحسان .

(٦) (كالردة .. إلخ) من حيث إن كلا منها يختل عما اتصف به مما سبق من أحواله ومقاماته قال تعالى : « ومنهم من عاهد الله لئن أتانا من فضله لنصدقن » الآية .

(٧) (ابن وقته) لا التفات له إلى ماض ولا مستقبل .

فصل .. ومن شأن المرید بل من طريقة سالکی هذا المذهب ترك قبول رفق النسوان فكيف التعرض لاستجلاب ذلك وعلى هذا درج شیوخهم وبذلك نفذت وصایاهم ومن استصغر هذا فعن قریب یلقى ما یفتضح فیه .

فصل .. ومن شأن المرید التباعد عن أبناء الدنیا فَإِنْ صَحِبْتَهُمْ سَمِ مجرب لأنهم ینتفعون به وهم ینتقص بهم قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَطْعَمِنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا ﴾ وأن الزهاد یدرجون المال عن الکیس تقربا إلى الله تعالى وأهل الصفاء یدرجون الخلق والمعارف من القلب تحققا بالله تعالى .

(قال الأستاذ) الإمام أبو القاسم عبدالکرم بن هوازن القشیری رضی الله تعالى عنه فهذه وصیتنا إلى المرید نسأل الله الکرم لهم التوفیق ^(١) . وأن لا یجعلها وبالا ^(٢) علینا وقد نجز لنا إملاء هذه الرسالة فی أوائل سنة ثمان وثلاثین وأربعمئة نسأل الله الکرم أن لا یجعلها حجة علینا وبالا بل تكون لنا وسیلة ونوالا ^(٣) إن الفضل منه مألوف وهو بالعفو موصوف والحمد لله حق حمده وصلواته وبرکاته ورحمته على رسوله محمد النبی الأمی وآله الطاهرين وصحبه الکرام المنتخبین وسلم تسلیما دائما کثیرا ..

تم بعون الله



(١) (التوفیق) خلق قدرة الطاعة فی العبد .

(٢) (وبالا) أى هلاکا .

(٣) (نوالا) أى رحمة .

فهرست الرسالة القشيرية

للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري

نفعنا الله به

٣	مقدمة الناشر
٥	تقديم
٩	أصول المعاملات خمسة
٩	آفة المعاملات
١٩	الرسالة القشيرية
٢٠	شرح الرسالة القشيرية
٢٠	طبقات الكتاب
٢١	ترجمات الكتاب ودراسات عن المؤلف
٢١	مخطوطات الرسالة القشيرية
٢٢	التعريف بالمؤلف الإمام القشيري
٢٧	سبب تأليف الرسالة
٢٩	فصل في بيان اعتقاد هذه الطائفة في مسائل الأصول في التوحيد
٣٧	فصل قال الأستاذ زين الإسلام أدام الله عزه وهذه فصول تشتمل على بيان عقائدهم في مسائل التوحيد
٣٩	(باب) في ذكر مشايخ هذه الطريقة وما يدل من سيرهم وأقوالهم على تعظيم الشريعة فمنهم أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم
٤١	ومنهم أبو الفيز ذي النون المصري
٤٢	ومنهم أبو الفضيل بن عياض
٤٣	ومنهم أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي
٤٤	ومنهم أبو الحسن سري بن المغلس السقطي
٤٦	ومنهم أبو نصر بشر بن الحارث الحافي
٤٨	ومنهم أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي
٥٠	ومنهم أبو سليمان داود بن نصير الطائي

٥١	ومنهم أبو على شفيق بن إبراهيم البلخي
٥٢	ومنهم أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي
٥٤	ومنهم أبو محمد سهل بن عبد الله التستري
٥٥	ومنهم أبو سليمان عبد الرحمن بن عطية الداراني
٥٦	ومنهم أبو عبد الرحمن حاتم بن علوان ويقال حاتم بن يوسف الأصم
٥٧	ومنهم أبو زكريا يحيى بن معاذ الرازي الواعظ
٥٨	ومنهم أبو حامد بن خضرويه البلخي
٥٩	ومنهم أبو الحسين أحمد بن أبي الحواري
٥٩	ومنهم أبو حفص عمر بن مسلمة الحداد
٥٩	ومنهم أبو تراب عسكر بن حسين النخشي
٦١	ومنهم أبو محمد عبد الله بن خبيق
٦١	ومنهم أبو على أحمد بن عاصم الأنطاكي
٦١	ومنهم أبو السري منصور بن عمار
٦٢	ومنهم أبو صالح حمدون بن أحمد بن عمار القصار
٦٣	ومنهم أبو القاسم الجنيد بن محمد
٦٤	ومنهم أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الحيري
٦٦	ومنهم أبو الحسين أحمد بن محمد النوري
٦٦	ومنهم أبو عبد الله بن أحمد يحيى الجلاء
٦٧	ومنهم أبو محمد رويم بن أحمد
٦٨	ومنهم أبو عبد الله محمد بن الفضل البلخي ساكن سمرقند
٦٨	ومنهم أبو بكر أحمد نصر الرقاق الكبير
٦٩	ومنهم أبو عبد الله عمرو بن عثمان المكي
٦٩	ومنهم سمنون بن حمزة
٧٠	ومنهم أبو عبيد محمد بن حسان البصري
٧١	ومنهم أبو الفوارس شاه بن شجاع الكرمانى
٧١	ومنهم أبو يعقوب يوسف بن الحسين
٧١	ومنهم أبو عبد الله محمد بن على الترمذى
٧١	ومنهم أبو بكر محمد بن عمر الوراق

٧٢	ومنهم أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز
٧٢	ومنهم أبو عبد الله محمد بن إسماعيل المغربي
٧٢	ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد بن مسروق
٧٣	ومنهم أبو الحسن علي بن سهل الأصبهاني
٧٣	ومنهم أبو محمد أحمد بن محمد بن الحسين الحريري
٧٤	ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي
٧٤	ومنهم أبو إسحق إبراهيم بن أحمد الخواص
٧٤	ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد الخراز
٧٥	ومنهم أبو الحسن بنان بن محمد الحمال
٧٥	ومنهم أبو حمزة البغدادى البزاز
٧٦	ومنهم أبو بكر محمد بن موسى الواسطي
٧٦	ومنهم أبو الحسن بن الصائغ
٧٦	ومنهم أبو إسحاق إبراهيم بن داود الرقي
٧٧	ومنهم ممشاد الدينوري
٧٧	ومنهم خير بن عبد الله النساج
٧٨	ومنهم أبو حمزة الخرساني
٧٨	ومنهم أبو بكر دلف بن حيدر الشبلي
٧٩	ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد المرتعش
٧٩	ومنهم أبو علي أحمد بن محمد الروذباري
٧٩	ومنهم أبو محمد عبد الله بن منازل
٨٠	ومنهم أبو علي محمد بن عبد الوهاب الثقفي
٨٠	ومنهم أبو الخير الأقطع
٨٠	ومنهم أبو بكر محمد بن علي بن جعفر الكتاني
٨٠	ومنهم أبو يعقوب إسحاق بن محمد النهرجوري
٨١	ومنهم أبو الحسن علي بن محمد المزين
٨١	ومنهم أبو علي بن الكاتب
٨٢	ومنهم مظفر القرمسيني
٨٢	ومنهم أبو بكر عبد الله بن طاهر الأبهري

٨٢	ومنهم أبو الحسين بن بنان
٨٢	ومنهم أبو إسحاق إبراهيم بن شيبان القرمسينى
٨٢	ومنهم أبو بكر الحسين بن على بن يزدانيار
٨٣	ومنهم أبو سعيد بن الأعرابى
٨٣	ومنهم أبو عمرو محمد بن إبراهيم الزجاجى النيسابورى
٨٣	ومنهم أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير
٨٤	ومنهم أبو العباس السيارى
٨٤	ومنهم أبو بكر محمد بن داود الدينورى المعروف بالدقى
٨٤	ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد الرازى
٨٥	ومنهم أبو عمرو إسماعيل بن نجيد
٨٥	ومنهم أبو الحسن على بن أحمد بن سهل البوشنجى
٨٥	ومنهم أبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازى
٨٦	ومنهم أبو الحسن بNDAR بن الحسين الشيرازى
٨٦	ومنهم أبو بكر الطمستانى
٨٦	ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد الدينورى
٨٧	ومنهم أبو عثمان سعيد بن سلام المغربى
٨٧	ومنهم أبو القاسم إبراهيم بن محمد النصرابادى
٨٨	ومنهم أبو الحسن على بن إبراهيم الحصرى البصرى
٨٨	ومنهم أبو عبد الله أحمد بن عطا الروذبارى
	(باب) فى تفسير ألفاظ تدور بين هذه الطائفة وبيان ما يشكل منها
٩٠	فمن ذلك الوقت
٩٢	ومن ذلك المقام
٩٢	ومن ذلك الحال
٩٤	ومن ذلك القبض والبسط
٩٥	ومن ذلك الهيبة والأنس
٩٧	ومن ذلك التواجد والوجد والوجود
١٠٠	ومن ذلك الجمع والفرق
١٠٢	ومن ذلك الفناء والبقاء

١٠٤	ومن ذلك الغيبة والحضور
١٠٦	ومن ذلك الصحو والسكر
١٠٧	ومن ذلك الذوق والشرب
١٠٨	ومن ذلك المحو والإثبات
١٠٩	ومن ذلك الستر والتجلى
١١٠	ومن ذلك المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة والمعاينة
١١١	ومن ذلك اللوائح والطوائع واللوامع
١١٣	ومن ذلك البوادة والهجوم
١١٣	ومن ذلك التلويح والتمكين
١١٥	ومن ذلك القرب والبعد
١١٧	ومن ذلك الشريعة والحقيقة والطريقة
١١٧	ومن ذلك النفس بفتح الفاء
١١٨	ومن ذلك الخواطر
١١٩	ومن ذلك علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين
١١٩	ومن ذلك الوارد
١٢٠	ومن ذلك لفظ الشاهد
١٢٠	ومن ذلك النفس بإسكان الفاء
١٢١	ومن ذلك الروح
١٢٢	ومن ذلك السر
١٢٣	باب التوبة
١٣٠	باب المجاهدة
١٣٤	باب الخلوة والعزلة
١٣٨	باب التقوى
١٤٢	باب الورع
١٤٧	باب الزهد
١٥١	باب الصمت
١٥٦	باب الخوف
١٦٢	باب الرجاء

١٦٨	باب الحزن
١٧١	باب الجوع وترك الشهوة
١٧٥	باب الخشوع والتواضع
١٨٣	باب مخالفة النفس
١٨٦	باب الحسد
١٨٨	باب الغيبة
١٩١	باب القناعة
١٩٤	باب التوكل
٢٠٥	باب الشكر
٢٠٩	باب اليقين
٢١٤	باب الصبر
٢٢٠	باب المراقبة
٢٢٣	باب الرضا
٢٢٨	باب العبودية
٢٣٢	باب الإرادة
٢٣٦	باب الاستقامة
٢٣٩	باب الإخلاص
٢٤٢	باب الصدق
٢٤٦	باب الحياء
٢٥٠	باب الحرية
٢٥٢	باب الذكر
٢٥٨	باب الفتوة
٢٦٣	باب الفراسة
٢٧٣	باب الخلق
٢٧٩	باب الجود والسخاء
٢٨٥	باب الغيرة
٢٩٠	باب الولاية
٢٩٥	باب الدعاء

٣٠٢	باب الفقر
٣١١	باب التصوف
٣١٦	باب الأدب
٣٢١	باب أحكامهم فى السفر
٣٢٦	باب الصحبة
٣٣١	باب التوحيد
٣٣٦	باب أحوالهم عند الخروج من الدنيا
٣٤٤	باب المعرفة بالله
٣٥٠	باب المحبة
٣٦١	باب الشوق
٣٦٦	باب حفظ قلوب المشايخ وترك الخلاف عليهم
٣٦٨	باب فى السماع
٣٨٥	باب إثبات كرامات الأولياء
٣٨٨	فصل ثم هذه الكرامات.. إلخ
٣٨٩	فصل فإن قيل فما معنى الولى .. إلخ
٣٨٩	فصل فإن قيل فهل يكون الولى معصوما .. إلخ
٣٨٩	فصل فإن قيل فهل يسقط الخوف .. إلخ
٣٨٩	فصل فإن قيل فهل تجوز رؤية الله .. إلخ
٣٨٠	فصل فإن قيل فهل يجوز أن يكون وليا .. إلخ
٣٩٠	فصل فإن قيل فهل يزایل الولى خوف المكر
٣٩٠	فصل فإن قيل فما الغالب على الوالى حال .. إلخ
٤٢٣	باب رؤيا القوم فى النوم
٤٣٤	باب الوصية للمريدين
٤٤٢	فصل ولا ينبغي المريد أن يعتقد فى المشايخ العصمة
٤٤٢	فصل وكل مريد بقى فى قلبه لشيء من عروض الدنيا مقدر وخطر
٤٤٢	فاسم الإرادة له مجاز ..
٤٤٢	فصل وقبول قلوب المشايخ للمريد أصدق شاهد لسعادته
٤٤٢	فصل ومن أصعب الآفات فى هذه الطريقة صحبة الأحداث

٤٤٣	فصل ومن آفات المريد ما يتداخل النفس .. إلخ
٤٤٣	فصل واعلم أن من حق المريد إذا أنفق في جميع .. إلخ
٤٤٣	فصل وأما آداب المريد في السماع
٤٤٤	فصل وإن ابتلى مريد بجاء
٤٤٥	فصل ومن آداب المريدين أن لا يتعرضوا
٤٤٥	فصل وإذا خدم المريد الفقراء .. إلخ
٤٤٥	فصل ومن شأن المريد إذا كانت طريقته خدمة الفقراء .. إلخ
٤٤٦	فصل وبناء هذا الأمر أى التصوف .. إلخ
٤٤٦	فصل ومن شأن المريد حفظ عهوده مع الله تعالى
٤٤٦	فصل ومن شأن المريد قصر الأمل
٤٤٦	فصل ومن شأن المريد أن لا يكون له معلوم
٤٤٧	ومن شأن المريد ومن طريقة سالكى هذا المذهب ترك قبول رفق النسوان
٤٤٧	فصل ومن شأن المريد التباعد عن أبناء الدنيا

رقم الايداع

٢٠٠٧/١٥٣٣٠

الترقيم الدولى

I - S - B - N

977- 418 - 025 - 9